

سیرة حبیبہ

الغریب



خالق و محقق غازی

اهداءات ٢٠٠٢

السفير فتحي الجويلي

دمنهور

سما. بسفر/ سفر الجولبي
تسيرا سور.

٢٠٠٠

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

كتب عربي
(اهداء)
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

رقم التسجيل
٢٧٥٩٧

القدس .. سيرة مدينة

دراسة وشهادات

القدس .. سيرة مدينة

خالد محمد غازي

الناشر: دار الهدى للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى 1998

رقم الإيداع: 3103/1998

الترقيم الدولي: 1-14-5772-977

جميع الحقوق محفوظة للناشر
دار الهدى للنشر والتوزيع



المنيا - شاهين - 6 ش أحمد عرابي

ت: 346713

دار القبس للطباعة وفصل الألوان

ت: ٥٢٤٣٣١٤ - ٣٦٨٥٦٢٨ - ٣٦٤٠٨٣٥

القدس .. سيرة مدينة

دراسة وشهادات

خالد محمد غازي

دار الهدى للنشر والتوزيع

اهداء خاص جدا :

إلى جدى " عوض "

سيأتيك الحرف وما فيه .. وكل شئ ظهر فهو فيه
وسيأتيك منه أسمى ما بقى من الإنسان ذكرى وتاريخ
وسيأتيك منه العلم .. وفى العلم عهدك ووصاياك ..
وسيأتيك منه السر وفى السر محادثتى إليك وإيمانى ..

المؤلف

ليست مقدمة

القدس :

زهرة المدائن .. مدينة السلام والحرب .. مدينة الرسالات والأنبياء .. حملت على كاهلها تاريخا طويلا يضرب بجذوره عبر العصور إلى ما قبل الديانات السماوية .. وعبر القرون الممتدة تبرز عروبته ، ولتعرف الأجيال .. كل الأجيال عربية كانت أو غير عربية ، أن القدس بالنسبة لليهود ليست مجرد شعار .. بل هي حلم قديم ومرجع لا بد منه ، لأن الهوية اليهودية الإسرائيلية تحتل شقين .. أحدهما يتعلق بالكيان ذاته . بينما يتعلق الشق الثانى بالقدس ، فبدون القدس ليس هناك كيان .. و القدس يتبعها الكيان تلقائيا طالما تحتل جوهره .. هكذا إسرائيل قد انطلقت من القدس بمجرد احتلالها عام ١٩٦٧ لتعد هذه الانطلاقة .. وكأنها تجديد للنشأة الأولى باعتبار أن القدس فى قاموس الطموحات اليهودية هى إسرائيل .. وإسرائيل هى القدس .

ومن أجل إيضاح جوانب عديدة لعمليات التزوير والتعتيم وإبراز الحقيقة التاريخية كان لابد لنا أن نقلب أوراق التاريخ .. رغبة فى كشف الحقائق

ووضعها فى موضعها الذى يجب أن تكون عليه فى ظل توضحيات فلسطينية عربية تبذل ودماء تراق.. وسلام يشبه السراب .. لعلنا نلمسه من مقولة الحاخام الاسرائيلى «جوننا ثان بلاس» : « إن السلام يعنى الكثير لكن القدس شىء أئمن من السلام ؟ » فهل تصبح القدس بالنسبة للعرب أرخص من السلام الإسرائيلى ؟

وبعيدا عن المؤامرات والدسائس والمزايدات .. و أبواق الدعاية لندع الحقائق تجيب: من هو صاحب الأرض ؟ ومن هو صاحب الحق فى السيادة عليها ؟

وإذا كذب اليهود الحقائق .. ورضى العرب بما هو كائن .. علينا إذن أن نتساءل : لماذا يقبل العرب بعد أكثر من ١٤٠٠ عام من عروبة القدس تهويد المدينة راضين بالصلاة تحت الحراب الإسرائيلية فى الأقصى الأسير .. وتحت حصار الكنائس، ويشترون بما يتوهمونه سلاما .. مصيرا مشكوكا فيه ، ومستقبلاً يكتنفه الغموض.

غير أن التساؤل الذى يفرض نفسه هنا - أيضا - هو: هل يمكن لإسرائيل أن تتنازل عن القدس ، خاصة فى ظل مايعانيه العرب .. وما تتمتع به إسرائيل اليوم ؟!

لعل بن جوريون - أول رئيس وزراء لإسرائيل - أجاب عن هذا التساؤل حين قال : مسألة القدس ليست مسألة ترتيبات فى أساسها ، ولا حتى مسألة قدرة عسكرية ، رغم أننا لانستطيع حل كل مشاكل القدس بالقوة العسكرية وحدها ، لكنها المرحلة الأولى لاحتلال القدس تعقبها بعد ذلك عدة مراحل ، تتعلق بالجانب الاقتصادى والاجتماعى وأيضاً الديمغرافى..

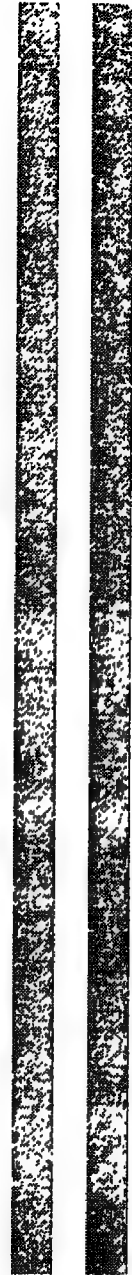
إن ما أردت أن أقوله ونقبت عنه هو الحقيقة .. نعم الحقيقة لا أقل.

وطرحت آراء وشهادات وتساؤلات وتصورات حول القدس لنخبة من المفكرين والمثقفين والسياسيين من مختلف الانتماءات والتيارات والأجيال .. رأينا من واجبنا أن نجمع شهاداتهم لقضية ساخنة .. متفجرة .. قضية الأمس واليوم والمستقبل .. والقضية الحقيقية للصراع العربي - الإسرائيلي في الشرق الأوسط.

إذا كانت تلك المدينة بالنسبة لهم قضية الهوية المفقودة ، فإنها للعرب الكيان المغتصب.

المؤلف





المدينة و التاريخ



القدس : يعود ميلادها كمدينة إلى أكثر من ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد .. ويذكر علماء الآثار والتاريخ أنه قد شيدتها إحدى القبائل الكنعانية - العمورية - التي نزحت من الجزيرة العربية .. ومنذ نشأة المدينة تبدلت عليها القبائل والأجناس والحضارات واللغات وتبدلت عليها كذلك الأسماء، فيذكر أن مدينة "القدس" كانت تحمل إسم "أورشليم" وهذا الاسم عمورياً - حيث ذكر في الكتاب المقدس - وهى الصيغة العربية لإسم "أوروسالم" الآرامى .. الذى ورد فى بعض رسائل تل العمارنة فى القرن ١٤ ق . م .. وكلمة "أوروسالم" تتكون من مقطعين : المقطع الأول "أور" بمعنى موضع أو مدينة ، والمقطع الثانى "سالم" بمعنى السلام ومجمل مقطعى الكلمة يعنى مدينة السلام ونشير إلى ما ورد فى العهد القديم "هكذا قال الرب لأورشليم : مخرجك ومولدك أرض كنعان ، أبوك أمورى وأمك حثية" (حزقيال ١٦ : ٢-٣) .. وأطلق عليها فى بعض النصوص المصرية التى تعود إلى القرن ١٨ ، ١٩ ق . م إسم "روشاليم" .. وسميت كذلك "يبوس" نسبة إلى اليبوسيين ، وهم فرع من الكنعانيين نسبة إلى أولاد كنعان - وظل إسم "يبوس" علماً على المدينة ، حتى إستولى عليها داود ، وصار إسمها بعد ذلك "مدينة داود" .

وقد وجد اليهود صعوبة فى نطق وكتابة "أوروسالم" باللغة العبرية فوردت فى أسفار العهد القديم بإسم "يروشاليم" ولكنها وردت بدون ياء .

ونجد إسم القدس ورد في بعض النقوش التي تعود إلى عهد الإسكندر الأكبر ..
وقد سماها اليونان "هيروسوليمما" ثم صار إسمها "إيليا كابتولينا" في عصر الامبراطور
الروماني "إيليوست هديران" بعد أن قضى على الكيان الدينى اليهودى .. وفى أعقاب ذلك
أصدر مرسوماً يتضمن أمراً بقتل كل من يدخل القدس من اليهود .. وعرفت بإسم "إيليا"
فى أوائل الفتح الاسلامى ، وسميت كذلك فى العهد العمرى .
قال الفرزدق :

وبيتان بيت الله نحن ولاته وقصر بأعلى إيلياء مشرف
وقيل أن من أسمائها : إيليا ، اليا ، إيلياء و (بيت ايل) ومعناه بيت الرب .

ومن أسمائها (القرية) ، وإلى ذلك تشير الآية : ﴿ ادخلوا هذه القرية ، فكلوا منها
حيث شئتم رغداً ، وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم ﴾ ، ومنها ﴿
الأرض المباركة ﴾ وإلى ذلك تشير الآية : ﴿ ولنجيناها ولوطاً إلى الأرض التى باركنا فيها
للعالمين ﴾ .

ومنها (الساهرة) جاء فى الآية : ﴿ فإذا هم بالساهرة ﴾ .
ومن أسمائها : (بيت المقدس) و (البيت المقدس) و (الأرض المقدسة)
روى أن مروان بن الحكم قال يوماً للفرزدق :
قل للفرزدق والسفاهة كاسمها إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس
ودع المدينة إنها محدورة والحق بمكة أو بيت المقدس
وذكر ابن حجر العسقلانى البيت المقدس فى شعره فقال :
إلى البيت المقدس جئت أرجو جنان الخلد نزلنا من كريم
قطعنا فى مسافته عقاباً وما بعد العقاب سوى النعيم

ومن أسمائها : (المسجد الأقصى) وفى ذلك نزلت الآية الكريمة : ﴿ سبحان الذى
أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ﴾ ،
ومنها : (الزيتون) وفى ذلك نزلت الآية ﴿ والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد
الأمين ﴾ قال ابن عساكر نقلاً عن ابن عباس : "إن التين بلاد الشام ، والزيتون بلاد
القدس ، وطور سينين الجبل الذى كلم الله موسى عليه ، وهذا البلد الأمين مكة" .

ومن أسمائها : (القدس) قال الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف فى الجزء الثانى من مجلة المقتبس ما يلى : "ولعل أقدم من ذكرها بهذا الإسم المطران سليمان الغزى أسقف غزة والشام حوالى القرن الرابع عشر للميلاد إذ قال : أيدعوك للقدس الخيال الذى يسرى فهل لك فى ترك الزيارة من عذر .

إن المؤلفين العرب ذكروا (القدس) فى مؤلفاتهم قبل ذلك التاريخ بزمان طويل ، فقد ذكرها أبو العلاء المعرى فى شعره (٥٤٩ هـ - ١٠٥٧ م) .

ياشاكى النوب انهض طالباً حلباً نهوض مضمي لحسم الداء ملتمس
واخلع حذاك إذا حاذيتها ورعاً كفعل موسى كليم الله فى القدس
وللعماد الأصفهاني كتاب اسمه (الفتح القسى فى الفتح القدسى) ١٢٠٠ م ولأبى الفرج التميمي المعروف بآبى الجوزى كتاب اسمه (فضائل القدس) ١٢٠٠ م وللقاضى أمين الدين هبة الله الشافعى (الأنس فى فضائل القدس) ١٢٠٦ م ولشهاب الدين بن سرور المقدسى (مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام) ١٣٦٣ م . ولمحمد بن إسحق القدسى كتاب اسمه (تاريخ القدس) ١٣٧٤ م .. هذه وغيرها من الكتب تدلنا على أن اسم القدس كان معروفاً منذ أوائل الحكم الإسلامى فى هذه البلاد وقد احتفظ الأتراك فى بادئ الأمر باسم (القدس) ، ثم أضافوا إليها وصف الشرف فراحت تعرف باسم (القدس الشريف) ، وعرفت بذلك طيلة وجودهم فى البلاد (١٥١٧ - ١٩١٧ م) .

وقد سميت أيضاً باسم مدينة داود ، صهيون ، مدينة الله ، ومن أسمائها أيضاً "قدتيس" التى ذكرها المؤرخ اليونانى "هيرودت" ت ٤٢٥ ق . م وأطلق عليها إسم "بيت المقدس" بدءاً من العصر الإسلامى ، لقدسيته فى الأديان السماوية .

ولعل أجمل وصف يليق باسمها ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقى :
بلد على أرض الهدى وسمائه المجد حائطه ورأس بنائه
بلد بنوه الأكرمون قبورهم وقصورهم وقف على نزلاته

طبوغرافية القدس

تقع مدينة "القدس" على هضبة غير مستوية يتراوح ارتفاعها من ٢١٣٠ - ٢٤٦٩ قدماً .. ومتوسط إرتفاعها فوق سطح البحر المتوسط من اتجاه الغرب ٢٥٠٠ قدم وترتفع تجاه الشرق من سطح البحر الميت ٣٨٠٠ قدم ، وتبعد ٣٢ ميلاً عن البحر المتوسط غرباً .. وحوالى ١٨ ميلاً عن البحر الميت شرقاً و١٩ ميلاً عن الخليل "حبرون" جنوباً و ٣٠ ميلاً عن السامرة شمالاً .. وطقس المدينة قارى ، صحراوى ، فهى تقع على خط عرض ٣١° / ٤٥ شمال خط الاستواء ، وعلى خط طول ١٣٣° / ٢٥ شرق جريتش.

وتحيط بالهضبة التى تقع عليها القدس أودية عميقة أهمها وادى قدرون الذى يعرف باسم الوادى الشرقى ووادى "سلوان" أو "هنم" فى الغرب ويلتقى الواديان جنوباً كذلك يمتد من الشمال الغربى للهضبة إلى جنوبها الشرقى وادى الجبانة ويمتد إلى وادى سلوان الذى يصل بدوره بوادى قدرون .

أما أهم جبال القدس فهو جبل الزيتون : الذى يسميه العرب "جبل الطور" وتقع أسوار الحرم فى مواجهة الجبل من الجهة الشرقية وعرف عند اليهود باسم "جبل المسح" أى جبل التتويج ، لأنهم كانوا يستخلصون من زيتونه الزيت المقدس المستخدم فى تتويج ملوكهم .

كذلك يعتبر جبل بطن الهوا إمتداداً لجبل الزيتون من الجنوب الشرقى للقدس ، واشتهر عند اليهود بالجبل الفاضح ويزعمون أن المعابد الوثنية لنساء سليمان الأجنبية قد أقيمت عليه .. أيضاً جبل رأى المشارف الذى عرف عند اليهود بجبل المراقبين هو امتداد طبيعى لجبل الزيتون من الشمال الشرقى وحتى الشمال .

أما جبل صهيون فيقع فى الزاوية الجنوبية الغربية للقدس ، وكانت توجد عليه القلعة المسماه "مدينة داود" .

أما جبل بيت المقدس فعرف عند اليهود باسم جبل "الموريا" وهو قريب جداً من المسجد الأقصى .. وقيل عنه أنه أطلق عليه "جبل الحرم" .

ونظراً لموقع مدينة "القدس" المتميز فمنذ القدم - قبل الميلاد - وحتى الآن تربطها بمدن فلسطين وما يحيط بها من بلدان شبكة جيدة من الطرق .. وإن كان حدث الكثير من التغيرات نتيجة سياسة اليهود لتشويه المعالم التاريخية للمدينة وإضفاء طابع المدينة الحديثة عليها بالإلغاء والتحديث وأبرز الطرق الرئيسية للقدس الطريق الساحلى والذي يبدأ من مصر ويمتد على ساحل البحر المتوسط ويستمر حتى صور وصيدا ماراً بخان يونس وغزة ويافا وعكا .. أما الطريق الأوسط فيمتد من بئر سبع حتى القدس والتي كانت محطة مواصلات دولية فى الشرق القديم .. بمعنى أن هناك طرقاً كانت تؤدى إليها وأخرى تخرج منها ، وإذا كان للقدس عدة طرق مرصوفة تربطها ببقية الضفة الغربية ، إلا أن هناك عدة طرق أخرى لكن غير مشهورة أو مألوفة .. كما أن للمدينة مطاراً على بعد ١٠ كم فى طريق رام الله فى الشمال .. وكان بها قبل حرب فلسطين عام ١٩٤٨ نحو ٥٢٣ شركة صناعية وزراعية ، و ١٦ بنكاً حكومياً وأجنبياً .

أسوار القدس القديمة

أول من أحاط المدينة بسور هم اليوسيين العرب سكان القدس (نحو ٢٥٠٠ ق . م) وقام داود وسليمان بترميمه بعد استيلائهما على المدينة وفى عهدهما كان يمتد هذا السور اليوسى من الأحياء الغربية فى البلدة القديمة حتى التلال الواقعة شرقى الحرم الشريف ، وكان عليه آنذاك ٦٠ برجاً وبعد ذلك خرب يوأش ملك لإسرائيل جزءاً منه يوم أن تغلب على أمصيا ملك يهوذا (٧٩٠ ق . م) وبنى الملك منسى السور الثانى أثناء الاحتلال الآشورى لفلسطين (٦٤٤ ق . م) ثم دخل السور أحياء جديدة هى التى تقع عليها اليوم حارة النصارى وكان عليه ١٤ برجاً وقد هدمه الملك نبوخذ نصر (٥٨٦ ق . م) فأعاد نحميا النبى ترميمه فى عهد الفرس (٤٤٠ ق . م) وكان يقوم بالبناء ليلاً خوفاً من بطش جيرانه الحورانيين والعمونيين العرب وفى عهد بطليموس الأول هدم جزءاً منه (٣٢٠ ق . م) ودك أنطونيوس أبيفانوس جنباً منه (١٦٨ ق . م) وأتى بومبى الرومانى على ما تبقى منه (٦٣ ق . م) وقيل أن جزءاً من سور نحميا ظل حتى إستخدامه الملك هيرودس فى تحصين

قصره ، الذى كان يقع فوق دير مار يعقوب وكنيسة المسيح فى جنوب غربى المدينة القديمة وفى عهده بدأ فى إنشاء السور الثالث (٣٧ ق.م) وتوسعت المدينة فضمت مناطق الباب الجديد وقبور السلاطين وباب الساهرة فى الشمال الغربى وكان لهذا السور ٩٠ برجاً ، وقد دمر تيطس الرومانى جانباً منه (٧٠م) وكذلك فعل أدريانس (١٣٥م) ومن بقاياها الحالية جزء من مدرسة المطران على طريق نابلس والباب ذو القوس المدفون عند باب العمود ، وبعد ذلك شيدت الملكة أفدوكسيا الرومانية سوراً جديداً (٤٣٨م) وقد أدخلت فى حدود القدس قرية سلوام ولكن هدمه الفرس (٦١٤م) وعندما أعيد بناؤه فى عهد هرقل كان على أساس ما كان عليه فى عهد أدريانوس وقام الصليبيون ثم صلاح الدين الأيوبي بإصلاحه وحفر الأخير حوله خندقاً وقد استخدم فى ذلك أسرى الفرنجة وتهدم معظمه فى عهد الملك عيسى (١٢١٩م) ورممه العادل زين الدين (١٢٢٥م) ثم قلاوون (١٢٣٠م) .

أما السور الحالى فقد جده السلطان العثمانى سليمان واستغرق ذلك خمسة أعوام (١٥٣٦ - ١٥٤٠م) وله ٣٤ برجاً وطوله ٤ ك . م وطوله من الشمال ٢٩٣٠ قدماً ومن الشرق ٢٧٥٥ قدماً ، ٢٠٨٦ قدماً فى الغرب ، و٣٢٤٥ جنوباً وبه ٧ أبواب فى الشرق : باب الدهرية (الجميل) ، باب ستى مريم (أو أسطفانوس) وسمى قديماً بباب الضأن وفى الغرب باب الخليل (أو يافا) وفى الشمال باب العمود (ويسمى أيضاً باب دمشق أو باب النصر) باب الساهرة (باب هيرودس) الباب الجديد وجنوباً باب داود (أو صهيون) وباب المغاربة وارتفاع السور الحالى ٤٠ قدماً وينغمس أساسه نحو ٣٥ قدماً أخرى فى الأساس ، وحجارته ضخمة ، وأبوابه مشيد عليها أبراج عالية لحمايتها وظلت هذه الأبواب حتى سنة ١٨٥٨م تغلق عند كل غروب وتفتح عند الفجر ولكن بعد تشييد المباني الحديدية خارج الأسوار كانت تفتح الأبواب ليلاً وتمتاز المباني القديمة بالقدس بأنها من الصخور الصلدة وتغطى المنازل بقباب (جمالونات) لتقيها من تجمع الأمطار والسيول الشتوية التى تنساب إلى الآبار والخزانات المنزلية التى توجد فى كل منزل .

أما عن مساحة القدس القديمة فيذكر أنها كانت (داخل الأسوار) تبلغ ٨٦٨ دوغما (أى ٠٠٠ , ٨٦٨ متر مربع) والقدس الجديدة (خارج الأسوار) ١٩٢٣١ دوغما وكان العرب

قبل حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ يملكون ٨٨,٥٪ من المساحة الكلية للمدينة واليهود ١١,٥٪ فقط في القدس القديمة وفي المدينة الجديدة كان للعرب ٥٣,٨٪ من المساحة لليهود ٢٦,١٪ وللحكومة ٢,٩٪ و ١٧,١٠٪ طرق وميادين عامة وسكك حديدية وكان بالقدس سنة ١٩٤٧ (بالقطاع العربي الأردني) ٢٠٥ مدرسة (منها ٣٧ مدرسة مسيحية خاصة) ، كما ضمت المدينة ٤٩ مكتبة كبيرة ، وأنشئ بها متحف حكومي للآثار سنة ١٩٣٨ ، ويقع في الزاوية الشمالية الشرقية للصور أما المتحف الاسلامي فقد شيد سنة ١٩٢٣ م بداخل أبنية الحرم الشريف وأدخلت التليفونات سنة ١٩١٨ .

صخور وينابيع مقدسة

تتكون تربة القدس من صخور جيرية .. يذكر الجيولوجيون أن صخورها تحللت من الزمن الثالث ما عدا تل جبل الزيتون وغيره من التلال المجاورة له .. إلا أن هذه التربة الصخرية لا تصلح لتكون زراعية بستانية لأن الأمطار عندما تهطل تغسلها وتدفعها نحو شقوق الصخر .. ولكن في بعض المناطق - نتج عن تفكك الصخور - تربة رغوية غنية ويستخدم الحجر الطباشيري في عمليات البناء والتشييد حيث يمتاز بعدم تشققه وميله إلى البياض ، ويتصلب بتعرضه للعوامل الجوية .. ومن صخور تربة القدس ، نوع من الصخور لا ينكسر ولا يتأثر بالنار .

وقد زرعت مساحات محدودة - وغالباً على التلال - بأشجار الفاكهة كالتين والزيتون والكروم معتمدة على المياه الجوفية في الري إلا أن أشجار الزيتون تكثر في شرق القدس على التل المسمى باسمها (جبل الزيتون) .

ومازال القمح والشعير يسودان السهول المنخفضة التي تعتمد على مياه الأمطار .

وقد تعرضت التربة لزلازل أرضية كثيرة ، فقد تعرضت للهزات الأرضية الكبيرة أكثر من ٥٠ مرة ، وكان أعنفها ما حدث عام ٧٨٠ ق . م ، وقد وصفه يوسيفوس بأنه شق الجبل ، فهبطت الطرق وسقطت الأبنية .. وقضى زلزال عام ٣١ ق . م على نحو ٢٠,٠٠٠ نسمة في عهد هيرودس .. وفي عام ٧١٢ م استمرت الهزات المدمرة أربعين

يوماً فى كل بلاد الشام .. ويذكر المؤرخون أن زلزالى ١٩٢٧ ، ١٩٣٧ هدمتا الكثير من المنازل وتوفى الكثير من السكان .. ويكثر هطول الأمطار على المدينة ما بين شهرى أكتوبر ومايو .. ويندر ما بين شهرى سبتمبر ويونيه .. ومتوسطه السنوى الحالى ٢٥٠ ، ٥ بوصة ويتساقط الجليد من ديسمبر حتى مارس ويندر فى إبريل ، ويتكون بكثرة فى يناير - فى الليل ويذوب أثناء النهار - ومتوسط درجة الحرارة (صيفاً - ٧٧° ف) و (شتاءً - ٣٤° ف) .. وفى فصلى الربيع والخريف تهب رياح السيروكو التى تنفذ للمدينة من الفتحة الجنوبية الشرقية آتية من صحراء موآبا فى الجنوب .. وتسود الرياح الشمالية الغربية الجافة ، لكن نسيم البحر المتوسط يجلب معه الرطوبة إليها .

وتعتمد "القدس" على مصدرين للمياه فى الزراعة والحياة البشرية هما مياه الآبار الجوفية والينابيع ومياه الأمطار الموسمية ، ويلاحظ أن صرف مياه الأمطار جوفى وعند سقوط المطر بغزارة - فى بعض الظروف أو عندما تذوب الثلوج فجأة على المرتفعات يتكون المستنقع الضحل فى أحد الوديان وصرف المياه - كما هو معروف - يسير طبقاً لتضاريس السطح أى من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ، وبينما نجد أن خط المطر يرتفع إلى ٢٦٧٥ قدماً فإن وادى قدرون وهنوم يرتفعان ٢٠٦٥ قدماً فوق سطح البحر المتوسط ، وعلى ذلك فليست هناك مياه راكدة فى البرك التى تفيض خلال موسم المطر .

وقد ورد فى أسفار العهد القديم (التوراة) ذكر لثلاثة ينابيع هى جيحون عين روجل (حالياً عين أم الدرج) دراجون وما ورد من نصوص فى العهد القديم ينطبق على النبع الموجود فى وادى قدرون قرب القدس القديمة ويغذى بركة سلوام ويسمى حالياً بعين العذراء (أو عين الخطوات بسبب الهبوط إليه عن طريق سلم حجري) ويغطيه قوس حجري لحمايته من الأتربة إذ أنه يوجد فى فجوة تنخفض ٧٥ قدماً أسفل أكوام الأتربة المحيطة به وفى الشتاء ترتفع مياهه ثلاث أو أربع مرات يومياً وفى الصيف مرة أو مرتين وفى الخريف مرة واحدة فقط وسبب ذلك أن للنبع مصدرين أحدهما دائم والآخر متغير، وهو يتغذى من المياه الجوفية ويذكر أن مياهه حلوة ولكنها حالياً تميل إلى الملوحة وقد سمى نبع عين روجل (يشوع ١٥ : ٧ ، ١٨ : ١٦) وهو يوجد فى وسط الحدائق الواقعة جنوب شرقى القدس عند إتحاد وادى هنوم بقدرتون .. ويوجد بشر آخر يسميه العرب بشر

يعقوب وعمقه ١٢٢ قدماً وله حوائط صخرية ويمتلىء فى موسم المطر وتخرج منه المياه وعلى بعد ثلث ميل إلى الجنوب منه يوجد نبع آخر يسمى بئر دراجون ويسميه نحميا .. باسم نبع التين ومن الجدير بالإشارة فى هذا المجال أنه منذ عهد داود كانت المدينة تحصل على المياه من البرك وبحفر الآبار أو المدينة بإنشاء أحواض صناعية لتجميع المطر ومازالت لها آثار حالياً ، ويذكر أنه كانت بأورشليم (كما ورد فى العهد القديم "نحميا النبى ٣ : ١٦) بركة صناعية كبيرة بجوار البرك الطبيعية الموجودة مثل البركة العليا ويبدو أنها كانت شمال غرب المدينة القديمة ، أما بركة "شيل" فقد قرر الكثير من علماء الآثار أنها بركة "سلوام" جنوبى الأسوار الحالية .. كما كانت هناك قناة تمر فى أسفل التل الشرقى بالقرب من بوابة المياه كشفها شارل وارين سنة ١٨٦٨ م وكانت مياهها تدخل القدس من نبع جيحون عبر تل صخرى ، كما كان هناك نفق إكتشفه الأثرى الألماني كونراد فون شيك سنة ١٨٩٠ واتضح أن جزءاً منه كان مغطى ، أما المصدر الثالث لمياه المدينة القديمة فهو نفق سلوام ، وكان محفوراً فى نفق ملتوى حتى بركة الملك .

وهناك الكثير من المخطوطات القديمة يشير إلى قيام عدة محاولات فى عهد الملك داود وبعده لتوصيل المياه من مسافات بعيدة من جنوب القدس عن طريق قنوات طويلة تصب فى نهايتها فى أحواض حجرية ، وليست هناك آبار أو موارد مياه أخرى معروفة الآن غير ذلك .

القدس قبل وجود اليهود بها

يذكر علماء الآثار أن أول من سكن القدس قبائل بدائية فى العصر الحجري القديم .. وقد عثر العلماء على أدوات حجرية من العصر الباليولوثى الأدنى والعصر الموستيرى الذى تمثله جمجمة وجدت فى مغارة الزيتية عام ١٩٢٥ م ، موجودة حالياً بمتحف القدس .. ويذكر كذلك أنه منذ عام ٤٠٠٠ ق.م اتخذت الهجرات إلى القدس صورة منتظمة أولها الأموريون إلى الشام وفلسطين الذين استطاعوا أن يقفوا فى وجه العبرانيين فيما بعد .. ويذكر المؤرخون أن الكنعانيين والأموريين تحركوا فى هجرة واحدة نحو غرب الأردن وسيطروا على سواحل البحر المتوسط ، ثم امتدوا نحو الشام شرقاً ويرى البعض أنهم جاءوا مباشرة من الجزيرة العربية بينما يرى البعض الآخر أنهم هاجروا من

فارس ، وتشير التوراة والتي تعتبر من أهم الوثائق التاريخية في هذا المجال إلى مدى التقدم الذى وصل إليه الكنعانيون ، فقد شيدوا القصور والمباني الفخمة .. وأسسوا المدن والحكومات المستقلة ، وبلغوا درجة كبيرة من الرقى فى الزراعة والصناعة حيث ينسب إليهم إختراع الزجاج كما كانوا من أكبر التجار فى حوض البحر المتوسط فى تلك العصور .. وقد كشف علماء الآثار والحفريات عن مدن كنعانية تدل على حضارة هذا الشعب ، لكنهم فشلوا فى نظمهم السياسية حيث لم يستطيعوا توحيد دولتهم تحت قيادة حاكم واحد وإقامة دولة كنعانية قوية ، مما سهل على العبرانيين - فيما بعد - الإستيلاء على أجزاء كبيرة من أرضهم ، وإحتلال مدينة بعد أخرى فى عهد القائد اليهودى يشوع بن نون - كما تصف التوراة - إلا أنه رغم ذلك لم يتمكن الإسرائيليون من بسط سلطانهم بصفة دائمة على كل الضفة الغربية للأردن ، لأن جزءاً كبيراً ظل تحت سيطرة الكنعانيين ، وظلوا فى صراع دائم معهم نحو مائتى عام .

وقد قام الأراميون فى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد بهجرة إلى بلاد الشام عرفت باسم الهجرة الكبيرة ، وظلوا بعد غزو العبرانيين فى عداً مستمر معهم فلدست إسرائيل لدى آشور فتم القضاء على الأراميين سنة ٧٣٠ ق . م ، لكن إسرائيل جنت نفس المصير جزاء خيانتها فأزالتها آشور من الوجود بعد ذلك ، ولكن ظلت اللغة الأرامية سائدة فى الشام ألف عام أخرى ، أما الفلسطينيون (ويعنى إسمهم سكان المناطق المنخفضة) فقد جاءوا فى الموجة الرابعة من جزيرة كريت التى تسمى فى التوراة بكفتور (تث ٢ : ٣٢ ، أرم ٤٧ : ٧) من هجرة سامية مرتدة - ربما بسبب ضغط الهلنيين (الإغريق) الذين احتلوا كريت فسكن الفلسطينيون بين يافا وغزة ، ثم توغلوا إلى الداخل حتى جبل يهوذا وعاشت بقايا الكنعانيين بينهم وبين بنى إسرائيل فيما بعد ، واتخذ الكنعانيون اللغة الكنعانية ومارسوا عاداتهم وكان يحكم كل مدينة من مدنها أمير يشغل - فى نفس الوقت - منصب قائد الجيش وقد أثبتوا كفاءتهم فى الحرب ضد الإسرائيليين فأخضعوهم لهم عدة مرات . وظلوا فى حروب مستمرة معهم نحو ٣٠٠ عام ، جاءت أخبارها بالتفصيل فى التوراة فى سفر القضاة .. أما الهجرة الأخيرة فقد قام بها العبرانيون وهم قبائل بدوية سامية عاشت فى شمال بلاد العرب وعلى أطراف سوريا الجنوبية الشرقية ، وقد جاءوا إلى فلسطين إبان فترة الفراغ التى تلت إنبهار الدولة الحديثة فى مصر ، وقد توقفت هذه القبائل الإسرائيلية شرقى الأردن لتسمين العجول التى نهبوها من أرض بشان ، التى كانت تحت

سيطرة الملوك الأموريين ، وهزمهم العبرانيون في معركة أذرعى Edrei عام ١٩٤٥ ق . م . يذكر المؤرخون أن اليبوسيين رحلوا إلى أرض القدس وأسسوا المدينة التي عرفت باسم "يبوس" قبل الميلاد بـ ٣٠٠٠ سنة ، واتخذوها عاصمة لهم ويرجع بعض المؤرخين أنهم كانوا بطناً من بطون العرب الأوائل الذين تعود نشأتهم إلى الجزيرة العربية ، ثم نزحوا عنها مع القبائل الكنعانية في الألف الثالثة قبل الميلاد ، ومن أشهر ملوك اليبوسيين "ملكى صادق" وكان أول من خطط لبناء مدينة "يبوس" وقام بتحصينها .. ويقال أنه كان معاصراً لسيدنا إبراهيم عليه السلام .. ومن ملوكهم أيضاً "سالم اليبوسى" الذى بنى قلعة على جبل يقع فى الزاوية الجنوبية الغربية للدفاع عن "يبوس" ، ويذكر أن هذا الجبل الذى بنيت عليه القلعة هو الجبل الذى عرف منذ عهد داود باسم جبل صهيون .. وكانت مدينة "يبوس" تحتل موقعاً متميزاً على طريقين للتجارة .. الطريق الأول يربطها بالبحر المتوسط والثانى يربط حبرون (الخليل) ببيت آيل (بتيسين) ومن بيت آيل كان الطريق يتفرع إلى إنجماهين واحد نحو (نابلس) والآخر إلى أريحا ووادي الأردن .. وفى عام ١٤٧٩ ق . م . اتخذت المدينة إسم "أورسالم" وخضعت لمصر فى عهده .

ويؤكد الباحثون على أن أقدم النقوش التى ذكر فيها اسم القدس هى تلك النقوش الموجودة فى مجموعة اللوحات المسمارية المكتوبة باللغة الأكادية والتى تتخللها تفسيرات قليلة بالكتابة الأوشاريتية الكنعانية المبسطة .. وتلك النقوش عرفت (لوحات تل العمارنة) وهى وثائق دبلوماسية ترجع إلى عهد فرعون مصر أمينوفيس الثالث (١٤١١ - ١٣٧٥ ق . م) وابنه إخناتون (١٣٧٥ - ١٣٥٠ ق . م) ، وذلك عندما إستجد حاكمها عبد يخيا - وكان حاكماً من قبل فرعون مصر بأمينوفيس الثالث لصد غارات الحاييرو .. وهى مجموعة من القبائل البدوية التى هاجرت من الجزيرة العربية قبل موسى عليه السلام .. وقد خضعت القدس لحكم إخناتون عام ١٣٧٥ ق . م - وكانت فى عهده أهم ممتلكات مصر ، ثم توت عنخ آمون عام ١٣٥١ ق . م ، ثم سيتى الأول عام ١٣١٤ ق . م وقبل أنها خضعت بعد هؤلاء لمتفتح ويدل على ذلك لوحة إكتشفها العالم الأثرى سير فلندز بترى سنة ١٨٦٦ م (وترجع لنحو ١٢٩٩ ق . م) ومكتوب عليها بالهieroغليفية "لقد غلب الملوك وقالوا سلاما وخربت نجينو وهدئت أرض الحيثيين فإنتهت كنعان وحل بها كل الشرور وخربت إسرائيل ولم يعد لأبنائها وجود وأضحى فلسطين أرضاً لمصر وصممت كل البلاد وهدأت وكل من كان ثائراً قيده الملك منفتح" .

وكان الفراعنة يحكمون فلسطين عن طريق ولاية من أهلها بشرط أن يدفعوا الجزية ولم يكونوا يتعرضون لمعتقداتهم الدينية أو عاداتهم المحلية ولم يصيبوهم بسوء ولما أغار الحيثيون من الشمال على الشام وفلسطين كان على فراعنة الأسرة التاسعة عشر أن يطردوا الحيثيين منها واتفق رمسيس الثانى مع ملك الحيثيين حتسبب الثانى Hattuslb على أن تكون فلسطين كلها من نصيب مصر (وكان ذلك نحو ١٢٧٩ ق . م) لكن المتاعب بدأت ثانية بظهور الإسرائيليين الذين يحتاجون منا أن نرجع معهم إلى الوراء قليلا إلى أول هجرة لهم ، مع هجرات الهكسوس والخوريين (بين ٢١٠٠ - ٢٠٠٠ ق م) وقام بها الآباء الأولون لليهود وعلى رأسهم إبراهيم الخليل الذى تقول التوراة أنه جاء غربيا لأرض كنعان (فلسطين) مع ابن أخيه لوط وعائلتيهما ، ويرجع بعض المؤرخين أن ذلك كان فى عصر الأسرة الثانية عشرة المصرية (وفرعونها سنوسرت) ويحتمل أن يكون قد عاش فى عهد الملك حمورابى المشرع البابلى المشهور ، الذى تسميه التوراة أمراfil (تك ١٤ : أ) وعاش هؤلاء العبرانيون الغرباء وسط الكنعانيين والحيثيين (الذين يرجع أنهم من سلالة كنعانية عربية) واتخذوا لغة أهل البلاد الكنعانية وسمى سيدنا إبراهيم بالعبرانى لعبوره نهر الأردن فى طريقه لفلسطين ، أو نسبة لجده عابر بن سام بن نوح (تك ١٠) .

وفى القرن ١٧ ق . م هاجر العبرانيون من فلسطين لمصر (رحلة سيدنا يعقوب والأسباط بناء على دعوة ابنه يوسف الوزير فى البلاط المصرى) فاستقروا فى أرض جاسان (بمحافظة الشرقية) وكانوا فى مجموعهم سبعين فردا فقط ، وتم خروجهم من مصر عبر البحر الأحمر بقيادة موسى النبى عليه السلام .. بعد أن بقوا فى مصر ٤٣٠ عاما كاملة وقبل أن سيدنا موسى تربى فى بلاط الملكة حتشبسوت (نحو ١٥٢٧ ق م) طبقا لحفريات جلاستنغ .. عضو بعثة جامعة ليفربول - فى مقابر مدينة أريحا ، ويؤكد كل المؤرخين بأن الخروج من مصر يمثل البداية الحقيقية لتاريخ اليهود فى الأرض المقدسة ، ويذكر الكاتب " يوجين هود " أنه لما تراخت قبضة مصر على فلسطين سمح ذلك للعبرانيين أن ينفذوا ببطء إليها تدريجيا (نحو ١٤٠٠ ق . م) حتى تم التهام أكبر مساحة منها فى عهد داود (نحو ١٠٠٠ ق . م) وكان يابان JAPAN الملك الكنعانى (وقائده سيسرا) قد سيطر عليهم من عام ١٢٢١ - ١٢٠١ ق م ثم أخضعهم المديانيون العرب سبع سنوات ثم ساد نفوذ الفلسطينيين عليهم بعد هزيمة قائدهم المشهور شمشون (نحو ١١٠٠ ق م) ،

والجدير بالذكر أن الفلسطينيين كانوا أكثر تقدما فى أسلحة الحرب فكانوا يستعملون عربات حربية ثقيلة تجرها الثيران (كما تشير التوراة .. والنصوص المصرية القديمة) .

وكانت إسرائيل قد بدأت تظهر طموحها وتستهدف الاستقرار ولكن الفلسطينيين استطاعوا أن يؤكدوا وجودهم ضدها لأنها لم تكن قد عرفت الوحدة السياسية والإدارية على أن ضغط الفلسطينيين عليها كان من أهم العوامل فى تجميع قواها وإنشاء أول مملكة لها - كان ملكها الأول شاول بن قيس ولكن الفلسطينيين استطاعوا أن يقضوا عليه ثم تولى الحكم بعده داود النبى ، الذى عاش طوال حياته فى حروب مستمرة مع جيرانه العرب واقتبس الإسرائيليون الحضارة الكنعانية فتركوا - الإسرائيليون - معيشة الخيام وسكنوا بيوتا مثل الكنعانيين ، وتعلموا منهم التجارة وبعض الصناعات اليدوية وخلعوا ثياب الجلد ولبسوا بدلا منها ثيابا منسوجة من الصوف كثياب الكنعانيين .

يذكر أنه خلال غزو بنى إسرائيل لفلسطين كلها تحت قيادة القائد اليهودى يشوع بن نون ، فقد اتحد ملك اليبوسيين "أدونى صادق" مع أربعة من الملوك المجاورين (ملك حبرون - ملك يرموت - ملك لخيئ - ملك محكون) وتصدوا ليشوع بن نون إلا أنهم وقعوا فى الأسر ، فأعدمهم ، لكن سكان "يبوس" أو القدس قد تحصنوا بالتلال الجبلية المحيطة بالقدس بعد محاولة الملك يشوع تدميرهم ، إلا أن أهل المدينة قاوموا وكان لسور مدينتهم العظيم الفضل فى صد هجمات بنى إسرائيل ، فانهزم الإسرائيليون وتشتت شملهم .. وأعاد اليبوسيون بناء مدينتهم من جديد ، إلا أنه بعد مرور أعوام أعاد الإسرائيليون الهجوم على المدينة وحاصروها وقاموا بتدميرها وكان ذلك بعد وفاة الملك يشوع .. لكنهم لم استطعوا الإستيلاء على قلعة اليبوسيين - التى عرفت بإسم حصن صهيون فيما بعد - وبقيت تحت سيطرتهم مدة عهد القضاة وفترة حكم الملك شاول أول ملوك بنى إسرائيل .

وقبل وفاة يشوع قسم فلسطين إلى أنصبة قبلية بين أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر محددا مكان كل سبط .. وأصبحت "يبوس" فى قطاع سبطى ويهوذا ، ورغم ذلك التقسيم إلا أن ييبوس ظلت مدينة تنتمى لسكانها الأصليين حتى عصر داود "عليه السلام" .. وقد ورد هذا صراحة فى سفر يشوع (الإصحاح ١٥ - الفقرة ٦٣) .. أما اليبوسيون الساكنون

فى أورشلیم "القدس" فلم یقدر بنو یهوذا على طردهم فسكن الیوسیون مع بنی یهوذا فى أورشلیم (القدس) إلى هذا الیوم .. وقد ظلت المدینة المقدسة إلى عهد داود مدینة للیوسیین وعاصمة لهم أكثر من ٢٠٠٠ عام قبل عهد موسی .

وتجدر الإشارة إلى أن الیهود عاشوا أقلیة وسط الیوسیین فى المدینة منذ غزوة فلسطين بقيادة "یوشع" والیوسیون معظمهم من الأدمومیین والکنعانیین والموآبیین .. و غیرهم وهم عرب .. أى أن العرب كانوا السكان الأصلیین للمدینة ، إلا أن الیهود یغالطون فى التاریخ ویدعون أن حرب "یوشع" لغزو فلسطين كانت حربا مقدسة متذرعین بالوعد الإلهی الوارد فى سفر التکوین (١٥ : ١٨) فى ذلك الیوم قطع الرب مع إبراهیم میثاقا قائلا لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الکبیر نهر الفرات .

ولا یوجد خارج التوراة أى إشارة أو وثیقة تعود إلى هذه القصة القدیمة عن إسرائیل .. وقد أثبت الباحثون والمؤرخون أن الجزء الأول من العهد القدیم وهو المعروف بالتوراة - توراة موسی - لم یکن على هذه الحال التى نراها علیه الیوم ، إذ یذهب الباحثون إلى أن الشطر الأكبر منه قد تم تدوینه فیما بین عذرا (٤٢١ ق م) والفتح الرومانی (٦٣ ق م) و یعتمد العلماء على أدلة کثیرة منها نصوص من التوراة نفسها "فمات هناك موسی .. ولم یعرف إنسان قبره إلى هذا الیوم" (تثنیه ٢٤ : ٥ - ٦) ولا یمكن أن یصدر هذا القول عن موسی علیه السلام ، وهذا یقطع أن التوراة فى وضعها المعروف لنا حالیما ما لا یمكن نسبه إلى موسی .

ولعله من المناسب إبراد بعض أقوال عدد من العلماء والمؤرخین الأجانب :

١ - یقول دى لاسی أولیری De Lacy O'Leary : وفى حالة فلسطين ما یحمل على الإعتقاد بأن أكثریة الفلاحین الحالیین هم أحفاد من جاء قبل الإسرائیلیین .

٢ - ویقول و . ف . أولبرايت W.F. Albright : إن العنصر السامی قد بقى العنصر الأساسی فى التركیب العرقى لفلسطين منذ ذلك الوقت (١٠,٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق م) إلى الآن .

٣ - ویقول السیرجیمس فریزر James Frazer : إن الناطقین بالعربیة من فلاحی فلسطين مازالوا متصلین بالأرض ، لم ینفکوا عنها ولا أقتلعوا منها ولئن طرأت علیهم

موجات من الفتوح فإنهم ثبتوا وأقاموا.

٤ - وقد أجرت مسز فن Finn زوجة القنصل البريطاني في القدس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحقيقاً مطولاً عن أصول الفلاحين الفلسطينيين نوجزه فيما يلي :
إن بقاء الأسماء الكنعانية للمدن والقرى والمواقع على حالها متجاوزة كل المراحل التاريخية يؤكد أن الفلاحين الفلسطينيين هم أحفاد الكنعانيين ومن ذلك إسم "أوروسالم" أو (يبوس) الذى ظل معروفاً عبر العصور كاسم لمدينة القدس وانحدر من الكنعانيين .. جاء الفاتحون وذهبوا وبقيت البلاد تحمل أسماءها الكنعانية القديمة فلا العادات ولا التقاليد ولا الدين تحول بيننا وبين القول : إن الفلاحين الحاليين هم أنسال الكنعانيين .

وخلصت السيدة إلى القول : لقد حققنا فى أصول السكان الفلاحين العرب الحاليين فى فلسطين فثبت لنا على الأرجح أنهم من ذرارى الشعوب الكنعانية القديمة للأسباب التالية :

أولاً : أن خمسة من تلك الشعوب القديمة استمرت فى فلسطين إلى العهد المسيحى ، ولم تبد أو تنف من الأرض بعد ذلك .

ثانياً : الواضح أن الفلاحين شعب أصيل فى البلاد وليس هناك من أثر أو سجل يدل على غربتهم عنها .

ثالثاً : إن عادات كنعانية كثيرة قد حرمت فى شريعة موسى وما زالت متبعة عند الفلاحين حتى اليوم .

رابعاً : لأنهم حافظوا على الأسماء الجغرافية القديمة .

من هنا فإن عرب فلسطين هم شعب البلاد التاريخى .. المؤلف من عناصر من شعوب كثيرة سكنت البلاد فى الماضى .. وهم لهذا السبب أصحاب فلسطين الشرعيون ، لأنها كانت وطنهم على الدوام .

ونتساءل : أتستطيع أى مجموعة بشرية مهما كان وضعها على بقية شعوب المنطقة أن تكذب الحقائق التاريخية والأثرية بمجرد إيمان تلك المجموعة بأنها مجموعة سامية منتقاه مختارة من قبل الإله وتجاوز على تقاليد وموروثات أخرى فوق مستوى الشبهات !

مملكة داود وسليمان

سادت الفوضى والتمزق بنى إسرائيل خاصة بعد وفاة "يوشع بن نون" .. إلا أن صمويل النبي - وهو من سبط بنيامين والذي تقع القدس في قطاعه الذي يحكمه - نجح في أن يجمع مجلسا من ممثلى أسباط الشمال والجنوب جميعا ، ورشح لهم شاءول ملكا على كل بنى إسرائيل ، فبايعوه ونصب ملكا عليهم (١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق . م) إلا أن نظام حكمه كان غير ثابت الأركان فعجز عن السيطرة على المعارضين له داخل فلسطين ، كما كان نزاعه مع داود زوج إبنته ميخال من الأسباب التى عجلت بسقوطه وكان شاءول قد خاض سلسلة من الحروب ضد أعدائه وفى مقدمتهم شعب فلسطين ، ولكنه إنهزم أمامهم فى معركة فاصلة على جبل "جلجوع" وإنتهت بمقتله متحررا مع أبنائه الثلاثة (أنظر سفر صمويل الأول) .

وحاول داود أن يسيطر على زمام الأمور لصالح بنى إسرائيل ، بأن يبايعوه ملكا على بنى إسرائيل إلا أن أسباط الشمال رفضوا مبايعته أشبوشبت (أشبعل) ملكا عليهم بينما بايعت الأسباط الجنوبية داود ملكا عليها إلا أن الحرب ظلت دائرة بين الشمال والجنوب وإنتهت بموت ملك أسباط الشمال ، وفى أعقاب ذلك اجتمع ممثلو بنى إسرائيل من الشيوخ وقواد الجيش وبايعوا داود ملكا على كل بنى إسرائيل (١٠٠٠ ق . م) وبعد تلك المبايعه شعر داود بخطر الفلسطينيين وكذلك فى تغيير عاصمته حبرون فى الشمال - الخليل حاليا - إلى (يبوس) فى الجنوب التى كانت تحت سيطرة اليوسيين العرب فطارده الفلسطينيون حتى السواحل الشمالية ، وخطط للزحف نحو (يبوس) بجيش قوامه ٣٠٠,٠٠٠ ألف مقاتل .

ولما علم اليوسيون برغبة داود فى الاستيلاء على مدينتهم أغلقوا أبوابها ووضعوا حراسا على أسوارها ، فأمر داود بحصارها وقرر الإستيلاء عليها مهما كانت مقاومة أهلها، حتى يسط سلطانه على بقية فلسطين ، فاستولى على المدينة السفلية بالقوة وفشل فى الاستيلاء على القلعة التى تعتبر نواة للمدينة ويذكر المؤرخون أنه أعلن مكافآت للجند ووعده أن أول من يخترق الخنادق التى أسفل القلعة ويستولى عليها سيتولى قيادة الجيش

(سفر أخبار الأيام الأول ١١ : ٤) ولهذا طمع الجنود في أن تكون لهم الأولوية في الدخول للقلعة ، لنوال القيادة واستطاع أحد الجند واسمه "يوآب بن صرويه" أن يقتحم القلعة وينال غرضه .. وهكذا خضعت المدينة المقدسة للإسرائيليين بعد أن فشلوا في الإستيلاء عليها في عهد "يشوع" أى منذ ٥١٥ عاما من بعد محاولة يشوع .. وقد ظلت "حبرون" عاصمة الملك داود سبع سنوات ونصف .. أما "يبوس" أو القدس فقد بقى بها ٣٣ عاما .

ويقال أن داود بعد انتزاعه جبل صهيون بنى عليه قصرا حصينا اتخذهُ قاعدة للإنطلاقه .. ومقرا لحكمه وأقام مقابر أسفل الجبل وقام بتقوية الأسوار والأبراج .. ومازالت بعض الآثار باقية حتى الآن وكان إختياره للقدس بُعد دليلاً واضحاً على حنكته السياسية لأنها مدينة محاذية تتمتع بمزايا كثيرة فهي ذات موقع استراتيجى وسط فلسطين على تل يرتفع حتى ٢٦٠٠ قدم فوق سطح البحر وتحيط بها وديان عميقة ومن ثم تصلح أن تكون عاصمة حصينة ، ورغم كل هذه الأحداث فلم يحدث إندماج حقيقى بين أسباط الشمال والجنوب وبقي هذا الانفصال قائما فى ضمائرهم ونلاحظ أن مقدرة داود نفسها لم تكن كافية لحفظ السلام داخل مملكته بل إنه فى وقت من الأوقات حين تزعم ابنه أبشالوم الثورة ضده اضطُر إلى الفرار إلى ماوراء نهر الأردن لينجو بنفسه .. وما يجدر ذكره أن الملك داود لم يستطع طرد السكان اليهوديين المتمسكين بأرضهم ومساكنهم ، ولما كانت عشيرة داود هى سبط يهوذا ، فقد بدأ الإسرائيليون يسمون باليهود أيضا منذ ذلك الحين .

ويعتبر داود هو مؤسس الدولة العبرية ، فحارب جيرانه وأرجعهم إلى الجبال شمالا والصحراء جنوبا وبهذه الحرب إتسعت مملكة داود حتى وصلت إلى جبل الشيخ والكرمل شمالا وإلى حدود مصر ونهر الموجب جنوبا وإلى الصحراء شرقا .. أما الساحل الممتد شمال يافا إلى غزة فكان تابعا لمصر ، والجدير ذكره أن من أسباب اتساع مملكة داود ، الإنحطاط الذى مر ببلاد مصر وأشور ، فداود جمع بين الملك والنبوة وقد ذكرت التوراة ذلك ، كما ذكره القرآن بالإسم فى عدة سور منه وكانت تقوم سياسته على عنصر المحالقات مع مدينة صور الفينيقية إذ كان حاكمها آنذاك أحيرام ، فكفلت تجارته إلى البحر الأحمر عبر التلال العبرانية وقد أنشأ أحيرام أسوار القدس ومعبدها كترتيب على حسن العلاقات مجتمعة .

يقول غوستان لوبون فى كتابه "اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى عن شئون الحضارة التى لم يتعرف عليها اليهود" : لم يجاوز قدماء اليهود أطوار الحضارة السفلى التى لاتكاد تميز من طور الوحشية وعندما خرج هؤلاء البداة الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا فى فلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل ولم يقتبسوا من تلك الأمم سوى أخس ما فيها من حضارة ودعارة وخرافة فقرّبوا لعشوت ولبعل أكثر مما قربوه لإله قبيلتهم "يهود" العبوس الحاقد .. وأن أرض الميعاد لم تكن غير بيئة مختلفة لبنى إسرائيل فالبادية كانت الوطن الحقيقى لهم وتاريخ اليهود لا يبدأ فى الحقيقة إلا فى عهد ملوكهم زمن داود الذى إتخذ القدس عاصمة ، فإبنة سليمان .

سليمان الحكيم خلفا لداود

بعد موت داود خلفه ابنه سليمان (٩٧٣ ق م) فجمع بين الملك والنبوّة وكان على عكس والده يميل إلى حل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية بسلام وهدوء واشتهر حكمه بالإستقرار .. والعمران والتقدم التجارى .. واشتهر بالثراء والحكمة .

وقد دعم سليمان علاقاته بجيرانه ، فتزوج ابنة فرعون مصر - أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين - الذى أهدي له مدينة جازر ، وكان فرعون مصر قد إستولى عليها من الكنعانيين .. ودخل سليمان مع ملك صور "حيرام" شريكاً فى الأسطول التجارى ، وأدى ذلك إلى مساعدة ملك صور سليمان فى بناء الهيكل عن طريق إمداده بالمواد اللازمة للبناء إضافة إلى العمال المهرة ، وتذكر التوراة أن سليمان قام ببناء سور حول القدس ، ونظرا لعدم معرفة مساحة المدينة أو إمتدادها فى عهده ، فلا يمكن تحديد طول هذا السور ويبدو أنه وضع فى إعتباره فصل مدينة داود (الحصن اليبوسى القديم) عن أورشليم التى توجد على التل الجنوبي الغربى .

وقد أكتشفت أخيرا بقايا حائط فى جنوبى شارع الملك داود فى وسط القدس القديمة عند ما يسمى ببوابة ويلسون ، ويرجح أنه جزء من سور سليمان .. وقد اكتشف المهندس الإنجليزى مودسلى MAUD SLEY والأمريكى بلس PLISS عدة بوابات فيه

وكذلك حددا اتجاه التحصينات ولكنهما لم يستطعا أن يحددا زمناً مؤكداً لهذه الأبنية سواء فى أيام سليمان أو بعده ، أما أولاد سليمان الذين حكموا بعده فقد أقاموا بدورهم تحصينات جديدة للقدس .

هيكل سليمان

يذكر أن بنى إسرائيل منذ أيام موسى عليه السلام حتى داود يقيمون شعائرهم الدينية فى خيمة تفك وتركب فى أى مكان .. وتسمى خيمة الاجتماع .. ورأى سليمان الاستغناء عن الخيمة بمعبدين من الحجارة وجاءته هذه الفكرة بعد الإستقرار فى أرض كنعان (فلسطين) فاختار موقعا للمعبد على جبل "موريا" جنوب شرق القدس القديمة ويعتقد اليهود رغم عدم وجود دليل بأن ذلك المكان هو الذى امتحن الله فيه "إبراهيم" الخليل ليقدم ابنه ذبيحاً .. وتعتقد بعض الكتابات المسيحية أن هذا الفداء تم فى منطقة كنيسة القيامة ، وليس مكان الهيكل .

والهيكل يقع على تل مستطيل يحده شمالا تل يسمى "صخر بزيثا" وإلى الشرق وادى قدرون وفى الغرب وادى تريبون ، ويجتمعان عند الجنوب على شكل زاوية حادة .

ويقع الهيكل مجاوراً لقصر سليمان ومساكن أسرته ومقار الكهنة القائمين بالخدمة فى الهيكل .. ويذكر أن الذى بنى الهيكل هو مهندس معمارى فينيقى وقد إستوحاه من الفن المعمارى السامى ، فالتصميم العام للمعبد السليمانى يكاد يماثل المعبد الكنعانى مع إختلافات غير جوهرية وتجدر الإشارة إلى أن العرب ساهموا فى بنائه لعدم خبرة اليهود بالفن المعمارى وقتها ، فكانت رسومه على طراز مصرى آشورى .. وساهم الفينيقيون العرب بخشب السرو والآرز من لبنان .. وأقيم الهيكل على شكل مربع طول ضلعه ١٨٠ متراً ، واستخدمت فيه حجارة كبيرة .. وكان موقع الصخرة - التى تقع حالياً تحت قبة مسجد الصخرة - هو هيكل " الذبائح " التى يسميها اليهود بالمحرقات وكان مكشوفاً ومغطى بصفائح من النحاس فى جوانبه الأربعة .

وكان الكهنة اليهود يقدمون عليه الذبائح الحيوانية المختلفة يومياً فى الصباح وفى المساء عن طريق حرقها بالنار ويقع فى وسط ساحة تدعى دار الكهنة وهى فضاء داخلى

مرتفع يستقر فيه الكهنة لمقابلة اليهود الذين يرغبون في تقديم الذبائح تكفيراً عن خطاياهم ويوجد هنا أيضاً حوض نحاسي كبير محمول على ١٢ ثوراً من النحاس المسبوك ومداخل الساحة تشبه واجهات هياكل قدماء المصريين .

ويرقى بعد ذلك على سلالم حجرية عليها عمودان مسبوكان من النحاس طول كل منهما ١٣ متراً وأمامهما إلى الغرب الباب الكبير الذي يقود إلى حصنين إرتفاعهما ٣٢ متراً ويقع أمامهما واجهة المكان المسمى بالقدس وعرض مدخله ١٠ أمتار ، وأبعاده ٥ × ١٠ × ٢٠ متراً وفيه ما يسمى بهيكل البخور والموائد الذهبية الخمس التي كان يوضع عليها الخبز اليومي والمناثر العشر الذهبية ذات الشعب الأربعة .

ونصل بعد ذلك إلى المكان المسمى « قدس الأقداس » ، وهو غرفة مربعة طول ضلعها ١٠ أمتار ، وهو مكان مظلم (أي بلا نوافذ) ويضم تابوت العهد الذي صنعه موسى النبي ليسيّر أمام بني إسرائيل في البرية وبداخله لوحا الشريعة اللذين كتبت عليهما الوصايا العشر المشهورة ، وقسط يضم القليل من المن الذي كان يرسله الله لبني إسرائيل في البرية وعصا هارون رئيس الكهنة وأخو موسى النبي ، وكان هذا التابوت موضوعاً على مائدة ذهبية تحت جناحي لوحين معدنيتين على شكل ملاكين في عهد سليمان ثم فقد بعد سبي اليهود إلى بابل ولم يعثروا عليه بعد رجوعهم هذا وكان غير مسموح لأحد بدخول قدس الأقداس إلا لرئيس الكهنة مرة واحدة في السنة ، ولهذا كانوا يربطونه بسلسلة ذهبية حتى إذا مات داخله يمكن جره منها ، دون دخول أحد ، ولم يفصله عن المسكن الآخر المسمى القدس سوى حجاب حريري ومن خارج الهيكل كانت تقع دار الشعب وهي تحيط بدار الكهنة ولم يكن يدخلها سوى اليهود فقط ، وبها مكان خاص بالنساء ويمكن الصعود منها إلى دار الكهنة بخمسة عشر درجة وكانت تتلى فيها مزامير المصاعد أو المراقى Graduals وكان لها باب نحاسي ضخم يحتاج إلى ٢٠ رجلاً لفتحه وكان يوجد خارجه صندوق لجمع التبرعات وعن شماله كانت تقع قاعة فسيحة حيث يجتمع علماء اللاهوت اليهود مع السيد المسيح وهو في سن الثانية عشر من عمره ، وفيها أيضاً قدم اليهود للمسيح امرأة خاطئة سائلين إياه ببحث عما يحكم به عليها حتى يصطادوه بكلمة ليشتكوه بها حيث كانت الشريعة الموسوية تحكم عليها بالرجم ولكنه ألحهم بكلمته المشهورة « من منكم بلا خطيئة فليرجمها أولاً بحجر » .

وكان الفناء الخارجى لمعبد سليمان يحتوى على حوض ضخيم جداً مصبوب من البرونز وقائم على تماثيل لاثنى عشر ثورا تمثل الأسباط الاثنى عشر وكان هذا الحوض يسمى "بحر النحاس" ولعله المقصود به "جفان كالجواب" كما جاء فى القرآن الكريم ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريت وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور﴾ سورة سبأ - آية ١١ ، ١٢ .

وما ذكر فى القرآن الكريم لا يختلف فى مضمونه عن ما ذكر فى العهد القديم (سفر الملوك الأول - اصحاح ٥ - ١٣ - ١٦) "وسخر الملك سليمان حشوداً كبيرة من بنى إسرائيل تقدر بحوالى ثلاثين ألف رجل فأرسلهم إلى لبنان عشرة آلاف فى الشهر من التوبة يكونون شهراً فى لبنان وشهرين فى بيوتهم وكان أدونيرام على التسخير ، وكان لسليمان سبعون ألفاً يحملون أحمالاً وثمانون ألفاً يقطعون فى الجبل .. وأمر الملك أن يقطعوا حجارة كبيرة ، حجارة كريمة لتأثيث البيت ، حجارة مربعة ، ويحاط الهيكل من الخارج بدار الأمم حيث كان يجوز لغير اليهود دخولها وكانت فيها عدة لافتات باليونانية واللاتينية والعبرية للتحذير بعدم تجاوزها وإلا تعرض المخالف للعقاص الشديد (وتوجد إحدى هذه اللافتات بمتحف اللوفر بباريس) وكان فى شرقى هذه الدار مكان واسع يضم دكاكين الصيارفة لتغيير العملات الأجنبية وباعة الحمام والحيوانات التى تباع للتضحية ، وفى المواسم الدينية والأعياد كان هذا المكان يمتلئ بالباعة.

وقد تهدم هذا الهيكل عدة مرات كان آخرها وأشدّها سنة ٧٠م وبقيت بعض أساساته حتى سنة ١٣٥م حيث أتى عليها الإمبراطور الرومانى هديران تماماً وبني محلها معبداً لجوبيتر وبعد ذلك تهدم المعبد الوثنى ، وذكر أحد المؤرخين أنه لم ير منه شيئاً سنة ٣٣٣م وما يؤخذ على سليمان أنه اهتم بقصره أكثر من إهتمامه بهيكل الرب السابق وصفه فكان قصره مثلاً - أكبر من الهيكل أربع مرات واستغرق بناؤه ثلاثة عشر عاماً.. بينما شيد الهيكل فى سبعة أعوام فقط كما تذكر التوراة ، ولذلك - كما تواتر فى الأقاويل الموروثة - أن سليمان بعد أن إنتهى من بناء قصره وهيكله واستقبله ملكة سبأ قد تمردت

عليه بنى إسرائيل بسبب البذخ والنفقات الضخمة التي كان يبذلها ، مما أرهقهم بالضرائب إلى حد أنه لكى يقر عدالة التوزيع بين بنى إسرائيل جعل الإنفاق على المملكة على كل سبط من الاثنى عشر شهراً فى السنة .

الحرم والهيكل

لكن : ماذا عن مزاعم اليهود اليوم أن الحرم الإسلامى يقوم مكان هيكل سليمان؟
يرد على هؤلاء د. حسن ظاظا فى كتابه (إسرائيل ركييزة الإستعمار) : من المفيد أن نذكر اليهود بأن الحرم الإسلامى الشريف أقيم فى نفس المنطقة التى كان "ملكى صادق" يدعو فيها بإسم الله العلى فى زمن سيدنا إبراهيم ومن المرجح أن السور الذى كان يحيط بمنطقة الهيكل على عهد سليمان ، كان مربعاً ضلعه مائة وثمانون متراً ولقد وقفنا على دراسة دقيقة للأثرى الفرنسى "دى سولسى" فى كتابه "تاريخ الفن اليهودى" يشير فيها إلى أن مقاييس الحرم الإسلامى الشريف فى نفس المنطقة هى "الضلع الشرقى لسور الحرم طوله ٣٨٤ متراً" والضلع الجنوبى ٢٢٥ متراً ثم يمتد الضلع الغربى فى خط مستقيم بزاوية منفرجة وبذلك يصبح الضلع الشمالى من السور أطول بكثير من الضلع الجنوبى وعلى ذلك فمساحة الحرم الشريف أكبر من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار سليمان أو نحميا أو هيردوس" .. وقد يكون من أبرز المعالم التى تميز الحرم الإسلامى الشريف أنه مستطيل ويأخذ الإتجاه من الشمال إلى الجنوب فى إتجاه قبلة مكة المكرمة على خلاف هيكل سليمان فبرغم إستطالته فهو يأخذ الإتجاه من الغرب إلى الشرق .

إن مزاعم اليهود لايسندها أى دليل أو حجة على صحة ما يروجون إنما هى سلسلة من الأكاذيب بهدف هدم الحرم الإسلامى الشريف ، وبعد موت سليمان (١٠١٥ - ٩٨٤ ق م) سادت الفرقة والخلاف بين اليهود خاصة بين الأسباط الشمالية والجنوبية وأخذ كل منهما يناوئ الآخر ويسعى للقضاء عليه ، فما أن تولى "رحبعام" ابن سليمان العرش خلفاً لأبيه حتى ثارت عليه الأسباط الشمالية ورفضوا مبايعته ربما - كما يقول البعض - بسبب رفضه تخفيض الضرائب عن كاهلهم لكن بايعه فى الجنوب سبطى يهوذا وبنيامين ملكاً على بنى إسرائيل فى الجنوب .. فى الوقت نفسه بايعت الأسباط الشمالية "يربعام" من سبط "افرايم" ملكاً على الشمال ، ولتخذ شكيم (نابلس الآن) عاصمة له ثم نقل العاصمة لـ "فينوئيل" .

ولسنا هنا بصدد سرد تاريخ بنى إسرائيل وإنقسامهم على أنفسهم ، لكننا نؤكد أنه نتيجة لتشتتهم وإنقسامهم جاءت الغزوات من الخارج تلاحقهم فى فلسطين لتنال منهم ، فالأراميون فى سوريا والعمونيون والمؤابيون والأدوميون والفلسطينيون العرب كل هؤلاء ضيقوا الخناق على مملكتى إسرائيل (الشمالية والجنوبية) حيث بدأت القوات المصرية والآشورية تزحف اليهم .

وعن تلك الحقبة فى تاريخ بنى إسرائيل يقول المستشرق د . جرمانوس رئيس قسم الدراسات الشرقية بجامعة المجر (جريدة "الأخبار" القاهرية ٢٦ / ٣ / ٦٩) : إن الدولة وقتها كانت تعيش على الطبقة الحادة ، فالطبقة الأرستقراطية (المسماة الكوهنيت) هى وحدها التى كان لها حق دراسة التوراة والعلوم الخاصة بها ثم طبقة اللفى (وهم حراس التوراة) ، ثم عامه الشعب وهى الأكثرية التى عاشت فى فقر مدقع لتخدم هاتين الطبقتين نتيجة لنظام السخرة الذى فرضه سليمان .. وعاش هذا الشعب متعصباً جداً يدعون الهداية عندهم وحدهم وأنهم .. على هذا الأساس .. متميزون على غيرهم من الشعوب المحيطة بهم .. وقد غدت الطبقة التى كانت سائدة فى مجتمعهم هذا الاتجاه العنصرى ولهذا لم تعيش هذه الدولة طويلاً . فانسقت بعد رحبعام بن سليمان - الذى كان جاهلاً وقاسياً - إلى دولتين صغيرتين إحداهما فى شمال فلسطين وسميت مملكة إسرائيل تحت حكم القائد يربعام وضمت عشرة أسباط وصارت عاصمتها السامرة أما المملكة الأخرى فكانت أصغر إذ ضمت سبطين فقط : وقد دعت مملكة يهوذا واتخذت أورشليم عاصمة لها .

وقد فسد ملوك إسرائيل وعبدوا مع شعوبهم الأوثان وعاشوا فى الملذات كما تسرد التوراة أخبارهم بالتفصيل ، وظلت الضغائن بين المملكتين الإسرائيليتين وأخذت كل منهما تناوئ الأخرى وتسعى للقضاء على زميلتها وظهر ذلك عندما طلبت مملكة الشمال من مملكة آرام العربية السورية أن تقضى على المملكة اليهودية الجنوبية وفعلا نالت مأربها ، وقد هال يربعام - أول ملوك الشمال - أن تخرج القدس من يده ، وهى المدينة المقدسة ذات الدخل المالى الكبير من الحج فى مواسمه التى كانت تتكرر ثلاث مرات كل عام ، لهذا إختار مدينة أخرى هى بيت آيل لبناء معبد آخر لنفس الغرض ، لكنه عاد ونكث عهده مع الله فوضع فى معبده تماثيلاً مصرية .

وقد استمرت مملكة إسرائيل من عام ٩٣٠ - ٧٢٢ ق م وكان لها ١٩ ملكاً أما مملكة يهوذا فقد عمرت من ٩٣٠ - ٥٨٦ ق م وكان لها عشرون ملكاً ، وكان فرعون المسمى « شيشنق الأول » قد سبق الوافدين من أرض الرافدين (العراق) وصعد على أورشليم أيام زحبعام بن سليمان (٩١٥ ق م) ومعه ٢٠٠ مركبة حديدية ، و ٦٠,٠٠٠ جندي مصري ، واستولى على المدينة المقدسة وأخذ كل خزائن الهيكل ومقتنيات القصر الملكي وخلد شيشنق إنتصاره على اليهود برسم على معبد آمون يبين جلوسه بين ٣١٨ ملكاً وواليا وأمامه يهودى (يبدو من أنفه المعكوف المعروف) ، وبجانبه كتابة هيروغليفية تقول "بوذا - فرعون (أى ملك يهوذا) ، كما هجم الملك المصرى زارج (الكوشى الأصل) على مملكة يهوذا بعد ذلك بجيش يضم مليون جندي و ٣٠٠ مركبة حديدية - كما تقول التوراة - وقد دون هذا الملك أخباره هذه على معبد الكرنك .

القدس والآشوريون

غزا الآشوريون أورشليم بقيادة ملكهم شلمنصر .. والذي ظل يحارب من أجل الإستيلاء على المدينة حتى عام (٧٢١ ق م) ولما لم يتمكن من تثبيت أقدامه فيها زماً إرتد عنها ، وظلت أورشليم « والقسم الجنوبي من فلسطين » خاضعة لحكم الفراعنة . ولم تدخل أورشليم فى حكم الآشوريين إلا فى عهد الملك "سنحريب" إذ أرسل لفتحها أحد قواده المشهورين "ربشاقى" فحاصرها عام ٧١٣ ق م ودك أسوارها .. وسبى أهلها .. ولم يستطع بنو إسرائيل دفع الأذى عن المدينة ، فاتبعوا نصيحة ملكهم حزقيا الذى أمر بتحصين سور المدينة .. وحفر نفقاً طوله ١٧٠٠ قدم بين عين أم الدرج فى سلوان وداخل المدينة كما أسال الماء من بركة ماملا إلى بركة سميت باسمه فيما بعد (بركة حزقيا) وهى المسماة اليوم باسم "بركة حمام البترك" فى حارة النصارى .. لكن كل هذا لم يكن كافياً لإنقاذ أورشليم من الآشوريين لولا الطاعون الذى نال من جيشهم فرجعوا إلى بلادهم ثم عادوا بعد حين فاحتلوها واعتقلوا ملكها "منسه" وأرسلوه إلى بابل مصفداً بالأغلال (٦٧٨ ق م) ولكنهم أطلقوا سراحه ورجع إلى أورشليم فبنى سورها الثانى

عام (٦٤٤ ق . م) ولولا الضعف والتشتت الذى حل فى صفوف الآشوريين لما تخلوا عن هذه البلاد للبابليين .

القدس و بابل

بعد ضعف نفوذ الآشوريين راح البابليون من ناحية والمصريون من ناحية أخرى يتنازعون السيادة على أورشليم .. ويذكر أن البابليين ، إستولوا على المدينة عام (٥٩٩ ق . م) وذاق أهلها الجوع والمرض .. وإختار اليهود جانب الهروب .. ويذكر أن ملكهم "نبوخذ نصر" نهب أورشليم ودك سورها ودمر الهيكل الذى بناه سليمان وأخلى شعبها إلى بابل ، فقتل منهم من قتل وإستعبد من لم يقتل وهكذا إنقرضت مملكة يهوذا (٥٨٦ ق م) . وراحت كلمة بابل هى العليا فى أورشليم .. وكان البابليون يسمونها : أورو - سالم وأصبحت البلاد كلها مستعمرة بابلية .. تدفع الضرائب لبابل وتكتاب معها وأصبحت اللغة البابلية هى اللغة الرسمية للبلاد .. لكن رغم ذلك فاللغة الكنعانية ظلت متداولة - بشكل غير رسمى - بين سكان البلاد حتى جاء الفتح الفارسى .

القدس والفرس

فى عهد ملك الفرس "كورش" انتصر على البابليين وسار فى فتوحاته حتى احتل سوريا وأوروسالم وذلك عام (٥٣٨ ق م) ولأن "كورش" تزوج من يهودية فقد طلبت منه أن يأذن لقومها بالعودة إلى أوروسالم فأذن لهم (فى نفس عام فتحه للمدينة) وعاد إليها فريق منهم والآخرين آثروا البقاء حيث كانوا .. وعندما تولى "أرتخشستا" (٥٢٢ ق . م) عرش الفرس إعترض الحوريون والعمونيون على هجرة اليهود إلى أوروسالم وبنائهم لهيكل جديد ، وهددوا بالعصيان ، فأصدر "أرتخشستا" أمراً بوقف بناء الهيكل الذى شرعوا فى بنائه .. ولكن "دارا" الذى إعتلى عرش الفرس عام (٥١٩ ق . م) أتاح لهم بناء سور وأتموا بناء الهيكل الثانى عام (٥١٥ ق . م) .

وظلت المدينة خاضعة لملوك الفرس .. يدفع سكانها الضرائب والعوائد وكان الفرس فى بداية حكمهم أقوىاء أشداء لكن عندما فتحوا الأمصار وتوسعت دولتهم واختلطوا بالقبائل الغربية تغيرت طباعهم فجنحوا للهو والمجون والعيشة الرغدة .

القدس واليونان

دون أن تسفك قطرة دم فتح الفاتح المقدوني الكبير إسكندر أورشالم عام (٣٣٢ ق . م) واستقبله أهلها بالارتياح بسبب الفوضى الداخلية والتشتت للذين كانوا يعيشون فيها .. وقد جاء ذكر الفاتح إسكندر فى القرآن الكريم على أنه "ذو القرنين" ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ، قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ، إِنَّا مَكَّنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ سورة الكهف : الآية ٨٣ .

ويذكر المؤرخون أنه عندما زحف الإسكندر تجاه المدينة كان معه - على حد بعض الروايات - أربعين ألفا وكان ينوى تدمير المدينة ، إلا أن اليهود خرجوا لاستقباله خارج المدينة يتقدمهم الكهنة .. لابسين حلالاً بيضاء وراحوا يتضرعون .. طالبين العفو منه .. فلم يبطش بهم .. وأقر عاداتهم التى ورثوها عن آبائهم ، وأمرهم أن يتخبطوا فى جيشه .. وأسقط عنهم دفع الجزية .. وسمح لهم أن يسكوا نقوداً .. وكانت المدينة فى عهده تسمى بـ (يروشاليم) ثم راحت تدعى (هيروسلما) ، وفى عام (٣٢٣ ق . م) مات الإسكندر وإقتسم قواده الملك : فأخذ (سلوقس) سورية .. وأسس فيها دولة السلوقيين وأخذ (بطليموس) مصر وأسس فيها دولة البطالسة وكانت هيروسلما من نصيب البطالسة .

وقد حكم بطليموس اليهود رغم أنوفهم بالحديد والنار وأرادوا مقاومته إلا أنهم لم يفلحوا إذ ساق عليهم جيشه ، ففتح هيروسلما ودك قسماً من حصونها وبطش بسكانها فأرسل منهم مئة ألف أسير إلى مصر (٣٢٠ ق . م) .. واستخدم بطليموس يهودياً يدعى (يوسف بن طوبياس) مديراً للمال ورئيساً للجبابة فجمع هذه الضرائب بالقوة ، وذاق الناس على يده مر العيش .

انتقلت هيروسلما من حكم البطالسة إلى حكم السلوقيين عندما احتلها انطيوخس ابيفانس (١٦٨ ق . م) وقد هدم هذا أسوارها ودك حصونها ونهب هيكلها فنصب فوقه تماثيل وقتل من اليهود ألفاً فى ثلاثة أيام وحظر عليهم الختان ، وأرغمهم على إنتهاك حرمة السبت وأكل الخنزير وكان دليله فى معظمفعاله منلاوس رئيس أحبار اليهود الذى خان

قومه من أجل الوصول إلى منصبه ولم يتمكن اليهود من مقاومته في بادئ الأمر إذ كانت حامية المدينة مؤلفة من عشرين ألف جندي سلوقي .. بعد وفاة أنطيوخس الرابع تولى الملك ولده أنطيوخس الخامس (١٦٤ ق . م) ولما كان هذا صغيراً تولاه لسياس الوصي على العرش (١٦٢ ق . م) وتآمر هذا مع سكان يافا على اليهود فأغرق عدداً كبيراً منهم في البحر وثار اليهود عليه فساق عليهم جيشاً لجأ ، وحاصر هيروسليما ولكنه إرتد عنها بسبب الثورة التي نشبت في سوريا والتي إنتهت بانتصار خصمه ديمتريوس الأول الملقب بـ (سوتير) .. أقام ديمتريوس على رأس الإدارة في هيروسليما : (بكيديس) وولى رئاسة الأحبار لـ (الكيمس) وهو يهودي تستهويه الحروب وإراقة الدماء وقد حرض الملك ضد المكابيين .. وقد وضع الملك تحت تصرف الإثنى جيشاً كبيراً ليحكم به البلاد وقامت بين الفريقين حروباً كثيرة .. سالت فيها دماء غزيرة .. وخلف بكيديس في الإدارة : (نكافور) وقامت على عهد هذا أيضاً ، حرب جديدة بين اليونانيين والمكابيين وقتل نكافور فأرسل ديمتريوس إلى هيروسليما الوالى السابق بكيديس ورئيس الأحبار الكيمس ، فجاء على رأس جيش كبير وتجددت الحروب وقتل يهوذا المكابى (١٦٠ ق . م) وألقى القبض على عدد من أبناء الزعماء وأرسلوا إلى روما فهدأت الثورة .

وقام بعدئذ خلاف شديد بين الحكام اليونانيين : ديمتريوس ومنافسه الإسكندر بن أنطيوخس إيفاناس فاستغل المكابيون هذا الخلاف والتنافس وراحوا يبحثون عن الوسائل التي تضمن لهم النصر أما الإسكندر فقد اعترف بيونانان الذي قاد المكابيين بعد مقتل أخيه يهوذا رئيساً للأحبار وأما ديمتريوس فقد وعد سكان هيروسليما بأن يعفيهم من الجزية ومن بعض الضرائب والمكوس كما وعدهم بأن تكون مدينتهم مقدسة وحرّة وأن يطلق سراح المعتقلين وأن يعفو عن المجرمين .

ولئن كانت كفة الإسكندر هي الراجحة إذ إنتصر على خصمه ديمتريوس (١٥٠ ق . م) إلا أن المكابيين كانوا في الحقيقة هم الناجحون ، إذ أنهم استغلوا ذلك التنافس فاستقلوا ولكن إستقلالهم لم يدم طويلاً إذ اختلفوا فيما بينهم وقامت حروب أهلية ، جعلت كل واحد من الأخوين (هركانس وأرسطوبولس) يستنجد بدولة من الدول المجاورة له ، فاغتنم "بومبي" هذه الفرصة .. وجاء إلى هيروسليما فاحتلها عام (٦٣ ق . م) .

وكان للعصر اليونانى بصمته الواضحة على القدس لعل من أهم مظاهر ذلك :
إنتشار العنصر اليونانى فى المدينة وما جاورها بكثرة .. وامتزج اليونانيون بسكان البلاد
الأصليين وناسبوهم .. كذلك إنتشرت اللغة اليونانية حتى أصبحت لغة البلاد الرسمية ،
ولغة العلم والمدارس .. وأما اللغة التى كانت متداولة بين عامة الناس فى العهد اليونانى
فهى الآرامية واستطاع اليونانيون نشر حضارتهم فى البلاد وأسسوا المدارس ودور العلم
ونشروا آدابهم ومعتقداتهم الدينية وتقاليدهم وازدهرت التجارة اليونانية واقتبس سكان
البلاد عن اليونانيين كثيراً من معاملات الصرافة وانتشرت كذلك النقود اليونانية وكانت
فى عهد الإسكندر بديعة السك والنقش .. كما إقتبس سكان البلاد الأصليون الصناعات
اليونانية وخاصة صناعة الزخارف والحلى .

فى العصر الرومانى

- تاريخ القدس فى العصر الرومانى فى فلسطين ينقسم إلى ثلاثة مراحل :
- **المرحلة الأولى** .. وتمتد من عام ٦٣ ق . م بعد أن بسط بومبى القائد الرومانى سلطانه
على فلسطين وحتى نهاية الثورة اليهودية الأولى فى عام ٧٠ م .
 - **المرحلة الثانية** .. وتمتد من عام ٧٠ م وحتى عام ٣٣٧ م وهو نهاية حكم الامبراطور
قسطنطين (٢٧٤ - ٣٣٧ م) .
 - **المرحلة الثالثة** .. وتمتد من عام ٣٣٧ م وحتى بداية الغزو العربى لفلسطين عام ٦٣٤ م
بقيادة عمرو بن العاص .

وفى عام (٦٣ ق . م) جاء "بومبى" القائد الرومانى غازياً القدس .. ونجح فى إحتلالها
فى نفس العام بعد أن حاصرها وضربها بالمناجق واستباح حمى الهيكل .. وبطش بسكانها
، فقتل من قتل .. واستعبد من استعبد وأقام حاكماً على المدينة يدعى "أسكورس" استقبله
اليهود فى بادىء الأمر بالترحاب ، إذ أنقذهم من الفوضى والتشتت لكنهم عادوا فإنقلبوا
عليه فألقى مجمعهم وهدم السور ، وفرض عليهم أن يقدموا كل يوم ذبيحة أمام الهيكل
تكريماً وتعظيماً للقصر الذى هو رمز لروما ، ففعل اليهود ذلك مكرهين .

وتعاقب الحكام على المدينة إلى أن جاء هيرودس عام (٣٧ ق . م) وتمكن من إقناع
روما بإخلاصه وولائه ، فنصبوه ملكاً على اليهود .. ويقول المؤرخون أنه رجل ظالم ..

يفعل أى شيء فى سبيل الوصول لغاياته .. ويقال أنه قتل امرأته وثلاثة من أولاده !!
ورغم أنه رمم الهيكل (١٨ ق . م) إلا أن اليهود كرهوه وكانوا يعتبرونه أجنبياً .. حاول أن يوفق بين اليهود والرومان ولما فشل فى مهمته شايع الرومان ضد قومه .. وساعدهم على توطيد أقدامهم فى البلاد وقد أصاب المدينة على عهده قحط شديد فجاء الناس وحاول تخفيف وطأة المجاعة بالحبوب فوزعها على السكان والأموال أنفقها على المشروعات العمرانية قاصداً تشغيل العمال ، إنه هو الذى أجرى الماء فى القناة الكائنة بين برك سليمان وهيروساليم (٣٠ ق . م) وهو الذى بنى القلعة الكائنة بباب الخليل وكان له على مقربة منها قصر كبير وقد شيد الحصن المعروف بـ (أنطونيا) ، كما شيد عدداً آخر من الحصون والأبراج والهيكل والتماثيل وسكت على عهده نقود وفى آخر سنة من سنى حكمه ولد السيد المسيح فى بيت لحم وكان قد أمر بقتل كل طفل يولد فى بيت لحم : ولهذا هربت به أمه إلى مصر ، خشية أن يبطش به ذلك الملك العنيد الجبار ، وفى السنة التى تلتها مات هيرودس بعد أن عاش فى دست الحكم أربعين عاماً .

ولما مات هيرودس (٤ ق . م) عهد الرومان بالحكم لولده (أرشيلاوس) لكنه عجز عن إدارة البلاد فقامت فيها قلاقل وثورات وطفى كثيرون من رؤساء الأحزاب فنادوا بأنفسهم ملوكا واستنجدوا بالملك كيرسوس وبارباريس ملك العرب فألجأهم كل منهما بعشرين ألف فارس ، فأخمدت الثورة وأخذ الرومان من اليهود ألف أسير فقتلهم وذاق اليهود الذل مرة أخرى ، فطلبوا من روما جعل بلادهم إقليماً رومانياً وكان لهم ما أرادوا إذ جاء الرومان واحتلوا البلاد من جديد ولكنهم فى هذه المرة إتخذوا (قيسارية) عاصمة بدلاً من "هيروساليم" .. وقد تم ذلك على عهد أغسطس قيصر ، وراح الولاة الرومانيون بعدئذ يتعاقبون على كراسى الحكم .. نذكر منهم كوبونيوس (٦ - ٩ م) وماريوس أمبفيوس (٩ - ١٢ م) وإينوس روفوس (١٢ - ١٤ م) وفالريوس غراتوس (١٤ - ٢٦ م) وبيلاتوس بونتيسوس (٢٦ - ٣٦ م) والذى فى عهده اضطهد السيد المسيح وكان على عرش روما يومئذ الملك طيباريوس قلوديوس .. وظلت العلاقات بين الرومان واليهود متوترة طوال العهد الرومانى .. وتعرض اليهود مرات عديدة للاضطهاد .

ويذكر أن الولاة الروماني "بيلاتوس بوجون" عندما تولى حكم القدس أنشأ طريقين .. طريق يربط المدينة بالشمال والساحل وطريق آخر يربط المدينة بأريحا وغور

الأردن .. وكانت أريحا فى ذلك الوقت ذا أهمية تجارية كبيرة .. وكان أعظم عمل قام به أنه بنى قناة الماء الممتدة من برك سليمان إلى المدينة وأجرى فيها الماء، وكان سكانها الذين بلغ عددهم يومئذ خمسين ألفاً يقاسون قبل ذلك مر العيش ولم يكن لهم فى المدينة سوى بضع آبار ورفض اليهود رغم ماكانوا يقاسونه من عذاب وعطش ، أن ينفقوا فلساً واحداً من خزائن الهيكل على مشروع الماء وثاروا ، إلا أن بيلاتوس أحمده ثورتهم ونهب خزائنتهم وعمر القناة رغم أنوفهم .. وتعاقب على حكم المدينة من الولاة الرومان كثيرون نذكر منهم : مرشلوس (٣٧م) ، طيساريوس إسكندر (٤٦م) ، فتديوس قومانونس (٤٨م) ، فستوس (٦٠م) وجيسيوس فلورس (٦٥م) .

ونتيجة للاضطرابات والثورات التى شهدتها المدينة بسبب كراهية اليهود للرومان .. وطغيان اليهود فى البلاد .. قرر الرومان أن يقضوا عليهم نهائياً فأصدر "تيرون" أمره إلى قائده فلافيوس فسباسيان وجاء هذا (٦٧م) على رأس جيش مؤلف من ثلاثة فيالق (٦٠,٠٠٠ مقاتل) ولكنه اضطر للرجوع قبل أن يحتل هيروساليم إذ كان نيرون قد قضى نحبه ، وكان عليه أن يرجع إلى روما ليتولى العرش من بعده فتولى القيادة ابنه تيطس .

حاصر تيطس المدينة (٧٠م) وكان الرومان يومئذ يسمونها (سوليموس) وكانت محاطة بالأسوار وكان جيشه مؤلفاً من أربعة فيالق ، منها ثلاثون ألفاً من الجنود النظاميين وكان فى عداد هذه الحملة فرقة من متطوعى الأقباط (عرب) ، فشد الحناق على المدينة وقتل من سكانها خلقاً كثيراً وحرقت الجند الهيكل ودكت الأسوار وهدمت المنازل وامتألت الشوارع بجثث القتلى ، وعانى الشيوخ والنساء والأطفال ما عانوا من جراء الخوف والجوع وأكل الناس الكلاب والجرذان والحشرات وذبح بعضهم أبناءهم وأكلوا لحومهم وقدر المؤلف اليهودى يوسيفوس الذى شهد الحصار عدد القتلى بمليون نسمة وقيل أنهم ٦٠٠ ألف ، وعندما سقطت المدينة فى يد "تيطس" أسر من أهلها من أسر . واستعبد من استعبد وبيع منهم من بيع فى سوق النخاسة .

لقد أصاب اليهود بطش شديد وهوان لم يعرفه تاريخهم .. وانحسر عددهم فى المدينة لأن "تيطس" حرم عليهم أن يكونوا سكانها .. وترك الرومان بصماتهم العمرانية على المدينة ، ففى عهدهم شيد العديد من الحصون ومهدت الطرق وبنيت الصهاريج

والسدود والجسور والمعابد .. كانت اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية .. أما اللغة الآرامية فقد كانت لغة التخاطب بوجه عام .

فى عام (٣١٣ م) تولى الامبراطور قسطنطين عرش الأباطرة .. وفى عهده سمح للمسيحية بالإنتشار بعد أن كانت مضطهدة .. بل وصل الأمر أن تنصر هو بنفسه .. وكان قائداً لا منازع له للمملكة الرومانية فى الشرق والغرب .. وأقام على أنقاض بيزانس (استانبول) مدينة جديدة أسماها القسطنطينية عام (٣٣٠م) واتخذها عاصمة لإمبراطوريته وأصبحت ايليا - وهو الاسم الذى كانت تعرف به القدس وقتها - مدينة بيزنطية تابعة للدولة البيزنطية ، وفى عام (٤٢٦م) زارت الملكة هيلانه أم الامبراطور قسطنطين "ايليا" وبنت فيها كنيسة القيامة (٣٣٠م) وعناداً لليهود جعلت الملكة مكان الصخرة مطرحاً للقمامة وفرض الامبراطور على اليهود النصرانية فاستجاب بعضهم والبعض الآخر الذى لم يتنصر قتل والبعض أيضاً هرب خارج البلاد .

فى عام (٣٦٠م) تولى جوليان عرش الأباطرة .. وفى عهده ألغيت كل القوانين المكبة لليهود .. وأمر باعادة بناء الهيكل .. ولكنهم ما كادوا يحفرون حتى وجدوا النيران تندلع من تحت الأرض .. وسمع انفجار شديد فهرب العمال وتوقفوا عن العمل وفسروا ما حدث أنه دليل على غضب السماء .. ومنهم من قال إن المسيحيين أعدوا النار ليحولوا دون الهيكل وتوفى جوليان عام (٣٩٥م) وتولى ولداه المملكة وجعلها مملكتين فراح أحدهما يدير المملكة الشرقية .. والآخر يدير الغربية .. وفى عام (٤٥١م) انقسمت الكنيسة أيضاً إلى شرقية وأخرى غربية .. وكانت القدس وقتها من أتباع المملكة الغربية .

فى عام (٥٢٧م) تولى "جوستانيان" الحكم وفى عهده شهدت البلاد ثورات واضطرابات أشعلها اليهود ، لكنه نجح فى إخمادها وأنشأ عدداً من الكنائس والأديرة فى "ايليا" وما حولها وبنى فى موضع المسجد الأقصى حالياً كنيسة بإسم العذراء .. وقرر المجلس الكنسى الخامس الذى التأم على عهده (٥٥٣م) جعل "ايليا" مقراً للبطريركية .. لكن الفرقة دبّت بين رجال الدين المسيحى فراحوا يتنازعون فى مسائل دينية ، مما جعلهم فرقا وجماعات جعلت البلاد تسدهور .. وواكب ذلك تولى أمور البلاد أباطرة ضعفاء لم يستطيعوا رد العدوان الفارسى عنها، فأرسل كسرى جيشاً جراً لمحاربة هرقل فانتصر عليه واحتل ايلياء (٦١٤م) وذبح من سكانها أكثر من ٩٠ ألفاً من المسيحيين .. وهدم الكثير من

الأديرة .. وأخذوا البطريك "زخريا" إلى بلادهم أسيراً .. ويرى بعض المؤرخين لتلك الحقبة أن الفرس قد قاموا بأعمال تخريبية لليهود .. جعلتهم يتحشرون بالمسيحيين ويقتلون منهم أكثر مما قتل الفرس .. ولكن هرقل عاد فجمع قواه .. وحارب الفرس وانتصر عليهم (٦٢٧م) ثم عقد الفريقان معاهدة صلح .. أعيد بموجبها الأسرى إلى بلادهم .. كما أعيدت الغنائم التي نهبها الفرس .. ودخل هرقل "إيليا" عام (٦٢٩م) حاملاً على كتفه خشبة الصليب التي استردها من الفرس .. وانتقم من اليهود فقتل منهم الآلاف .. لكن الضعف أخذ يدب في البلاد .. وتدهورت أوضاعها .. مما هيأها للفتح الإسلامي لها دون مقاومة .

الفتح الإسلامي للقدس

ليس بأمر غريب أن يفكر المسلمون في فتح "بيت المقدس" وهو البيت الذي ذكر في القرآن الكريم وفي أحاديث نبيهم والصحابة والأئمة المسلمين .. فقد كانوا مدفوعين لأسباب كثيرة لهذا الفتح .. أسباب ترتبط بنواحي إقتصادية وأخرى إستراتيجية . فقد أسرى بالرسول محمد ﷺ " من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وذكر هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير" سورة الاسراء .

ذلك هو المسجد الأقصى الموجود في القدس من قديم الأزل .. بقعة مطهرة يُعبد فيها الله تعالى .. وسمى بالمسجد الأقصى القديم .. وتجسدت قدسية القدس للمسلمين في إسراء نبيهم إلى الصخرة المقدسة وبها صلى الأنبياء والرسل ، ثمّة حديث قدسى عن رسول الله ﷺ " يوضح مكانة القدس عند الله تعالى بقوله "أنت جنتي وقدسى ، وصفوتى من بلادى ، ومن سكنك فبرحمة منى ومن خرج منك فبسخط منى عليه" ، والحديث يوضح أن الله تعالى اختص بسكنى هذا المكان الطاهر من يرضى أمانته واستحقاقه لشرف العيش فيه ، وورد في الحديث الشريف "لاتشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى" .

وروى عن الإمام على بن أبى طالب أنه قال : وسط الأرضين أرض بيت المقدس وأرفع كلها إلى السماء بيت المقدس .. وروى عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال : من

مات في بيت المقدس ، فكأنما مات في السماء ..

وعنه أيضاً أن الرسول قال "أربع مدائن من الجنة .. مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس" .

وفي الصحيحين عن أبي ذر الغفاري قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض فقال المسجد الحرام قلت ثم أى ؟ قال المسجد الأقصى ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً .

ونظراً لمكانة القدس لدى المسلمين فإنهم لم يقصروا منذ اندفعوا خارج الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول الكريم سنة (١٠هـ) أى (٦٣٢م) في محاولة لفتح فلسطين ، وربط المسجد الأقصى بالمسجد الحرام عملياً بعد أن ربط الإسلام بينهما في عقيدة المسلم ووعيه الديني ، وفي سنة (١٥هـ) أى بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بخمسة أعوام - تمكن المسلمون من فتح كثير من بلاد الشام على إثر معركة اليرموك ودانت لهم حمص وقنسرين وقيسارية وغزة واللاذقية وحلب وحيفا ويافا وغيرها .. وقد إنجبه لفتح بلاد فلسطين قائدان مسلمان هما عمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح الذي إليه يعزى فضل إدخال بيت المقدس في الإسلام وكانت تسمى بإيلياء ، وكان المسلمون قبل تقدمهم لفتح بيت المقدس (إيلياء) قد اشتبكوا مع الروم في معركة حامية الوطيس هي معركة أجنادين وانتصروا فيها بعد قتال شديد يشبه قتالهم في اليرموك وفر كثير من الرومان المهزومين ومنهم "الأرطوبون" القائد والحاكم نفسه إلى إيلياء . وقد تقدم المسلمون لفتح (إيلياء) في فصل الشتاء وأقاموا على ذلك أربعة أشهر في قتال وصبر شديدين .

وبعث القائد أبو عبيدة لأهل إيلياء الرسل مزودين بالإنذار التالي :
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها سلام على من إتبعت الهدى وآمن بالله وبالرسول ، أما بعد فإننا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فإن شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذرايركم وكنتم لنا إخواناً ، وإن أبيتم فأقروا ، لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون وإن أنتم أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حباً للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله أبداً حتى أقتل

مقاتليكم وأسبى ذرايكم" .. ولما رأى أهل "إيليا" أنهم لا طاقة لهم على هذا الحصار ، لما رأوا من صبر وجلد المسلمين .. أشاروا على (البطريق) أن يتفاهم معهم فأجابهم إلى ذلك فعرض عليهم أبو عبيدة بن الجراح إحدى ثلاث :

الاسلام أو الجزية أو القتال فرضوا بالجزية والخضوع للمسلمين مشترطين أن يكون الذى يتسلم - المدينة المقدسة - هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نفسه .. وقد أرسل أبو عبيدة بن الجراح إلى أمير المؤمنين "عمر" بما اتفق عليه الطرفان ، فرحب عمر بحقن الدماء وسافر إلى بيت المقدس وحده ولم يكن معه سوى خادمه .. وبعد قدومه أمر الخليفة من فوره أن يبلغوا البطريق قدومه ، ففعلوا وجاء البطريق بعد قليل حاملا الصليب المقدس على صدره، وجاء معه عدد من الأساقفة والقسيسين والشمامسة والرهبان حاملين الصليبان ولما انتهوا إلى مقام الخليفة خف للقائهم وتقبلهم بمزيد الاحتفاء والاکرام ثم تحدّثوا فى شروط التسليم ، وكتب لهم وثيقة الأمان التالية وقد عرفت بالعهد العمرى :

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان :

"أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما تعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم فمن شاء منهم قعد وعليهم مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم ، وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

كتب سنة ١٥ للهجرة أى سنة ٦٣٦ م .

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمر بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان .. وكما أن عمر بن الخطاب أعطى أهل إيلياء العهد الذى تقدم ذكره فقد أخذ عليهم أيضاً عهداً ولقد جاء فى عهده هذا ما يلى :

"هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة ايلياء ... إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرائنا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا لكم أن لاندث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية أى " مسكن الأسقف " ولا صومعة راهب .

ولانحس منها ما كان فى خطط المسلمين ولا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين فى ليل ولا نهار وأن توسع أبوابها للمارة وابن السبيل وأن ننزل من مر من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نوارى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر مشركاً ولا ندعو اليه أحداً ولا نمنع أحداً من ذوى قربانتنا الدخول فى الاسلام إن أرادوه وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذ أرادوا الجلوس ولا نتشبه فى شيء من لباسهم فى قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمر وأن نجز مقادير رؤوسنا ، وأن نلزم زينا حيثما كنا ، وأن نشد زناير على أوساطنا ولا نظهر الصليب على كنائسنا ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا فى شيء من طرق المسلمين ولا فى أسواقهم ولا نضرب نواقيسنا فى كنائسنا إلا ضرباً خفيفاً ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نتخذ من الرقيق ماجرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع عليهم فى منازلهم " .

ويذكر المؤرخون أن أول عمل قام به عمر بن الخطاب فى القدس هو أن زار كنيسة القيامة وصادف أن حان وقت الصلاة ، فأشار عليه البطريك - صفرونيوس أن يصلى حيث هو - داخل الكنيسة - ولكن عمر أبى ، وصلى خارج الكنيسة ، خشية أن يتخذ المسلمون صلاته داخلها ذريعة فيضربوا أيديهم عليها فقابل الأساقفة والنصارى هذا التصرف بالشكر والتقدير ، ثم زار عمر مكان الهيكل .. وكان فى حالة خراب .. وتجمعت القاذورات والمخلفات حوله ، فراح ينفض التراب عنه ، فحذا صحابته حذوه فبرزت الصخرة .. وأمر عمر أن يبنى هناك مسجد ، فبنى المسجد .. وكان من خشب عام (٦٣٧م) .

وتجول عمر في المدينة ، فرأى أن يبدأ بالتنظيم الإداري والقضائي لها أولاً وصك النقود النحاسية التي على وجهها عبارة " محمد رسول الله " ورسم سيف .. وعلى وجهها الآخر " ايلياء " و " فلسطين " وحرف "ميم" والهلال وتدوين الدواوين وتقسيم البلاد إلى مناطق وتعيين أمير لكل منطقة وتعميم اللغة العربية بها ، ثم رتب أمور البريد والجنود وأسس الحسبة (البلدية) للإشراف على المكايل والموازين وأقيمت الطرق الجديدة مثل طريق القدس - أريحا وطريق القدس - الرملة ... وغير ذلك من التنظيمات الإدارية ثم وضع عمر بن الخطاب التاريخ الهجري .

ويروى أن عمر في أثناء تفقده للمدينة وما أصاب سكانها من ضيم وابتلاء أثناء الفتح أتاه رجل من النصاري له ذمة مع المسلمين في كرم عنب فشكا إليه همه فركب معه ولما رأى أن فريقاً من المسلمين أكلوا ما في الكرم لشدة ما أصابهم من جوع ، أعطاهم ثمن ما أكلوه وقد أمر رجاله بالعدل قائلاً لهم : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً " ، وذكر المؤرخون أن عمر زار قبيل رحيله عن بيت المقدس أبا عبيدة بن الجراح - القائد الفاتح - في بيته فلم يجد فيه سوى لبد فرسه (وكان هذا هو فراشه وسرجه ووسادته) وكسر يابسه في كوة بيته ولما دخل عمر جاء بهذه الكسر ، فوضعها على الأرض بين يديه ، وأتاه بلعج جريش وكوز من الخبز فيه ماء فلما نظر عمر إلى ذلك بكى .

وبعد أن رتب عمر شئون المدينة غادر بيت المقدس متجهاً للحجاز بعد أن جمع جنده وأوصاهم بهذا البلد خيراً والإبتعاد عن المعاصي وتقوى الله .. لقد حكم المسلمون القدس منذ عام (٦٣٦م) أي منذ الوثيقة العمرية والتي كانت صورة فريدة من صور التسامح الإسلامي والتي كانت نموذجاً لقانون يقرر حقوق الانسان قبل أن يعرف - العالم هذه الحقوق .. وقبل أن يعرف مبادئ القانون العام .. وقد توالى عصور التاريخ الاسلامي والمسلمون يعاملون أبناء الديانات الأخرى في القدس وغيرها أفضل معاملة في التاريخ ، لدرجة أن المؤرخ الانجليزى الكبير "أرنولد توينبى" اعتبر ظاهرة التسامح الإسلامى والمسلمين ظاهرة فريدة وشاذة في تاريخ الديانات.

وتتوالى صفحات التاريخ في القدس ، فلا نكاد نجد فيها انقطاعاً لفعالية الروح الاسلامية المتسامحة العادلة التي تقوم على حراستها دروس المسجد الإبراهيمي و الحلقات العلمية الاسلامية في المسجد الأقصى ومسجد الصخرة .. ولانطوى صفحة مضبوطة إلا

لتبدأ أخرى تحت الحكم الاسلامى فتعاقب على القدس الخلفاء وهى تحت سيطرة حكمهم فجاء بنو أمية (٢١١هـ - ٦٤١م) وتلاههم بنو العباس ٧٥٠م وبنو طولون ٨٧٨م والأخشيدون (٩٣٨م) والفاطميون (٩٦٦م) والأتراك السلجوقيون (١٠٧٢م) والأرثقيون (١٠٧٧م) .

ولم يتعرض تاريخ القدس لأحداث دموية واضطهاد دينى منذ الفتح الاسلامى إلا فى تلك الفترة التى استولى فيها الصليبيون على بيت المقدس (١٠٩٩ - ١١٨٧م) - (٤٩٢ - ٥٧٣هـ) وهى فترة شغلت من هذا التاريخ نحو تسعين سنة .

الغزو الصليبي

طوال العهد الاسلامى لم يفكر أحد من الغزاة على غزو القدس ، ولم يجرؤ اليهود على الإقامة فى القدس .. لما حظيت به المدينة من رعاية وإهتمام من خلفاء الدولة الاسلامية فقد عمرت المدينة فى أيام الخلفاء الراشدين .. ولما جاء الأمويون أولوها إهتماماً كبيراً فبنى الخليفة عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة المشرفة عام اثنين وسبعين هجرية (٦٩١م) ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنوات كاملة وقد احتفظ المسيحيون بكنائسهم فى بيت المقدس ومن بينها كنيسة القيامة ، وعندما انتقل الحكم إلى العباسيين قام الخليفة أبو جعفر المنصور بزيارة القدس عام ٧٥٨م فهاله الدمار الذى حل بالمسجد الأقصى من جراء الزلزال الذى حدث عام ٧٤٧م فأمر بإصلاحه وترميمه وقد أنجزت هذه الإصلاحات فى عام ٧٧١م .. وفى عام ٧٧٤م حدث زلزال آخر أضرب بالمسجد الأقصى من جديد وعندما قام الخليفة المهدى بزيارة القدس عام ٧٨٠م أمر بإصلاح وترميم ما أحدثته الزلزال من خراب للمسجد الأقصى بل أدخل تعديلات على تخطيطه وفى عهد هارون الرشيد (٧٨٦م) وفى ظل سماحة الاسلام قام الامبراطور شارلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء وعندما جاء الخليفة المأمون بن الرشيد (٨١٣ - ٨٣٣م) تمت التعديلات فى مسجد الصخرة وجددت عمارته .

وقد أثرت الأحداث التى وقعت فى العصر العباسى فى أوضاع الدولة الاسلامية ونشبت الخلافات داخل المجتمع الاسلامى وتضعضعت وحدته السياسية وإنتهى الأمر

بتقلص الحكم العباسي ولم تكتسب القدس أهميتها أيام الدولة الأخشيديّة مثلما كانت على عهد الأمويين فظلت تقصد للأغراض الدينيّة فقط .. وفي عهد الخليفة الظاهر بيبرس - الذي يعد امتداداً لعصر الحاكم بأمر الله - اضطر إلى عقد صلح مع القيصر رومانوس الثالث البيزنطي ، وبمقتضاه سمح للقيصر بترميم بعض الكنائس التي هدمها الزلزال وفي تلك الأثناء أصيب مسجد قبة الصخرة من جراء الزلزال فأعاد الخليفة الظاهر تعمير المسجد وترميم قبته ، فعادت أفضل مما كانت ، وفي الوقت الذي نشبت فيه الصراعات السياسيّة في الأندلس بين الإمارات المسيحيّة وبين المرابطين ، كانت قد بدأت في المشرق ما اصطلح على تسميته في التاريخ بإسم الحروب الصليبيّة ، وإذا عدنا إلى الجذور التي كانت دافعاً للحروب الصليبيّة .. نجد أنها تمتد منذ نشأة الدولة الإسلاميّة وتطورها ، فقد أحست الدولة البيزنطيّة بأن هذه الدعوة خطر يهددها فأخذت تجابهها لكن الدولة الإسلاميّة واجهت الخطر بالفتوحات الإسلاميّة وتوسيع رقعة الأمة الإسلاميّة لنشر الدعوة واستمر هذا منهجاً للخلفاء الراشدين .. فتوغلت الدولة الإسلاميّة في الأراضي البيزنطيّة في الشام ومصر وشمال إفريقيا فضلاً عن بلاد فارس في الشرق .. وعبر طارق بن زياد من شمال إفريقيا إلى بلاد الأندلس وأصبح البحر الأبيض المتوسط تحت السيطرة العربيّة .

ولأن الدولة الإسلاميّة أصبحت دولة مترامية الأطراف .. فقد انقسمت على نفسها وتعاقبت عليها الخلافات .. فإنقسمت إلى ثلاث وحدات - بعد الخلفاء الراشدين - فسقطت الخلافة الأمويّة في دمشق على يد العباسيين وتأسست الخلافة العباسيّة في بغداد ، بينما قامت الدولة الأمويّة في الأندلس والتي تحولت إلى خلافة ، كما قامت الخلافة الفاطميّة في المغرب ومن هنا نشب خلاف بينها وبين الدولة الأمويّة في الأندلس من جهة ومع الدولة العباسيّة في بغداد من جهة أخرى ، وساعد على ذلك خلاف مذهبي في الدين الإسلامي نفسه ، فالأندلسيون كانوا أهل سنة مالكيين يميلون إلى فهم النصوص على ظاهرها ويكرهون التأويل أما العباسيون في بغداد فكانوا أهل سنة يتخير المؤمن هناك لتعبده وقضائه مذهباً من مذاهب الأئمة الأربعة وكانوا مع ذلك يتعايشون مع مذاهب أخرى كالشيعة الجعفرية الأثنى عشرية والمعتزلة والمرجئة والأشعرية وغيرهم .. بينما كان الفاطميون طائفة من الشيعة الاسماعيلية الباطنية، التي تقول بالتأويل إلى أبعد ما يحتمله

النص كما كانت تقول بتقسيم العالمين إلى علنية وسرية .. وهذه الخلافات الدينية إنعكست على الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية فنالت من الكيان الواحد للأمة الإسلامية .. فى ظل هذه الظروف المتردية جاء الصليبيون غازين الشرق وبالتحديد القدس بعد أن زارها البابا "أوربان الثانى" لابعاً على أوتار العاطفة الدينية المسيحية الغربية ، مستغلاً فكرة الخطر المزعوم على المسيحية فى فلسطين .

وننقل فقرة هامة ذكرها المؤرخ وليم مالمسبورى من خطاب البابا أوربان " يا أمة الفرنج ، يا أبناء السلالة التى أحبها الله واصطفها وصلتنا من جهات القدس والقسطنطينية ، أنباء مفرجة مفادها أن أمة من الأمم اشتطت السبيل فعالت فى ديار المسيحية سلباً وحرماً وقتلاً وقادوا جموعاً منهم أسرى وأهلكوا آخرين بالتعذيب المبرح ودمروا بيوت الله واستولوا على بلاد تابعة لليونان شاسعة الأرجاء ، لانقطع بمسيرة شهرين فعلى من تقع تبعية الثأر واستعادة الديار ألا تنهضوا أنتم بهذا الأمر ؟ يا من شرفكم الله بفضلته وأسبغ عليكم العزة والسؤدد وحباكم من نصره على أعدائكم ؟ لتكن مآثر الأجداد ومآثر شارلمان ومن سار بسيرته حافزاً لكم ، وليكن إستعادة القبر المقدس سبباً ليقظتكم ..

اسلكوا سبيل الله حيث يوجد البيت وانقلدوا الأرض وامتلكوها لأنفسكم فإن القدس هى من أكثر بلاد الدنيا ثماراً وهى جنة الأفراح ومركز الدنيا إنها اليوم تناشدكم المساعدة فاقصدوها بكل شوق تغفر لكم ذنوبكم وجزاؤكم دار الخلود" .. ويرى المؤرخون أنه كانت هناك أسباب أخرى للغزو الصليبي للقدس غير تلك التى ذكرها البابا فى رسالته وأن المسيحيين كانوا يومئذ يعيشون مع المسلمين إخوانهم فى الوطنية واللغة فى سلام وصفاء وأن الأسباب الحقيقية تتلخص فى :

١ - حب التخلص من الثقافة والفلسفة العربية تلك الثقافة التى تناقض الإنجيل وكانت منتشرة فى ذلك الحين .

٢ - الحيلولة دون اصطدام الأمراء الاقطاعيين فى أوروبا وتقاتلهم وشغلهم بمقاتلة أعدائهم المسلمين .

٣ - جعل الأرض المقدسة لاتينية وملاشاة الأرثوذكسية منها.. وقال آخرون إن الغاية الحقيقية لا هذه ولا تلك وإنما هي غاية تجارية بحتة .

ومهما تكن الأسباب فإن الحملة الصليبية الأولى - عام (١٠٩٩م) - وكانت مؤلفة من ٣٠٠ ألف مقاتل ينتمون إلى مختلف الشعوب والأقوام الأوروبية من فرنسيين وألمان وشموسيين ومجروبولونيين وغير ذلك واقترب هؤلاء في طريقهم إلى الأرض المقدسة ألوان الفظائع والآثام وذلك مما حدا بالأمم التي لاقوها في طريقهم إلى مقاتلتهم فقتل عدد كبير منهم وعاد عدد آخر إلى بلاده قبل أن يصل إلى هدفه .

ولما وصلت الحملة الصليبية الأولى أمام أسوار المدينة كان عددهم نحو خمسين ألفاً.. وقد حاصروا المدينة التي كان سكانها نحو عشرين ألفاً.. وما هي إلا أيام معدودة حتى دخل الصليبيون - المدينة في ١٥ تموز ١٠٩٩م .

وما كادوا يدخلونها حتى حكموا على كل مسلم بقى فيها بالموت، وشرعوا من فورهم في تنفيذ الحكم فقتلوا سبعين ألفاً ولم يجد المسلمين توسلهم ولا التجاؤهم إلى المسجد الأقصى ولم يختلف اثنان من المؤرخين لا من الفرنجة ولا من المسلمين في إستفطاع المنكرات التي إقتربها الصليبيون تلك المنكرات التي أقل ما قيل فيها انه يندى لها جبين الدهر ، وإنها مناقضة لتعاليم السيد المسيح الذي زعموا أنهم إنما جاءوا لنصرتة.. وأرسل الصليبيون بعد إنتهائهم من هذه الجزرة البشرية إلى البابا رسالة أخبروه فيها بما جرى ، قائلين له : إن القدس فتحت على يدهم وإنهم قتلوا عدداً لا يحصى من المسلمين وأن خيولهم في إيوان سليمان كانت تخوض في بحر من دماء المسلمين حتى ركبها

وعاثوا في المدينة فساداً .. واستولوا على الممتلكات والمباني التي يملكها المسلمون والمسيحيون الذين ينتمون للكنيسة الشرقية ولقد حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة وسموها Tempelum Domini واستعملوا المسجد الأقصى لمصالحهم وكانوا يسمونه Palatium Tempelum Solomones فألقصوا من حججه كثيراً وقسموه إلى أقسام : فإتخذوا قسماً منه كنيسة وقسماً آخر مسكناً لفرسان الهيكل والباقي إستعملوه مستودعاً للذخائرهم واتخذوا السرايب التي تحت المسجد الحالي إسطبلاً لحيواناتهم .

وأسس الصليبيون من القدس والبلاد المجاورة لها مملكة لاتينية، جعلوا مقرها القدس ، وأقاموا عليهم أميراً هو غود فرى دوبيون فأخذوه إلى كنيسة القيامة وتوجوه ولما مات دفنوه فى داخل الكنيسة .. وتعاقب ملوك الصليبيين على الحكم .. وتوالى كذلك حكام القدس .

صلاح الدين يحرق القدس

بعد أن انتصر صلاح الدين الأيوبي فى معركة حطين على الصليبيين (٢٥ ربيع الثانى ٥٨٣هـ - ١٨٧م) عقد النية على تحرير بيت المقدس ، فسار إلى فلسطين .. وأخذ كل ما كان بين بيت المقدس والساحل من حصون فلما تأكد من تأمين الساحل لمنع وصول الإمدادات البحرية إلى الصليبيين فى المقدس .. حاصره .. وعرض على أهلها التسليم بنفس الشروط التى استسلمت بها بقية المدن الصليبية ، نظير تأمينهم على أرواحهم وأولادهم وأموالهم ، ولكنهم أبوا ذلك وعندئذ أقسم صلاح الدين أن يأخذ القدس عنوة .. وجعل يتلمس فى أسوارها نقطة الضعف التى اختارها جهة الشمال عند المكان المعروف بباب كنيسة صهيون (باب العمود) ، وبعد أن أتم ترتيباته لاقتحام المدينة أنذر السكان طالباً منهم الإستسلام .. ولم يدم الحصار أكثر من أسبوع أو عشرة أيام حتى أيقنوا أنه لا أمل لديهم فى النجاة ، فأرسلوا إلى صلاح الدين يفاضونه فى شروط التسليم فأبى إلا أن يأخذ المدينة عنوة ليفعل بالصليبيين مثلما فعلوه بالمسلمين عندما إستولوا على القدس منذ نحو قرن .. ونذكر ما قاله صلاح الدين "لا أفعل إلا كما فعلتم بأهل القدس حين ملكتموه سنة احدى وتسعين وأربعمائة من القتل والسبى وأجزى السيئة بمثلها" .. وعند ذلك ألح أمير منطقة الرملة فى طلب الأمان ووقف القتال ، وإلا قتلوا نساءهم وأطفالهم وذبحوا من فى المدينة من أسرى المسلمين .. ويقدر عددهم بخمسة آلاف أسير .. وهنا إستشار صلاح الدين أصحابه فوافقوا على ترك المسيحيين يغادرون القدس مقابل عشرة دنائير للرجل وخمسة للمرأة ودينار واحد عن كل طفل ، فمن أدى ذلك فى مدة أربعين يوماً خرج ولجأ .. ومن لم يؤده صار أسيراً مملوكاً .

وعلى هذا النحو جاءت شروط التسليم سهلة وميسرة .. كما جاء تفسير هذه الشروط

لافتاً للنظر ، ويدل على سماحة الاسلام بالمقارنة بما فعله الصليبيون عند غزوهم للقدس عام ١٠٩٩ م من ذبح وقتل للمسلمين بالآلاف .

وقد دخل صلاح الدين إلى بيت المقدس في يوم الجمعة ٢٧ رجب ٨٣ هـ - ٢ أكتوبر ١١٨٧ .. وما أن دخلت الجيوش الاسلامية القدس ، حتى بدأوا يحفظون الأمن والنظام .. وإستهل صلاح الدين وجنوده في بيت المقدس بزيارة مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى وقام بخلع الصليب الذهبي الذي رفعه الصليبيون على قبة الصخرة ووضع فوقها الهلال كما أزال ما وجده في المسجدين من آثار مسيحية ، وقد بذل المسلمون جهداً كبيراً في ترميم وتعمير المسجدين وكان صلاح الدين قد أمر بنقل المنبر من مدينة حلب إلى المسجد الأقصى - والذي كان قد أمر بتصنيعه نور الدين زنكي على درجة من الدقة والفخامة بحيث يتناسب والقدس عند فتحها ، كما شيد صلاح الدين مسجداً عرف باسم مسجد النساء وذلك في الطرف الجنوبي الغربي للمسجد الأقصى .

وقد سمح صلاح الدين للمسيحيين بإقامة شعائهم الدينية في حين قام بإحضار بعض القبائل العربية مثل بني الحارث وبني مرة وبني سعد وبني زيد للإقامة في بيت المقدس كما قام بإنشاء عدد من المنشآت وقام بالعديد من الإصلاحات نذكر منها :

- أنه قام بتجديد أسوار بيت المقدس وإنشاء عدد من الأبراج العسكرية في الجزء الواقع بين باب العمود وباب الخليل وهو الجزء المواجه للطريق العسكري الآتى من الساحل الفلسطيني على البحر الأبيض المتوسط من يافا خصوصاً وفي سبيل تحصين المدينة ضد الصليبيين قام بحفر عدد من الخنادق حول أسوارها حتى يصعب على الصليبيين أو أى عدوان خارجي إقتحام المدينة .. وقد رأى الناس صلاح الدين بنفسه وهو ينقل الحجارة ويشارك عمال البناء في أعمالهم .. ورأى الناس كذلك أسرة صلاح الدين تقوم بنفس الشيء .

- أنشأ (البيمارستان) أى المستشفى في البقعة التى كانت تقوم عليها سوق اليزار وكنيسة الألمان في الدباغة .. وكان يداوى فيه المرضى الجرحى من غير أجر .. وقيل أنه من أفضل المستشفيات في العصر الاسلامى .

- أنشأ (الخانقاه الصلاحية) في جانب من منزل البطريرك الملاصق لكنيسة القيامة من الشمال والغرب .. وقد إتخذها مسجداً ورباطاً للصالحين من الصوفية .

- أنشأ عدداً من المدارس منها : (المدرسة الخنثنية) ومكانها بجوار المسجد الأقصى من القبلة خلف المنبر (٥٨٧هـ - ١١٩١م) و (المدرسة الصلاحية) وهى تبعد أمتاراً قليلة من السور الشرقى عند باب الأسباط ، كانت فيما مضى مدرسة للروم ، بنيت فى المكان الذى كان فيه بيت حنة والددة مريم البتول وبعلمها يواكيم وكان فيها على عهد الصليبيين كنيسة يسمونها كنيسة القديسة حنة ، فجعلها صلاح الدين مدرسة ووقفها لفقهاء الشافعية ورباطاً للمتصوفين وكان ذلك بتاريخ ٥٨٨هـ - ١١٩٢م ، وكان لهذه المدرسة شهرة كبيرة فى جميع أرجاء العالم الاسلامى .. ومن المدارس التى أنشأها صلاح الدين كذلك مدرسة تدعى (المدرسة الميمونية) وكانت على مثنى متر من السور الشمالى للمدينة .

إن الانتصارات التى حققها صلاح الدين على الصليبيين قد أزعجت أوروبا وأفزعت البابوية ، لاسيما بعد فتحه للقدس ، فنادى البابا بحملة صليبية جديدة اشترك فيها ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وفيليب أغسطس ملك فرنسا وامبراطورى المانيا وروما وقاموا بتجهيز أكبر حملة صليبية من حيث العدد والعدة لإستعادة القدس وهيبة أوروبا البابوية إلا أن جميع محاولات الصليبيين فشلت بقيادة ريتشارد قلب الأسد فى أخذ بيت المقدس ، واضطر إلى فكرة المفاوضات التى انتهت بصلح الرملة فى سبتمبر ١١٩٢ ، وفيه اتفق الطرفان على إحتفاظ الصليبيين بالمدن الساحلية الممتدة من عكا حتى يافا على أن تستمر مدينة بيت المقدس تحت حكم المسلمين مع السماح للحجاج المسيحيين بالحج إليها من طريق واحد هو طريق عكا.. وفى أعقاب ذلك رحل ريتشارد قلب الأسد من عكا إلى إنجلترا وهكذا أسدل الستار فترة من الزمن على الحملة الصليبية الثالثة التى فشلت فى استعادة بيت المقدس من أيدي المسلمين .

بعد موت صلاح الدين فى دمشق عام ١١٩٣م إنقسمت دولته إلى عدة ممالك فأصبحت الشام وفلسطين من نصيب ابنه على الملقب بالملك الأفضل وحلب لإبنه غازى الملقب بالملك الظاهر ومصر لإبنه عثمان الملقب بالملك العزيز وبلاد ما بين النهرين لأخيه الملك العادل وكانت القدس من نصيب الملك الأفضل الذى تنازل عنها بعد فترة قليلة لأخيه الملك العزيز حتى يضمن لها المال والرجال للدفاع عنها ضد الصليبيين .. وفى عام

١٢٠٠م تمكن الملك العادل من توحيد ممالك البيت الأيوبي في مصر والشام تحت سيطرته وأقام نفسه سلطاناً على الإمبراطورية الأيوبية - إعراف به سائر الأمراء الأيوبيين - فترة إمتدت من عام ١٢٠٠م وحتى ١٢١٨م ونتيجة لقيام وتوحيد الإمبراطورية الأيوبية قامت البابوية في أوروبا بتجهيز حملة صليبية جديدة ، إلا أنها لم تحقق هدفها الرئيسى إلا بعد تولى الملك الكامل القيادة بعد وفاة والده الملك العادل فى دمشق عام ١٢١٨م .

وبعد فشل الحملة الصليبية الخامسة على مصر تمكن «فريدريك» من عقد اتفاق هدنة مع الملك الكامل فى سبتمبر ١٢٢٨م فى عكا وتتضمن هذه الاتفاقية أن يتسلم الصليبيون بقيادة فردريك مدينة بيت المقدس وبيت لحم مع الإبقاء على طريق "عكا - القدس" فى أيدي الصليبيين بما فى ذلك يافا وعكا واللد والناصره ، على أن يبقى المسجد الأقصى وقبة الصخرة فى أيدي المسلمين ، كل ذلك مقابل هدنة مدتها عشر سنوات لاتقوم خلالها أى حملات صليبية على مصر أو الشام ، وفى أعقاب هذا الإتفاق أنكر المسلمون فى مصر والشام والعراق هذه الهدنة التى ترتب عليها التنازل عن بيت المقدس .

وفى عام ١٢٣٩م إنقسمت الدولة الأيوبية للمرة الثالثة فأصبحت مصر من نصيب العادل الثانى بن الكامل والشام من نصيب أخوه الأكبر الصالح أيوب الذى إستعان بالخوازمية ، واستمر الصراع بين الأخوة على قيام الدولة الأيوبية الموحدة وفى تلك الأثناء جهزت البابوية حملة صليبية جديدة للإبقاء على القدس بعد نهاية الإنفاق فاستغل قادة الصليبيين الخلافات داخل الدولة الأيوبية واستولوا على القدس التى سرعان ما عادت إلى الملك الصالح أيوب والذى زارها وأمر بترميم أسوارها .

لكن لم تكف الدعاوى الدينية الغربية باستعادة بيت المقدس من أيدي المسلمين فأرسلوا الحملة الصليبية السابعة (١٢٤٨م) بقيادة لويس التاسع .. وكان يتولى الحكم وقتها الصالح أيوب .. وقد دارت بين الفريقين معارك كبيرة ، إلا أنها لم تحسم النصر لأحد الطرفين وأثناء المعارك توفى الملك الصالح ، فتولى من بعده ابنه غياث الدين تورنشا الذى لم يحسن إدارة البلاد ، فتآمرت عليه المماليك البحرية وقتلوه عام (١٢٥٠م) وبمقتله إنتهت الدولة الأيوبية .

المماليك قادمون

تولت شجرة الدر - زوجة الصالح أيوب - السلطنة في مصر عام ١٢٥٠م بعد مبايعة المماليك لها .. ويعد هذا التاريخ هو بداية قيام دولة المماليك ، إلا أن بعض المؤرخين يعتبرون الظاهر بيبرس هو المؤسس الفعلي لدولة المماليك ، والذي تولى السلطنة عام (١٢٦٠م) ويذكر أنه قد زار القدس مرتين : الأولى عام ١٢٦٢م والثانية عام ١٢٦٥م .. وفي أعقاب زيارته الأولى أمر بترميم وإنشاء بعض المنشآت نذكر منها :

- ترميم ما تهدم من مسجد قبة الصخرة .. كما جدد قبة السلسلة وقام بزخرفتها وأنشأ حنانا ووقف بعض القرى لينفق ريعها على مصالح المسجد كل عام .
- أنشأ (دار الحديث) على طريق باب السلسلة .
- بنى على قبر موسى "عليه السلام" - قبلى أريحا - قبة ومسجداً .
- يذكر أن الفصوص التى على الرخام فى مسجد الصخرة من آثاره .

وقد تعاقب على الحكم السلاطين المماليك .. ولا يخلو عهد أى منهم من ترميمات وإنجازات ومنشآت فى القدس .. وكان آخر سلاطينهم السلطان "قنصوة الغورى" (١٥٠٠م) والذي على عهده ساءت العلاقات بين المماليك والأتراك العثمانيين .. وقد قتل "الغورى" بعد هزيمته فى موقعة "مرج دابق" على مقربة من حلب .. وقد بايع المماليك "طومان باى" سلطانا عليهم ، لينقذهم من الغزو التركى إلا أنه فشل .. وشنق طومان باى فى عام (١٥١٧م) .. ومن هنا سقطت دولة المماليك ، لتحل مكانها دولة الأتراك العثمانيين .. ولعل أبرز السمات التى تميز عصر المماليك فى القدس إهتمامهم بها .. وترميم مقدساتها الاسلامية ، حتى أننا نجد سلاطينهم يكسون قبة الصخرة المقدسة من الخارج بالفسيفساء .

الأتراك العثمانيون فى القدس

بعد أن تغلب على المماليك فى موقعة (مرج دابق) فتح السلطان سليم الأول القدس عام (١٥١٦م) واحتل كذلك أجزاء كبيرة من بلاد الشام منها حلب وحمص وسار إلى مصر .. وبذلك إنتهى حكم المماليك لفلسطين بفتح العثمانيين لها .

ويذكر أنه في عهد السلطان سليم الأول الملقب بالقانونى قامت منشآت كثيرة فى القدس نتيجة لاهتمامه بحركة التعمير والبناء ، فأمر بتجديد عمارة سور المدينة .. كما أنشأ برجاً بالقرب من الخليل وأصلح طبقة الفسيفساء التى كانت تغطى قبة الصخرة من الخارج بالإضافة إلى إصلاحه عمارتها وعمر جدران الحرم وأبوابه .. وجدد الذهبى من أبواب الحرم .. وفتح الباب المعروف بباب "ستنا مريم" كما جدد قبة السلسلة وعلى عهده أنشأت التكية المعروفة بتكية خاصكى سلطان فى عقبة المفتى وأنشأ مسجد الطور (١٥٣٧م) فى المكان الذى تقوم عليه كنيسة الصعود .. والمدرسة الرصاصية بحارة الواد (١٥٤٠م) . وعلى عهده سكّت نقود جديدة سميت باسمه .. وفرضت على الحجاج المسيحيين رسوم يدفعونها لدى دخولهم كنيسة القيامة .

وبعد وفاة السلطان سليم الأول تعاقب السلاطين الأتراك العثمانيون على الحكم فتولى السلطنة بعده إبنه السلطان سليم الثانى (١٥٦٦م) فالسلطان مراد الثالث بن سليم الثانى (١٥٧٤م) فالسلطان محمد الثالث بن مراد الثالث (١٥٩٤م) ، فالسلطان أحمد الأول بن محمد الثالث (١٦٠٣م) وعلى عهده عرف الناس التبغ لأول مرة واستعملوه فى هذه البلاد (١٦٠٣م) وحُرم بيع الخمر فى القدس (١٦١٣م) ثم جاء السلطان مصطفى الأول بن محمد الثالث (١٦١٧م) فالسلطان عثمان الثانى بن أحمد الأول (١٦١٧م) فالسلطان مصطفى الأول للمرة الثانية (١٦٢١م) ولم يرد ذكر كثير للقدس فى أيام هؤلاء السلاطين .. وأما فى زمن السلطان مراد الرابع (١٦٢٢) فقد كانت القدس تابعة لمصر ولقد حدثت فيها حوادث تستحق الذكر : منها أنه حظر على الناس شرب القهوة وتدخين التبغ (١٦٣٣م) واختل الأمن ، فراح الأشقياء يقطعون الطرق ويخربون ينابيع المياه وذلك قد حدا بالسلطان لإقامة قلعة سميت باسمه (قلعة مراد) عند برك سليمان على طريق الخليل وأنشأ فى داخلها مسجداً وخمسين منزلاً لسكنى الجند وكان يقوم على حراسها دزدار وأربعون جندياً مسلحين بالمدافع والأسلحة الكاملة .

بعد السلطان مراد الرابع تولى السلطنة إبراهيم بن أحمد الأول (١٦٣٩م) . ثم تولاها إبنه السلطان محمد الرابع (١٦٤٨م) وعلى عهده بنيت المئذنة الكائنة بداخل القلعة (١٦٥٥م) . وأنشئ المصلى الكائن بجانب سبيل شعلان فى الحرم القدسى ١٦٥١م .

إن أحسن وصف للقدس في ذلك العهد نجده في مخطوط للسائح التركي الشهير (أوليا جلبي) فقد زارها حوالي سنة ١٦٧٠ للميلاد ووصفها وصفا جيدا فمدح خبزها وثمارها وخضرها ، ويبدو أنها إشتهرت يومئذ بمسكها وعطرها وبخورها ومباخرها النحاسية ، وكان فيها ألفان وخمسة وأربعون دكانا وستة خانات عظيمة ومحتسب وأسواق وثلاثة وأربعون ألف كرم ورأى في وسط هذه الكروم زهاء ألف وخمسمئة منظره وكان يسكنها ستة وأربعون ألف نسمة أكثرهم عرب مسلمون وكان فيها كنيسة للأرمن ، وثلاث كنائس للروم وكنيسة لليهود ومثان وأربعون محرابا للصلاة وسبع دور للحديث ، وعشر دور للقرآن وأربعون مدرسة للبنين وستة حمامات وثمانية عشر سيلا يشرب الماء منها العطشان وتكاي لسبعين طريقة منها الكيلانية والبديوية والسعدية والرفاعية والمولوية .. ويظهر مما كتبه هذا السائح وغيره من السياح الأجانب أن كل شيء في القدس كان يومئذ على غاية ما يرام ، ماعدا الأمن والأمان فقد كان هذا مفقوداً ولاسيما خارج أسوار القدس .. وفي عهد السلطان سليم الثالث (١٧٨٨ - ١٨٠٧م) هاجم نابليون بونابرت العريش عام (١٧٩٩) وكان قد خرج على رأس جيشه وسلك طريق صحراء سيناء ثم اتخذ الطريق الساحلي القديم إلى فلسطين واستولى على العريش وغزة والرملة ويافا ثم واصل جيش نابليون تقدمه إلى الشمال على طول سهل مرج ابن عامر ليحقق هدفه الرئيسي وهو الإستيلاء على عكا عاصمة الحكم العثماني في فلسطين .

وفي أثناء حصار عكا أرسل نابليون عدة وحدات من جيشه إلى صفد وإلى جسر بنات يعقوب على نهر الأردن الشمالي .. قاصدا قطع الإمدادات التي يحتمل أن يرسلها العثمانيون إلى دمشق ، وعندما علم الفرنسيون أن القوات العثمانية لمجحت مع ذلك في عبور نهر الأردن من موضع آخر واخترقت وادي مرج بن عامر ، تقدم جزء من جيش نابليون لمواجهة الجنود المدافعين عن فلسطين تحت قيادة عثمانية ولكن الجيش الفرنسي هزم في هذه المواجهة ، وبالتالي فشل في احتلال حصار عكا ، ولذلك اضطر نابليون آخر الأمر إلى التراجع عائدا إلى مصر سالكا نفس الطريق الذي سلكه من قبل على أن إهتمام أوروبا بفلسطين قد بدأ يتبلور منذ ذلك التاريخ .

ويذكر المؤرخون أنه في عهد السلطان محمود الثاني عام (١٨٠٨م) قد ألغى نظام

(الانكشارية) وطارد رجالها مطاردة لاهوداة فيها ، حتى أنه منع الناس من ذكرهم ومنع المسيحيين الأرثوذكسيين (١٨٢٠م) من تعمير معابدهم .. إذ أنه كان يكرههم ولا سيما من كان منهم يوناني الأصل وسمح للاتين ببناء غرف جديدة فى ديرهم وتعمير ما يخصهم فى كنيسة القيامة وأمر المسلمين من سكان بيت المقدس أن يخلعوا عن رؤوسهم (القاووقة) التى كانوا يلبسونها حتى ذلك التاريخ .

وعندما أعلن محمد على باشا - والى مصر - العصيان على تركيا فى عهد السلطان محمود الثانى أرسل جيشا بقيادة ابنه إبراهيم باشا إلى فلسطين والشام لم يلبث أن احتل بيت المقدس فى عام ١٨٣١م ومعظم مدن فلسطين، ولكنه واجه مقاومة شديدة من أهلها الذين أعلنوا الثورة فى مواجهة إبراهيم باشا وجيشه إلا أنه قمع هذه الثورة وقد وقفت بعض الدول الأوروبية فى وجه إبراهيم باشا وفتوحاته فى فلسطين والشام وبلاد الأناضول مما اضطره إلى الانسحاب من فلسطين بعد عشر سنوات وهكذا إسترد السلطان عبد الحميد القدس وفلسطين فى عام ١٨٤١م بمساعدة المجترة والنمسا، وظلت تحت الحكم العثمانى حتى الحرب العالمية الأولى .

وأغلب الظن أن اليهود حاولوا استصدار أمر من محمد على باشا للسماح لهم بشراء وتملك الأراضى الزراعية والعقارات وإنشاء بعض الصناعات الخفيفة ، ولكن أعضاء مجلس القدس الشريف اعترضوا على هذا الطلب - على اعتبار أنه طلب لا مثيل له من قبل فأصدر محمد على موافقته على ما جاء فى قرار مجلس القدس الشريف ولم يسمح لليهود بعد ذلك بالبيع أو الشراء للعقارات والأراضى الزراعية ، وفى عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦٠ - ١٨٧٤م) انفصلت القدس عن تبعيتها للشام وأصبحت مستقلة تتبع الباب العالى رأساً كما أنشئ فى عهده طريق القدس يافا وطريق القدس نابلس ووصفت شوارع القدس وأسواقها .. كما قام بتجديدات فى المسجد العمرى .

وفى عهد السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ - ١٩٠٨م) .. نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا (١٨٧٧م) وفى أعقابها صدر قانون (١٨٨٢م) يحرم هجرة اليهود إلى فلسطين وشراءهم الأراضى الزراعية والعقارات هناك ثم صدر تعديل لهذا القانون يسمح لليهود بدخول فلسطين للحج وإقامة طقوسهم الدينية على ألا يبقوا فيها أكثر من

ثلاثة أشهر وبعد انعقاد المؤتمر التأسيسي لمنظمة الصهيونية العالمية فى بازل سنة (١٨٩٧م) برئاسة تيودور هرتزل الذى رسم خريطة لإسرائيل - والذى فى أعقابه عرض على السلطان عبد الحميد الثانى ، أن تسدد ديون الدولة العثمانية الباهظة بسبب الحرب مع روسيا ويدفع إلى جيب السلطان خمسة ملايين من الجنيهات مقابل السماح لليهود بوطن فى فلسطين ولما إعتذر بأنه لا يملك المساومة على فلسطين ، وليست من خاص أملاكه فى صفقة بيع وشراء تقرر عزله وإسقاط الخلافة الاسلامية وعلى أثر ذلك تحالفت الصهيونية وانضمت العالمية مع بعض الدول الغربية على خلع السلطان عبد الحميد وإبعاده إلى "سلانيك" .

وخلفه السلطان محمد رشاد الخامس (١٩٠٨م) وفى عهده نشبت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧) وانضمت الدولة العثمانية إلى جانب الألمان .. وكانت النتيجة أن خسر الأتراك الحرب وانتقلت القدس من أيديهم إلى أيدي الإنجليز فى (٩ ديسمبر ١٩١٧) .. بقيادة السير "ادمون اللنبى" بعد أن ظلت فى أيدي العثمانيين أربعة قرون - فدخلت اسما (فلسطين) تحت الحماية البريطانية حتى تسلمتها الصهيونية العالمية وكان اليهودى المتطرف "زئيف جابوتنسكى" قد إتفق على إنشاء كتيبة من المتطوعين اليهود تحارب العرب والأتراك تحت الراية البريطانية وصدر لها الأمر بالتحرك فى إتجاه فلسطين .. "فى نفس وقت صدور تصريح بلفور بإنشاء وطن قومى لليهود وبالطبع فهذا التنسيق ليس مجرد صدفة" مع الجيش البريطانى الزاحف عليها بقيادة الجنرال (السير) ادموند اللنبى وفى فبراير عام ١٩١٨م وصلت مقدمة الكتيبة اليهودية إلى فلسطين وما أن لمست أقدامهم أرض فلسطين حتى رفعوا الراية الصهيونية ذات النجمة السداسية وعليها فقرة من المزمور ١٣٧ - من المزامير المنسوبة زوراً إلى داود - " ان نسيك يا اورشليم تنسى يمينى" وكان هرتزل قد جعله شعاراً للصهيونية .

ورغم أنه فى العهد التركى افتقدت القدس لعنصر الأمن والأمان .. وتعرضت لتقلبات أمزجة الحكام وإضطهاد أهلها من قبل بعضهم ، إلا أنه كان للعهد التركى بصمات على المدينة من مختلف النواحي نذكر منها :

- أنها كانت مركزاً لقطع واسع يسمى (سنبجق القدس) وهو مؤلف من خمسة أقضية وهى :

- (١) قضاء القدس.
- (٢) قضاء الخليل .
- (٣) قضاء يافا .
- (٤) قضاء غزة .
- (٥) قضاء بئر سبع ..

وقسمت إلى ٣٨٠ قرية وخمس قبائل كبرى

- كانت تدار المدينة والقرى المجاورة لها والقبائل من قبل وزارة المالية .. وكان لقاضى القدس سلطة إدارية واسعة .. وكان يشغل الوظائف الهامة والرئيسية أترك وذوو الإقطاع من مشايخ البلاد .

- أنشأ بالقدس مجلس للشورى (١٨٤٠م) يتألف من عدد من كبار رجال الطوائف المختلفة .

كما كان فيها مجلس عمومى (١٩١١م) يتألف من عدد محدد من ممثلى الأقضية .. وكانت تمثل القدس فى البرلمان العثمانى (١٩٠٨م) بنسبة ثلاثة نواب .. إثنان من القدس والثالث من يافا .. والبرلمان مؤلف من مجلسين "مجلس للمبعوثين" ينتخبه الشعب وآخر "للأعيان يعينهم السلطان" .

- أنشأت بلدية القدس عام (١٨٦٣م) لها ميزانية يحددها السلطان وكان فى المدينة عام (١٨٧٦م) ديوان للشرطة يضم نحو ٢٢ شرطياً كلهم مسلمون .. وكان اقتناء السلاح مباح لجميع السكان ، مما كان سبباً لافتقاد المدينة لعنصر الأمن .

- اشتهرت القدس بزراعة مساحات شاسعة من أشجار الزيتون .. وكان الزيت فيها كثيراً حتى - يقال - أن سكان المدينة اضطروا فى سنة من السنين أن يسكبوا الزيت القديم ليتمكنوا من إيجاد أوعية كافية يصب فيها الزيت الجديد .. وكان الزيتون مصدراً للعديد من الصناعات .

- كانت مركزاً تجارياً هاماً يصدر العديد من السلع للدول الأوروبية منها القمح والصابون . وزيت الزيتون والسمن وورق الكرتون والأدوات المدرسية وكانت المعاملات التجارية

لاتتم بصكوك أو عقود أو تسجيل بل بالاتفاق الشفوى .

كان يدفع سكان المدينة ضرائب للأتراك وهى أنواع منها :

١ - "العشر" وتجننى من أصحاب الأراضى والمزارعين .

- ٢ - "الأغنام" تجنّى عن الأغنام والجمال المعدة للنقل .
 - ٣ - "الويركور والمسقفات" وتجنّى من ملاك الأراضي والدور المعدة للسكن والدكاكين .
 - ٤ - "التصنيع" وتحصل من أصحاب الصناعات والمهن والتجار وكانت نسبة ضئيلة جداً .
 - ٥ - "العملة المكلفين" تفرض على كل شخص يتراوح بين العشرين والستين من العمر وكان على الشخص أن يدفعها أو يؤدي خدمة عامة للمدينة كأن يشارك في تشييد بناء جديد أو إصلاح طريق .
 - ٦ - "العسكرية" وكان يحصلها الأتراك من الذميين الذين لم يعتنقوا الاسلام ويكونون في سن الجندية مقابل اعفائهم من خدمة الجيش .
 - ٧ - "الجزية" وكانت تحصل من أهل الذمة .. وكانت تفرض بدرجات متفاوتة على الأغنياء والمتوسطين والفقراء .
 - ٨ - "الغفران" وكان يدفعها الحجاج الذين يفدون إلى البلاد بقصد زيارة الأماكن المقدسة من يهود ونصارى يدفعونها عن وصولهم إلى نغريافا .
- في عهد السلطان عبد الحميد الثاني أصدر قانونا عام (١٨٨٢م) يحرم هجرة اليهود إلى فلسطين وتملكهم أراضي بها ثم عدل هذا القانون فسمح لليهود أن يدخلوا فلسطين بقصد العبادة بشرط ألا يملكوا فيها أكثر من ثلاثة أشهر وصدر قانون يمنع تجارة الرقيق عام (١٨٨٩م) .
- في عهد السلطان عبد الحميد الثاني أنشأ خط سكة حديد عام ١٨٩٢م يربط بين القدس ويافا .. وأنشأ المستشفى البلدي عام ١٨٩١م وجدد عمارة السبيل المعروف بسبيل قايتباي عام (١٨٨٢م) الكائن في ساحة الحرم على مقربة من باب القطانين .
- أولى السلاطين الأتراك عناية كبيرة بترميم قبة الصخرة وإصلاح عمارة المسجد الأقصى والمسجد العمري وتجديد أسوار المدينة وإقامة المساجد .

الإحتلال البريطاني

يرى بعض المؤرخين أن الأتراك وقعوا في خطأ كبير خلال الأيام القليلة التي سبقت احتلال القدس .. إذ أنهم بدلاً من الثبات في خنادقهم ورد الغارات التي كان يشنها

الانجليز عليهم .. بادروا بهجمات مضادة على الانجليز أنهكت وبددت جزءاً كبيراً من قوتهم .. رغم أن عدد أفراد الجيش التركي المرابط في قطاع القدس كان يقدر بنحو ١٥,٠٠٠ مقاتل .. إلا أن الإحباط واليأس قد دب في صفوفهم بسبب نفاذ المؤن والذخيرة ، فإغتنم الانجليز هذا .. وهجموا على القدس وتمكنوا أول ما تمكنوا من إحتلال بيت أكسا والتلال الكائنة حوله .. كما تمكنوا من احتلال دير ياسين ، وكانوا قد استولوا على مواضع استراتيجية أخرى إلى الشرق من وادي الصرار . وكانت بعض كتابتهم قد وصلت إلى قطاع بيت لحم واحتلت عين كارم وراحت مدافعهم تضرب القدس من جهاتها الثلاث الشمال والغرب والجنوب فأيقن الأتراك حيثئذ أنهم خسروا المعركة وأن القدس لا محالة واقعة بيد الانجليز .

عندئذ نادى المتصرف التركي عزت بك عدداً من أعيان المدينة فأخبرهم بحقيقة الأمر وحملهم الرسالة التالية :

إلى القيادة الانجليزية ..

منذ يومين والقنابل تتساقط على القدس لدى كل ملة فالحكومة العثمانية - محافظة على الأماكن المقدسة الدينية من الخراب - قد سحبت عساكرها من المدينة وأقامت موظفين ليحافظوا على الأماكن الدينية كالقيامة والمسجد الأقصى وعلى أمل أن تكون المعاملة من قبلكم أيضاً على هذا الوجه فإني أبعث بهذه الورقة مع حسين بك الحسيني رئيس بلدية القدس بالوكالة سيدي ، وفي صباح اليوم التالي انسحب الأتراك من المدينة فريق منهم انسحب عن طريق أريحا وآخرون ولوا وجوههم شطر نابلس ، وكانت السماء ماطرة وكانت تخيم على المدينة سحب قائمة من الرهبة والسكون فدخلها الانجليز (الأحد ٩ كانون أول ديسمبر ١٩١٧م) دخلوها عن طريق الشيخ بدر ، الحى الكائن إلى الغرب من المدينة . وبعد يومين دخل اللورد اللنبي المدينة من بابها المعروف بباب الخليل وأذاع من فوره على سكانها ومن على درج القلعة ، البيان التالي :

"إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي أقودها أدى إلى احتلال مدينتكم وفي الوقت الذي أذيع عليكم فيه هذا النبأ أعلن الأحكام العرفية وستبقى هذه نافذة المفعول ما دام ثمة

ضرورة حربية ولثلاثينكم الجوع ، كما نالكم على يد الأتراك أريد أن أخبركم أنني أرغب أن أرى كل واحد منكم قائماً بعمله ، وفقاً للقانون دون أن يخشى أى تدخل من أى شخص كان .

" إن مدينتكم محترمة في نظر أتباع الديانات الثلاث الكبرى وترابها مقدس في نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاث المذكورة منذ قرون وأجيال وأود أن أحيطكم علماً بأن جميع المعابد والأماكن المقدسة ستصان وفقاً للعنات المريعة وبالنسبة إلى تقاليد الطوائف التي تملكها .. ويذكر أن أول عمل قام به الإنجليز بعد احتلالهم المدينة أن نصبوا عند مدخلها من الغرب ذلك المدخل الذي دخلوها منه ، وهو المعروف بحى الشيخ بدر ، نصبوا من الرخام الأبيض تذكاراً لفتحهم نقشوا عليه اسم اللورد اللبى والتاريخ الذي فتحت فيه المدينة على يده ، وأنشأوا حول النصب حديقة ، وأرادوا أن يرفعوا على النصب صليباً إلا أنهم عادوا فعدلوا على ذلك إستجابة لرغبة اليهود ووضعوا الصليب بشكل لا يراه الناظر من بعيد .

وفي بداية إحتلال الإنجليز للقدس حكموها حكماً عسكرياً حتى بعد إعلان الحكم المدني تدار بأيدٍ إنجليزية .. وقد فوجئ العرب بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى بعدم تحقيق آمالهم فى الاستقلال وفوجئوا بظهور وعد بلفور المشؤم فى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ بإنشاء وطن قومي لليهود فى فلسطين .. هذا الوعد الذى منحه الإنجليز على لسان وزير خارجيتهم اللورد بلفور إلى اليهود بوساطة زعيمهم روتشيلد ، إذ أرسل إليه كتاباً قال فيه :

عزيزى اللورد روتشيلد .

يسرنى جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك بأن حكومة جلالته تنظر بعين الرضا إلى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي فى فلسطين وتبذل الجهود فى سبيل ذلك على أن لايجرى شيء يضر بالحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود فى فلسطين أو يضر بما لليهود من الحقوق والمقام السياسى فى غيرها من البلدان .

والغريب فى الأمر أن هذا الوعد الذى أعطى بتاريخ ٢ تشرين الثانى ١٩١٧ بقى فى طى الخفاء فلم يذع إلا بعد أن احتل الإنجليز القدس فى ٩ كانون أول ١٩١٧ ووضعت الحرب أوزارها ولم يعد الإنجليز فى حاجة لرضا العرب سكان البلاد .

فراح هؤلاء يتساءلون : أين هذا من الوعد الذى قطعتة إنجلترا للملك حسين يوم طلب منها مكافأة لقيامه ضد الأتراك "أن تعترف باستقلال البلاد العربية من مرسين حتى الخليج الفارسى شمالا ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً ومن المحيط الهندى للجزيرة جنوباً ومن البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى سيناء غرباً .." لا بل أين هو من الثورة نفسها التى أعلنها الحسين بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩١٦ والتى قال عنها اللورد اللبى فى تقريره الذى رفعه إلى وزارة الحرب فور إنتهاء القتال : "إنها ساعدت الحلفاء مساعدة كبيرة فى الحصول على نتائج فاصلة فى الحرب"

وما كادت أنباء وعد بلفور والوطن القومى اليهودى تذاع فى القدس وفى سائر أنحاء فلسطين ، حتى راح الناس يعلنون سخطهم واستنكارهم وتزعزعت ثقتهم ببريطانيا ، فاندلعت الثورات .. والمظاهرات فى أنحاء المدن الفلسطينية .. وعقدت الجمعيات الإسلامية والمسيحية فى يافا مؤتمراً عاماً سنة ١٩١٩ قرر فيه المجتمعون أن ينضموا لسوريا وفى ٤ أبريل سنة ١٩٢٠ حدثت اضطرابات قتل فيها ٩ من اليهود ، و٤ من العرب وجرح فيها ٢٥٠ يهودياً ، و٢١ عربياً ، فأعلنت بريطانيا الأحكام العرفية وتألقت محاكم عسكرية لمحاكمة الشباب الثائر ، واضطرت الحكومة البريطانية إلى إنشاء إدارة مدنية بالقدس وتقرر فى مؤتمر سان ريمو فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٠ بأن تتحول فلسطين إلى محمية بريطانية ووصل أول مندوب سام فى أول يوليو وهو السير هربرت صمويل Herbert Samuel وهبط إلى القدس فى حراسة الطائرات والدبابات خشية أن يغتاله العرب لأنه فى الأصل يهودى إنجليزى ومما فعله أن حظر على السكان العرب حمل السلاح ، فى الوقت الذى ذود فيه المستعمرات اليهودية بالسلاح ودربهم على القتال وجعل اللغة العبرية مع العربية والإنجليزية من اللغات الرسمية وفتح باب الهجرة لليهود

حتى بلغوا فى عهده نحو ١٠٠,٠٠٠ وسمح لهم بشراء الأراضى كيفما شاؤا وزادت أملاكهم فى القدس وصرح لشركة الإنجليزية يهودية بشراء حق إضاءة المدينة مع قطاعاتها (رام الله - بيت لحم - بيت جالا) من رجل يونانى كان قد حصل على هذا الإمتياز فى العهد التركى وكانت له اليد الطولى فى أن أصرت بريطانيا فى دستور سنة ١٩٢٢ على أن فلسطين وطن قومى لليهود ، وقد عانت القدس كثيرا من مظالم هذا المندوب ، وعملت السلطة الإنجليزية فى تدابيرها الصارمة القاسية للحد من الشعور الوطنى ، ولتوطيد دعائم الوطن القومى اليهودى ليس فى يافا فقط أو القدس وحدها .. إنما فى فلسطين كلها .. فراحت تزود المستعمرات اليهودية بالسلاح والعتاد والذخيرة وتدريبهم على القتال ، فى حين حظرت على أهل الأرض المحتلة حمل السلاح وفرضت عليهم عقوبة السجن المؤبد والاعدام .

وجعلت اللغات الثلاث ، العربية والعبرية والإنجليزية ، لغات البلاد الرسمية وفتحت باب الهجرة لليهود فدخل فلسطين منهم فى السنوات الخمس الأولى خمسون ألفا ومعنى ذلك أن عددهم تضاعف فى عهد المندوب السامى الأول فأصبحوا مئة ألف واختار معظمهم الإقامة فى بيت المقدس .

وفى (٢٥ حزيران ١٩٢١) عقد فى القدس مؤتمر كبير رفض فيه الانتداب وإلغاء وعد بلفور وطالبوا بإستقلال فلسطين وإقامة حكم نيابى ديمقراطى فيها على أن تتحد مع البلاد العربية الأخرى وسافر وفد منهم الى الغرب حاملاً معه هذه القرارات ولم يترك الوفد فى إنجلترا وفى سائر أنحاء أوروبا باباً إلا طرقه ، ولكنه وجد الأبواب كلها موصدة .

ونجح الإنجليز واليهود فى ضرب الأحزاب الفلسطينية بعضها البعض ، فانشغلت بخلافاتها الداخلية فى حين راح الإنجليز يدعمون سلطتهم ويقون استعمارهم .. كما اغتنم اليهود الفرصة ، وراحوا يدعمون دعائم وطنهم القومى الذى كان هدفه ليس إمتلاك القدس وحدها .. بل سائر الأراضى الفلسطينية .. وبينما العرب يعانون من التشتت والحيرة فرضت عصبة الأمم المتحدة على فلسطين نوعاً من الحكم فى (٢٤ تموز ١٩٢٢م) أسمته الإنتداب وعهدت إلى بريطانيا بإدارته نيابة عنها ، على أن يبدأ هذا الإنتداب فى ٢٩ ايلول ١٩٢٣ ، وجاء فى ديباجة وثيقة الانتداب ...

" إن دول الحلفاء وافقت على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذى صرحت به حكومة جلالة ملك بريطانيا فى ٢ تشرين الثانى ١٩١٧م بأن ينشأ فى فلسطين وطن قومى للشعب اليهودى على شريطة أن لايفعل شيء يضر الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة فى فلسطين الآن ولا الحقوق والمركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى " .

ومنحت المادة الأولى منه " السلطة التامة للدولة المنتدبة فى التشريع والإدارة إلا حيث أقيمت لهما حدود فى نصوص صك الانتداب هذا" .. وقد نصت المادة الثانية من الصك نفسه على أن "تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد فى أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومى اليهودى وترقية أنظمة الحكم الذاتى وضمان الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الأجناس والأديان" .

عندئذ أيقن الفلسطينيون أن المحتل صديقة العرب خانتهم ، وأن الاستقلال الذى كانوا ينشدونه والذى لولاه ما خرجوا على الترك ولا إنضموا لثورة الحسين قد أصبح حلمًا يصعب تحقيقه.. ومن الجدير بالذكر أن عصبة الأمم لم توافق على الإنتداب البريطانى فى فلسطين إلا بعد تحفظ صريح على وعد بلفور ، يقضى بإستبعاد إنشاء دولة يهودية فى فلسطين وقد قدم مجلس إدارة المنظمة الصهيونية إقراراً بذلك ، فقدمته بريطانيا بدورها إلى عصبة الأمم .

وجاء حاكم آخر هو "مارشال بلومر" عام ١٩٢٥ فأدار الأرض المحتلة بنظام عسكري صارم .. وأكثر من عدد الموظفين الإنجليز وفى عام ١٩٢٥ حدث زلزال عنيف بالقدس قتل الكثير من سكانها وهدم أجزاء منها .. فى ١٥ أغسطس قامت عدة اضطرابات عرفت باسم (ثورة البراق) عندما حاول بعض اليهود وضع بعض الكراسى والمصابيح والسناثر فى ساحة الحرم الشريف بالقرب من حائط المبكى متجاهلين بذلك العرف السائد من عدة قرون وجرح فى هذه الاضطرابات عدد كبير من اليهود والعرب .. وتدخلت الحكومة .. وهذأت القضية لكن ما لبثت أن اشتعلت فى عهد حاكم القدس السير جون نشانسلى فعقد المسلمون مؤتمراً اسلامياً فى تلك السنة بالقدس، احتجوا فيه على تصرفات اليهود فأرسل وزير المستعمرات البريطانى لجنة الى القدس (لجنة البراق)

وبعد تحقيق فى الأوضاع دام أكثر من شهر بذلت فيه اللجنة جهداً كبيراً فى سبيل تحرى الحقائق والإستماع إلى وجهتى النظر العربية واليهودية والاطلاع على المخطوطات العربية القديمة وضعت اللجنة تقريراً عام ١٩٢٨ يقرر بكل صراحة ضرورة الإحتفاظ بالوضع الراهن للقدس على أساس .

- أن للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط العربى للمسجد الأقصى (المبكى) ، ولهم وحدهم الحق العينى فيه لأنه يؤلف جزءاً هاماً من هذا المسجد .
- للمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام حارة المغاربة لكونه موقوفاً حسب الشرع الاسلامى لجهات البر .
- أدوات العبادة التى يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط لايجوز بأى حال من الأحوال أن تعتبر - أو أن يكون من شأنها ترتيب حق عينى فى الحائط أو الرصيف المجاور له .

وهذا القرار الدولى له أهمية كبرى كوثيقة دامغة لإبراز عروبة القدس وفى إثبات ملكية العرب لهذا المكان المقدس .. ولم يُرض اليهود بالطبع هذا القرار .. بل راحوا يتحدثونه علناً .. كما تحدوا العرب أيضاً فتنشط اليهود فى شراء الأراضى الفلسطينية وزادت الهجرات اليهودية لفلسطين بحجة وجود أعمال تجارية بها ومنح اليهود حقوق لا حق لهم فيها ، وقامت فى القدس ونابلس ويافا والخليل وسائر أنحاء فلسطين (شهرآب ١٩٢٩) ثورة عارمة ضد الحكومة وضد الوطن القومى لليهود ، فحدثت مصادمات عنيفة قتل فيها عدد من اليهود وبالمقابل عدد كبير من العرب المسلمين والمسيحيين ودمرت ستة مستعمرات يهودية تدميراً كاملاً .. إلا أن المحكمة أدانت العرب وصدرت بخصوصهم أحكام بالإعدام والسجن المؤبد ، فأرسلت عُصبة الأمم المتحدة (عام ١٩٣٠) لجنة دولية برئاسة السير وولترشو وحضر معها ثلاثة أعضاء يمثلون الأحزاب البريطانية الثلاثة .. ونزلوا بالقدس ودرسوا المشكلة من مختلف جوانبها والتى أدت لتفاقم الأمور وأصدرت قرارها فى (آذار ١٩٣٠) برقم (CMD ٣٥٣٠) نذكر بعض نقاط منه :

- ١ - الفتنة نتيجة حتمية لمخاوف العرب ومخاوفهم ناجمة عن إعتقادهم بأن السياسة المتبعة بشأن الهجرة والأراضى ستؤدى حتماً إلى إخضاع العرب التام ،

- وإخراجهم من بلادهم كما أنها ستحرمهم يوماً من وسائل معيشتهم .
- ٢ - إن هذا الخوف وذاك الاعتقاد سيكونان سبباً في اضطرابات أخرى لابد أن تقع في المستقبل .
- ٣ - إن الأزمة التي وقعت في سنتي ١٩٢٧ - ١٩٢٨ نشأت في الواقع بسبب قدوم عدد من المهاجرين إلى البلاد أكثر مما تستطيع أن تستوعبه وهذا ما قاله السرجون كامبل أحد الخبراء في مسائل الإستعمار الذين عينتهم لجنة الأبحاث العامة المشتركة تلك اللجنة التي ألفتها الجمعية الصهيونية بالاشتراك مع الزعماء اليهود غير الصهيونيين في أمريكا سنة ١٩٢٧ .
- ٤ - إذا أُجيب اليهود إلى طلبهم وسمح لهم بإدخال ٢٥,٠٠٠ مهاجر في السنة ، فانهم يصبحون أكثرية في سنة ١٩٤٨ .
- ٥ - يتوق اليهود إلى إيجاد دولة يهودية في فلسطين ، سواء في ذلك المتطرفون والمعتدلون وإن اختلفوا في الطريق التي يجب السير عليها توصلأ لهذه الغاية .
- ٦ - يجب أن تكون الهجرة إلى فلسطين متناسبة مع مقدرة البلاد الإقتصادية بحيث لا يصبح المهاجرون عبئاً على أهالي فلسطين ويجب أن يؤخذ رأى الهيئات غير اليهودية في مسائل الهجرة .
- ٧ - إن التدابير التي إتخذتها حكومة فلسطين لحماية حقوق المزارعين العرب ومنها قوانين إنتقال الأراضي في ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٩ لم تأت بالغاية المتوخاة فقد بقي عدد كبير من المزارعين بسبب انتقال مساحات واسعة من الأراضي العربية إلى أيدي يهودية بلا أرض يعيشون منها وفي هذا ما فيه من دليل على تقصير حكومة فلسطين .
- ٨ - منحت بريطانيا العراق والأردن الحكم الذاتي وحرمت فلسطين من هذا الحق بسبب وعد بلفور وهذا ما جعل العرب يعتقدون أن وجود اليهود بفلسطين حجر عثرة في سبيل تحقيق أمانهم القومية، وهم يعتقدون اعتقاداً جازماً أن الوعد الذي قطعه مكماهون بالاستقلال يشمل فلسطين .
- ٩ - وقصارى القول أن الشعب العربى في فلسطين يطالب بحكومة نيابية وهو متحد

فى طلبه هذا وأن شعور الاستياء الذى يسوده ناشئ عن حرمانه من حق الحكم الذاتى وأن هذا الشعور ساعد على وقوع الاضطرابات الأخيرة ، اذ يجب على الحكومة أن لا تتجاهل ذلك عندما تبحث فى التدابير الواجب إتخاذها لإجتناى وقوع مثل هذه الاضطرابات فى المستقبل .

هذا هو ملخص التقرير الذى رفعته لجنة شو إلى الحكومة البريطانية وبناء على توصية هذه اللجنة هبط القدس بعد قليل (أيار ١٩٣٠) السرجوم هوب سمبسون بوصفه خبيراً فى مشاكل الأراضي وبعد أن درس الوضع درساً دقيقاً رفع إلى حكومته تقريراً جاء فيه :

- ١ - إن الأراضي التى بيد العرب لا تكفى لسد حاجاتهم .
 - ٢ - إن الأسرة العربية الواحدة فى فلسطين تحتاج إلى ١٣٠ دونما من الأرض لتمكن من القيام بأودها وهى لا تملك الآن سوى ٩٠ دونما .
 - ٣ - إن الأراضي التى بيد اليهود تزيد على حاجتهم .
 - ٤ - إن الأرض التى يشتريها اليهود من العرب تبقى بأيديهم إلى الأبد فلا يبيعونها ولا يؤجرونها إلا إلى اليهود ، وعندما تؤجر إلى يهودى يشترط عليه أن لا يستخدم أى عربى فيها .
 - ٥ - يدخل البلاد سنوياً بالإضافة إلى المهاجرين الشرعيين عدد كبير من المهاجرين بطريق التهريب وهذا يزيد مشكلة الأراضي سوءاً .
- ووصل التقريران إلى الحكومة البريطانية فأصدرت بياناً أسمته (الكتاب الأبيض) فى (٢٤ تشرين الأول ١٩٣٠) جاء فيه :
- ١ - المقصود من (الوطن القومى اليهودى) فى فلسطين زيادة رقى الطائفة اليهودية وليس معناه فرض الجنسية اليهودية على فلسطين إجمالاً .
 - ٢ - من العيب أن يلح زعماء اليهود على حكومة جلالته كى تسير فى سياستها فيما يتعلق بالمهاجرة والأراضى حسب أمانى المتطرفين من الصهيونيين فإنها إذا ما فعلت ذلك تكون قد أخلت بواجبها إزاء غير اليهود من أهالى فلسطين .
 - ٣ - لا يمكن السماح بهجرة يهودية تزيد على مقدرة البلاد الاقتصادية .

- ٤ - إن للوكالة اليهودية بموجب المادة « ٤ » من صك الانتداب حق النصح والمعونة وليس لها حق الاشتراك في حكم البلاد .
- ٥ - يجب في الوقت نفسه إيجاد الوسائل التي تصون مصالح السكان غير اليهود صيانة تامة وأن يتاح لهؤلاء السكان أيضاً الفرصة لتقديم المشورة للحكومة فلسطين فيما يتعلق بتلك المصالح .
- ٦ - إن الالتزامات المفروضة في صك الانتداب بشأن الفريقين متساوية .
- ٧ - إن حكومة جلالتها ترى أن الوقت قد حان للسير في مسألة منح فلسطين نوعاً من الحكم الذاتي وبناء على ذلك فهي تنوى أن - تشكل مجلساً تشريعياً يتمكن العرب فيه من وضع آرائهم الاجتماعية والاقتصادية أمام الحكومة بوسائل دستورية .
- ٨ - ليس في فلسطين في الوقت الحاضر أية أرض ميسورة لاستقرار المزارعين من المهاجرين الجدد ومساحة الأراضي المحلولة التي تملكها الحكومة ليست مما يعتد بها .
- ٩ - إن السياسة التي تتبعها الوكالة اليهودية فيما يتعلق بشراء الأراضي واستغلالها وتأجيرها لا تتفق مع التصريح الذي أدلى به المؤتمر الصهيوني في سنة ١٩٢١ بأن الشعب اليهودي يرغب في أن يعيش مع الشعب العربي بصلات صداقة وإحترام متبادلين .
- ١٠ - دخل البلاد كثير من الأشخاص دون أن يحصلوا على التأشيرة (الفيزا) اللازمة لدخولهم ، كما دخلها وبقي فيها كثيرون ممن سمح لهم بالاقامة المؤقتة فقط ذلك لأن الحكومة لاتراقب الحدود ومرافق البلاد مراقبة فعالة .
- ١١ - يتحتم على الدولة المنتدبة إما أن تخفض المهاجرة أو أن تمنعها في الحالات الضرورية ذلك لأن المهاجرة غير المحددة تسبب حرمان السكان العرب من الحصول على الأشغال الضرورية لمعيشتهم .
- ١٢ - ليس ثمة أمل في تحسين العلاقات المتبادلة بين الشعبين ، ولا في تحقيق الوطن القومي اليهودي إلا إذا توطدت الطمأنينة والرفاهية وبذلك يسود الرخاء والسلام في فلسطين .

إن ما جاء فى الكتاب الأبيض يحصن الحركة الصهيونية .. وترتب عليه فور نشره قلة عدد المهاجرين اليهود .. بل خرج عدد كبير منهم مهاجرين إلى الخارج فى حين نشطت الحركة الوطنية الفلسطينية المطالبة بالحكم الذاتى .

لكن الحكومة البريطانية بجرة قلم - على حد التعبير الدارج - محت ما جاء فى الكتاب الأبيض " إذ أصدر رئيسها المستر رمزى مكدونالد بياناً فى ١٣ شباط ١٩٣١ نصه يلغى القرارات السابقة .

لكن لم يتوان الشعب العربى الفلسطينى بجهد ولا تضحيات فى سبيل إلغاء الانتداب ومقاومة الخطر الصهيونى طيلة عهد الاحتلال البريطانى (١٩١٧ - ١٩٤٧) وتعددت سبل المقاومة العربية من إضراب إلى عمليات فدائية وثورة علنية .. وراح رجال الدين الاسلامى والمسيحى يعظون الناس فى المساجد والكنائس لمقاومة المحتل الغاصب وكان اليهود لا يستطيعون التنقل أو السير من مكان الى آخر إلا فى سيارات مصفحة . لكن السلطة الانجليزية كانت طوال الاعوام متحيزة لليهود مؤيدة لهم فى مشروعاتهم ووطنهم القومى .

وقد ظلت القدس القديمة والأجزاء الشرقية من القدس الحديثة فى يد الإدارة العربية الأردنية حتى سنة ١٩٦٧ وقد ازدهرت المدينة فى عهدها جداً ، وتقسم القدس الى ثلاثة قطاعات : القطاع الشرقى (وهو القطاع المحتل الآن) ويتألف من جزئين أولهما المدينة القديمة داخل السور وبها بيوت العبادة المسيحية والاسلامية أما الجزء الثانى من القدس العربية فهو صغير ونظيف ومرتب ومعظمه مناطق سكنية ويضم منطقة جبل الزيتون وتقام عليه البنوك والفنادق الحديثة والكاتدرائية الإنجيلية ومقر محافظة القدس العربية (الذى أصبح مؤخراً مقراً للقيادة العسكرية اليهودية بعد عدوان الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ وكل سكانه من العرب) .

أما القطاع الغربى من القدس الحديثة خارج الأسوار فقد سقط تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلى منذ سنة ١٩٤٨ (ويسمى بالقدس الجديدة) وهذه المنطقة بدأ التوسع فيها لإقامة مدينة جديدة منذ سنة ١٨٥٨ فأقيمت فيها تباعاً أديرة للروم الكاثوليك والأرثوذكس وكان أهم مبانيها فى أواخر القرن الماضى تلك الخاصة بالربان الروس وكان بعض اليهود قد

هاجروا إلى هذه المنطقة، ولكن حينهم تهدم أثناء حرب سنة ١٩٤٨م وقد إمتدت الأحياء السكنية شمال الأسوار، فأقيمت المساكن في حى الطالبية وفي طريق جبل سكوبس العربى الذى حاولت إسرائيل السيطرة عليه بعد أن اعتدت على منطقة جبل المكبر بجنوب القدس سنة ١٩٥٧ وكانت منطقة منزوعة السلاح وواقعة تحت إشراف الأمم المتحدة طبقا لإنفاقية الهدنة ، وفى ٢٣ يناير سنة ١٥٠ قررت إسرائيل إعتبار القطاع المحتل من القدس الجديدة عاصمة لها بدلاً من تل أبيب وظلت تنقل إليها مكاتب حكومتها تدريجيا حتى سنة ١٩٦٧ وطالبت السفارات الأجنبية بنقل مقارها إلى العاصمة الجديدة ولكن أكثرها رفض لعدم الموافقة على أن هذا يرجع للأصل الصهيونى ، وفى عهد الإحتلال شيد اليهود فى القدس الجديدة الكثير من المباني الحديثة العالية وشقوا الطرق الواسعة المرصوفة وأقاموا فيها حتى الآن نحو مائة مصنع تضم صناعات الأدوية والأحذية والزجاج والأقلام والنسيج والأخشاب والمواد الغذائية المعلبة وصناعات أخرى كالسباكة والطباعة وديج الجلود وغيرها .. وبلغ سكانها من اليهود ١٤٩,٠٠٠ عام ١٩٥٨ .

ومن الجدير بالذكر أنه أثناء حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ اعتدى اليهود بالقنابل على الأماكن المقدسة المسيحية والإسلامية وفيمايلى نص الوثيقة التاريخية التى أصدرتها لجنة ممثل اتحاد الطوائف المسيحية فى القدس سنة ١٩٤٨ بهذا الشأن : "لقد اشتعلت الحرب فى مدينة القدس وما كنا لتوقعها وذلك لأن مجلس الأمن وهيئة الأمم ولجنة هدنة القدس كانوا قد وعدونا بهدنة تحمى هذه المدينة وأماكنها المقدسة من ويلات الحرب وما يلحقها من خراب ودمار إذ أن الطرفين المتحاربين وقعا أمام لجنة الهدنة المذكورة وأمام ممثلى الصليب الأحمر على تعهد بوقف إطلاق النار لمدة ثمانية أيام اعتباراً من الساعة التاسعة من مساء ١٤ / ٥ / ١٩٤٨ وأعلنت القيادة ذلك بواسطة مكبرات الصوت فساد الهدوء فى الجبهات العربية تنفيذا لهذا الإتفاق ولكن اليهود لم يكتروا لهذا الاتفاق الذى وقعه زعمائهم وتابعوا إطلاق النار والعرب لايجيبون مما جراً اليهود على التقدم لاقتحام الخطوط العربية الأمامية ومهاجمة المدينة المقدسة .

وهكذا أصبحت مدينة القدس مسرحاً لمعارك رهيبية وتدميرات، فصارت الكنائس والأديرة والمؤسسات الدينية هدفاً لتيران المدافع وطلقات الرصاص فتهدم بعض هذه المباني

وأصيب الكثير من النساء والأطفال والشيوخ والرهبان بشظايا القنابل التى كانت تطلق بغير هدف فأمام هذه الحوادث المروعة رأينا نحن ممثل الطوائف المسيحية أن من واجبنا المقدس أن نرفع الصوت عاليا بالاحتجاج على انتهاك حرمت كنائسنا وأديرتنا ومؤسساتنا التى تهدم بعضها وصار البعض الآخر طعمة للنار .

وعدد البيان المسيحي أماكن الأديرة والمؤسسات الدينية التى إحتلها اليهود واتخذوها معاقلا يطلقون منها النار على القدس دون مراعاة لأى حرمة مقدسة وأكد البيان على أن :

أ - إن اليهود هم الذين بدأوا واحتلوا الأماكن المقدسة واتخذوها قواعد حربية ..

يطلقون منها النار على المدينة المقدسة .. محاولين إحتلالها والإستيلاء عليها ولا يزال اليهود حتى يومنا هذا يحتلون هذه الأماكن .

ب - إثباتاً للحقيقة نقول لقد صرح العرب أنهم يحترمون الأماكن المقدسة والكنائس والأديرة .. وبالفعل احترموها إلى الآن فنوجه نداءنا إلى الهيئات الدينية والسلطات السياسية وإلى الضمير الانساني فى العالم المتمدين لكى يضع حدا لهذه الفضائح فى المدينة المقدسة .. صوناً لأماكنها المقدسة التاريخية .

وقد انتهت هذه الوثيقة بتوقيعات كل من ممثل بطريركية اللاتين .. وبقية ممثلى الكاثوليك والروم الأرثوذكس والأقباط والسريان الأرثوذكس .

الاستيطان الصهيوني

عملت الدوائر الاستعمارية الدولية على تعميق وتشجيع الاستيطان اليهودى بفلسطين .. ولكن الإستجابة اليهودية الأولية لمشاريع الاستيطان إقتصرت على الطبقة البرجوازية من اليهود ذات المصلحة المشتركة مع الجماعات الأوروبية الحاكمة ، فإستغلنا معا رغبة يهود شرق أوروبا فى الهجرة منها فى "النصف الثانى" من القرن ١٩ ، حيث قامت فى بعض الدول الأوروبية وروسيا جمعيات تتخذ من الهجرة إلى فلسطين تجسيدا وشعاراً لحب صهيون ولإعلاء كلمة اليهودية فى العالم .. على أسس استهدفت تحويل

فلسطين وطن قومي لليهود ولن يتحقق هذا إلا بإمتلاك اليهود للأراضي والتوسع في إنشاء المستوطنات عليها وإحياء اللغة والثقافة العبرية فيها .. وقد نظم المستوطنون أنفسهم داخل المستوطنات كمجتمع مستقل له كافة منشآته وخدماته وينظمون حياتهم على نمط أوروبى ، لكنهم يظهرون ميولاً عنصرية ومطامع توسعية طموحة .. بعض الباحثين المتخصصين فى التاريخ الحديث قسموا حركة الاستيطان الصهيونى إلى ثلاثة مراحل هى :

١ - **الاستيطان غير المنظم** : وهذه المرحلة بدأت منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر .. وكانت صلة اليهود بفلسطين قبل هذه المرحلة صلة دينية عاطفية تقوم على فكرة ظهور المسيح المنتظر الذى سيعيد بناء الهيكل فى القدس .. لكن البرجوازية اليهودية فى غرب أوروبا وجدت فى إستيطان فلسطين وسيلة للتخلص من عبء فقراء اليهود الذين وفدوا من شرق أوروبا بأعداد متزايدة خوفاً من أن تؤثر هجرة اليهود الفقراء على الحقوق والإمتيازات ، التى تتمتع بها البرجوازية اليهودية فى مجتمعات أوروبا الغربية .. وفى أعقاب الثورات التى نشبت فى الأقطار الأوروبية عام ١٨٤٨ إستخدمت البرجوازية اليهودية الفكرة القومية العنصرية فى دعوتها لاستيطان فلسطين .. وتميزت هذه المرحلة من مراحل بواكير الاستيطان بتضافر المبادرات والجهود الفردية وإتخاذها شكلا خيرا لتحسين أوضاع اليهود فى القدس .. ومن أبرز مشاريع الاستيطان غير المنظم :

(أ) **مشروع مونتفيورى** : فقد قام السير موسى مونتفيورى عام (١٧٨٤ - ١٨٨٥) بدعم من الحكومة البريطانية بوضع مشروع واسع لتوطين اليهود فى فلسطين ، فأطلع محمد على باشا - حاكم مصر - وولده إبراهيم عام (١٨٣٧) على مشروعه الذى يتضمن الحصول على إمتياز إستئجار نحو (٢٠٠) قرية من منطقة الجليل لمدة خمسين عاما فى مقابل دفع ٢٠٪ من إنتاجها ، والسماح بإرسال خبراء لتدريب اليهود على أعمال الزراعة والصناعة .. ولكن الحكم المصرى فى بلاد الشام منع اليهود من شراء الأراضي الزراعية فى فلسطين بقصد تملكها .

(ب) **مشروع لورنس أوليفانت** : دعا لورنس أوليفانت (١٨٢٩ - ١٨٨٨) الحكومة البريطانية والدولة العثمانية عام ١٨٧٩ إلى دعم مشروعه بإسكان المهاجرين

اليهود فى ضواحي القدس للمساهمة فى إعمارها ولتمكين الدولة العثمانية من الاستفادة من الثروات والخبرات اليهودية التى ستحول الأرض القاحلة الى أرض عامرة تكون وسيلة لإعمار ما حولها وبذلك تبرهن الدولة العثمانية على نيتها الصادقة فى الإصلاح، ولذلك طلب السماح لجماعة من اليهود العثمانيين لإنشاء شركة عثمانية خالصة تقوم بإعمار لواء القدس وتطوير الصناعة والتجارة والزراعة فيه .

وعندما زار أوليفانت رومانيا عام ١٨٧٩ حث السكان اليهود فيها على تأييد مشروعه الإستيطاني ، ثم توجه إلى استانبول مزوداً برسائل توصية من رئيس الحكومة البريطانية ومن وزيرى خارجية بريطانيا وفرنسا لإقناع السلطات بإنشاء شركة لتوطين اليهود فى فلسطين تتمتع بحماية السلطان العثماني والحكومة البريطانية "لأن الأمة التى تقف إلى جانب اليهود وتدعم مسألة عودتهم إلى فلسطين ستكسب دعمهم فى المجالات المالية وتأييدهم على الصعيد الإعلامى فى مختلف بلدان العالم .

وخلاصة مشروع أوليفانت كما وصفه فى كتابه أرض جلعاد The Land of Gilead عام ١٨٨٠ تضمن فصل البلقاء عن لواء نابلس ليستطيع رعايا السلطان اليهود إستغلال أراضى البلقاء (فى شرق الأردن) بالأموال والخبرات التى سيحضرونها معهم ، وستبيع الدولة العثمانية الأراضى الأميرية بثمانها وستحصل الضرائب السنوية وستبعد البدو عن المنطقة وتفرض نفوذها المباشر على المناطق الصحراوية المجاورة ولكن أوليفانت أخفق فى الحصول على موافقة السلطان عبد الحميد على مشروعه .

(ج) وليم هشلر (١٨٤٥ - ١٩٣١) : اهتم هشلر المؤيد لمشاريع الإستيطان اليهودى فى فلسطين بجمع التبرعات المادية وإرسالها إلى جمعيات "أحباء صهيون" لتشجيع اليهود على الإستيطان فى فلسطين تحت الحماية البريطانية وفى عام ١٨٨٤ نشر دراسة بعنوان إرجاع اليهود إلى فلسطين حسبما ورد فى أسفار الأنبياء ، إستعرض فيها الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة ليهود روسيا ورومانيا ودعاهم إلى الهجرة إلى فلسطين والإستيطان فيها .

والى جانب الجهود الفردية السابقة وجدت فى أوروبا جمعيات يهودية مثل

"الإتحاد الإسرائيلي العالمى" (الاليانس) الذى تأسس عام ١٨٦٠ فى باريس وهو منظمة يهودية عالمية لحماية أحوال اليهود وتحسينها فى كل مكان ثم إنحصر هدفه فى مساعدة اليهود فى فلسطين والعمل على زيادة عددهم فيها بكل وسيلة ممكنة وقام آل روتشيلد فى فرنسا بدور مهم فى توجيه سياسة الإتحاد نحو المصالح الإستعمارية الفرنسية .

وكان النائب اليهودى فى البرلمان الفرنسى أدولف كريميه قد حصل على فرمان من السلطان عبد العزيز عام ١٨٦٨ بالسماح للاليانس باستئجار ٢٦٠٠ دونم بالقرب من يافا لمدة ٩٩ عاما ، وفى عام ١٨٧٠ أقام الإليانس عليها أول مدرسة زراعية سميت "مكفا إسرائيل" وتعنى بالعربية "أمل إسرائيل" بتمويل من البارون آدموند دى روتشيلد والبارون موريس دى هيرش وساهمت المدرسة فى تدريب المهاجرين اليهود على الزراعة ، وأقام الاليانس عدة فروع له فى أوروبا الغربية وفى عام ١٨٧١ إستقل فرع لندن مكوناً "الإتحاد اليهودى الانكليزى" .

وفى عام ١٨٧٨ قامت مجموعة من يهود القدس بشراء ٣٣٧٥ دونما من أراضى قرية ملبس التى يمتلكها أحد تجار يافا وتم تسجيل الأرض ، باسم يوثيل سلومون النمساوى الجنسية وفى العام التالى (١٨٧٩) وضع اليهود أيديهم بالطريقة نفسها على منطقة مجاورة بلغت عشرة آلاف دونم حيث أقام اليهود على هاتين القطعتين مستوطنة بتاح تكفا وتعنى بالعربية "باب الأمل" .. كما تأسست جمعيات ومنظمات أخرى فى سائر مدن أوروبا الشرقية وقد تنافست هذه الجمعيات فى تأسيس فروع لها بهدف جمع الأموال لمساعدة اليهود على الإستيطان فى فلسطين وتأسيس المستوطنات والمدارس الزراعية والصناعية فيها لاسيما بعد أن سجلت الهجرة اليهودية فى عام ١٨٨١ - بداية جديدة وحاسمة فى أوساط طلاب الجامعات اليهود فى أوروبا الشرقية فعملت جمعيات أحباء صهيون على تنظيم الهجرة إلى فلسطين وتنشيطها على أساس قومى ووصل فلسطين فى البداية حوالى ثلاثة آلاف يهودى كان من بينهم عدد من الشباب الجامعى الذين إنظموا فى حركة بيلو Bilu التى تأسست عام ١٨٨٢ ، وهى الأحرف الأولى لجملة فى التوراة تقول : "يا بيت يعقوب تعال ودعنا نسير" .

وكان من أهم نتائج حركة "أحباء صهيون" الشروع فى إنشاء مستوطنات صهيونية وصل عددها إلى ثمانى مستوطنات خلال الفترة ١٨٨٢ - ١٨٨٤ ، وقاوم عرب فلسطين منذ البداية الغزو الصهيونى ففى عام ١٨٨٦ هاجم الفلاحون العرب المستوطنات الصهيونية التى أقيمت فى أراضيهم التى طردوا منها فأدى ذلك إلى فرض قيود جديدة على هجرة المستوطنين اليهود عام ١٨٨٧ .

وكان متصرف القدس رؤوف باشا (١٨٧٧ - ١٨٨٩) قد بذل جهودا كبيرة لمنع إنتقال الأراضي فى متصرفية القدس ولكن خلفه رشاد باشا (١٨٨٩ - ١٨٩٠) ، ولم يتشدد مثله ، مما أدى إلى إندفاع اليهود إلى شراء الأراضي ولذلك قدم وجهاء القدس العرب شكوى إلى السلطات العثمانية فى إستانبول فى ٢٤ تموز / يوليو ١٨٩١ ضد هجرة اليهود الآخذة فى الإزدياد فصدرت أوامر الأستانة فى تشرين الثانى / نوفمبر ١٨٩٢ إلى متصرف القدس تقضى بمنع بيع الأراضي الأميرية وحظر شراء العقارات فى لواء القدس من قبل اليهود .

٢ - الاستيطان المنظم : قد بدأت هذه المرحلة منذ عام ١٩٠٠ حيث أن البارون إدmond روتشيلد تخلى عن إدارة المستوطنات التى أسهم فى تمويلها وتنازل عنها إلى "جمعية الإستيطان اليهودى" التى أخذت على عاتقها مهمة توسيع أراضي المستوطنات وتنظيم إدارتها وتزويدها بالمرافق والخدمات الرئيسية .. وقدمت لها بريطانيا الحماية اللازمة لتطوير المستوطنات .. أما إدارة المستوطنات فقد إتخذت أشكالا متنوعة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع :

(أ) مستوطنات ذات صفة قومية .. وهى التى يعمل فيها اليهود بأجر وتملكها الحركة الصهيونية التى تشرف عليها وتعطى للعامل أجره وتوفر له مسكنا والخدمات المعيشية التى تلزمه .

(ب) مزارع تعاونية .. ويتقاضى فيها العمال أجورهم حسب الإنتاج .. بالإضافة إلى توزيع جزء من الأرباح السنوية عليهم وغالبا الذين يعملون فيها هم من الشباب الذين فى مقتبل العمر .

(ج) قرى تعاونية .. وهى تطوير لفكرة المزارع التعاونية حيث يستوطن العمال

المتزوجون في مناطق مجاورة لمناطق عملهم في المستوطنات القائمة ، حيث الارتباط الدائم بين الحياة المعيشية والأرض .

وتوجد مؤسسات وأجهزة تنظيم عملية الإستيطان أهم هذه الأجهزة :

- الوكالة اليهودية (تأسست في بال ١٨٩٧) .
- الصندوق القومي اليهودي (تأسس في لندن ١٩٠٤) .
- الصندوق التأسيسي اليهودي (أسس في لندن ١٩٢٠) .
- الشركة الإنجليزية الفلسطينية (أسست في لندن ١٩٠٢) .

٣ - تأسيس الوطن القومي اليهودي في ظل الانتداب البريطاني : وهذه المرحلة بدأت من عام (١٩٢٢) حتى عام (١٩٤٨) فقد بلغ عدد المستوطنات اليهودية قبيل صدور وعد بلفور (نوفمبر ١٩١٧) نحو ٤١ مستوطنة يسكنها نحو ٥٦,٠٠٠ نسمة يملكون ٢,٥ ٪ من أراضي فلسطين .. بينما بلغ عدد السكان العرب نحو ٧٠٠,٠٠٠ نسمة لقد سمحت حكومة الانتداب البريطاني باقامة مركز للوكالة اليهودية في القدس التي كان من أهدافها الرئيسية حيازة الأرض كملكية عامة وأبدية للشعب اليهودي والإشراف على توظيف العمال اليهود والنهوض بالاستيطان الزراعي ولذلك أدت سياستها في تشجيع الهجرة والاستيطان إلى ازدياد مخاوف العرب من سيطرة اليهود على فلسطين بعد إستقرارهم فيها ولاسيما بعد أن أخذ اليهود بعد عام ١٩٣٠ يكترون من تهريب السلاح وتسليح المستوطنات وإنشاء منظمات للحراسة وأكد بن غوريون مسئول الدفاع في الوكالة اليهودية وعضو اللجنة التنفيذية فيها في المؤتمر الصهيوني التاسع عشر ١٩٣٥ على :

إن إنجازات اليهود في أرض إسرائيل مرتبطة بصفة رئيسية بالأرض وكان مخططه يقضى بتهجير ثلاثة ملايين يهودي إلى فلسطين حتى تكتمل القاعدة البشرية للوطن القومي اليهودي ، على أن يتم توطين مليون يهودي حتى عام ١٩٣٥ .

وعملت الوكالة اليهودية على تأسيس تنظيمات حكومية للمناطق اليهودية فصارت لها مدارس ومجالس ونقابات وهيئات متنوعة خاصة بها وبذلك أصبحت الوكالة حكومة داخل حكومة الانتداب البريطاني ورفعت الوكالة أيضاً شعار " العمل العبري " بطرد

العمال العرب من المشاريع اليهودية وإحلال العمال اليهود مكانهم بهدف خلق طبقة عاملة يهودية فى وقت إنتشرت فيه البطالة بين العرب الذين طردوا من الأراضى التى انتقلت ملكيتها إلى اليهود .. وتجدر الإشارة إلى أن الاحصائيات تشير إلى أن مجموع مساحة الأراضى الزراعية التى إنتقلت إلى حوزة اليهود بلغت ١٧٦,٧٤٥ , ١ دونماً حتى عام ١٩٤٨ منها ٢٥٠, ٤٦١ دونماً باعها مالكوها العرب غير الفلسطينيين .. أما ما باعه فلاحو فلسطين فكان جزءاً صغيراً ولأسباب قاهرة منها : الظروف الإقتصادية الصعبة والزيادة الحادة فى الضرائب المفروضة على الأراضى والانتاج الزراعى ورفع سعر البذار والسماذ وخفض أسعار المنتجات الزراعية وصعوبة تسويقها .

تحت الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧

كان من نتائج نكسة العرب فى حزيران (يونيو ١٩٦٧) إحتلال إسرائيل للضفة الغربية لنهر الأردن بما فيها القدس العربية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان .. وبعد ثلاثة أسابيع فقط من هذا الاحتلال أصدر الكنيست الإسرائيلى قراراً بضم القدس العربية وتوحيد شطريها وجعلها عاصمة لإسرائيل، وتبع ذلك بعد يومين فقط اتخاذ أول اجراءات لإذابة الكيان العربى للمدينة بحل التنظيمات العربية فيها ، وحل المجلس البلدى العربى وتأليف مجلس يهودى ، واتخذت عدة اجراءات إقتصادية لصالح إسرائيل ، مثل إقامة مراكز جمركية على الطرق التى تصل المدينة المقدسة ببقية مدن الضفة الغربية الأردنية المحتلة ، بينما تركت الطرق الأخرى المتصلة بمدن اسرائيل بلا حواجز تمر عليها السلع الاسرائيلية بلا رسوم جمركية وسحبت العملة الأردنية من المدينة واستبدلت بالليرة الاسرائيلية .

وعملت إسرائيل على إرغام السكان العرب على دفع ضرائب دفاع لصالح المحتل وسادت إجراءات نازية للبطش بالسكان العرب لكى يهاجروا من القدس ومنها إحتلال منازل العرب بالقوة بعد طرد السكان منها وإحلال يهود محلهم وهدموا فى السنة الأولى على العدوان ١٣٠ منزلاً تأوى ٦٥٠ عربياً وكان نتيجة الارهاب الشديد على المدنيين العزل أن عبر ١٥٠,٠٠٠ منهم نهر الأردن وتبقى ٧٠,٠٠٠ آخرون ، تحت هذه الظروف الصعبة

وطبق العدو قانون أملاك الغائبين ، الذى ينص على إستيلاء الحكومة الإسرائيلية على جميع أسلاك العرب الذين يتغيّبون ، منهم أولئك الذين كانوا خارجها أثناء العدوان سنة ١٩٦٧ ، فتم بناء على ذلك الاستيلاء على ٥٩٥ منزلاً جملة مساحتها ١١٦ دونماً مربعاً (الدونم ١٠٠٠ متر) داخل أسوار القدس القديمة وتوالت هذه العملية ، خاصة فى حى المغاربة القريب من المسجد الأقصى ونتيجة لهذه الأعمال :

١ - أصبحت إسرائيل تملك داخل أسوار المدينة - بدون وجه حق - ما يقرب من خمس الأراضى الملاصقة للحرم الشريف والمسجد الأموى .

٢ - إستولت على ثلث الأراضى خارج أسوار المدينة وكلها ملك للعرب خصوصاً فى المنطقة التى تحيط بالقدس ، وتعزلها عن باقى أراضى الضفة الغربية .

٣ - إختارت السلطات الإسرائيلية مساحة كبيرة من الأراضى فى شمال المدينة (نحو ٦٠٠ دونم) لإقامة أول حى يهودى جديد عليها على أساس بناء ٢٥٠٠ وحدة سكنية لإستيعاب ٣٠,٠٠٠ يهودى وعندما يكتمل المشروع سيفصل القدس من الغرب إلى الشمال الشرقى عن بقية الأراضى وهو جزء من مشروع تتولاه هيئة برئاسة "يهودا تامير" لإسكان ١٠,٠٠٠ إسرائيلى آخر داخل القدس القديمة الأردنية كما قامت حكومة الإحتلال بضم جميع مدارس القدس بالذات إلى وزارة التعليم الإسرائيلى وأستبدل معلموها العرب بإسرائيليين ، وغيروا المناهج بما يتمشى مع سياستهم الإستعمارية ، فأرغموا التلاميذ العرب على دراسة اللغة العبرية والتوراة .

وقد أقر الكنيست الإسرائيلى "قانون التنظيمات الإدارية والقانونية فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٦٨ وصدر بالجريدة الرسمية العبرية ، وهو يضم ٢٢ مادة ملخصها أن تقوم كل شركة وكل جمعية تعاونية بالقدس العربية وجميع أصحاب المهن والحرفيين العرب بتسجيل أنفسهم طبقاً لقواعد القوانين العمالية الإسرائيلية قبل ٢٢ فبراير سنة ٦٩ ، على أن يشمل التسجيل العلامات التجارية والاختراعات ، ونصت المادة ١٨ من هذا القانون الإسرائيلى على أن كل شخص يريد القيام بأى بناء أن يطلب رسمياً الترخيص له بذلك من السلطات الإسرائيلية المختصة ومعنى ذلك هو محاولة تصفية أموال وممتلكات ٧٠,٠٠٠ عربى فى القدس ، وتهويد المدينة العربية تماماً ، بإدماج الحياة الإقتصادية العربية

فى الحياة اليهودية ، وبالتالى إبتلاع الإقتصاد اليهودى ١٨٠ شركة عربية مسجلة بالقدس ، رأسمالها يزيد على خمسة ملايين دينار أردنى ، وقد ثارت ضجة كبيرة فى العالم العربى وفى أروقة الأمم المتحدة فى حينه ، مما أرغم السلطات الإسرائيلية على تأجيل تنفيذه مؤقتاً أمام ضغط الرأى العام العالمى .

ولعل أقرب وصف لحالة المدينة المقدسة هو ما ورد فى المقال الذى كتبه الأمريكى جون هيربرت رئيس الجمعية الأمريكية لمساعدة اللاجئين ونشره فى نيويورك - مركز الثقل اليهودى فى أمريكا - ويقول فيه ما ترجمته بالحرف الواحد اننى دهشت كثيراً حينما عدت لزيارة هذه المدينة المقدسة فى أوائل هذا العام (١٩٦٩) ولاحظت مظاهر تغيير مفرج يزحف على القدس القديمة ، لتمتد معاول الهدم الإسرائيلية إلى مناطق واسعة كما تفسح الطريق أمام عدد كبير من المباني الحكومية (الإسرائيلية) الجديدة والعمارات السكنية التى تبدو كثيفة غير جذابة ، وقد أعلن متحدث إسرائيلى أن القدس قد أصبحت الآن مدينة موحدة ، وأنها أصبحت مفتوحة لكل من ينتمى إلى العقائد الثلاث ولكن هذا ليس صحيحاً ، فإن أهالى القدس قد أصبحوا الآن أكثر انفصالاً عن دى قبل ، على الرغم من أن الأسلاك الشائكة التى كانت تفصل بين قطاعى المدينة قد أزيلت فلم يعد الوصول للأماكن المقدسة - بصفة عامة - أمراً سهلاً لأكثر من ثمانية ملايين مسيحي عربى أو بالنسبة لأكثر من سبعمائة مليون مسلم ، وعلى عكس ما كان الأمر عليه - أصبحت الأماكن المقدسة مغلقة فى وجه أتباع الأديان الثلاثة على نحو أشد قسوة بكثير ، مما كان عليه الحال خلال السنوات الممتدة من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ ، وأن إسرائيل لن تستطيع أبداً إدارة القدس بطريقة ترضى الأديان الثلاثة وأن سعيها إلى فرض حكمها وسيطرتها على أهالى القدس ليس خطأ من حيث المبدأ فحسب ، ولكنها سوف تجد معارضة منهم ولهذا ستجد نفسها مرغمة أكثر فأكثر على اتباع أساليب أشد قسوة ووحشية ، وخلال زيارتى لعمان وبيروت تحدثت إلى قرابة عشرين من الشخصيات العربية البارزة من أهالى القدس ، الذين أكرهوا على مغادرة المدينة ، وفى معظم الأحيان بقيت الزوجات والأطفال فى القدس ، للمحافظة على منازلهم وممتلكاتهم ، والحيلولة دون إستيلاء السلطات الإسرائيلية عليها وتوزيعها على الأسر اليهودية ، تحت زعم أنها ممتلكات مهجورة ونحن

فى نظرنا إلى مشكلة القدس لاينبغى أن نتجاهل هذه الحقيقة وهى أن القدس القديمة ظلت لقرون عديدة مدينة عربية ، سواء فيما يتعلق بملكاتها أو بأهلها ، وفضلا عن ذلك فإن العرب يفخرون بأنهم نجحوا طوال هذه القرون كلها فى إدارة مدينة القدس على نحو أرضى جميع الأديان بما فيها الديانة اليهودية نفسها .

ولدينا شاهد غربى آخر هو جافن يانج الذى زار القدس أخيراً ونشر مقالاً فى جريدة الأوبزرفر البريطانية تحدث فيه "عن سخط العرب على معاملة الإسرائيليين لهم" ، وأضاف بقوله " انه كانت هناك أسباب تدعو للمزيد من السخط بالقوانين اليهودية تطبق على القدس العربية بالذات دون غيرها من سائر المدن بالضفة الغربية المحتلة وإحتج المحامون العرب على نقل محكمة الاستئناف العربية من القدس إلى رام الله ، وإعتبروا ذلك خرقاً لقرارات مجلس الأمن ، التى ترفض ضم القدس لإسرائيل وبطلان كافة الإجراءات التى إتخذها اليهود ، ويمضى الكاتب فيقول إن إسرائيل إستولت على ٨٣٦ فدانا فى شمال شرقى القدس لتنفيذ مشروع الإسكان العاجل لنقل نحو ٢٥,٠٠٠ إسرائيلى للإقامة فيها ، وبذلك تجعل ضم القدس - على حد تعبيره - أمراً واقعياً ، كما قامت بتحويل أحدث مستشفى عربى فى القدس إلى مقر لرئاسة البوليس الإسرائيلى وأقيمت مدينة جامعية لسكنى طلبة الجامعة العبرية على سفح جبل أسكوبس فى أرض عربية وهناك مساحات أخرى فى جنوب المدينة قد أدخلت فى برامج مماثلة من أجل توطين الإسرائيليين فيها ، وفى داخل المدينة المسورة فإن المساكن التى يقطنها الطلبة العرب قد إنتزعت منهم أو هدمت وقد رفض أصحابها أخذ أى تعويضات عنها" .

ويختم مقاله بأن السلطات الاسرائيلية تهدف من هذا كله إلى مواجهة العالم بالأمم الواقع رغم أن العالم نفسه قد رفض هذه الإجراءات جميعها فى القرارات المتكررة التى تصدرها المنظمة الدولية بخصوص عروبة القدس ، وعدم مشروعية الإجراءات اليهودية فيها والتى تنتهى بقرارها الصادر فى ٣/٦/١٩٦٩ ، وإصرار الأمم المتحدة على ضرورة الإنسحاب الكامل من الأراضى التى احتلها اليهود بعد يونيو سنة ١٩٦٧ ، على أساس القرار الدولى الصادر فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ وهى فى الواقع إدانة قوية من المجتمع الدولى ، ورفض صريح لسياسة الأمر الواقع أو سياسة الاستيلاء على أراضى دول

مشتركة في عضوية الأمم المتحدة عن طريق القوة الحربية ، مما يتعارض مع ميثاقها . واستمرت الممارسات الإسرائيلية في المناطق العربية المحتلة عبر عوامل الإنتاج المختلفة لجعل العرب الفلسطينيين أقلية ولتدعيم الوجود الصهيوني .. ونستطيع أن نقول إن هذه الممارسات تركزت حول ثلاثة محاور بعد ١٩٦٧ وحتى الآن :

أولاً : الاستيلاء على الأرض بهدف تبرير عمليات المصادرة والاستملاك التي قامت بها إسرائيل في الأراضي المحتلة ، أصدرت قرارات بالغاء كافة المراجعات حول النزاعات بشأن حقوق الملكية المحتلة وكان أهم هذه الأوامر قرار بالغاء كافة المراجعات حول النزاعات بشأن حقوق الملكية التي كانت عالقة منذ الانتداب البريطاني وصدر قرار آخر يقضي بضرورة الحصول على موافقة الحاكم العسكري قبل القيام بأية عملية لنقل ملكية الأرض ، وعدل الكيان الصهيوني القوانين المتعلقة بالمصادرة واعتبر بموجب مرسوم حول الأملاك المتروكة من قبل الأفراد في ١٩٦٧/٧/٢٣ ، أن الأراضي العائدة للأشخاص الغائبين يوم الاحتلال عام ١٩٦٧ هي ملك للدولة .

ويلجأ الكيان الصهيوني غالباً إلى القانون الأردني المتعلق بمصادرة الأراضي من أجل المنفعة العامة كي يستملك الأراضي الضرورية لبناء الطرق والمنشآت الأخرى التي تحتاج إليها المستعمرات اليهودية ، ومن جهة ثانية فإن الكيان الصهيوني يبرر بعض عمليات مصادرة الأراضي ونزع الملكية بالاعتبارات الأمنية ، أو أنه يعتبر الأراضي المصادرة ، وهي أساساً أراض أميرية أو موات كأراض عامة ، ويستند الكيان الصهيوني عند مصادرة الأراضي لاعتبارات أمنية إلى المادة (٥٢) من إتفاقية لاهاي ، تلك المادة التي تسمح لقوى الاحتلال بمصادرة الأراضي لإعتبارات أمنية ويستند الكيان الصهيوني أيضاً إلى القوانين الإستثنائية البريطانية بشأن حالات الطوارئ العائدة لعام ١٩٤٥ ، أما الأراضي التي تعتبر "أملاك عامة" فهي تشمل كافة الأراضي التي لاثبتت ملكيتها بموجب إفادة ، عقارية صريحة ، علماً أن الحاكم العسكري الصهيوني لايعطى الفلاحين العرب سوى مهلة ٢١ يوماً لإثبات حقوقهم والجدير بالذكر أن ٧٠٪ من أراضي الضفة الغربية تعتبر أراضي أميرية وأن نسبة الأراضي الأميرية التي سجلت في السجل العقاري بموجب معاملة قانونية قبل عام ١٩٦٧ لم تتجاوز ٥٠٪ من أراضي الضفة الغربية ، وعلى سبيل المثال صادرت سلطات الاحتلال مؤخراً ٣٠ دونماً من أراضي قرية قطنة بلواء رام الله بحجة أنها أراض حكومية ، فيما قدم أصحاب هذه الأراضي كل الوثائق التي تثبت ملكيتهم لها .

ومنذ أواخر السبعينات تزايدت عمليات إعلان الأراضي من قبل سلطات الاحتلال الصهيوني ملكا للدولة ومنذ أوائل الثمانينات تم الاعلان عن مساحات كبيرة من الأراضي غير المسجلة من قبل المواطنين العرب في الضفة الغربية كأراض عامة تمهيدا لتملك سلطات الاحتلال لها ، ومن جهة ثانية صدر قانون بتاريخ ١٧ / ٩ / ١٩٧٩ يسمح بموجبه للأفراد الإسرائيليين حق شراء الأراضي في المناطق العربية المحتلة وذلك تشجيعا لعملية الإستعمار الإستيطني فيها .. وقد أظهرت نتائج حساب معاملات الارتباط بين مساحات الأراضي العربية المصادرة وبين أعداد المستعمرات الإستيطانية التي أقيمت عليها في الضفة الغربية خلال الفترة (١٩٧٩ - ١٩٨٣) أن العلاقة قوية وطردية بين التوسع في مصادرة الأراضي العربية وبين التوسع في إقامة المستعمرات اليهودية إذ بلغت قيمة معامل الارتباط بينهما ٠,٧٥ .

في عام ١٩٧٦ أتم خبراء الأرض الصهيونيون مسح أملاك الغائبين وأملاك الدولة في الضفة الغربية وقطاع غزة ووضعت سلطات الاحتلال الصهيوني يدها عليها بموجب أمر عسكري رقم (٥٨) ورقم (٥٩) ، وفي عام ١٩٨٣ بلغ إجمالي مساحة أراضي الدولة التي أعلنت سلطات الاحتلال الصهيوني عن امتلاكها في الضفة الغربية حوالي ٤٠٠ ألف دونم ، أو ٢٥٪ من المساحة الإجمالية المعنية وفي قطاع غزة كانت مساحة أملاك الدولة (الأرض الميري) عام ١٩٨٣ حوالي ١٠٥ آلاف دونم علما بأن مساحة قطاع غزة تبلغ ٣٦٣,٨٠٠ دونم ، منها للعرب ٢٥٠ ألف دونم و ١١٣,٨٠٠ دونم إنتزعتها اليهود .

قُدر إجمالي مساحة الأراضي المشتراة في الضفة الغربية من قبل القطاعين العام والخاص اليهوديين بحوالي ١٠٠ ألف دونم في عام ١٩٨٣ وإستمر شراء الأراضي الرسمي إذ تقوم خطة شراء الأراضي للفترة - (١٩٨٣ - ١٩٨٦) على شراء ٣١,٥٠٠ دونم في سبعين موضعا بقيمة إجمالية مقدارها ٣٠ مليون دولار .. وقد أقيمت بعض المستعمرات في الضفة الغربية بموجب بلاغات عسكرية إعتبرت الأراضي التي أقيمت عليها مناطق مغلقة لأسباب أمنية في بادئ الأمر وبعد أن تم مسح أراضي الدولة تبين أن أراضي هذه المستعمرات هي جزء من أراضي الدولة .

مثال : أراضي مستعمرة "تيكواع" ، أراضي مستعمرة شيلوه ، أراضي افرات ، وفي محاولة لتوسيع إحدى المستعمرات اليهودية بالقرب من مدينة البيرة في الضفة الغربية ، قامت الجرافات الإسرائيلية مؤخرا بتجريف الأراضي الواقعة في منطقة جبل الطويل شرقي المدينة .. وفيما يتعلق بالأراضي المغلقة الغربية لأغراض عسكرية يمكن القول أن

سلطات الإحتلال الصهيوني دأبت منذ عام ١٩٦٧ على إغلاق مساحات مختارة من الأراضي ومصادرتها من أصحابها الشرعيين من أهالي الضفة بحيث بلغت مساحة هذه الأراضي حتى عام ١٩٨٣ حوالى ١,١١ مليون دونم أو ٥٣٪ من المساحة الكلية التى صادرتها سلطات الإحتلال .. وقد وضع الإحتلال الصهيوني "مشروع المائة ألف" للاستعمار الاستيطاني فى الضفة الغربية ، وطبقا لهذا المشروع فمن المقرر أن يتم توطين مائة ألف يهودى فى مستعمرات الضفة خلال الفترة (١٩٨٣ - ١٩٨٧) وقد إستمد "مشروع المائة ألف" من مشروع رئيسى أكبر وأشمل أعد لعام ٢٠١٠ ووفقا لهذا المشروع الرئيسى سوف يتم توطين حوالى ٤٠٠ ألف يهودى فى مستعمرات الضفة خلال ثلاثين عاما ، وثمة هدف مرحلى لهذا المشروع هو أن يكون قد تم ، حتى أواسط عام ١٩٨٦ ، بناء أكثر من ٥٧ مستعمرة يهودية جديدة إضافة إلى تلك القائمة هناك ليصل العدد إلى ١٦٥ مستعمرة وفى الوقت نفسه سوف يسكن فى الضفة بحسب المشروع ، ٢٥ ألف عائلة يهودية أى نحو ١٢٥ ألف شخص .

إزداد عدد المستوطنين اليهود بصورة مطردة فى الضفة الغربية ما بين عامى ١٩٧٥ و ١٩٨٥ إذ كان عددهم حوالى ٢٥٨١ نسمة فى عام ١٩٨٥ ، لذا فإن مشروع المائة ألف مستوطن يهودى لم يحقق من أهدافه فى نهاية عام ١٩٨٥ سوى ٤٣٪ فقط ، وفى ضوء الصعوبات التى واجهت الاستعمار الاستيطاني الصهيوني فى المناطق العربية المحتلة فقد بلغ عدد المستعمرات الصهيونية التى أقيمت فى قطاع غزة حتى عام ١٩٨٥ حوالى ٢٠ مستعمرة وقدر عدد اليهود الذين يعيشون فى تلك المستعمرات بحوالى ٥ آلاف مستوطن وتنتشر هذه المستعمرات فى كافة أرجاء القطاع الذى يزدحم بالمواطنين العرب فى الأصل وقد صادرت سلطات الإحتلال الصهيوني حتى نهاية عام ١٩٨٥ ما نسبته ٤٠٪ من إجمالى مساحة القطاع ، وخصصت هذه السلطات ما مساحته ٤٠ كم^٢ من المناطق المصادرة لإقامة مستعمرات يهودية عليها .

ثانياً : الإستيلاء على موارد المياه : أعلنت السلطات الإسرائيلية أن مصادر المياه فى الضفة والقطاع تحت سيطرتها الكاملة .. وفرضت حظرا على ضخ مياه نهر الأردن من قبل المواطنين العرب لأسباب أمنية وأصدرت أمرا عسكريا يحظر على المواطنين إستغلال أى بشر جديد دون ترخيص مسبق من الحاكم العسكري الذى يرفض إعطاء التراخيص لإستخراج المياه بقصد الرى الصناعى ، وفى المقابل إستغل المستوطنون اليهود آبارا جديدة لرى الأراضي الزراعية التابعة لمستعمراتهم فى الضفة الغربية .. ويبلغ عدد الآبار التى

يستغلها المستوطنون اليهود في الضفة أكثر من ٢٩ بئرا ، قدر إنتاجها بحوالى نصف كميات المياه التى يحصل عليها المواطنون العرب فى الضفة .. ومن جهة ثانية تستعمل المستعمرات التى أقامتها إسرائيل وسائل حديثة للحفر والضخ وتعمل على تسهيل مهمة حصولها على كميات كبيرة من المياه على حساب الكميات التى يحصل عليها المواطنون العرب وفى بعض الأحيان نضبت الآبار العربية ويحد الكيان الصهيونى من إستعمال المياه فى الآبار العربية عبر وضع عدادات على هذه الآبار .. وهناك العديد من المشاريع التى أقامتها إسرائيل للإستفادة من المياه الجوفية العربية وما زالت هناك مشاريع مستقبلية تعد لها، لتفى بحاجاتها من المشروعات والمستوطنات التى تقيمها كل يوم .

ثالثاً : استثمار الإمكانات الاقتصادية والأيدى العاملة فى الأراضى المحتلة : تسعى الحكومة الاسرائيلية بشكل مباشر وغير مباشر إلى ربط إقتصاديات المناطق العربية المحتلة بالإقتصاد الإسرائيلى ، مما يخدم الإقتصاد الإسرائيلى ويفتح أسواق المناطق العربية المحتلة لإستقبال المنتجات الإسرائيلية ، وأدت سياسة فرض الرسوم والضرائب الباهظة إلى إضعاف الإقتصاد الفلسطينى وبخاصة قطاع الصناعة بحيث أوجد الإحتلال تبعية اقتصادية له من خلال عدم تشجيعه الإستثمارات الرأسمالية فى القطاعات الإنتاجية .

إن المتتبع للظروف الاقتصادية فى المناطق العربية المحتلة يلاحظ الهجمة المخطط لدوائر جباية الضرائب الإسرائيلية والموجهة ضد المنتجين والتجار والمواطنين العرب فى المناطق المحتلة فقد إزدادت الضرائب غير المباشرة وتم تطبيق التعريفات الجمركية على كافة المستوردات للمناطق العربية المحتلة .

وتلقى العديد من المؤسسات الانتاجية العربية إنذارات من مكتب الضريب الإسرائيلية بالدفع أو إغلاق مؤسساتهم بسبب عجزهم عن دفع الضرائب المفروضة عليها ، وتهدف سلطات الإحتلال من ممارسة الضغوط على المؤسسات الإنتاجية إلى إشاعة ج من عدم الإستقرار الإقتصادى وإضعاف الروابط مع الأقطار العربية المجاورة ، وتكريه التبعية الإقتصادية للكيان الصهيونى .. وتنفذ سلطات الإحتلال منذ عام ١٩٦٨ سياه تهدف إلى دمج إقتصاديات المناطق العربية المحتلة بعجلة الاقتصاد الإسرائيلى ، وفى ضوء هذه السياسة تعمل السلطات على تخفيض المساحة المزروعة بالحمضيات فى المناط العربية المحتلة فى حين تشجع إنتاج القطن والسهم والبنندورة والدخان فى هذه المناطق إضافة إلى ذلك فإن الكيان الصهيونى يقوم بتكليف النشاط الإقتصادى فى المناطق العرب المحتلة وفقاً لإحتياجاته ولخدمة مخططاته نتيجة لذلك تأثرت الأوضاع الاقتصادية

الضفة الغربية وقطاع غزة سلباً بأوضاع الاقتصاد الإسرائيلي الذي يعاني من نسبة تضخم عالية وأصبح المواطنون العرب مستهلكين للسلع الإسرائيلية التي أغرقت أسواقهم وإنعكس هذا الوضع سلبياً على مختلف قطاعات الانتاج الزراعى والصناعى والتجارى والخدمات الأخرى فى المناطق العربية المحتلة .. من ناحية أخرى تشكل الأيدى العاملة العربية الفلسطينية وسيلة تساعد الكيان الإسرائيلى على تسوية وضبط أوضاعه الإقتصادية وتساعد على دعم سيطرة هذا الكيان على المناطق العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، وقد قارب الاقتصاد الإسرائيلى حالة التشغيل الكامل منذ عام ١٩٦٨ ، الأمر الذى أدى إلى نشوء حاجة متزايدة لليد العاملة فى الأراضى المحتلة وهناك عوامل أخرى تفسر حاجة الإقتصاد الاسرائيلى المتزايدة إلى اليد العاملة العربية ، ومنها :

١ - نسبة المشاركة السكانية الضعيفة فى القوة العاملة ، إذ تشهد نسبة المشاركة فى القوة العاملة فى إسرائيل منذ عام ١٩٦٥ ميلاً نحو التراجع بسبب البنية الشابة لأعمار السكان ، والمشاركة المرتفعة فى الجهاز العسكرى .

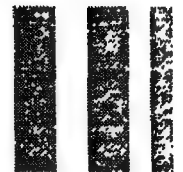
٢ - تناقص عدد المهاجرين اليهود القادمين إلى فلسطين المحتلة .

٣ - النمو السريع للصناعة الحربية الإسرائيلية أحدث تغييراً فى بنية الاستخدام الاسرائيلية الأمر الذى أوجد حاجة إلى اليد العاملة فى الفروع الاقتصادية لتحل محل اليد العاملة فى الفروع العسكرية .

والجددير بالذكر أن عدد القوى العاملة فى الضفة والقطاع قدر فى عام ١٩٨٥ بحوالى ٢٨٤ ألف عامل منهم ١٨٢ ألف عامل فى الضفة (بما فى ذلك القدس العربية) و ١٠٢ ألف عامل فى القطاع وقدر إجمالى العاملين منهم فعلاً بحوالى ٢٤٤ ألف عامل فى حين أن نسبة البطالة فى صفوف القوى العاملة فى الضفة والقطاع وصلت إلى حوالى ١٤٪ خلال عام ٨٥ .. وتشير البيانات الإحصائية إلى أن عدد العمال من أبناء المناطق العربية المحتلة العاملين فى القطاعات الإقتصادية الإسرائيلية بلغ مع نهاية عام ١٩٨٥ حوالى ٦٨ ألف عامل يعمل منهم حوالى ٤٠٨٠٠ بصورة منتظمة وحوالى ٢٧٢٠٠ بصورة غير منتظمة ، وهذا يؤدى بالطبع إلى تحكم السلطات الاسرائيلية الدائم فى تشغيل الأيدى العاملة العربية مما يشكل وسيلة ضغط على الفلسطينيين .



المقدسات الدينية في القدس



المقدسات اليهودية

يؤكد المؤرخون أنه ليس لليهود في القدس أثر يهودي مقدس بارز إلا حائط المبكى و بضع كنائس حديثة العهد - أقيمت مؤخراً - وبعض القبور على سبيل المثال : قبر زكريا وقبر أبشالوم وقبر يعقوب ، والإعتقاد السائد أن حائط المبكى هو بقية من سور أورشليم القديم وأنه الحائط الخارجى للهيكل الذى رُمى هيرودس (١١ ق م) ودمره تيطس (٧م) ويقدسه اليهود ويزورونه بشكل دائم .. ويقدسونه .. ويلدسون الدموع أمامه .. وحائط المبكى عبارة عن حائط كبير .. مبنى من حجارة ضخمة يبلغ طول بعضها ١٦ قدماً ، أما الحائط نفسه فطوله ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٥٦ قدماً ، وهذا الحائط يقده المسلمون أيضاً ، بل إن تقديس المسلمين له يفوق تقديس اليهود له .. إذ أنهم يعتقدون أنه المكان الذى ربط عنده جبريل براق النبی " ﷺ " ليلة الإسراء والمعراج .. ومن هنا جاء إسمه الإسلامى (البراق) ولازال حتى اليوم جزءاً من الحرم القدسى .. أولى القبليتين وثالث الحرمين الشريفين .. إنه جداره الغربى . وكثيراً ما حدثت إختلافات بين اليهود والمسلمين من أجل هذا الحائط ..

كما أن لليهود مقبرة واحدة تقع شرقى السور فى الوادى المعروف باسم وادى قارون .. ويطلق العرب عليه وادى جهنم .. وتمتد هذه المقبرة من الوادى المذكور حتى رأس العمود والسفح القبلى من جبل الزيتون وفيها أربعة قبور يقصدها اليهود فى أيام معينة هى :

(قبر أبشالوم) الابن الثالث لداود الملك ، ذلك الابن الذى ثار على أبيه وحاول

إسقاطه عن عرشه ويعتقد قوندر أن الكسندريانوس مدفون فيه .. إنه بناء فخيم مربع الشكل ، فى كل ركن من أركانه الأربعة أربعة أعمدة يعلوه أفريز يونانى وفوقه قبة هرمية الشكل يسميه المقدسيون (طنطور فرعون) .

(قبر يهوشافاط) لم يجزم المؤرخون فى معرفة أسماء المدفونين فيه ، وإن قال بعضهم إن يهوشافاط مدفون فيه وقال آخرون إنه دفن فى نفس الموقع الذى دفن فيه داود على جبل صهيون .

(قبر يعقوب) مدفن إسرائيلى ضخيم يعتقد المسيحيون أن القديس يعقوب أحد الرسل الإثنى عشر ، قد توارى فيه بعد صلب المسيح .

(قبر النبى زكريا) ينسبه اليهود إلى زكريا بن يهوياراح ، ويقول بعضهم إنه قبر حفيده الذى كان كاهناً فى أيام أحازيا ويهواش وقد مات رجماً بالحجارة بأمر من الملك .

ويزعم اليهود أن القدس ككل .. مدينة مقدسة وعاصمة لمملكة إسرائيل على يد الملك داود وتحفل بالكثير من المنشآت والمقدسات الدينية التى أقامها .. ونحن نعرف أخبار النبى داود من الكتابات التى جاءت عنه فى المصادر الدينية مثل القرآن الكريم والإنجيل والتوراة .. لكننا لانعرف أى شيء عن الملك داود من مصادر التاريخ وعلى الرغم من قيام رجال الآثار العالميين والإسرائيليين بالحفر فى كل شبر من أرض فلسطين فإن واحداً منهم لم يعثر ولو على قطعة صغيرة من الفخار تشير إلى هذا الملك ! فكيف نعرف الوقت الذى عاش فيه داود تحديداً ؟ وما الدليل أنه قام ببناء أى جزء فى القدس فالأدلة الأثرية ليست فقط تجهل هذه الأحداث ولكنها تختلف معها صراحة .. وهكذا نرى أن السلطات الإسرائيلية تريد أن تبيع الأسطورة على أنها تاريخ ثم تطلب من العالم كله أن يصدق هذه الأسطورة ، وبحسب رواية العهد القديم فإن الاعتقاد السائد هو أن الفترة التاريخية التى عاش فيها داود كانت عند بداية القرن العاشر قبل الميلاد .. غير أن تحديد التاريخ بدقة لم يرد فى أى من مصادر التاريخ .. وإنما ورد فى سفرين من العهد القديم قام الكهنة بكتابتها فقد جاء فى سفر صموئيل الثانى وسفر الملوك الأول - وهما رقم ١٠ ، ١١ من العهد القديم - أن الملك داود أقام إمبراطورية تمتد حدودها بين النيل والفرات وجعل القدس عاصمة لها ، أما الأدلة التاريخية التى تم العثور عليها حتى الآن فهى تشير إلى أن

داود العهد القديم كان ملكاً يرأس تحالف القبائل الاسرائيلية التي كانت تسكن في الهضاب الفلسطينية وكانت معاركه الرئيسية في مواجهة الملوك الفلسطينيين القادمين من الساحل .. والقصة التي وردت في الإصحاح الخامس من صموئيل الثاني بخصوص استيلاء داود على مدينة القدس تقول : إن داود قام بالاستيلاء على مدينة القدس التي كانت محصنة :

"ذهب الملك ورجاله إلى اورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض .. وأخذ داود حصن صهيوني" وهو مدينة داود " ، وعاش داود في الحصن وبنى تحصينات جديدة حوله "وأرسل حيرام ، ملك صور في لبنان ، رسلاً إلى داود وخشب أرز ومجارين وبنائين فبنوا لداود بيتاً " .. إن المدينة التي كانت قائمة في زمن داود على شكل قلعة تحيط بها الأسوار لانتجاوز مساحتها ٤٤ ألف متر مربع أو حوالى عشرة أفدنه تحتل الجزء الجنوبي الشرقي فقط من المدينة القديمة الحالية وهي على شكل مستطيل أكثر أجزائه إتساعاً لا يتجاوز عرضه مائة متر ، يحده من الشرق وادى كدرون ومن الغرب وادى حنوم الذى ينحنى شرقاً جنوب المدينة ليلتقى مع وادى كدرون ، أما الأرض المقدسة وهي المسطح الذى تقام عليه الآن قبة الصخرة والمسجد الأقصى والذى يقع على جزء أكثر إرتفاعاً خلف مدينة الأزمنة القديمة فقد كان يقع خارج أسوار القدس ولم تكن عليه أبنية فى ذلك الزمان وإنما كانت الصخرة التي أقيمت فوقها القبة تعتبر مذبحاً لليبوسيين الذين سكنوا القدس فى تلك الحقبة من الزمان .. وعين الماء التي يتحدث عنها سفر صموئيل هى عين العذراء أو عين أم الدرج الحالية والتي كانت تقع أسفل شمالى شرقى المدينة.. كما تمكن الأثريون من العثور على البثر التي حفرها اليبوسيون للوصول إلى نبع الماء وقد عثر الأثريون كذلك على أجزاء كبيرة من الأسوار واستحكامات قديمة ، ولكنهم لم يجدوا ما يدل لا على أثر تحطيم أى الاستحكامات ولا لبناء استحكامات جديدة فى عصر داود خلال القرن العاشر قبل الميلاد وإن كانوا قد عثروا على ما يثبت تجديد بعض الأسوار قبل ذلك بأربعة قرون .. وبينما الاسم العربى للمدينة هو " القدس " أو "بيت المقدس" نسبة إلى أماكن العبادة التي أقيمت بها فإن اليهود يسمونها " اورشاليم " أى "مدينة السلام" .

وعلى ذلك فإن القصة التي وردت فى سفر صموئيل الثاني بدخول داود بنى

إسرائيل إلى مدينة القدس عند بداية القرن العاشر ق . م وتحويله منطقة الصخرة المقدسة إلى مركز للعبادة لبنى إسرائيل ليس لها أى دليل من المصادر ، وأن مذبح الصخرة فى القدس - حتى قبل بناء المعبد حولها منذ مئات السنين - كان يعتبر أهم مكان للعبادة ليس فقط لكل الأقوام التى سكنت أرض كنعان وإنما كذلك للعموميين الذين كانوا يسكنون شرقى نهر الأردن وبمجرد إعادة بناء المذبح بدأت كل هذه الأقوام - بمن فيهم اليهود - زيارة القدس للعبادة .

لهذا فعندما قرر اليهود بقيادة زروبابل إستكمال بناء الهيكل أرادت الأقوام الأخرى المشاركة فى هذا العمل .. لكن الشعوب الفلسطينية منعت اليهود من إكمال المعبد .. غير أن اليهود أعادوا المحاولة فى بداية حكم داريوس .. وفى هذه المرة كذلك قرر الوالى الفارسى لمنطقة عبر الفرات منهم من الاستمرار فى البناء وأرسل يستشير الملك ماذا يجب عمله وكان البلاط الملكى الفارسى يحتوى على عدد كبير من اليهود الذين نصحوا داريوس بالموافقة على قيام أهل يهودا ببناء المعبد حتى يقوموا بالدعاء له هناك فوافق داريوس على قيام اليهود بإكمال بناء معبد القدس على أن تتحمل خزانة عبر الفرات كل التكاليف بما فى ذلك تكاليف العبادة نفسها ، حتى يؤكد الطبيعة العامة لهذا العمل ويلاحظ أن ملوك الفرس لم يذكروا إسم "يهوه" إله يهودا عند التحدث عن معبد القدس وإنما كانوا يسمونه "رب السماء" ، وأكمل اليهود بناء المعبد فى أيام داريوس الفارسى ومع ذلك - ونظراً لأن المعبد قد تم بناؤه والانفاق عليه من المال العام - فهو قد أصبح مزاراً لكل الأقوام التى تسكن فى المنطقة وليس لليهود وحدهم فكانت الخطوة التالية لليهود هى محاولة بناء أسوار حول المدينة حتى يتمكنوا من منع الآخرين من دخولها ، كما أنهم كانوا يهدفون إلى إعادة بناء مدينة القدس نفسها وجلب اليهود لتسكينهم فيها ولكن الأقوام الأخرى اعترضت على هذا وأرسلوا خطاباً للملك .. وهكذا فشلت محاولة اليهود الأولى .. للاستيلاء على مدينة اليبوسيين ولكن هذا لم يمنعهم من إعادة الكرة .

وكانت المحاولة الثانية أكثر نجاحاً من الأولى حيث أنهم حاولوا التأثير على الملك الفارسى نفسه فقد اختلف الملك احشويروش مع زوجته الملكة ، فتركها وتزوج من فتاة يهودية إسمها أستير ، أصبحت هى الملكة الجديدة وأحبها الملك حباً كبيراً وكان راغباً فى

عمل ما يرضيها وكان أول ما أرضاها وعملت في تحقيقه هو طرد هامان وزير أحشويروش - الأول - والذي كان ينصح الملك بعدم السماح لليهود بالاستيلاء على القدس وتعيين عمها مردخاي مكانه .

وأراد يهودى آخر هو نحميا خصى الملك الذى كان يعمل ساقيا له ، الحصول على فرمان ملكى يصرح لليهود ببناء القدس .. وذلك بتأثير من أستير اليهودية زوجة الملك ومردخاي اليهودى الوزير الأول للملك بأن يحصل على فرمان من امبراطور فارس بتعيينه واليا على يهودا والسماح له ببناء مدينة القدس ، وعبثا حاول سكان فلسطين منع نحميا من إكمال العمل فهو كان قد حصل على أمر امبراطورى فى هذه المرة ويعد أن إستكمل نحميا بناء أسوار القدس قام ببناء بيوتها ، ثم أجبر قبائل يهودا على أن ترسل كل منها نسبة ١٠٪ من تعدادها ، ليسكنوا مدينة اليبوسيين فتصير لهم .. ويرى العديد من المؤرخين والتاريخيين أن هذه القصة هى القصة الحقيقية لإستيلاء كهنة اليهود على مدينة القدس التى كانت ملكا لليبوسيين حتى حطمها البابليون عن آخرها فى القرن السادس قبل الميلاد .. وظلت خرابا أكثر من قرن من الزمان حتى حصل اليهود على تصريح من الفرس بإعادة بناء المعبد ، فاستولوا على المدينة كذلك .

إن كل دين من الأديان التى يدين بها البشر سماوياً كان أو وثنيا له مكان تجمع يقصدون إليه من أجل الحج حتى البوذية ، حتى ديانات اليونان القدماء (معبد دلفو ومعبد الأكروبول ومعبد الكابيتول فى روما) فالكيان الدينى الذى شهد ظهور الشريعة الموسوية كان معبده المركزى قد استكمل إستقراره على أيام داود وسليمان ، بعد أن كانت هناك معابد وأماكن حج متفرقة بعد وفاة موسى بعضها فى شكيم أو الجلجال أو حبرون ، ولذلك ظهر عندهم نوع من الحنين للمقدسات تصبغه الصبغة الصوفية وهى الحنين إلى زيارة هذه الأرض المقدسة فى القدس ، وهم فى ذلك يقلدون المسلمين فى حنينهم إلى زيارة الأراضى المقدسة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، واليهود ينظرون نظرة المسيحيين إلى أماكن الحج المسيحية والتى منها كنيسة القيامة فى القدس وكنيسة الميلاد فى بيت لحم فى فلسطين وكنيسة الفاتيكان بالنسبة للكاتوليك فى روما (وهى كنيسة القديس بطرس) فحنين اليهود إلى زيارة المعالم المقدسة اليهودية ، كان نوعا من الحج يحمل فى طياته طابعا

صهيونيا روحيا بقدر ما كان تقليدا للحجاج المسلمين .

ولاشك أن الحقائق تؤكد أن اليهود تأثروا بالفكر العقائدى الاسلامى وكما ربطه المسلمون بالقرآن ، ربطه اليهود بالتوراة ، وقلدوا المسلمين فى استنباط آيات الأحكام والتوفيق بين ما جاء فى التوراة وما جاء فى التلمود ولعل أحسنهم موسى بن ميمون طبيب الدولة الأيوبية الذى ظهر فى أواخر القرن الحادى عشر وأوائل القرن الثانى عشر وجمع الشرائع اليهودية فى كتاب يسمى "مشناه تורה" بمعنى أحكام التوراة .. واشتهر باسم "يدحزقاه" بمعنى اليد القوية ، أخذ فيه ما جاء فى التوراة وما جاء فى المشنا والتلمود ورتبه على أبواب وهو الكتاب الوحيد الذى كتبه موسى بن ميمون باللغة العبرية ، بالإضافة إلى ذلك كتب كتباً كثيرة باللغة العربية أهمها كتابه المشهور "دلالة الحائرين" وهو فى العقيدة اليهودية ، وقد تأثر موسى بن ميمون فى كتابه بالفكر الدينى الاسلامى الذى لم يكن معروفاً على عهد التوراة .. كل هذا أدى إلى أن يتسلح المفسر اليهودى بهذه الثقافات حتى لا يكون متخلفاً عن مفسرى القرآن من المسلمين وهو يعيش بينهم ويرى جهودهم فى العناية بحفظ وتفسير كتابهم المقدس .

إن المعنى السياسى فى حنين اليهود للقدس منذ طردهم منها حتى الآن - وهو معنى لا يوجد ما يقابله فى حنين المسلمين إلى الحرمين الشريفين - هو أنهم يعتقدون أن وجودهم فى الشتات كان بغضب من الله عليهم ، ولذلك فإنهم على الرغم من تأقلمهم فى ظروفهم الجديدة كانوا يترقبون زوال غضب الله عنهم ، وذلك بأن يكون لهم كيان فى عاصمة سليمان ، ولهذا كانت التقاليد المعمارية تقضى على اليهودي إذا بنى بيتاً أو قصرأ أن يترك فيه قطعة مكشوفة من الحجارة أو مهدمة تذكره بخراب الهيكل وتدعوه دائماً ألا يسكن فى دار كاملة العمران حتى يتم عمران المدينة المقدسة ، لذلك إمتزج الحنين الدينى بهذه العقيدة السياسية والحربية ولكنهم حولوها إلى عقيدة غيبية لدرجة أن المتزمتين منهم كانوا يرفضون الصهيونية الحديثة عند ظهورها لما تتضمنه من تمرد على غضب الله الذى به كتبت عليهم الذلة والمسكنة ولم تنحل هذه العقدة إلا عندما إقتنع بعض الحاخاميين بالصهيونية فى أواخر القرن الماضى (من أمثال هيرش) فبدأ المتدينون المستقنون يقبلون الصهيونية بدون حرج .

حتى أن أحد المفكرين يعلل مسألة حنين المثقفين اليهود سياسياً إلى فلسطين في العصور الوسطى بأنه كان وسطاً بين الرضا بالعقاب الإلهي الذي أنبأهم به أنبيأؤهم وانتظار العفو عنهم ، الذي لا يكون إلا بوجود حاكم لهم في الأراضي المقدسة ، فهي إذن صهيونية روحية قوامها التسليم بالإرادة الإلهية ، أى أنها بالمقارنة بصهيونية هرتزل كانت عاطفية لاتتخطى ذلك إلى عالم المال والأعمال وكذلك كانت سلبية لم تفكر في ترجمة هذه العاطفة الصهيونية إلى مشروع عملي واجب التنفيذ .. ولذلك فحنينهم للقدس كان ممهداً للصهيونية السياسية فعندما قام هرتزل بتحويل الحركة الصهيونية من حركة فكرية إلى حركة سياسية بإرسال منهجها العام سنة ١٨٩٦م في كتابه الشهير "الدولة اليهودية" ، إنما حورها وسخرها للوصول إلى خدمة أغراضه السياسية وأهدافه القومية .

الآثار المسيحية في القدس

على مر عصور التاريخ لم يكن عدد المسيحيين بالقدس بالعدد القليل بل كان دائماً يقدر بالآلاف .. إلا أن المسيحيين في العصر الحديث خاصة القرنين الأخيرين منقسمون على أنفسهم داخل القدس إلى مذاهب وشيع وجماعات وطوائف .. وكل مذهب أو طائفة من هذه الطوائف لها معابدها الخاصة بها ومؤسساتها الدينية والاجتماعية ، ولها جميعها مجتمعة ماعدا "البروتستانت" كنيسة القيامة .

أولاً : الروم الأرثوذكس :

وهي الجالية القديمة التي عاشت في القدس منذ العصور المسيحية الأولى .. وقد عانت هذه الطائفة الكثير من الاضطهاد على أيدي اللاتين ، لكنهم استردوا كل حقوقهم كاملة على يد الحكم العربى .. ومن أديراتهم :

- (دير أبينا إبراهيم) في جنوب شرق ساحة القيامة ، عمرته الملكة هيلانه عام ٣٣٥م وخربه الفرس عام ٦١٤م وظل خراباً إلى أن أخذه الروس من الأتراك عام ١٨٨٧م وبه اليوم كنيسة لإحدهما تعرف باسم (أبينا إبراهيم) والثانية يطلق عليها (الرسل الإثنى عشر) .

- (دير ماريوحنا المعمدان) ويقع بين سوق علوان وحارة النصارى وبه كنيسة :
إحدهما تحت الأرض طرازها بيزنطى ، شيدت عام ٤٥٠م والأخرى فوقها
بنيت عام ١٠٤٨ ، وعندما احتل الصليبيون القدس اتخذوا من الدير
والكنيستين مقرا لفرسان ماريوحنا عام ١٠٩٩م وعندما إسترد صلاح الدين
الأيوبى القدس إسترد الدير ورممه .

- (دير العذراء) ويسمونه دير ستنا مريم .. ويقع فى الجنوب من كنيسة القيامة
بينها وبين المسجد العمرى .. وهو دير بنى فى العهد البيزنطى عام (٤٩٤م) .
- (الدير الكبير) ويعرف بدير قسطنطين ويقع فى الجنوب من بطريركية الروم فى
حارة النصارى ، بناه البطريرك الياس الأول (إيليا) الذى تولى شئون
البطريركية عام ٤٩٤م .. ويعتبر قاعدة أديار الروم فى فلسطين .. وتوجد فيه
ثلاث كنائس : الأولى : كنيسة القديسة هيلانه ، والثانية كنيسة القديسة تقلا
والثالثة : كنيسة مار يعقوب .. وفى هذه الكنيسة - الأخيرة - معبدان صغيران
أحدهما بإسم (الشهداء الأربعين) والثانى بإسم (حاملات الصليب) .

- (دير مارسابا) على مقربة من سلوان ، بناه القديس سابا حوالى ٤٨٤م ، فيه
كنيسة أنشئت عام ٥٠٢م ، وعمارات أضيفت إليه على عهد الامبراطور
جوستانيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) وتوجد به مكتبة فيها ثلاثة آلاف مجلد ، ولا يجوز
دخول النساء لهذا الدير عملا بوصية القديس سابا الذى لم يسمح حتى لأمه
بدخوله .

- (دير القديس تيؤدوسيوس) أنشئ فى نفس التاريخ الذى أنشئ فيه دير مارسابا
(٤٨٤م) ويقع بين بيت لحم ومارسابا ، ويسميه العرب دير ابن عبيد لأنه كائن
فى المنطقة التى تعيش فيها عشيرة العبيدين .

- (دير المصلبه) فى ظاهر القدس إلى الغرب ، إنه دير قديم .. أنشاه الأمير ماريام
الكرجى أيام الملك قسطنطين حوالى سنة ٣٣٠ للميلاد ، وفى قول آخر إن
الذى بناه هو الإمبراطور يوستنيانوس بين عامى ٥٢٧ و ٥٦٥ للميلاد .

- (دير البنات) مجاور لخان الأقباط من ناحية الشمال .. بناه البطريرك إلياس

- (٥٩٤م) فيه كنيسة : إحداهما أرضية باسم (القديسة ميلانيا) والأخرى فوقها باسم (مريم الكبيرة) أو (العذراء البكر) .
- (دير مار الياس) قبلى القدس ، على طريق بيت لحم .. إنه دير قديم أنشأه هرقل الملك خلال القرن السابع للميلاد عام (٦١٠م) فهدمه الفرس عام (٦١٤م) . وأعيد بناؤه عام ١١٦٥ من لدن عمتوثيل فومينوس .. وتجدد فى زمن البطريرك ذوستيوس عام ١٦٧٨م .
- (دير الجليل) فوق جبل الطور .. فيه كنيسة قديمة يسميها الروم (غاليليا) والمقدسيون (اليليا) يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح ظهر لتلاميذه بعد قيامه لأول مرة فى هذا المكان ، وقد بنوا فى الموضع نفسه كنيسة تعرف باسم (العذراء) .
- (دير القطمون) فى الحى المعروف بالقطمون غربى القدس كان بيد الكرج ، ثم صار إلى الروم ، فيه كنيسة وفى داخل الكنيسة قبر القديس سمعان وكانوا يسمونه (دير سمعان) ، إنه مقر الكرسي البطريركى فى فصل الصيف .. وكان الروم ينزلون فيه الحكام والمتصرفين .

وتوجد بالقدس أديرة أخرى صغيرة نذكر منها :

- دير السيدة على مقربة من المدرسة الصالحة .
- "مار افتي موسى" ، وهو ملاصق لدير السيدة من الشمال .
- "العدس" (أو نيقوديموس) فى حارة السعدية .
- "صهيون" على جبل صهيون فى جنوب القدس .
- "مار جرجس" وهو ملاصق لدير اللاتين فى الشرق .
- "مار جرجس" شرق دير الأرمن .
- "مار ميخائيل" فى شمال بطريركية الروم الأرثوذكس .
- "القديسة كاترين" فى حارة النصارى بين الصلاحية ودير اللاتين .
- "مار سبيريدون" فى حارة الحدادين .
- "مارديمترى" فى حارة النصارى .

- "مار نقولا" غرب البطركية .
- "مار تادرس" بجوار مبنى الكازانوف .
- "القديس أنوفريوس" (أبا نوفر القبطى) فى الوادى بين جبل صهيون وجبل أبى ثور فى جنوب القدس الجديدة .
- "دير أبى ثور" على جبل المكبر فى جنوب القدس .
- "اليعازر" فى اليعازرية فى شرق القدس .
- "مار الياس" على طريق بيت لحم فى جنوب القدس .
- "القطمون" أو سمعان" غربى القدس ، وبه قبر القديس سمعان .
- "حنس المسيح" على طريق الآلام .
- "مارخر الامبوس" شرق المدرسة الصلاحية .

ثانيا : الروم الكاثوليك :

أنشأ ابروشيتهم البطريك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٤٨ ، ويقع مقرها فى حارة الموارنة ولهم فيها نائب بطريركى يتبع بطريك الروم الكاثوليك فى دمشق ، وممتلكاتهم بالقدس :

- أ - كنيسة القديسة حنة .. وتقع بين باب حطه وباب الأسباط فى شمال الحرم .
 - ب - كنيسة القديسة فيرونيكا على طريق الآلام .
- وللروم الكاثوليك فى القدس أديرة وكنائس أخرى منها على سبيل المثال :
- (كنيسة القديسة حنة) وتقع بين باب حطة وباب الأسباط ، إلى الشمال من الحرم القدسى ، هنا يعتقد المسيحيون أنه فى هذا المكان بركت الغنم حيث أتى السيد المسيح بإحدى معجزاته ، وفيه بنى فى القرن الرابع للميلاد معبد كما بنيت كنيسة باسم مريم البتول فى سنة ٥٣٠م ويبدو أن هذه الكنيسة احترقت مع ما احترق من كنائس النصارى على يد الفرس عام ٦١٤م فأعاد الصليبيون بناءها عندما فتحوا القدس ١٠٩٩م وكانت تدعى كنيسة القديسة حنة . وجعل صلاح الدين هذه الكنيسة رباطا للمصلحين ومدرسة للفقهاء الشافعيين سنة ١١٧٨م ، وكانت هذه تعرف فيما مضى بـ (صند حنه) وسميت بعد الفتح الصلاحى

بالصلاحية وحدث زلزال خلال المدة الواقعة بين ١٨٢١ و ١٨٤٢ م . هدمت على أثره جدران الدير .. فنقلت الحكومة العثمانية حجارته وبنّت بها ثكنة عسكرية مجاورة لها .

- (دار القديسة فيرونيكا) وتقع فى عقبة المفتى ، على درب الآلام .. بنيت فى المكان الذى مسحت فيه هذه القديسة وجه السيد المسيح وهو مار من هناك حاملا صليبه ، وكانت الأرض ملكا لمسلم من سكان القدس .. يسمى (عبد الرحمن) فباعها بثلاثة آلاف ليرة فرنسية ذهبها وحصل الروم الكاثوليك على فرمان من السلطان بتاريخ ١٨٩٤ م .. فأنشأوا فوقها كنيسة باسم القديسة فيرونيكا .

ثالثا : اللاتين الكاثوليك :

فى عام (١٨٤٧م) أنشأ البابا الرومانى بيوس التاسع بطريركية اللاتين فى أورشليم وقد نشأ خلاف بين البطريك "يوسف فاليركا" الذى أقامه قداسة البابا وبين الآباء الفرنسيين إذ اعتقد هؤلاء أنهم أحق من غيرهم فى إدارة الأماكن اللاتينية ، وانقسم اللاتين إلى فئتين فئة تؤيد البابا ومندوبه البطريك وفئة أخرى تعضد الآباء الفرنسيين وراح البطريك يحث الرهبان فى القارة الأوروبية على المجيء إلى فلسطين .. ومما شجع هؤلاء على المجيء إلى هذه الديار الضغط الذى أُلِمَ بالجمعيات الدينية بفرنسا والتشريعات الجديدة التى سنت فيها لمطاردة الرهبان بإيعاز من المحافل الماسونية .

ويرى بعض المؤرخين أن المسيحيين راحوا يزورون القدس فى الجيل السادس عشر وما بعده بكثرة ، لا بقصد العبادة فحسب بل وحماية الأماكن المقدسة بالطرق السلمية ، إذ كان المسلمون يومئذ أقوياء وما كان من السهل إشهار حرب صليبية عليهم كالحرب التى قامت فى القرن الحادى عشر ومن أديرة الرهبان التى تأسست فى القدس :

أ - (الآباء الفرنسيون) ويلقبهم المقدسيون بـ (رهبان أبى حبله) عهد اليهم

حراسة الأماكن المقدسة من عام ١٢٩١ - ١٨٤٧ ومن أملاكهم :

١ - دير المخلص (أو دير اللاتين) شمال غربى حارة النصارى وفيه مكتبة قيمة

ومدرسة وكنيسة .

- ٢ - الكازانوفنا (الدار الجديدة) بين الباب الجديد ودير الافرنج مقر للحجاج والزوار المسيحيين .
- ٣ - دار البطريركية قرب الكازانوفنا وبها مدرسة لاهوتية وكنيسة باسم يسوع .
- ٤ - كنيسة الجسمانية بوادي قدرون (١٩٢٤م) وقد إشتراك في بنائها جميع لاتين العالم .
- ٥ - "مار فرنسيس" شمال قبر النبي داود (١٩٣٠م) .
- ٦ - "حبس المسيح" قرب طريق باب الأسباط ويعتقد اللاتين أن السيد المسيح جلد في هذا المكان من قبل جند الرومان .
- ب - الدومنيكان - جاءوا للقدس سنة ١٨٨٢م ولهم فيها :
دير و كاتدرائية سان إتيان (أو أسطفان) شمال باب العمودية هيكل كنيسة باسم الكنيسة المملوكية الصغرى (١٨٩٨) .
- ج - الآباء الكرمليون : جاءوا سنة ١٦٣٦م ولهم دير صغير بحى الطالبية وهيكل باسم القديسة تريزا .
- د - راهبات ماري يوسف : جئن سنة ١٨٤٨م ولهن مستشفى قرب الباب الجديد فى الشمال ودير ماريوسف فى حارة الموارنه (١٨٥٠م) وبه مدرسة للبنات ومدرسة ثانوية أخرى خارج السور .
- هـ - رهبان ماريوسف : (١٨٧٩م) ولهم مستشفى بين القدس وبيت لحم .
- و - راهبات صهيون : ولهن مدرسة صناعية بجوار مقبرة ماملا فى الغرب والمنزل النمساوى فى حارة الوادى على طريق الآلام .
- ز - راهبات الكرمل (١٨٧٣م) ولهن دير على جبل صهيون وهن لا يظهرهن لأحد طوال حياتهن .
- س - رهبان الآباء البيض : (١٨٧٨م) ولهم كنيسة القديسة حنه .
- ش - راهبات الوردية : (١٨٧٩م) ولهن دير بجوار بطريركية اللاتين ودير جنوب قبر ماملا فى غرب القدس .
- ص - رهبان السكركير : (القلب المقدس) ١٨٧٩ ولهم دير قرب بيت لحم وكانت لهم مدرسة لاهوتية ثم نقلوها لفرنسا فى آخر سنة الإنتداب .
- ض - راهبات مار فرنسيس (١٨٨٤ م) ولهن دير فى حارة النصارى .

- ط - راهبات القديسة كلارا (١٨٨٤ م) ولهن دير بجبل المكبر ولا يختلطن بأحد .
- ظ - راهبات المحبة (١٨٨٦ م) ولهن معهد للأيتام والعجزة والعميان فى طريق ماملا .
- ع - الرهبان الانتقاليون (الأغسطينيون) (١٨٨٧ م) ولهم عمارة ضخمة تسمى نوتردام - دى فرانس ، قرب الباب الجديد فى الشمال لإيواء الحجاج وبه كنيسة و متحف ومدرسة دينية ومكتبة .
- غ - راهبات السجود (١٨٨٨ م) لهن دير أمام المستشفى الفرنسى على طريق سليمان ، وبه هيكل باسم القربان المقدس وترى أمامه فى أى وقت راهبتين ساجدتين وتبادل الراهبات السجود مرة كل ساعة .
- ف - الرهبان العازريون (١٨٩٠ م) ولهم عمارة بيباب العمود ، إتخذها الحاكم البريطانى فى أوائل الإحتلال مقرا له ولهم دير فى جنوب مقبرة ماملا .
- ق - الرهبان الترابيست (١٨٩١ م) لهم دير فى اللطرون ويعيشون فى صمت تام .
- ك - راهبات مريم الفرنسيات المرسلات (١٩١٨ م) ولهن دير بيباب العمود .
- ل - الرهبان الكيوسيون (١٩٣٥ م) ولهم دير فى الطالبة ومدرسة بها .
- م - الجزويت (اليسوعيون) (١٩٢٧ م) ولهم معهد للأثار فى حى النيقوفوريه .
- وهناك أيضاً إرساليات كاثوليكية أخرى فى القدس ، منها رهبان وراهبات السالزيان فى حى المصراة ورهبان وراهبات البندكت على جبل صهيون ، راهبات الجلجثة والآباء المعزون وغيرهم .. تلك هى الإرساليات الكاثوليكية فى القدس وهى خاضعة للبابا فى روما .. وفى القدس بطريرك يتدبه البابا لإدارة شئون الطائفة اللاتينية .

رابعاً : الأرمن :

كان يقدر عددهم فى القدس عام (١٩٤٥م) بنحو ٥٠٠٠ فرد أرمنى وهم فئتان : إحداهما فئة تعيش فى دير (مار آرکنجل) ويسمى بالزيتونه .. ويقع فى شرقى دير مار يعقوب .. أما الفئة الأخرى فهى حديثة العهد جاءت إلى القدس بعد إضطهاد الأرمن على يد الأتراك فى الحرب العالمية الأولى .. ويعيشون فى دير مار يعقوب قرب باب النبی داود فى الجنوب ، وجدير بنا أن نشير الي أن الأرمن من حيث العقيدة فئتان : أرمن أرثوذكس وأرمن كاثوليك .. ونذكر من ممتلكاتهم :

- (دير ماريعقوب) ويطلقون عليه دير القديس جيمس الكبير وفيه دار البطريركية ، ومدرسة للاهوت وبه مكتبة تضم كتباً مخطوطة نادرة .
- (دير حبس المسيح) ويقع على جبل صهيون فى حى النبی داود وبه كنيسة صغيرة وفى ساحته عدد من قبور بطاركة الأرمن وأساقفتهم .
- وللأرمن عدة كنائس منها : كنيسة الجلجلة الثانية وهى أمام القبر المقدس وكنيسة (ماريوحنا) فى ساحة القيامة (وكنيسة المريمات) أمام قبر المسيح و (كنيسة ماركریکورلوسا فورثيش) ويطلقون عليها كنيسة القديسة هيلانة .
- ولهم مدرستان : إحداهما أولية ويسمونها (ترکمنشاتس) وأخرى يطلقون عليها (علم اللاهوت) .. وفى القدس عدة جمعيات خيرية ودينية أرمنية .

خامساً : الأقباط :

فى أواسط القرن الرابع الميلادى نزلت أول قافلة قبطية مدينة القدس، بهدف الاشتراك فى تدشين كنيسة القيامة .. وجاءت بعد ذلك قافلة أكبر من الأولى فى عهد صلاح الدين ، وكانوا مخلصين لصلاح الدين ، فرد لهم أملاكهم التى اغتصبها الصليبيون .. وكانت شئونهم تدار بمعرفة رجال الكنيسة الأنطاكية السريانية ، لكنهم راحوا ينفرون من السريان فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ، فاستقلوا وصار لهم مطران يدير شئونهم .. وتم بعد ذلك الإتفاق بين الكرسيين (الأنطاكى والأسكندرى) أن يتولى أبرشية القدس حبر قبطى يعينه البابا الجالس على الكرسي المرقسى ، وأن يجرى التكريز بإسم البطريك الأنطاكى .. ويذكر أن أول مطران قبطى على القدس هو الأنبا باسيليوس عام (١٢٣٦ م) .. ويقدر عدد الأقباط فى عام ١٩٥٠ بنحو (١٠٠٠) قبطى .. وللقبط فى القدس أملاك ومقدسات كثيرة نذكر منها :

(دير السلطان) وهو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الجنوبية الشرقية وفيه كنستان : (كنيسة الملاك) و (كنيسة الحيوانات الأربعة) إغتصبه الصليبيون من الأقباط ورده إليهم صلاح الدين ولهذا أسموه دير السلطان .

(دير مار انطونيوس) يعرف بالدير الكبير ، وهو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الشمالية الشرقية وفيه كنستان : (كنيسة القديس أنطونيوس) و (كنيسة الملكة هيلانة) وفيه أيضاً دار الأسقفية .

(دير مار جرجس) فى حارة الموارنة على مقربة من باب الخليل .
 (خان الأقباط) فى حارة النصارى بين باب الخليل وكنيسة القيامة بناء المطران الأنبا إبراهيم عام ١٨٣٩ م .
 (كنيسة السيدة العذراء) بالحسمانية بجبل الزيتون .
 (هيكل على جبل الزيتون) .
 (كنيسة ماريوحنا) وتقع خارج كنيسة القيامة .
 (كنيسة الملاك ميخائيل) وهى ملاصقة للقبر المقدس من الغرب .
 ولهم أيضاً مقبرة على جبل صهيون يدفن موتاهم فيها .. ويدفن فيها أيضاً السريان والأرمن والأحباش .

سادسا : الأحباش :

جاءت أول قافلة للقدس خلال القرن الرابع الميلادى وكانت لهم كنائس وأديرة كثيرة إلا أنهم أضاعوا أكثرها من أيديهم ولم يبق فى أيديهم سوى :
 (دير الحبش) ملاصق لكنيسة القيامة فوق مغارة الصليب .. وقيل أنه جزء من دير السلطان للأقباط ، ذلك الدير الذى لم ينقطع الخلاف حوله بين الأقباط والأحباش منذ سنين .

(كنيسة الحبش) فى ظاهر المدينة خارج السور ، وإلى الشمال الغربى من المسكوبية ، تم بناؤها حوالى عام ١٨٩٠ م .. وكان لهم فيما مضى حق التقدم على الطوائف المسيحية الأخرى لكنهم ضعفوا وراحت الطوائف الأخرى تتنازعهم فى هذا الحق .. وقد ساءت أحوالهم فى القدس فى أوائل القرن التاسع عشر وتناقص عددهم إلى عدد يقدر بنحو ثمانين نسمة عام ١٩٤٨ وكلهم ينتمون إلى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية .

سابعا : السريان :

وقد جاءوا إلى القدس منذ القرن الميلادى الأول .. وكانت طائفة قليلة العدد ، إلا أن عددهم زاد بتوافدهم على القدس مع الصليبيين .. ولما فتح صلاح الدين القدس رحلوا عنها .. ولم يبق منهم إلا عدد قليل وهم فتنان ، أرثوذكس وكاثوليك .

- وقد جاء ذكر الأرثوذكس في العهدة العمرية التي منحها عمر بن الخطاب لنصارى القدس (٦٣٦م) ولهم في القدس ممتلكات ومقدسات نذكر منها :
- (دير مارجرجس) في حارة الجواعنه بين حارة الأرمن واليهود .. وفي الدير كنيسة بيزنطية بإسم العذراء ودار للأسقفية .
 - (دير العدس) شمال القدس بـ "ايكوهومو" على درب الآلام عام (١٥٧١م) .
 - (دير مار توما) ويقع في الشارع المؤدى إلى حى النبي داود .
 - هيكل صغير بكنيسة القيامة بإسم "يوسف ونيقوديموس" .
 - هيكل في كنيسة ستننا مريم قرب الجسمانية .
 - هيكل على جبل الزيتون .
- أما السريان الأرثوذكس في القدس فلهم :
- (دير مار مبارك) الذى أنشئ عام ١٩٠٣م وهو يقع إلى الشرق من سلوان ، وفيه كنيسة ومدرسة يديرها الآباء البندكتيون .
 - (دير باب العمود) ويقع على طريق سليمان .. وقد بنى هذا الدير عام (١٩٠١) وبه كنيسة صغيرة .

ثامنا : الموارنة :

ينتمون إلى مار مارون الذى عاش في لبنان في القرن الرابع الميلادى وغير معروف موعد مجيئهم للقدس ، وليس لهم فيها سوى دير باسمهم بنى في عام (١٨٩٥م) .

تاسعا : الروس :

كانوا أول من بنى خارج السور في مكان واسع يسمى المسكوبية عام (١٨٥٦م) .. وهو على بعد نصف ميل فقط بالقرب من باب الخليل في الغرب وبه دار للأسقفية وكنيستان إحداهما كبيرة .. وتسمى بالثالوث المقدس (ولها سبع قباب مغطاة بالرصاص) والأخرى صغيرة باسم القديس إسكندر ينفسكى ، ومكان للحجاج .. وقد استخدم الإنجليز مباني المسكوبية وعماراتها كمقار لإدارة مصالح حكومة الانتداب منذ الحرب العالمية الأولى .. وكان للروس أيضاً .

- (دير المسكوية) وهو قريب من باب خان الزيت وإلى الشرق من كنيسة القيامة .
- (كنيسة القديسة مريم المجدلية) على مقربة من الجسمانية ومنها إلى الشرق على سفح جبل الزيتون من الجنوب ولقد أنشئت هذه الكنيسة على نفقة العائلة المالكة تخليداً لذكرى والدته القيصر وكان ذلك عام ١٨٨٩ م .
- (كنيسة الصعود) وتقع على جبل الزيتون ولهذه الكنيسة جرسية مرتفعة هي أعلى بناء في القدس على الإطلاق .

عاشرا: الألمان :

جاء الألمان إلى القدس في أواخر القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي بهدف الزيارة .. وكانت أول إرسالية ألمانية وطدت أقدامها عام (١٨٥٣م) وللألمان حتى يعرف بـ (الكولونية الألمانية) قريب من المحطة إلى الجنوب من المدينة والألمان فثتان :

الفتحة الأولى : الألمان البروتستانت : ولهم حتى يعرف باسم "الكولونية الألمانية" قريب من محطة السكة الحديد إلى الجنوب من المدينة ونذكر من ممتلكاتهم .

(مدرسة شنلر) والمعروفة باسم دار الأيتام السورية وتقع خارج القدس في الشمال الغربي لإيواء المكفوفين وتعليم الحرفيين .

(مدرسة طاليثا قومي) ويطلقون عليها شرلوطة وقد تأسست عام ١٨٦٨م غرب سور القدس من جهة الغرب على طريق الملك جورج .

(المستشفى الألماني) وتقع في الغرب من المدينة في الحي المعروف بالشيخ عكاشة وقد تأسست عام ١٨٩٤م .

(كنيسة المخلص) وتعرف بكنيسة الدباغة ، وقد جرى تدشينها بحضور الامبراطور غليوم الثاني عام ١٨٩٨م .

(مدرسة ترازيا) أسستها ترازيا سكس الألماني في عام ١٨٧١م وتقع في الغرب من بركة ما ملا .

(منزل أوغاستا فكتوريا) ويقع على جبل الزيتون .. ويسميه العرب (أم الطلعة) بناء الألمان عام ١٩٠٥ واتخذة الإنجليز مقراً للحكم ومكاناً يقيم فيه المندوب السامي عام (١٩١٨م) .

أما الفئة الثانية : من الألمان فهم الكاثوليك ومن أملاكهم بالقدس :

(كلية شملت للبنات) وقد أسستها الجمعية الألمانية الكاثوليكية للأراضي المقدسة عام (١٨٨٦ م) .. ويقوم بالتعليم فيها راهبات ألمانيات يساعدن راهبات عربيات .. والمدرسة تقع في الشمال من مصر .

(دير القديس شارل بروميوس) تأسس عام (١٨٨٧ م) وهو مخصص لنزول الحجاج الألمان الكاثوليكين وهو كائن في حي الألمان في البقعة .

(منزل القديس بولس) ويقع شمال باب العمود إلى الشمال وبنى عام (١٩٠٨ م) وجعلته الحكومة البريطانية مقراً لحاكمها عام (١٩١٧ م) .

(كنيسة نياحة العذراء) ويسمونها "الدورميشيو" وتقع على جبل صهيون .. غرب مقام النبي داود .

حادى عشر : الإنجليز :

حركة التبشير للدين المسيحى من ناحية البروتستانت بدأت في القدس عام ١٨٢٢ م وكان يتزعم هذه الحركة يهودى تنصر اسمه يوسف وولف .. ولم تكن نقمة المسلمين على هذا الرجل بأقل من نقمة اليهود أنفسهم وكهنتهم .. وزادت حركة التبشير في عهد المطران نيقولا ياسون عام (١٨٣٣ م) والمطران ميخائيل الكسندر الذى كان مقره كنيسة مار يعقوب وهو يهودى تنصر أيضاً وكان حاكماً في إنجلترا ، واستخدمه الإنجليز في الدعاية للمسيحية بين اليهود في القدس وبنى كنيسة يسوع تجاه قلعة دواو وتولى بعده صمويل جويات ١٨٤٦ وقضى ٢٣ عاماً في مدرسة صهيون ثم المطران يوسف باركلى سنة ١٨٧٩ ، ثم جورج فرنسيس سنة ١٨٨٧ الذى أسس مدرسة القديسة مريم للينامى من اليهود وكنيسة ومدرسة أخرى باسمه ومستشفى في ظهر المدينة .

وتلاه المطران جورهام يراون سنة ١٩٣٢ الذى أسس (مستشفى مار يوحنا) ١١٢ .. وللإنجليز في القدس مستشفى يطلقون عليه ويسميه المقدسيون (مستشفى البقعة) لأنه واقع في الحي المعروف بهذا الاسم . وقد تأسس هذا المستشفى سنة ١٨٦١ م .

ولهم المكان المعروف بـ Gavden Toom على مقربة من باب العمود وإلى الشمال من السور ويعتقدون أن السيد المسيح صلب في هذا المكان لا في المكان الذي تقوم عليه كنيسة القيامة الآن .

الثانى عشر : الأمريكان :

جاءت أول قافلة أمريكية للقدس عام (١٨٨١م) وكانت هذه القافلة مؤلفة من ١٣ شخصاً على رأسهم هوراثيو سبافورد Horiatio.Spafford وإمرأته وطفلاهما أنا وغريس ، فكانت هذه هى النواة الأولى التى تكونت منها بعد قليل المؤسسة المعروفة بالكولونية الأمريكية بحى الشيخ جراح .

ونشب بين رجال هذه القافلة والقنصل الأمريكى بالقدس فى ذلك الحين صلاح مريل خلاف شديد بسبب قطعة من الأرض كانت للأمريكان على جبل صهيون باعها القنصل المذكور إلى الآباء الفرنسيين (١٨٩٨م)، وكان الأمريكان قبلاً يدفنون فيها موتاهم فاشترى على أثر ذلك أرضاً على سفح الجبل (جبل الزيتون) .. واتخذوها مقبرة لهم .

ويذكر المؤرخون أنه بلغ عدد الأمريكين المسيحيين فى القدس عام (١٩٤٨م) نحو ١٥٠ شخصاً بالإضافة إلى اليهود والعرب الذين تجنسوا بالجنسية الأمريكية بحكم مولدهم أو مصالحتهم الشخصية .

وللأمريكين المسيحيين بالقدس :

(الكولونية الأمريكية) بالإضافة إلى كنيسة واقعة فى شارع الأنبياء ومدرسة للبحث عن الآثار الشرقية .. ودار للقنصلية ومنزل للزوار والمسافرين .

المقدسات المسيحية والخلافات الطائفية

يقول أحد المؤرخين : "إن السلام الذى بشر به السيد المسيح قد يكون ظاهراً فى أى مكان آخر ، إلا بين جدران كنيسة القيامة حيث تأصلت العداوة والبغضاء منذ عصور وأجيال اللاتين والأرمن والأقباط وما إلى ذلك من الطوائف المسيحية المتنافرة .. من منهم يصلى قبل الآخر .. ومن منهم يكنس هذه الناحية أو تلك من أنحاء الكنيسة - كنيسة القيامة - وأيهم على صواب فى اعتقاده أكثر من الآخر .. وإنه ليخيل للمرء الذى يتتبع أنباء هذه الاختلافات أنه ليس لهذه الكنيسة التى يقدسها جميع الطوائف المسيحية فى العالم أية صلة بتعاليم السيد المسيح" .. وكما ذكرنا سالفاً أن الطوائف المسيحية مختلفة

حول مقدساتها ودور عبادتها .. لكن منذ بنيت كنيسة القيامة والخلافات حولها كثيرة نذكر منها بإيجاز :

إنه بلغ الخلاف أشده بين الروم واللاتين خلال إحتلال الصليبيين للقدس (١٠٩٩م) إذ كانت كلمة اللاتين فى غضون ذلك الإحتلال هى العليا . فاستبدوا بالروم وإغتصبوا منهم بعض أملاكهم ، ولما إحتل صلاح الدين القدس (١١٨٧م) تقلص النفوذ اللاتينى وتنفس الروم الصعداء . فردت إليهم أملاكهم ، ومن الأمثلة الأخرى إحتلال اللاتين والكرج حول الكنيسة عام (١٤٩٣م) ورفع شكاوهم للقاضى المسلم بالقدس الذى أمر بأن تقسم بينهما فى خط من الشمال إلى الجنوب ، كما تعددت شكاوى الأرمن وغيرهم لقاضى القدس ، كانت أحيانا تصل إلى دار الخلافة العثمانية فى أسطنبول ، وم أبرز المشاكل التى مازالت حتى الآن ادعاء الأقباش بملكية دير السلطان التابع للأقباط ولهذا قام الحكام المسلمون بتنظيم ملكية الطوائف ومنع حدوث المصادمات عن أحقيتها فى دخول القبر المقدس قبل الأخرى يوم سبت النور ، فرتب هذه العملية مجلس انعقد فى د المحكمة الشرعية سنة (١٥٤٢م) برئاسة مجموعة من القضاة المسلمين ، بحضور ممثلى الطوائف ، وحدد طريقة الدخول إلى قبر المسيح ومواعيد الزيارة ، واتفق الحاضرون على أن يحمل الرؤساء الدينيون الشموع المضاء بنفس الترتيب عند خروجهم من كنيسة القيامة.

واختلفت الطوائف المسيحية فى أواسط القرن السادس عشر : من منها يحق لها تدخل القبر المقدس قبل الأخرى فى سبت النور فانعقد على الأثر مجلس فى دار المحك الشرعية حضره عدد من قضاة المسلمين ورؤسائهم ومن ممثلى الطوائف المختلفة ، وشهد الشهود ، فتقرر أن يكون الدخول إلى القبر المقدس على الترتيب التالى :

- (١) رئيس الأقباش (٢) رئيس الروم (٣) رئيس الأرمن (٤) رئيس الكر
- (٥) رئيس السريان (٦) رئيس الأقباط .

وتقرر أن يحمل هؤلاء الرؤساء الشموع المضاء عند خروجهم من الكنيسة ع الترتيب نفسه . وإختلفت الطوائف فى عام (١٦٠٧م) حول الجلجلة فأصدر السلطان أحمد الأول فرمانا جاء فيه : (إن الجلجلة يخص الروم) .. وفى عام (١٦٣٢م) حص اللاتين على أمر من السلطان يقضى على الروم والأرمن بإخلاء القبر الثلاثة الكائنة كنيسة القيامة وتسليمها مع المفاتيح للأباء الفرنسيين .. وفى عام (١٦٣٤م) حصل الر

على فرمان من السلطان مراد الرابع يمنحهم فيه حق التقدم على الأرمن في إحتفالات كنيسة القيامة . ويمنع اللاتين من التعرض لهم في الكنيسة المذكورة ، ولقد وردت العبارات التالية في فرمان الذي وجهه السلطان إلى نائبه في القدس ، قال .. " اعمل بموجب أمرى الشريف هذا وإلا قطعت رأسك هكذا ، فاعلم " .. وفي عام (١٦٣٦م) صدر بمساعي البابا وفرنسا فرمان ينقض ما جاء في فرمان ١٦٣٤م ويثبت حقوق اللاتين .

وفي المدة الواقعة بين عامي ١٦٤٠ ، و١٦٥٨ قامت منازعات خطيرة بين الروم والأرمن من أجل بعض الأماكن المقدسة ومنها الدير المعروف بـ (دير مار يعقوب) . فاستولى عليه الأرمن في بداية الأمر . ثم استصدر الروم أمراً من السلطان بانتزاعه منهم ثم عاد الأرمن ففتعلبوا ، وحصلوا على أمر باسترجاعه . وما كان الخلاف حول هذا الدير ينتهي في كل مرة إلا بسفك الدماء وتدخل السلطة الحاكمة ، وفي عام (١٦٦٠م) حصل خلاف بين الروم واللاتين من أجل الصلاة في أحد الشعانين ودام النضال بينهما سبع سنين .. وفي عام (١٦٧٣م) اتفق الأرمن واللاتين ضد الروم . فقامت على أثر ذلك أعمال شغب .. وحصل الروم على فرمان من السلطان عام (١٦٧٥م) يقضى بنزع كل ما وضعه اللاتين فوق القبر المقدس ، وسلم القبر للروم .. وفي عام (١٦٨٩م) حصل اللاتين على فرمان يقضى بمنحهم القباب التي في كنيسة القيامة مع المغتسل ونصف الجلال . كما منحوا حق الصلاة على القبر المقدس . ثم ذلك كله إثر تهديد الحكومة الفرنسية لتركيا . وكانت هذه قد غلبت على أمرها في الحرب التي قامت بينها وبين روسيا وبولونيا والنمسا .. وفي عام (١٧١٠م) حصل اللاتين على أمر بتعمير الأماكن المقدسة ، وأعطى رهبان الروم من المثل أمام المحاكم لا في القدس ولا في الشام ، وإنما في استانبول . واتفق الفريقان (الروم واللاتين) على أن تبقى كنيسة القيامة على حالها ، فلا يجرى تعميرها ولا تجديدها .

واصطدم الروم بالأرمن عام (١٧٣١م) إذ حصل الأرمن على حقوق قال الروم أنهم ما كانوا ليحصلوا عليها لولا أنهم حرقوا فرمان الذي صدر في زمن السلطان سليم الأول فياستبدلوا إسم (عطا الله) بـ (سر كيس) وكلمة (الروم) بـ (الأرمن) ، ولكن السلطان محمود عاد فألغى ذلك فرمان ، وأعاد للروم ما أخذه منهم ، وازدادت النار تأججاً عندما أخذت فرنسا بعد معاهدة (١٧٤٠) تؤيد اللاتين وروسيا تؤيد الروم . ووصل الخلاف إلى درجة أن اللاتين أدخلوا إلى الكنيسة في أحد الشعانين عام (١٧٥٦م)

رجالاً مسلحين . وفى أثناء الصلاة هاجموا الروم . وراح الفريقان يتضاربان ويتشاكبان ، فحصل الروم على بعض الحقوق واللاتين على البعض الآخر ، وأما قبر يسوع فقد اعتبر مزاراً للفريقين .. وفى عام (١٨٠٣ م) أصدر السلطان سليم الثالث أمراً خص فيه الروم بعطفه . ويظهر أن هذا الأمر قد أغاظ الأرمن فراحوا يبحثون عن طريقة للانتقام . فأحرقوا كنيسة القيامة عام (١٨٠٨) وأقفلوا أبواب الكنيسة فى وجوه رهبان الروم ، واللاتين هرعوا إلى المكان ليطفئوا النار . ولم تنطفئ النار إلا بعد أن كانت قد أنت على الكنيسة ، ولم يسلم منها سوى جزء ضئيل ، وتمكن الروم من الحصول على أمر من السلطان بتعمير الكنيسة وقامت إثر ذلك بين الروم والأرمن مشاغبات لم يكن فى القدس عدد كاف من الجند لإخمادها . لولا أن جاءت قوة من الجند أرسلها أمير الشام . فشئت هذه شمل الثائرين وحكمت على ٣٤ شخصاً منهم بالموت . فأعدموا شتقاً عام (١٨١٠ م) .

أما عام ١٨١١ م فكان أقسى الأعوام على المسيحيين فى القدس إذ توترت الصلات بين الروم واللاتين وبين الروم والأرمن بسبب إختلافاتهم المتكررة وكانت الخلافات حول شئون تتعلق بالكنيسة .. وقد وصلت إلى حد الهجوم وسفك الدماء وانتهت تلك الإختلافات بمنح الروم حق تعمير ما احترق من الكنيسة وتسليم الأرمن جميع الأماكن التى كانت لهم من قبل على أن يدفعوا للروم المبالغ التى أنفقها هؤلاء من أجل تعميرها ، وفيما عدا ذلك فقد تقرر أن يبقى كل شىء فى الكنيسة وفى الأماكن المقدسة الأخرى على ماكان عليه من قبل .

وفى عام ١٨٢٩ م حصل الأرمن على فرمان من السلطان يخولهم فيه نفس الحقوق التى يملكها الروم واللاتين فى كنيسة القيامة .

وفى عام ١٨٣٣ م اختصم الروم والأرمن من أجل كنيسة القيامة ووصلا إلى حد التضارب فى داخل الكنيسة بالعصى والحجارة ، ودام الخصام إثنين وعشرين يوماً ولم ينته إلا عندما صدر الأمر بأن يرجع الأرمن الحجر الذى رفعوه إلى مكانه على مقربة من القبر المقدس .. وفى ١٨٥٢ م نشأ بين الروم واللاتين خلاف من أجل نجم فضى وضعه اللاتين فى المحل الذى ولد فيه السيد المسيح بمغارة بيت لحم ، زاعمين أنه كان فى ذلك المكان نجم آخر سرقه الروم وتدخلت روسيا فى الأمر ، وإعتبرت تركيا تدخلها هذا ماساً باستقلالها وكانت هناك عوامل أخرى أدت إلى نشوب الحرب بين الفريقين وعرفت هذه بعدئذ بحرب القرم وانتهت بانتصار الأتراك عام ١٨٥٦ م وريح الانجليز والفرنسيون إثر ذلك

بعض الامتيازات ذلك لأنهم وقفوا إلى جانب الأتراك ، يؤيدونهم ضد الروس .. وفى عام ١٨٦٢م اختلفت الطوائف .. من منها تعمير قبة القيامة فتم الاتفاق بين تركيا وروسيا وفرنسا على أن تعمير تلك القبة على نفقة روسيا وفرنسا باسم الطوائف المختلفة وأن تتولى تركيا نفسها التعمير فعمرت (١٨٦٩م) .

وفى عام (١٩٠١م) قامت مشادة عنيفة بين الروم واللاتين إنتهت إلى معركة دامية أدت إلى إصابة نحو عشرين شخصاً . وجرح مثل هذا العدد من خيرة الروم . وسبب المعركة أن الروم اعترضوا على اللاتين لأنهم (كنسوا) بعض الدرجات فى ساحة الكنيسة . وقال اللاتين إن ذلك من حقوقهم ، فتدخل الجنود الأتراك فى الحال . وأعادوا النظام إلى نصابه بعد عناء شديد .. وما أسلفنا هى مجرد أمثلة وليست كل الأحداث التى حدثت بسبب اختلاف الطوائف المسيحية .. وهذه بعض الآثار التى مازالت محل خلاف بين الطوائف المسيحية :

أولا : كنيسة القيامة :

أجمع المؤرخون وعلماء الآثار على أن كل الجلجثة (مكان الصلب) كان واقعاً خارج أسوار مدينة القدس فى عهد السيد المسيح .. وكان بالقرب من باب يسمى باب الجنة أو القضاء .. وقد حاول الإمبراطور الرومانى "هدريان" أن يمحق هذا الأثر فعمد إلى ردم القبر والجلجثة .. ووضع اليهود فوقها طبقات كثيفة من التراب .. لكن المسيحيين لم يكفوا أبداً عن زيارة هذا المكان المبارك ، ويذكر المؤرخون أن كنيسة القيامة بنتها الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين عام (٣٣٥م) . وأحرقها الفرس عام "٦١٤م" وأحرقوا معها جميع الكنائس والأديار التى كانت يومئذ فى القدس فأعاد بناءها عام (٦٣٦م) الراهب مودسطس رئيس دير العبيديين فى ذلك الحين . وجدد هيكل القيامة والجلجثة وجزء من المرتيرين .. وما بقى من المساحة الفسيحة بين الأنسطاسيس ومغارة الصليب والجلجثة قد تحول إلى أروقة محاطة بآبواب وكنائس صغيرة .. وعندما فتح المسلمون بيت المقدس عام (٦٣٦م) أعطى عمر بن الخطاب النصارى الأمان ولم يصب كنائسهم بأذى .. ويذكر أنه رفض أن يصلى فى كنيسة القيامة رغم أن وقت الصلاة قد حان .. وأشار إليه البطريك صفروتيوس أن يصلى مكانه إلا أنه رفض وصلى على مقربة من الكنيسة ، حتى لايتخذ المسلمون صلاته بعد ذلك حجة ، ويطالبوا بحقوقهم فى كنيسة القيامة .. وفى عهد الخليفة

العباسي المأمون رمم الكنيسة مودسطس البطريرك توما الأول عام (٨١٧م) .. وفي عهد الأخشيدي سلطان مصر عام (٩٦٥م) أحرقت الكنيسة وسقطت قبتها وجرت محاولات لإعادة القبة ، إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل .. وفي عام (١٠٠٩م) أمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بهدمها فهدمت وهدم معها الأوقرانيون وكنيسة قسطنطين ولكن الخليفة عاد فأجاز للنصارى أن يعيدوا البناء من جديد فشيّدوا كنيسة القبر المقدس .. وقد شيدت على غير شكلها الأصلي وحال فقرهم دون إتمام الباقي .. وسمح الخليفة الفاطمي المستنصر بالله للنصارى ببناء الكنيسة من جديد وكان ذلك عام (١٠٣٥م) .

ويذكر المؤرخون أنه في عام (١١٤٠م) قام الصليبيون بتوصيل كل معابد القيامة في كنيسة واحدة ، وبنوا شرقي القبر المقدس كنيسة باسم نصف الدنيا ، حيث أشيع أنها مركز العالم القديم ، وشيدوا برجاً للأجراس ، واستغرق ذلك العمل تسع سنوات . وعندما فتح صلاح الدين القدس ، أشار عليه بعض أصحابه بأن يهدم كنيسة القيامة ، كي لا يبقى لمسيحي الغرب حجة لغزو القدس مرة أخرى ، فرفض وأمر المسلمين ألا يصيبوها بسوء . وقيل أنه في عهد صلاح الدين سلمت مفاتيح القيامة إلى عائلتين مسلمتين ، هما عائلتنا نسبية وجودة . ولا يزال أحفادهما يحتفظان بهذا الحق الآن . على أساس أن المفاتيح بيد آل جودة . أما عملية فتح الأبواب وإغلاقها فمن واجب آل نسبية . والأرجح أن ذلك العمل تم في عهد السلطان سليمان العثماني . ويرى البعض أن ذلك قد تم بناء على رغبة الروم حيث كان الخلاف على أشده بين الروم الأرثوذكس واللاتين أثناء الاحتلال الصليبي كما سبقت الإشارة ، حيث تمكن اللاتين من السيطرة على القيامة إلى أن أعادها صلاح الدين للروم .. وبعد حريق عام (١٨٠٨م) الذي امتد من كنيسة الأرمن إلى أنحاء كنيسة القيامة ، والذي لم يسلم منه سوى جانب من الجليثة وكنيسة القديسة هيلانة وهيكل اللاتين ، امتد اللهب إلى أنحائها فسقطت القبة .. وفي عام (١٨١٠م) حصل الروم على إذن من السلطان محمود الثاني بترميم الكنيسة ، فرمموها ، وشادوا فوق القبر المقدس البناء الكائن إلى اليوم .. وتصدعت الكنيسة إثر الزلزال الذي حدث في القدس في عهد إبراهيم باشا عام ١٨٣٤م وقد رمت الكنيسة بعد ذلك مرات عديدة ، إلا أن آخر ترميم جرى لها في أواخر القرن التاسع عشر يوم إتفقت الدول الثلاثة (فرنسا وروسيا وتركيا) على أن تقوم

الدولتان (فرنسا وروسيا) بنفقات التعمير ، وأن تتولى تركيا الإشراف على التعمير وكان ذلك فى عام (١٨٦٩م) .

وقد أصابت الكنيسة ما أصاب غيرها من العمارات القديمة إثر الهزة الأرضية التى ألت بالقدس عام ١٩٢٧م ، فتداركت الحكومة البريطانية المنتدبة الأمر بما تيسر من الوسائل التى تساعد قليلا على درء خطر عاجل ولا تدفع خطرا مستقبليا .. فقد شدت سقف الكنيسة بالخشب والحديد المسلح (١٩٣٠ - ١٩٣٣م) وكذلك فعلت الحكومة البريطانية إزاء زلزال عام "١٩٣٧م" ، وتقع كنيسة القيامة الحالية بالقرب من باب الخليل ، والطريق الذى يؤدى إليها يسمى حارة النصارى ، ويوصل إلى سوق القيامة وهو مكان فسيح يقف فيه باعة التحف والمسابع والأيقونات الدينية والشموع التى تباع للحجاج والسياح . وأمام الكنيسة ميدان فسيح مربع يسمى ساحة القيامة ، كان يقف فيه الزوار منذ عهد السلطان العثماني سليمان القانوني لدفع رسوم دخول الكنيسة ، حتى عهد إبراهيم باشا الذى ألغى هذه الرسوم سنة ١٨٢٢ . بعد خضوع المدينة المقدسة للحكم المصرى .. وعند المدخل لمجد ثلاث درجات عليها آثار أعمدة المدخل القديم ، ومنها عمود قائم حتى الآن ، يرجع للقرن التاسع .. ويكتنفه جدار من جهاته الثلاثة ، حيث توجد كنيسة مار يعقوب الصغير وكنائس مار يوحنا ومريم المجدلية والأربعين شهيدا (وهى تسمى أيضاً بالثالوث الأقدس) ، وفيها مكان قديم للعماد ، وقبور لبعض بطاركة الروم الأرثوذكس بالقدس . وفى اليمين ثلاثة أبواب ، يوصل أحدها لدير الروم المسمى بإسم القديس إبراهيم ، وقد أخذوه من يد الأحباش ، والثانى يوصل لجرس المنارة . ومن الباب الثالث ندخل إلى كنيسة الملاك ميخائيل القبطية ثم كنيسة الإفرنج ، التى يصعد إليها بإثنتى عشرة درجة حجرية ، حيث كان مدخل الجلعثة الذى سده اللاتين سنة ١١٨٧ ، وجعلوه هيكلا باسم "أم الأحزان ويوحنا الحبيب" ، وتحت هيكلا بنفس حجمه بإسم القديسة مريم المصرية (التي كانت امرأة شريرة ، أتت من الإسكندرية سنة ٣٧٣ مع الحجاج المصريين باستخفاف ، وأرادت دخول كنيسة القيامة فأحست كأن يدا غير منظورة تمنعها من الدخول ، فتابت وعاشت فى قفار الأردن ٤٨ عاما فى زهد وتقشف وعبادة .

وبعد ذلك نتجه مباشرة نحو باب القيامة الرئيسى فى جنوب الكنيسة وكان هناك

باب آخر فى الغرب ، يدخل منه الزوار من ناحية حارة النصارى ولكنه سد سنة ١٨٠٨ م . وبعد الدخول نجد على شمال الباب الرئيسى مكان البوابين المسلمين ، وعن يمينه سلالم الجلجثة ، وأمامه حجر أحمر إرتفاعه نصف ذراع يسمى المغتسل وفى هذا المكان أنزل يوسف الرامى ونيقوديموس اليهودى جسد المسيح من على الصليب ، ووضعوه على هذا الحجر ، بعد أن وضعوا عليه الطيب والحنوط . وكان فى هذا المكان هيكل بإسم العذراء مريم أزاله الإفرنج عند بناء الخورس الفسيح ، وأمام المغتسل يوجد القبر المقدس الذى دفن فيه المسيح ، وأضيف إليه هيكل الملاك مكشوفاً ، وغطيت القبة والجدران بالرخام فى القرن التاسع ، أما فى القرن الحادى عشر فقد وضع الصليبيون تمثالاً فضياً للمسيح ، أكبر من الحجم الطبيعى بقليل ، ثم غطوا قبة القبر المقدس بصفائح فضية مطلية بالذهب ، ثم أقيمت ثلاثة جدران حول هيكل الملاك .

وفى سنة ١٥٤١ جدد الأب بونيفاسيوس راغوس القبر وزينه وسد بابى هيكل الملاك ، فلم يبق له إلا الباب الأوسط . وفى سنة ١٥٤٥ أقام الأقباط هيكلًا لهم ، وراء القبر المقدس من الغرب ظلوا محتفظين به للآن ، رغم محاولات الكثيرين انتزاعه منهم .. وبعد حريق سنة ١٨٠٨ حرم الروم الأرثوذكس القبة تماماً وأزالوا انحناء الواجهة ، فجعلوها على زاويتين قائمتين بعد أن كانت على شكل نصف دائرة ، وأما الرخامة التى على القبر المقدس فهى قديمة ، فقد أشار إليها أحد الزوار سنة ١١١٢ م وقال أنها كانت مثقوبة بثلاثة ثقوب تمكن الزوار من النظر إلى الصخر وتقبيله . وإذا سرنا شمال القبر نجد هيكل القديسة مريم المجدلية ، حيث قابلت المسيح بعد قيامته وظنته البستاني (يوحنا ٢٠: ١٥) ، وفى شماله تصعد أربع درجات إلى كنيسة ظهور المسيح للعذراء مريم بعد القيامة كما يذكر التقليد ، وفيها مذبحان فى أحدهما قطعة صخرية من العمود الذى جلد عليه الجند الرومان السيد المسيح وطولها ٧٥ سم . ووراء هذه الكنيسة يقع دير الفرنسيسكان ثم منحنى البتول ، وهو عمر مظلم قائم على سبغ قناطر ، يقود فى آخره إلى هيكل صغير مظلم قائم على قنطرتين . يسمى هيكل حبس المسيح (وربما ترجع هذه التسمية إلى أنه كان يضم ذخائر الآلام) ، ويرجع للقرن ١٤ م . وقد اكتشف فى أوائل القرن الحالى ، على بعد عشرة أمتار فى الشمال الشرقى من قبر يوسف الرامى ، مما يدل على أن هذه الأماكن كانت فى ظهر المدينة المقدسة خارج الأسوار أيام المسيح ، كما سبقت الإشارة ، لأن الدفن بالمدينة كان محرماً لدى اليهود .

وبعد ذلك نجد هيكلاً نصف دائري للقديس لونجينيوس (وهو الجندي الروماني ،
الذى طعن المسيح بحربته فنزل من جنبه دم وماء ، وهو على الصليب حسب ما جاء فى
الإنجيل ، ويقول التقليد أنه آمن بالمسيحية فيما بعد) . وقد ذكر بعض الحجاج منذ القرن
الخامس أنهم شاهدوا - فى هذا المكان - الحربة والاسفنجة ، التى سقى بها الجند المسيح ثم
أدخله الصليبيون مع بقية الهياكل المجاورة للقبر المقدس فى إطار كنيسة القيامة ، وفى محل
موضع صليب المسيح على التل نجد فراغا مغطى بالفضة عن يمينه وعن يساره حجران من
الرخام الأسود يشيران إلى موضع صليبي اللصين ا وهناك قطعة من الصفيح المعدنى تحتها
إنكسار فى الصخر أحدثته الزلزلة التى تمت حينما أسلم المسيح الروح ، وهو عبارة عن
شق إتساعه ١٥ سم ا وتحت الجلجثة ينحدر سلم إلى ممر ضيق مظلم يسمى معبد آدم
(حيث يظن البعض أنه يضم جمجمة آدم) ، وعن يمينه يقع قبر جودفرى أول ملك صليبي
للقديس (١١٠٠ م) ، وعن شماله قبر الملك بودوان الأول الصليبي (١١١٣ م) ، وكان هناك
الكثير من المقابر الصليبية فى هذا المكان ، أنلفها الفرس أثناء هجومهم الثانى سنة ١٢٤٤ م
وأزيل الباقي تماماً سنة ١٨٠٨ م ، مع كل الكتابات والشواهد اللاتينية الموجودة عليها .

ثم نجد بعد ذلك هيكلاً آخر باسم ملكى صادق الكاهن ، وأول حاكم ييوسى
لأورشليم وقيل أنه صلى مع إبراهيم الخليل فى هذا المكان عندما التقيا قديماً كما تقول
التوراة ، وتتوسط كنيسة نصف الدنيا أبنية القيامة (ويزعم العامة أن مركز العالم تحت قبتها
تماماً) ولها جدران تنتهى بأروقة طويلة من جهاتها الثلاث ، عليها صور ورسوم روسية
قديمة ، وإذا خرجنا منها من ناحية هيكل الملاك فى الغرب نجد حاجزا (درازيناً) حديدياً
عاليا يليه هيكل اللاتين ، حيث يقيمون طقوسهم أمام القبر المقدس .

ثانياً : دير السلطان :

هو الدير الوحيد بين المسيحية ، الذى يحمل اسماً إسلامياً ، لأن كلمة السلطان لا
تطلق إلا على ملوك المسلمين ، وقد جرى العرف على تسمية الأديرة المسيحية بأسماء
القديسين ، وهناك عدة آراء بخصوص هذه التسمية . فقد قال البعض أنه هبة من أحد
السلطين لأقباط مصر ، فنسبوه إليه إقراراً بفضلله ، وقيل أن هذا السلطان هو صلاح الدين
نفسه ، ويذكر وليامز السائح (Wilams) أنه لما زار هذا الدير سنة ١٨٤٢ روى له قسيس

بأن أحد سلاطين المماليك عرض على كاتبه القبطى نظير إخلاصه فى خدمته مدة طويلة مكافأة مادية ، فاعتذر عن قبولها ، وإلتمس أن يسمح له بتعمير الدير الخرب بالقدس ، ومن هنا جاءت التسمية ، وهذه القصة - وإن كانت لا تؤيدها الأسانيد التاريخية أو الأثرية لكنها تعنى تجديد الدير ، وأنه كان فى يد الأقباط قبل سقوط دولة المماليك . وفى رواية أخرى للكاتب دى سولسى أن الدير شيدته السلطانة روكسلانا (Roxo Lana) زوجة سليمان العثمانى ، ولكن هذا رأى ليس له ما يبرره ، حيث أنه من المعروف فى تاريخ المدينة المقدسة أنها أقامت ما يعرف بتكية "خاصكى سلطان" سنة ١٥٥٢ فى عتبة المفتى فقط ، ولم تنشئها بدافع التقوى ، ولكن لمجرد التظاهر بالتدين فقط .

وهذا الدير يقع بجوار كنيسة القيامة ، داخل نطاق موضع الصليب ، .. وهو مهم للأقباط ، لأنه طريقهم للوصول من دار البطريركية (دير مار أنطونيوس) ، إلى كنيسة القيامة ، ومساحته ١٨٠٠ متر مربع .. وتقع مساحته فوق كنيسة القديسة هيلانة وفى الزاوية الجنوبية الغربية من هذه الساحة تقع كنستان تاريخيتان هما كنيسة الأربعة حيوانات ومساحتها ٢٤٢ م ، ويحيط بها من ناحيتها الشمالية والغربية سياج حديدى يفصلها عن الممر الذى يسير محاذيا لها إلى السلم المؤدى إلى كنيسة الثانية . التى على إسم الملاك ميخائيل وهى فى الدور الأرضى ومساحتها ٢٣٥ م ! وفى وسط مساحة الدير المذكور تبرز قبة كنيسة هيلانة ، وفى الجهة الغربية منها ، توجد الغرف التى يقيم فيها الرهبان الأحباش وفى إحداها كنيسة لهم .

وقد حافظ الأقباط على هذا الدير . ولم ينتزع منهم إلا عندما احتله الرهبان اللاتين إبان الاحتلال الصليبي للقدس ، ولكن صلاح الدين أرجعه إليهم بمجرد دخوله القدس ، وفى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب أمر بإعادة بناء سوره ، كما أمر الملك المنصور قلاوون عام (١٣٩٠م) بألا يمنع الأحباش من دخول هياكل القيامة أو دير السلطان بناء على طلب ملك الحبشة لأن اللاتين الموجودين هناك كانوا يضايقونهم وليس معنى هذا ملكية هذا الدير للأحباش - لأن رتشموند - الذى كان مديرا لمصلحة الآثار بفلسطين أيام الانتداب البريطانى - قد ذكر أنه منذ عام (١٤٠٠م) كان للأقباط حقوقهم بمقدسات للقيامة ، وعلى كل فإن موضوع إثبات ملكية هذا الدير للأقباط قد كتب فيه الكثيرون

مؤيدين أقوالهم بالوثائق القديمة وهناك مجموعة منها نشرها الأنبا تيموثاوس مطران القدس القبطى الأسبق بهذا الخصوص ، ونذكر منها على سبيل المثال وثيقة ذكرها عبد الله حسين وهى بتوقيع القاضى الشرعى بالقدس فى ١٣ شوال سنة ١٠٩٨ هـ (٢٢ أغسطس سنة ١٦٨٦ م) وهى تبدأ بالآتى :

بالمجلس الشرعى المحرر المرعى أجله تعالى لدى جناب سيدنا وملكننا ومولانا أفضى قضاة الاسلام ، وأولى ولاية الأنام بدر سماء المعالى الفخام الحاكم الشرعى الموقع خطه الشرعى وختمه الكريمين فى أصله أعلاه دام فضله وزاد علاه لما كان سابق على تاريخ أدناه كشف على دير طائفة نصارى القبط بحمية القدس المنيف المعروف قديما بدير السلطان بمحلة النصارى المحدود بمقتضى حجته السابقة الآتى بيانها فيه يطلب المعلم سالم إلينا المتكلم على أوقاف نصارى القبط ووجد الدير المذكور مشرفا على الخراب وبعض أماكن فيه تحتاج إلى الترميم والتبطين والعقادة والكحلة الضرورىين ، وأذن مولانا الحاكم الشرعى المشار إليه للمعلم سالم المتكلم المسطور أعلاه بترميم وتبطين .. إلخ "وقد ختمت هذه الحجة بخاتم فضيلة القاضى الشرعى الشيخ أحمد راقم" .

وعلى كل فالخلاف بين الأحباش والأقباط على ملكية هذا الدير يحتاج إلى بحث طويل ودراسة فى الوثائق والكتابات القديمة .

ثالثا: دير مار أنطونيوس :

يقع شمال كنيسة القديسة هيلانة بالقيامة وقد أصلح وأضيفت إليه مبان جديدة عام (١٨٧٥ م) بتبرعات أغنياء القبط ، وعمر مرة أخرى عام (١٩٠٧ م) وبعد خمسة أعوام صار لائقا لجعله مقبرا للمطرانية القبطية بعد تجديد كنيسته وأساساته القديمة وقد ذكر الكثير من الزوار والرحالة ، مستودع مياه باسم القديسة هيلانة ، يوجد بداخل الكنيسة القبطية الصغيرة بإسمها فى الدور الأرضى من الدير ، وللمستودع (البئر) سلم دائرى للهبوط عليه للحصول على المياه وهو مكون من إحدى وخمسين درجة ، وعلى بعد ستة أمتار من هذه الكنيسة تقع المرحلة التاسعة من مراحل حمل الصليب ، التى سقط عندها المسيح للمرة الثالثة كما سيجيء بعد قليل فى وصف طريق الآلام .

وتوجد بالدور الأول من الدير كنيسة باسم القديس أنطونيوس وهى ملاصقة للحائط الشمالى لكنيسة القيامة ، وأمامها فناء واسع يقع على سطح الدور الأرضى يحده من الجنوب والشرق مساكن الرهبان ومقر رئاسة الدير والكلية الأنطونية ، وقد دشن هذه الكنيسة الأنبا تيموثاوس عام (١٩٠٣م) كما يتضح من الكتابة المدونة فوق بابها ولها هيكل واحد ، وقد قام المطران الحالى الأنبا باسيليوس بإصلاحها وشيد لها منبرا جديدا ، أما فى الدور الثالث فنجد كنيسة أخرى أنشأها فى إحدى الحجرات المطران الراحل الأنبا ياكوبسوس تذكارا للعذراء .. أما الدور الرابع فهو مقر المطران وبه غرف لنزول الضيوف والحجاج وبه مكتبة فخمة .

وقد أدت رعاية السريان للأقباط أن استولوا على عدة أماكن مقدسة قبطية مثل منزل القديس مرقس الرسول الذى كان مقرا لمطارنة القبط الذين كانوا يفدون على المدينة المقدسة قبل اتخاذ الدير الحالى مقرا لهم ، ولهذا أقام البابا كيرلس الثالث السكندرى " الأنبا باسيليوس " أول مطران قبطى للكرسى الأورشليمى عام (١٢٣٦م) .

رابعا : دير مار جرجس :

دير قبطى يقع فى حارة الموارنة على مقربة من باب الخليل ويرجع للقرن السابع عشر ، وقال الأثرى روبنسون بأنه يقع فى الجانب الشمالى لموقع بركة حزقيا (٢ملوك ٢٠: ٢٠) ، والدير فيه كنيسة بها هيكل واحد يصلى فيه قداس كل يوم خميس ويقيم به الأرمن قداسا عندما يحتفلون بعيد الشهيد مار جرجس فى يوم ٧ أكتوبر من كل عام وذلك مقابل إقامة الأقباط قداساً ليلة عيد الميلاد وصباحه على مذبح الأرمن بكنيسة المهدي الأرمنية ببیت لحم ، وبالدير مدرسة باسم القديسة دميانة للبنات وهى إبتدائية وثانوية وتلقى إقبالا كبيرا من أهل القدس من المسلمين والمسيحيين على السواء .

خامسا : القلعة (برج داود) :

تقع عند باب يافا الغربى ، ويذكر أحد كتبة العرب من رهبان دير مار سابا وكان أسيراً عند الفرس ، أنه رأى فيها هيكلا للمسيحيين ومحراباً للمسلمين بإسم النبی داود والحصن الحالى مع الفناء الذى أمامه إلى الشرق هو مكان القصر الثانى الذى شيده الملك

هيرودس الكبير لسكناه ، وهناك أثناء المجوس يسألونه عن المسيح .. أين هو المولود ملك اليهود؟ (متى ٢: ٢) وعندما دمر تيطس القدس سنة ٧٠م لم يهدم هذا الحصن ولكن الامبراطور سافيروس خربه فأعاد هديران تشييده على شكل قلعة ، ثم تخرب عدة مرات خاصة فى عهد الخليفة المعتصم سنة ١٢١٩م .. وأما البناء الحالى فقد تم فى عهده سليم الأول وسليمان الثانى فى القرن السادس عشر ماعدا الزاوية الجنوبية الشرقية فهى من بقايا ماشيده هديران وقد استخدم فى أوائل القرن العشرين كمعرض للصناعات الفلسطينية القديمة .

سادسا : دير القديس يعقوب الكبير :

دير أرمنى يقع بجوار القلعة فى حارة الأرمن التى تقع عن يمينها بساتين البطريركية الأرمنية وعن شمالها مقرى مدير الدير والبطريك وكنيسة الرسول يعقوب الكبير التى شيدت فى مكان استشهاد ، كما يقول التقليد الكنسى حيث قطعت رأسه سنة ٤٤م بأمر الملك هيرودس أغريباس الأول حفيد هيرودس الكبير بإيعاز من اليهود ، وترجع الكنيسة إلى القرن ١٢م وترمت فى القرن ١٣م وكان لها قبة قائمة على أربع دعائم من جهة وعلى الجدران من جهة أخرى وقد أزيلت الأعمدة عام ١٢١٩م ولم يبق منها إلا تيجانها المربعة المغطاة بالواح القيشانى الأزرق الأسباني وعند الحائط الشمالى هيكل صغير ، حيث قطعت رأس الشهيد وبه كرسى قديم يدعونه عرش يعقوب الرسول وقد خضعت هذه الكنيسة لأسبانيا ، وكان لم يزل شعارها عليها حتى القرن الثامن عشر ، على أساس أن هذا الرسول هو مبشر أسبانيا وشفيعها وأمامها مطبعة ومنزل للغرباء ومدارس البنين والبنات وفناء به مسكن طلبة اللاهوت ، ومتحف صغير ثم دير الزيتونة للراهبات الأرمنيات وكنيسة باسم الملائكة القديسين (وترجع للقرن ١٢م) وهى مبنية محل منزل حنان حمو قيافا رئيس الكهنة حيث اقتاد الجنود الرومان السيد المسيح بعد ما قبضوا عليه فى بستان جثيمانى (وكان يوسفوس قد ذكر أن حنان هذا كان رئيسا للكهنة أيضاً وبقي فى منصبه ٩ سنوات حتى عزله الوالى غراتوس وبقي صهره فى وظيفته ١٩ عاماً ومع أنه كان معزولا أيام القبض على المسيح إلا أنه ظل مسيطرا على مجمع اليهود ، ولهذا السبب أقتيد يسوع إليه أولاً) .

وقد ذكرت المخطوطات القديمة ، الموجودة بالدير أنه سمي بالملائكة لأنها سترت وجوهها عندما صفع الخدم وجه المسيح في هذا المكان .. وبعد ذلك نصل إلى دهليز يقود إلى باب النبي داود الواقع في السور الجنوبي حالياً ، الذي شيده السلطان سليمان الثاني عام (١٥٤١م) ، وأخذ حجارتها من السور القديم ، وعلى بابه كتابة لاتينية من فرقة رومانية في ذكرى انتصارها في عهد تراجان عام (١١٦م) .

سابعا : كنيسة القديس توما :

تقع في زقاق بالقرب من كنيسة الرسول يعقوب الكبير ، وقد جعلت جامعاً بعد خروج الصليبيين ، ثم تهدم الجامع ، وبُنيت محله كنيسة بمعرفة الألمان في القرن الماضي ، وظلت في أيديهم بعد ذلك .

ثامنا : دير السريان :

وهو منزل مرقص الرسول ، ويقع على بعد ٢٠٠ متر في شمال شرقي كنيسة القديس توما ، وفيه يقم أسقف السريان ، وقد استولى السريان عليه من الأقباط أثناء رياستهم الدينية عليهم وقد ذهب إلى هذا المكان القديس بطرس الرسول ، بعد أن أنقذه الملاك من السجن (أعمال الرسل ١٢: ١٣) . وكنيسة الدير الحالية ترجع للقرن ١٢ م ، وأقيمت على آثار قديمة قبلها ، ربما ترجع للقرن السادس وعلى هيكلها صورة قديمة جدا للعدراء مريم ، قيل أنها من رسم القديس لوقا الانجيلي ، وهناك حوض معمودية رخام قيل أن العدراء مريم تعمدت فيه .

تاسعا : كنيسة الثلاث مريمات :

هي كنيسة صغيرة .. وقد قال البعض أن هذه الكنيسة في موضع كنيسة القديس يعقوب الرسول ، ولكن المرجح غير ذلك لأن كثيرين قالوا أن كنيسة هذا الرسول كانت في شرقي هيكل سليمان (أي في محل إستشهاده . حيث رماه اليهود من فوق الهيكل ثم ضربه أحدهم بمذق فسقط شهيدا) . وقد كانت هناك كنيسة أخرى في شمال كنيسة الثلاث مريمات ، أمام مدخل حصن داود جعلت بيتاً للسكنى في أوائل القرن الحالي .

عاشرا : كنيسة القديسة حنة وبركتا بيت حسدا :

بالقرب من بوابة "ستى مريم" يقع دير للآباء البيض ، يسكنه كهنة من الإغريق الكاثوليك ، وبه متحف الكتاب المقدس ، وأصله دير قديم أشار إليه نبؤدوسيوس الشماس فى زيارته للمقدس عام (٥٣٠م) وفى عهد الصليبيين صار ديراً للراهبات ، وبعد دخول صلاح الدين للمدينة المقدسة عام (١١٨٧م) تحول إلى مدرسة عالية للقرآن عرفت بالصالحية ٤ ثم تخرب فى القرن الخامس عشر وكان فى فناءه كنيسة باسم القديسة حنة والدة القديسة مريم العذراء حيث تذكر التقاليد القديمة أنه منزل حنة وزوجها يواقيم .

وفى عام (١٨٥٦م) منح السلطان عبد المجيد خرائب الكنيسة وتوابعها هدية للإمبراطور نابليون الثالث ملك فرنسا (لنوال بعض المكاسب السياسية كما سبق القول) فرمىها وفتحها للعبادة وأعاد بناء الدير القديم ثم سلمه للآباء البيض ، وبالقرب من هذا المكان فى الشمال الغربى أكتشفت صدفة سنة ١٨٦٠ آثار بركة حسدا وكانت خريطة الرحالة ماديبا Madeba القرن الخامس قد حددت موقع البركة فى هذه البقعة وقد سماها القديس يوحنا الرسول فى إنجيله (٥ : ٢) باسم بركة بيت حسدا ، ومعناها بيت النعمة ٤ وكانت لها خمسة أروقه ، وفوق الجزء الشمالى منها تقع كنيسة بيزنطية تسمى العذراء بروباتيكا St. Maria probatika (وتعنى باليونانية الضأن) وترجع لسنة ٣٨١م وقد سميت البركة بهذا الاسم أيضاً (يوحنا ٥٠) لقربها من باب الضأن فى السور الشرقى للقدس ، وطبقاً لما رواه المؤرخ يوسانيوس القيصرى (القرن الرابع) يتضح أن هناك بركتين بجوار بعضهما ، إحداهما أستخدمت لغسل الأغنام التى كانت تقدم كذبائح فى هيكل سليمان ولذا سميت ببركة الضأن ، وقد ذكر المؤرخ جيير Geyer أن سائحاً من بوردو زار أورشليم سنة ٢٣٣م - حكى له أنه رأى بركتين كبيرتين بجوار الهيكل وقصر هيرودس وقد جفت هاتان البركتان وطمرهما التراب على مر الزمن .

حادى عشر : طريق الآلام (Rla Doiorosa) :

يعتقد المسيحيون أن هذا الطريق هو الذى سار فيه السيد المسيح حاملاً الصليب من قصر ييلاطس حتى الجلجثة أى عبر القدس من الشرق إلى الغرب ، ويقسم إلى ١٤ مرحلة وصفها كما يلى :

- المرحلة الأولى : وتبدأ من قصر ببلاطى حاكم القدس أيام القبض على المسيح (٣٣م) بمكيدة اليهود والحكم عليه بالموت صلباً ، وليس هناك خلاف بين المؤرخين والأثريين فى القصر المذكور كان إلى الشمال الغربى من هيكل سليمان فيما كان يدعى بحصن أنطونيا ، وكان له فناءان ، كانت محاكمة المسيح فى أعلاهما وهو الداخلى حيث امتنع اليهود عن الدخول لثلا يتدنسوا حسب اعتقادهم قبل عيد الفصح ولذا كان ببلاطس يكلم اليهود من الفناء السفلى الخارجى .
- المرحلة الثانية : ويحددها معبد التكليل ويرجع للقرن ١٢ م ، وأقيم تخليداً للذكرى وضع اكليل الشوك على رأس المسيح إمعاناً فى تعذيبه وهو بناء قائم الزوايا مربع طول ضلعه ٨ أمتار ، تعلوه قبة ترتكز على ركائز بارزة من الجدران يجمعها إفريز مئمن الأضلاع يدور حولها .
- المرحلة الثالثة : عند كنيسة أجيا صوفيا التى تخربت عام (٦١٤م) أثناء هجوم الفرس فأعاد المسيحيون بناءها فى القرن ١٢ م أما الحجر الذى كان المسيح واقفا عليه أثناء سماع الحكم بالموت ، فقد نقل لكنيسة العلية فى جبل صهيون جنوب القدس (خارج الأسوار) وكان موجوداً فى الفناء السفلى لقصر هيرودس .
- المرحلة الرابعة : وتميزها كنيسة الجلد (أو حبس المسيح) وكنيسة الحكم بالموت ويقعان داخل دير الفرنسيسكان والكنيسة الأخيرة قديمة جداً وطول ضلعها ١٠ أمتار ولها قبة على أربعة أعمدة وتقع فى المكان الذى بدأ فيه المسيح حمل الصليب إلى تل الصليب (المسمى بالجلجثة) ، أما الكنيسة الأولى فهى على بعد خطوات من الأخرى وقد أخذها العرب لكن هارون الرشيد أرجعها للمسيحيين (مع كنيسة أجيا صوفيا القرية منها) وقد تخربتا فى القرن الثانى عشر ، فأعيد تشييدهما ثم إستولى عليهما الرهبان الفرنسيسكان عام (١٦١٨م) وخرجتا من قبضتهم ثم عادتا إليهم مرة أخرى سنة ١٨٣٨ حيث أعادوا ترميمها وظلنا معهم حتى الآن .
- المرحلة الخامسة : وتقع عند ما يسمى بقوس "هوذا الرجل" وهو قوس قديم أقيم فى الحائط وتحت طرفيه حجران وقف المسيح على أحدهما ووقف ببلاطس البنطى

الوالى على الثانى ، وقال مشيراً إلى المسيح باللاتينية Occo Home أى "هوذا الرجل" وقد تسمى القوس بهذه التسمية منذ القرن ١٦م وتقع تحته كنيسة بنفس الاسم خارجها دير المراهبات به جزء من البركة التى أقام هيرودس فوقها قناطر حجرية تقسمها ثم شيد فوقها حصن أنطونيا (نسبة إلى العاهل الرومانى المعاصر له وهو مرقس أنطونيوس) ويعتبر قوس هوذا الرجل أحد ابوابها .

- المرحلة السادسة : ينحدر الطريق بعد ذلك إلى محل سقوط المسيح من التعب ، وهنا إقتربت العذراء مريم منه وسخر الجند الرومان سمعان القيروانى (الليلى) لحمل الصليب عن المسيح وتتميز هذه المرحلة بعمود قديم مكسور بجوار معبد الفرنسيسكان وكنيسة حديثة للأرمن الكاثوليك ، وقد أكتشف أثناء حفر الأساسات طريق مرصوف بالفسيقساء وعلامة قدمين يظن أنهما قدمى المسيح .

- المرحلة السابعة : ينحرف الطريق بعد ذلك نحو الجنوب ، وعند زاويته الجنوبية شيد الفرنسيسكان حديثاً كنيسة باسم سمعان القيروانى وهى تدل على هذه المرحلة .

- المرحلة الثامنة : بعد صعود ٨٠ خطوة توجد قطعة من عمود فى حائط تدل على موقع هذه المرحلة ، حيث دنت من المسيح امرأة تسمى فيرونيكا (أى المحبة) خرجت من دارها ومسحت وجهه الكريم بمنديل فانطبعت صورة وجهه عليه كهدية منه جزاء لعملها العظيم ، ويقال أن هذا المنديل مازال موجوداً فى روما حتى الآن وقد وجدت فى هذه البقعة بعض القناطر المنغمسة فى التربة جعل الروم الكاثوليك تحتها هيكلًا كما بنوا فوقها هيكلًا آخر بإسم هذه القديسة ، وقد شوهد عند حفر الأساسات وجود آثار بيت يهودى قديم أجمع الأثريون على أنه يرجع للعصر الرومانى وهو الذى عاشت فيه القديسة فيرونيكا عندما مر أمامه المسيح .

- المرحلة التاسعة : بعد ٣٠ متراً نصل إلى مكان السور الغربى (الذى كان فى عهد هيرودس) وكان به فى عهد المسيح أحد أبواب المدينة من الغرب وسماه المسيحيون باب القضاء لأن بيلاطس علق على أحد أعمدته حكم الموت على المسيح على حسب العادة السائدة فى ذلك العصر ، وهنا سقط المسيح ثانية وفى الزاوية الغربية من الطريق هيكل صغير نصل منه إلى كنيسة أكبر ، وفى الطريق

قناة عميقة محفورة في الصخر يقوم عليها عمود رخامى قاعدته فى حائط رومانى طوله ٧ أمتار ويقرر علماء الآثار أنه كان موجوداً عندما مر موكب المسيح إلى الجلجثة .

- المرحلة العاشرة : بعد اجتياز الطريق عبر باب العمود (أو القضاء) نجد منزلاً للبروتستانت الألمان ، ثم مكاناً خالياً كان أيام المسيح خارج السور الغربى وهنا نظر المسيح زمرة من النساء اليهوديات يبكين عليه فإلتف نحوهن وقال لهن "يابنات أورشليم لاتبكين علىّ ، بل على أنفسكن وعلى أولادكن" وعند حائط إلى الشمال لمجد رسماً بارزاً للصليب يشير إلى هذه المرحلة .

- المرحلة الحادية عشر : بعد نزول ٢٨ درجة على سلم عريض ملتوي وراء منزل مرتفع للرهبان الروس نسير ٩٠ متراً فنصل إلى باب المطرانية القبطية (دير مار أنطونيوس) حيث لمجد عموداً فى الجدار يدل على هذه المرحلة التى سقط عندها المسيح للمرة الثالثة وهو حامل للصليب ، وقيل أن المسيح فعل ذلك إما لكى يسترجعه أو لأن الجنود أجبروه على حمله حيث جرت عادة الرومان على أن يحمل المحكوم عليه آلة عذابه إلى موضع تنفيذ الحكم وإلى شمال المطرانية القبطية يتم الإنحدار على بعض درجات إلى سطح تنفذ فى وسطه كنيسة القديسة هيلانه (مغارة وجود الصليب) وهو أسفل كنيسة قسطنطين (المرثيريون) .

- المراحل الثلاثة الأخيرة : لإتمام طريق الآلام يقتضى الرجوع إلى درب العمود ، إلى كنيسة القيامة حيث المراحل الثلاثة الباقية التى وصفت عند الحديث عن هذه الكنيسة .

المقدسات الإسلامية

اتخذ المسلمون بيت القدس قبله قبل أن يولوا وجوههم شطر مكة فى السنة الثانية للإسراء والمعراج .. فكان المسلمون فى صلواتهم يولون وجوههم نحو المسجد الأقصى بالقدس فى أوائل عهد الرسول محمد ﷺ وظل ذلك نحو سبعة عشر شهراً إلى أن

إتخذوا الكعبة قبله .. ولهذا سميت "أولى القبليتين" وقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ "أنه قال "لاتشد الرحال إلا إلى ثلاث : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى" والمقصود بقوله بمسجدي هذا" مسجد الرسول في المدينة .

وروى أيضاً عن النبي أنه قال : "إن الصلاة في المسجد الأقصى أفضل من الصلاة في غيره بخمس مائة مرة" وقال أيضاً : "من أهل بالحج والعمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ووجب له الجنة" ، ومن هنا كان يفد للمسجد الأقصى بالقدس حجاج وزوار من مختلف أقطار العالم الاسلامي .. ونظروا للقدس نظرة إجلال وتقدير .. وإلى يومنا هذا مازالت حافلة بالآثار الاسلامية القديمة .

أولاً : مسجد قبة الصخرة :

بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان .. وكان قد رصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين وعهد بإنشائه للعالمين العربيين رجاء الكندي ويزيد بن سلام وإستغرق بناؤه ستة أعوام من عام ٦٦٦ هـ - ٦٨٥ م) إلى عام (٧٣ - ٦٩١ م) ، وقرر الخليفة منح المائة ألف دينار المتبقية من نفقات الإنشاء جائزة للعالمين العربيين لكنهما رفضا وقالوا "نحن أولى أن نزيده من حلى نساتنا ، فضلاً عن أموالنا فاصرفها في أحب الأشياء إليك ، فأمر الخليفة أن تسبك ذهباً وتفرغ على القبة والأبواب . وقد إمتاز البناء بروعة الهندسة العربية المتميزة بالطراز الفارسي والأسلوب البيزنطي .. ويقال أنه كان أجمل بناء في زمانه .. ويذكر بعض المؤرخين ومنهم اليعقوبي ، أن الأمويين أرادوا أن يجعلوا القدس هي المدينة الاسلامية الأولى حتى يحج إليها المسلمون بدلاً من مكة لمعارضتهم لعبد الله الزبير والذي أعلن استقلاله في الحجاز عام ٦٨٠ م ، ولهذا أمر عبد الملك أن يقيم الناس مواكب دينية حول القبة كما يحدث عند الطواف بالكعبة أثناء الحج .

ويقول اليعقوبي إن المسلمين ضجوا عندما أدركوا الغاية من بناء الصخرة وهي صدهم عن الحج .. ولكن عبد الملك تمكن من إقناعهم بالإشارة إلى ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى .
ومنهم من يرى أن عبد الملك إنما بناه ليكون للمسلمين مسجداً يضاهي في بهائه

وسحره ما لكنائس النصارى من الروعة ولاسيما كنيسة القيامة ، فقد روى عن بعض المؤرخين ومنهم المقدسى أنه - أى عبد الملك - عندما رأى قبة القيامة وكان المسيحيون يحجون إليها من كل صوب خشى أن تؤثر بفخامتها وروعته على قلوب المسلمين . فاعتزم أن يبنى فى القدس قبة مثلها أو أحسن وفعل .

وقد تعرض المسجد لكثير من الأضرار على مر الزمان بسبب الزلازل والعواصف والأمطار .. وما من حاكم عربى حكم القدس إلا وكان له شرف ترميمه ، ومن هؤلاء الوليد بن عبد الملك عام (٧٠٥م) والخليفة المأمون (٨٣١م) حتى أن العمال الذين تولوا الترميم يومئذ أرادوا أن يتزلفوا للمأمون فاستبدلوا اسمه باسم الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ولكنهم لحسن حظ التاريخ غفلوا عن تغيير السنة التى جرى فيها الترميم .

وقد سقطت أجزاء القبة إثر زلزال حدث فى زمن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (١٠١٦م) فرمت فى خلافة ولده الظاهر لإعزاز دين الله (١٠٢٢م) .

وعندما احتل الصليبيون القدس عام (١٠٩٩م) حولوا المسجد إلى كنيسة وبنوا على الصخرة مذبحاً بإسم هيكल الرب العظيم .. وقد غطوها بالمرمر .. وأنشأوا الحاجز المصنوع من الحديد المشبك وهو الذى يفصل الصخرة عن المسجد .. وكان القساوسة النصارى فى بادئ الأمر يقطعون من الصخرة قطعاً يحملونها إلى بلادهم ، فيبيعونها بوزنها ذهباً ، مما جعل الصليبيين يكسونها بالرخام ، ولما فتح صلاح الدين القدس أزال معالم هذه الكنيسة عام (١١٩٤م) فرفع المذبح ومحار الصور والتماثيل وغطاء الصخرة الرخامى .. وكسا جدران المسجد بالرخام وزين القبة بنقوش جميلة وغطاها من الداخل بالرخام .. وكتب عليها آيات من القرآن الكريم بالخط الكوفى (بماء الذهب) .. وقد عنى جميع بنى أيوب بالمسجد فكانوا يكسونه بأيديهم ويغسلونه بماء الورد .. كما اهتم المماليك بعمارته وأوقفوا عليه بعض الأملاك .. ومن هؤلاء الملك الظاهر بيبرس عام (١٢٧٠م) والملك العادل زين الدين كتبغا المنتصورى عام (١٢٩٤م) والملك الناصر محمد بن قلاوون عام (١٣١٨م) والملك الظاهر برقوق عام (١٣٨٧م) والملك الأشرف برسباى عام (١٤٣٢م) والملك الأشرف قايتباى عام (١٤٦٧م).

وفى عهد العثمانين كسا السلطان سليمان (القانونى) عام (١٥٤٢م) جدران المسجد من الخارج وقبة السلسلة بالرخام ومن آثاره النوافذ المصنوعة من الفسيفساء وهو الذى عمر الباب الشمالى المعروف بباب الجنة ، ومن سلاطين بنى عثمان الذين عنوا بعمارة الصخرة السلطان محمود (١٨١٧م) والسلطان عبد المجيد (١٨٥٣م) والسلطان عبد العزيز (١٨٧٤م) والسلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦م) .. ولقد طرأ على القبة وعلى جدران المسجد مع تقادم العهد ، خلل بفعل الرياح وتسربت مياه الأمطار إلى الجدران فإهتم المجلس الاسلامى الأعلى الذى كان يرأسه الحاج أمين الحسينى بالأمر ورعه (١٩٣٨م) ترميماً مؤقتاً حال دون وقوع خطر عاجل ، والمسجد مازال محتفظاً ببهائه القديم إلا أنه فى حاجة إلى تعمير شامل لجميع أبعائه .

أما الباب القبلى (باب القبلة) فهو المقابل للمسجد الأقصى ويسمى "باب الأقصى" ويسمى أيضاً "باب الصلاة" و "باب القبلة" ، وقد جدد هذا الباب فى عهد السلطان سليمان القانونى (١٥٢٠-١٥٦٦) وعلى الباب يقرأ : "جدد هذه الأبواب الحسان أعظم الخواقين الأعيان السلطان سليمان" أمام هذا الباب رواق مفروش بالرخام طوله ١٦ متراً وعرضه ثلاثة أمتار أمر ببنائه السلطان محمود سنة ١٨١٧م .. فوق باب الصلاة (باب القبلة) لوحة من القاشانى تحمل البسملة وعلى جانبىها "الله الباقى" ويعلو الباب قوس دقيق النقش وآيات من سورة البقرة ويوجد على جانبى الباب : لفظ الجلالة "الله" ومحمد مكتوبان بالعاج الملبس فى الخشب بينما يتكرر لفظ الجلالة فى الحلية الركنية لجانبى الباب ، القسم الأعلى من الباب مستقل عن الجزء الأسفل ويمكن فتحه وحده ، لما استرد صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس فى الثانى والعشرين من أكتوبر سنة ١١٨٧م (٥٨٣هـ) أعاد باب القبلة إلى هيئته الإسلامية التى كان عليها بعد أن كان الصليبيون قد عبثوا بمسجد قبة الصخرة أثناء احتلالهم لبيت المقدس سنة ١٠٩٩م .

قال الله تعالى "وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم ، قد ترى قلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول

وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ، ولأن أتيت الذين أوتوا الكتب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن إتبعن أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين" (سورة البقرة ١٤٣ - ١٤٥) ..
أما الباب الشمالى والذى يسمى "باب الجنة" فهو باب مزدوج كل جانب من قطعة واحدة من خشب التنوب مصفح بالمعدن وعلى كل جانب مقبض ثقيل من الحديد على هيئة حلقة على كل جانب من باب الجنة عمودان من الرخام المعرق يحملان واجهة الباب .

عمر باب الجنة مرتين : مرة فى عصر السلطان سليمان الأول سنة ٩٥٩ هـ - ١٥٢٢ م ، ومرة أخرى فى عصر السلطان مراد الثالث سنة ٩٧٣ هـ - ١٥٧٥ م والكتابة على الشراعة نصف الدائرية فوق الباب تشير إلى عمارته (تجديده) فى عصر السلطان سليمان القانونى .

رؤوس الأعمدة الأربعة بيزنطية من الطراز الكورينثى والزخرفة على هيئة شجرة الحياة على جانبى الشراعة حديثة .. ويقع بناء مسجد قبة الصخرة وسط فناء مرتفع من أرض الحرم .. مثنى الأركان ثمانى الجدران .. كل جدار من الجدران الثمانية ينقسم إلى قسمين الواحد فوق الآخر ويغطى المسجد سقف مائل تتوسطه رقبة تحمل القبة المذهبة التى تغطى الصخرة المشرفة فى كل أضلاع التشمينة التى تواجه الجهات الأصلية الأربع باب ارتفاعه ٤ , ٣ أمتار وعرضه ٦ , ٢ أمتار .. ولم تتغير مقاييس الأبواب منذ عصر عبد الملك ، وعلى جانبى كل باب فى القسم العلوى من الجدار نافذتان يمر منهما الضوء إلى الداخل وشباكمان مصمتان فى آخر الجدار، وفوق الباب نافذة صغيرة ، وفى القسم العلوى من الأربعة الأضلاع التى تواجه ما بين الجهات الأصلية سبع فتحات : خمس نوافذ يمر منها الضوء إلى الداخل وشباكمان مصمتان فى نهايتى كل جدار ، ولمسجد الصخرة أربعة أبواب مزدوجة .. مصنوعة من الخشب ، ومكسوة بصفائح الرصاص .

ولمسجد قبة الصخرة أربعة أبواب تواجه الجهات الأصلية وهى أبواب مزدوجة مصنوعة من الخشب المصفتح بالحديد وكانت أبواب قبة الصخرة مغطاة بالذهب فى عصر عبد الملك بن مروان الذى كان قد أمر بأن تسبك مائة ألف دينار من الذهب (بقيت بعد إتمام البناء) وتفرغ على القبة والأبواب ، وفى عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ هـ - ٧٠٥ م) ضرب ما على القبة والأبواب من ذهب نقوداً أنفقت على ترميم المسجد ، وفى سنة ٣٠١ هـ - ٩١٣ م أمرت أم المقتدر بالله الخليفة العباسى بصنع أبواب جديدة من خشب التانوب لأبواب قبة الصخرة وكانت عند اكتمالها يومئذ كلها مذهبة ، وأشرف على صناعتها مولاها لبيد ، على جانبى كل باب عدد من الأعمدة ، أكثرها من الطراز البيزنطى الكورينثى ، ويحتمل أن تكون من بقايا ماكان فوق الحرم الشريف من عمائر قبل الإسلام ، لأبواب مسجد قبة الصخرة أسماء ، عدا الغربى :

الجنوبى (القبلى) : يسمى باب الأقصى ، باب الصلاة وباب القبلة .

الشمالى : يسمى باب الجنة .

الشرقى : يسمى باب النبى داود أو باب إسرائيل . باب القبلة إلى اليمين والباب الغربى إلى اليسار وفوق باب الجنة ، الباب الشمالى لقبة الصخرة ، كتابة بخط الثلث بما أجراه السلطان سليمان الأول (القانونى) من تجديد لقبة الصخرة ، وقد جدد بحمد الله من قبة الصخرة بيت المقدس الفائقة ببناءها وشيدها بما أجرى من مناهلها الريقة الرواة الأثر رونقاً وقصوراً ورواءها ، وأجزل لها فى خلال ظلال دولته السلطان الأعظم والخاقان الأكرم واسطة عقد الخلافة بالنص والرهان أبى الفتوحات سليمان خان بن السلطان المعروف بالإحسان أبى النصر سليم خان المخصوص بالمآثر والتأييد صاحب المفاخر إبن السلطان بايزيد بن السلطان المجاهد الأمجد السلطان محمد بن عثمان ، سحت على ثراهم سحب الرضوان ، فأعاد إليها ذلك البهاء القديم ، بفواعة حذاق المهندس ، تاريخاً فى (٩٥٩ هـ) فجعلوه أحسن وقد تشرف بكتابتها عبد الله التبريزى أبرع خطاطى عصره .

أما الباب الشرقى فيطلق عليه إسم باب النبى داود مكتوب أعلاه آيات من القرآن الكريم .. والفناء الذى يقوم عليه مسجد الصخرة فناء واسع ومربع الشكل وهو مفروش

بالبلاط الأبيض من عهد الملك المنصور قلاوون .. وهو أعلى من أرض الحرم .. ويصعد إليه من الجهات الأربع بأدراج يقوم كل منها قنطرة يسندها أعمدة من الرخام .. وأما الصخرة فإنها مقدسة لدى المسلمين .. وهى فى نظرهم صخرة مقدسة، لأن النبی محمد ﷺ " خرج منها إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج .. وقيل إن إبراهيم عليه السلام قدم على هذه الصخرة ولده إسماعيل ضحية، وأن سليمان بنى عليها هيكله .

والصخرة المشرفة قطعة غير منتظمة من الحجر الجيري هى قمة جبل سوريا ، طولها من الشمال إلى الجنوب ١٧,٧ أمتار وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣,٥ أمتار وترتفع عن أرضية المسجد زهاء ١,٥ أمتار ، حولها سياج من الخشب المنقوش من عهد الملك عبد العزيز بن عثمان الأيوبي . طرف الصخرة المشرفة يحدده مذخر على هيئة برج صغير .. تحيط برقبة القبة ست عشرة نافذة من الزجاج الملون ، وتحيط بالصخرة المشرفة قنطرة دائرية من أربعة أكتاف مربعة (دعائم) واثنى عشر عموداً رخامياً مستديراً تيجانها المذهبة من طرز مختلفة .

عندما احتل الصليبيون بيت المقدس سنة (١٠٩٩م) حولوا مسجد قبة الصخرة إلى كنيسة ، واقتطعوا من الصخرة المشرفة قطعة بنوا فوقها مذبحاً أسموه "هيكل الرب" وقطعوا له على وجه الصخرة درجا ، وكسوا الجزء الباقي بلوح من الرخام لأن القساوسة كانوا يقطعون من الصخرة المشرفة قطعاً يبيعونها مقابل وزنها ذهباً إلى حجاج أوروبا ، فخشى ملوك الإفرنج أن تزول الصخرة . سيطر الصليبيون على بيت المقدس ثمانية وثمانين عاماً . وفى الثانى من أكتوبر سنة ١١٨٧م ، الذى وافق ذكرى ليلة الإسراء ، حرر صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس .

والقبة الذهبية التى هى رمز لمدينة القدس ، يعلوها الهلال الذى يوازى اتجاه القبلة . صنع أول هلال إعتلى قبة الصخرة من الذهب الخالص فى عهد عبد الملك بن مروان . وفى ربيع الأول سنة ١٠٢٦هـ ١٦١٧م سقط هلال قبة الصخرة على أثر زوبعة عاصفة هبت على مدينة القدس ، فأعيد تركيبه فى شهرين بعد تجديد القلب الخشبي الذى كان مصفحاً بالذهب ، وكان ذلك فى عهد السلطان التركي مصطفى الأول بن السلطان

محمد الثالث . وعندما استولى الصليبيون على القدس نزعوا الهلال الإسلامى من فوق قبة الصخرة وأقاموا مكانه صليبا من الذهب . وعندما استرجع صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس للإسلام مرة أخرى سنة ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م أعاد قبة الصخرة إلى حالها الإسلامى الأول ، فتسلى المسلمون القبة وإقتلعوا الصليب وأعادوا الهلال إلى مكانه ، وصلى صلاح الدين الجمعة الثانية من دخول المسلمين بيت المقدس فى قبة الصخرة وكان ذلك فى اليوم الرابع من شعبان سنة ٥٨٣ هـ ، التاسع من أكتوبر سنة ١١٨٧ م ، الهلال الحالى وضع فوق قبة الصخرة سنة ١٨٩٢ م فى عهد السلطان التركى عبد الحميد الثانى بمناسبة زيارة إمبراطور الألمان غليوم الثانى لبيت المقدس .. وقد وصف ابن عبد ربه الأندلسى قبة الصخرة سنة ٣٠٠ هـ - ٩١٢ م : "إن قبة الصخرة كانت مغطاة بثلاثة آلاف وثلاثمائة واثنين وتسعين صفيحة رصاصية ، ومن فوق ذلك عشر آلاف ومائتان وعشر صفيحة من النحاس مطلية بالذهب" .

وفى سنة ٣٧٤ هـ - ٩٨٥ م وصف المقدسى قبة الصخرة بأنها مغطاة بصحائف من الذهب . والقبة الحالية مكسوة برقائى من الألومنيوم المؤكسد كهربائياً ، وقد وضعت هذه الكسوة - ذهبية اللون - أثناء الإعمار الأخير لقبة الصخرة بإشراف حكومة المملكة الأردنية الهاشمية فى عهد جلالة الملك حسين بن طلال ، وترتكز قبة الصخرة على رقبة مستديرة يحملها صف من القناطر فى دائرة تتكون من إثني عشر عموداً مستديراً وأربعة دعائم (أركان أو أكتاف أو سوارى أو أساطين) مربعة بحيث تتلو إحدى الدعائم كل ثلاثة أعمدة . عرض كل ضلع من أضلاع الدعائم أو الأكتاف المربعة ثلاثة أمتار مكسوة بالرخام المعرق أو المشجر . تربط بين الأعمدة والدعائم أو الأركان أقواس مبنية من بلاطات الرخام الأبيض والأسود ، عرض كل قوس ١١ ، ١ متراً . فوق الأعمدة ، وفى المسافة بين كل قوسين متجاورين ، عتبة خشبية أفقية وأخرى حجرية فوقها ويغطى العبتين إفريز (كورنيش) خشبى منحوت نصفه الأسفل مصفح بصفائح معدنية عليها رسوم عنقودية مذهبة . الأعمدة كلها من الرخام ، قطر كل عمود يختلف عن الآخر ، وجميعها مطوقة من الخارج فوق القاعدة بطوق نحاسى . الرخام الذى يغطى الدعائم (الأكتاف) من صنع الأتراك العثمانيين فى القرن السادس عشر الميلادى ، العاشر الهجرى ، وأعيد تعميره

فى القرن التاسع عشر (١٨٧٤م) . يدخل بعض الضوء من ست عشرة نافذة صغيرة مقوسة القمة تحملها الرقبة تحت القبة دون أن تقابلها فتحات على الرقبة من الخارج . الرقبة مزخرفة من الداخل بالزهور والمناظر الطبيعية المجردة والحلى المنقوشة بالفسيفساء .

وعن وصف قبة الصخرة من الداخل ، فتتدلى من مركزها السلسلة ويقال أنها تحدد موقع مركز الأرض ، كانت جزءاً من عمارة القبة فى عصر الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمى . كان يتدلى من هذه السلسلة شمعدان فضى كبير يزن طناً . فى سنة (١٠٦٠م) سقط هذا الشمعدان فى الزلزال الذى أصاب فلسطين ، أعلا القبة نقش بماء الذهب بخط الثلث العادى وفى إطار مستدير آية الكرسي :

﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم﴾ "سورة البقرة ، ٢٥٥"

حول الحافة السفلى كتابات تفيد زخرفة القبة من الداخل وإعمارها عدة مرات ، أهمها :

- فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٥هـ - ١١٨٩م .
- فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٨هـ - ١٣١٩م .
- فى عهد السلطان العثمانى محمود سنة ١٢٣٣هـ - ١٨١٧م .
- فى عهد السلطان العثمانى عبد العزيز سنة ١٢٩١هـ - ١٨٧٤م .

داخل القبة محلى بالزخارف العربية : فسيفساء ذات أشكال نباتية على أرضية مذهبة . قطر القبة ٢٣,٧ أمتار .

وعن جمال الزخرفة فى الصخرة أن الفسيفساء فيها تتكون من عدة أشكال نباتية ، وآنية . ويمكن تمييز ستة أشكال رئيسية متباينة فى تكوين الفسيفساء التى تغطى أجزاء من الجدران الداخلية والقناطر والأروقة :

- أزهار مفردة ملبسة باللالىء تلف عليها سلاسل ذهبية .

- أكاليل أزهار تلتف عليها أوراقها .
- أغصان نباتات وأوراق تلتف عليها قلائد مرصعة بالجواهر .
- دالية العنب ممتدة فوق أعالي الأركان .
- أشجار النخيل متفرعة منها عراجين مثقلة بقطوف البلح المتدلية .
- نبات الأبنوس متفرعة منه أوراق مجزعة متهدلة الأغصان .

تربع قبة الصخرة الذهبية فوق رقبة اسطوانية إلى إرتفاع ٥ , ٣٥ أمتار من ساحة الحرم الشريف ، وتغطي المساحة التي تشغلها الصخرة المشرفة داخل المسجد . قطر كرسى القبة ٤٤ , ٢٠ مترا وارتفاعه ٤ , ٩ أمتار ، ويحيط به ست عشرة نافذة من الزجاج الملون على مسافات متساوية .. كانت رقبة قبة الصخرة عند بناء المسجد مغطاة بالفسيفساء من الخارج مثل أجزاء البناء المثلث . وفي سنة ٩٤٥ هـ - ١٥٣٨ م أمر السلطان سليمان الأول (القانوني) باستبدال الفسيفساء التالفة ببلاط ملون من القاشاني الفاخر الجميل . وقد عمر هذا القاشاني واستبدل عدة مرات ، آخرها أثناء رعاية المملكة الأردنية الهاشمية للأماكن المقدسة حتى سنة ١٩٦٧ م .. للرقبة أربع بروجات تواجه الجهات الفرعية وتفصل ما بين أربع مساحات تواجه الجهات الأصلية تتكون كل منها من سبع لوحات من القاشاني الملون مختلفة التصميم والزخرفة .

سورة الإسراء ، الآيات ١ - ١٩ ، تحيط برقبة قبة الصخرة فوق ألواح القاشاني .

والواجهة الجنوبية لرقبة القبة تحمل بداية سورة الإسراء :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، "١" وآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ .

والبروز الجنوبي الشرقي لكرسى (رقبة) القبة يحمل نهاية الآيات المكتوبة من سورة الإسراء : "ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن" ، وإفريز القاشاني الذي يكسو رقبة أو كرسى القبة مصنوع في أوائل القرن السادس عشر الميلادي . وترجع كتابة سورة الإسراء إلى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي . الكتابة بخط الثلث المشجر البسيط وأحرفها مصنوعة من الرخام المحشو بالقاشاني .

آيات من سورة ياسين على الإفريز الأعلى للواجهة الجنوبية للثمنية .

والواجهة الجنوبية لرقبة (الطرف الغربى) تحمل آيات سورة الإسراء قوله تعالى :
"وجعلنه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا "٢" ذرية من حملنا مع نوح إنه
كان عبدا شكورا "٣" وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين
(سورة الإسراء ، ٢ - ٤) .. والبروز الجنوبي لكرسى القبة (إلى اليسار) "وتعلن علواً
كبيراً "٤" فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبداً " (سورة الاسراء ٤ - ٥) آيات من سورة
ياسين على الإفريز الأعلى للواجهة الجنوبية للثمنية .

أما الواجهة الغربية لرقبة القبة ، وبروزها فمكتوب عليها قوله تعالى فى سورة
الإسراء : "عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً "٨" إن
هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً
"٩" (سورة الإسراء ، ٨ - ٩) .

والواجهة الجنوبية لرقبة القبة (إلى اليمن) - البروز الجنوبي الغربى للرقبة (فى
الوسط) - الواجهة الغربية (إلى اليسار) عليها كلها من سورة الإسراء قوله تعالى : "ألا
تتخذوا من دونى وكيلا "٢" ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكورا "٣" وقضينا إلى
بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين وتعلن علواً كبيراً "٤" فإذا جاء وعد
أولهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولاً "٥"
ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً "٦" إن أحسنتم
لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما
دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تبيراً "٧" عسى ربكم أن يرحمكم (سورة الإسراء ٢ - ٨)
،، والبناء الذى حول الصخرة فإنه فخم مئمن الأركان . وهو مكون من ثمينتين : إحداهما
خارجية ، وهى التى تتكون منها جدران المسجد طول كل ضلع من أضلاعها الثمانية
٩٥ ، ٢٠ متراً . وإرتفاعه ٩ ، ٥٠ متراً . هذا عدا الحائط العلوى (أى الدورة) فإرتفاعه
٦٠ ، ٢ متراً وفى كل ضلع من أضلاع هذه الثمانية سبع نوافذ . خمس ينفذ منها النور ،
واثنتان مسدودتان . إلا الأضلاع التى فيها أبواب المسجد الأربعة فإن فى كل ضلع نوافذ ،
ينفذ النور منها . وهناك فى كل من الأضلاع الأربعة الأخرى شباك كبير ، يفتح ويغلق عند

اللزوم وقصارى القول إن فى جدران المسجد ستا وخمسين نافذة، أربعون ينفذ النور منها.. وأما التشمينة الداخلية وهى بين جدران المسجد والأعمدة الحاملة للقبة ، فإنها مرفوعة على ثمانى اسطوانات ملبسة بالرخام ، وستة عشر عموداً مختلفة الألوان . وبين التشميتين رواق الصلاة . وكذلك قل عن الرواق الكائن بين التشمينة الداخلية والدائرة الحاملة للقبة .. وتحمل هذه الأعمدة مع جدار المسجد سقفاً مزخرفاً بأنواع الدهان تدعمه قناطر مرصعة بالفصوص الذهبية ، ويتصل طرفه بكرسى القبة وجدران المسجد كلها من الداخل مكسوة بالرخام ، وأما من الخارج فإن القسم الأسفل منها فقط مكسو بالرخام ، والقسم الأعلى بالرخام البديع . غير أن الرخام الذى كان يكسو الضلع الغربى سقط بفعل العواصف والأمطار وتأثير الزمن .. وهناك فى فناء الصخرة قباب أخرى منها : (قبة المعراج) غربى المسجد إلى الشمال . بناها الاسفهلار عز الدين عثمان بن على بن عبد الله الزنجبلى متولى القدس عام (١٢٠٧م) و (محراب النبى) بين مسجد الصخرة وقبة المعراج . أنشاه الأمير محمد بك صاحب لواء غزة والقدس عام (١٥٣٨م) .

و (قبة يوسف) على بعد مئة متر من مسجد الصخرة إلى الجنوب بناها الاسفهلار سيف الدين على بن أحمد فى عهد صلاح الدين عام (١١٩١م) .

و (القبة النحوية) إلى الجنوب من صحن الصخرة عند الدرج المؤدى إلى باب السلسلة ، بناها إلى القدس الأمير حسام الدين أبو سعد قمباز بأمر من الملك المعظم عيسى عام (١٢٠٧م) .

و (قبة الشيخ الخليلي) على بعد بضعة أمتار من قبة المعراج إلى الشمال الغربى .

و (قبة الخضر) فى الطرف الأخير لصحن الصخرة من الشمال الغربى ، وهى قبة صغيرة مرفوعة على ستة أعمدة رفيعة من الرخام .. وفى فناء الصخرة ست عشرة غرفة أنشئت خلال القرن الثانى عشر للهجرة من أجل سدنة المسجد ورجاله من أئمة وخطباء ومؤذنين ومدرسين ، ومن أجل الجند الذين تقيمهم السلطة بقصد الحراسة .. وهناك ، فى أرض الحرم ، قباب ومنشآت أخرى ، نذكر منها : (قبة سليمان) واقعة إلى الجنوب الغربى من الباب المعروف بالدوادرية من أبواب الحرم الشمالية . إنها قبة مثمثة تقوم على أربعة وعشرين عموداً من الرخام ، قيل إنها من منشآت بنى أمية أقيمت على أنقاض بناء قديم

من آثار سليمان .. و (قبة موسى) تجاه باب السلسلة وعلى بعد بضعة أمتار منه إلى الشرق أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٩م) وكانت على عهده تدعى قبة الشجرة .

قبة السلسلة

تقع "قبة السلسلة" إلى الشرق من مسجد الصخرة .. وعلى بعد أمتار منه إلى الشرق وهي مواجهة لباب النبي داود ، وهي مبنى مفتوح الجوانب ذو قبة به صفان من الأعمدة فى دائرتين : أحد عشر فى الدائرة الخارجية ، وستة فى الداخلية ، وهي صورة مصغرة لقبة الصخرة ، بنيت معها فى عهد عبد الملك بن مروان لتكون بيتا للمال ولذلك تسمى "قبة الخزانة" . فى داخلها محراب منقوش عليه قوله تعالى : "يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالعدل ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله" ، جدد زخرفة قبة السلسلة الملك الظاهر بيبرس (٦٦١هـ - ١٢٦٢م) . وتجدد القاشانى فى عهد السلطان سليمان الأول (القانونى) سنة ٩٦٩ هـ - ١٥٦١م وحولها الصليبيون إلى مصلى أسموه "مصلى الشهيد القديس جيمس" .

وقنطرة الموازين الشرقية تواجه قبة السلسلة ، ويعتقد أنها بنيت فى حكم الأمير منصور أنوشتكين الغورى (١٠٢٠ - ١٠٣٠م) . وقد جددتها المجلس الاسلامى الأعلى لمدينة القدس عندما أنشأ المرقى (الدرج) الذى يتكون من ٢٥ درجة أمامها سنة ١٩٤٥ . وعرض قنطرة الموازين الشرقية ٦٧ , ١٨ متراً ، فهي أعرض الموازين جميعاً .

وقبة السلسلة سماها اليهود بمحكمة داود ، وزعموا أنه كان بها سلسلة من الذهب مدلاة من السماء تنقطع عندما يمسه شاهد زور .. وقيل أن القبة بناها القاضى برهان الدين ولم يذكر أغلب المؤرخين فى أى سنة بنيت ، لكنها بنيت على طراز عربى ، وأسفل رصيفها نافورة جميلة سميت بسبيل قايتباى ، لأنها تمت فى عهده (١٤٦٨م) وفى الجهة الشمالية الغربية أقيمت مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، ومساكن ومبانٍ للسياحة .. وأهم بوابتين فى سور الحرم الغربى هما بوابتا السلسلة والمغاربة . وفى السور الجنوبي باب تنحدر منه ٢٠ درجة إلى مدرسة للقرآن بناها الأمير طنجز عام (١٤٨٣م) ولها أقواس

مدنية ، وفى شرقها خزانات عميقة للمياه على شكل فوهات لآبار عميقة محفورة فى الصخر وقطرها بين ١٣ - ٢٠ مترا ، وورائها مشدنة جامع المغاربة (البراق) . وعند باب المسجد " القبة الغربى " نجد سلسلة ترتفع على أعمدة رخامية بها نسخة من القرآن الكريم من عهد عمر بن الخطاب . وفى أرض الحرم نجد أيضاً قبة سليمان فى جنوب غربى باب الدوادارية (المفتى) وهو أحد أبواب الحرم الشمالية ، وقبته مئذنة وقائمة على ٢٤ عموداً من الرخام ، قيل أنها من عهد الأمويين ، ثم قبة موسى شرق باب السلسلة ، وأنشأها الملك نجم الدين أيوب سنة ١٢٤٩ ، وفى الطرف الشمالى لمسجد الصخرة نجد مكانا يحتوى على شعرتين من لحية النبى محمد ﷺ وأسفله أثر قدم للنبي .

الكأس

الكأس هو حوض واسع مدور مبنى من الرخام يقع بين مسجدي قبة الصخرة والأقصى يستخدم فى الضوء ، فهو الميضية للصلوات الخمس كل يوم .. الكأس يقابل المرقى (الدرج) المؤدى من قبة الصخرة إلى المسجد الأقصى فى الطرف الجنوبي للحرم الشريف . حول الكأس صف دائرى من المقاعد الرخامية أمام كل منها صنبور ماء يجرى إلى الكأس فى سواق تحت الأرض مغطاة بالحجارة من برك سليمان الثلاث . فى وسط نافورة يخرج منها الماء ويسقط فى البحيرة الرخامية التى يحيط بها سياج معدنى جميل دقيق الصنع . عمر الكأس الأمير تنكز الناصرى سنة ٧٢٨ هـ - ١٣٢٧ م .

قناطر ومآذن وقباب صغيرة :

ويزخر الجزء الشمالى من الحرم الشريف بالقناطر والقباب :

القناطر الثلاث بالترتيب من اليمين :

١ - القنطرة الشمالية إلى الشرق : أنشئت سنة ٧٢٦ هـ - ١٣٢٥ م فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون . هذا الميزان عرضه ٤٥ , ٩ مترا وأمامه ٨ درجات فى المرقى ، ويواجه باب حطة .

٢ - القنطرة الشمالية إلى الغرب : أنشئت أيضاً فى عهد الملك الناصر محمد بن

قلاوون فى جمادى الآخرة سنة ٧٢١هـ - ١٣٢١م عرض هذا الميزان ٩,٨٠ مترا وأمامه ٦ درجات فى المرقى ويواجه باب العثم (باب فيصل) .
 ٣ - القنطرة الغربية إلى الشمال ، جددت فى عهد السلطان سليمان الأول (القانونى) بين سنتى ٩٢٦ هو ٩٧٤ هـ ، وكان الملك أشرف شعبان قد أنشأها سنة ٧٧٨ هـ - ١٣٧٦م . عرض هذا الميزان ١٣,٨ مترا وأمامه ٢٤ درجة فى المرقى الذى يواجه باب الناظر .

المآذن ، مثلثتان : واحدة فى الزاوية الشرقية والأخرى فى الزاوية الغربية للحرم الشريف :

١ - مثلثة باب الغوانمة :

تقع فى الزاوية الشمالية الغربية من زوايا الحرم الشريف فوق باب الغوانمة . وتسمى أيضاً "منارة قلاوون" . أنشأها القاضى شرف الدين عبد الرحمن بن صاحب الوزير فخر الدين الخليلى بأمر من الملك المنصور حسام الدين لاجين سنة ٧٣٠ هـ - ١٣٢٩م . وسميت يومئذ "منارة السرايا" .

٢ - مثلثة باب الأسباط :

تقع شمال الحرم إلى الشرق ، بين باب حطة وباب الأسباط وتسمى أيضاً "منارة إسرائيل" . أنشئت سنة ٧٦٩ هـ - ١٣٦٧م فى عهد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسن بن سلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون . ومن القباب الصغيرة مايلى (والترتيب من اليسار) :

١ - قبة محراب النبى : تقع غرب قبة الصخرة إلى الشمال مواجهها الجدار الشمالى الغربى للمسجد ، بينها وبين قبة المعراج . وتعرف أيضاً بإسم قبة جبريل . منقوش عليها من الخارج : أنشأ هذا المحراب المبارك مولانا الأمير الكبير محمد بك صاحب لواء غزة وقدس شريف زيد قدرهما بتاريخ سنة ٩٤٥ هـ - ١٥٣٨م . يقول السيوطى : إن موضع هذا المحراب هو موضع صلاة النبى محمد بالأنبياء والملائكة فى ليلة الإسراء . فوق المحراب قبة مفتوحة الجوانب

محمولة على ثمانى أعمدة من الرخام فى دائرة .

٢ - قبة المعراج : تقع غرب مسجد قبة الصخرة إلى الشمال الغربى من باب اللجنة (الباب الشمالى) ، وهى مبنى كبير مضمن الأضلاع تعلوه قبة حجرية مضلعة قائم على ستة عشر عموداً مستديراً من الرخام تعلوها رؤوس رخامية من أنماط مختلفة . كل عمودين متجاورين متلاصقان ، وعلى كل من جانبي باب القبة عمود من الرخام ذو رأس رخامية .

بنيت قبة المعراج تذكارا لعروج النبی محمد ﷺ إلى السماء ، وفوق محرابها الآية الأولى من سورة الإسراء . تاريخ بناء القبة وإسم بانيها مجهولان . وأعيد بناء القبة فى شكلها الحالى سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠م فى حكم متولى القدس الأمير الاسفهلار عز الدين سعيد السعداء أبو عمر عثمان بن على بن عبد الله الزنجلى ، ثم أعيد تعمیرها سنة ٦٠٤ هـ - ١٢٠٧م لكن من غير المعروف على وجه الدقة تاريخ بنائها .

٣ - قبة الخليل : بناها الشيخ الخليلى فى القرن التاسع عشر الميلادى .

٤ - قبة الأرواح : بنيت فى القرن العاشر الهجرى ، آخر القرن الخامس عشر الميلادى .

ثانيا : المسجد الأقصى :

بعد أن أتم عبد الملك بن مروان بناء مسجد الصخرة .. شرع فى بناء المسجد الأقصى إلى الجنوب منه على بضع مئات من الأمتار ، وقد تم هذا البناء - على حد قول بعض المؤرخين - عام (٧٤ هـ - ٦٩٣م) وهناك من المؤرخين من يقول أن الملك عهد لابنه الوليد ببناء المسجد وأن المسجد بنى فى عهد الوليد .. ويدلل هؤلاء على رأيهم بما جاء فى الرسائل التى كتبها "قرة بن شريك" عامل الأمويين على مصر فى عهد الخليفة الوليد إلى حد حكام الصعيد عام (٧٠٥م) طالبا منه أن يرسل إليه صناعا مهرة لمسجد بيت المقدس .

ويرى البعض الآخر أن بناء بدء فيه فى زمن عبد الملك بن مروان عام (٦٩٣ هـ) وقد تم فى زمن الوليد بن عبد الملك عام (٧٠٥م) .

ويعتقد أن سيدنا إبراهيم الخليل قد شيده بعد أربعين عاما من بناء الكعبة .. وسمى بالأقصى .. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم قال تعالى "سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير" سورة الاسراء .

ويقع المسجد جنوب الحرم ويبلغ طوله ٨ أمتار وعرضه ٥٥ متراً وهو قائم على ٥٣ عموداً من الرخام و ٤٩ سارية مربعة الشكل مبنية من الحجارة .. وفى صدره قبة خشبية مغطاة من الخارج بصفائح من الرصاص ، ومزخرفة من الداخل بالجبس المزخرف بفصوص ذهبية ملونة .. وفى الصدر أيضاً محراب كبير وإلى يمين المحراب منبر جميل هو الذى عمله نور الدين زنكى وأتى به صلاح الدين من حلب ، وهو مصنوع من الخشب المرصع بالعاج والأبنوس ويقابل المنبر (دمكة المؤذنين) وهى قائمة على أعمدة من رخام . وفى داخل الجامع فى الزاوية القبلىة إلى الشرق لمجد جامعا مستطيلاً آخر متصل به يسمى (جامع عمر) مع ملاحظة أنه يوجد جامع آخر بإسم عمر أيضاً فى الضلع الجنوبي لكنيسة القيامة بناء شهاب الدين ابن أخى صلاح الدين عام (١٢١٦م) ولم تتم مأذنته إلا بعد قرن كامل من بنائه عام (١٣١٧م) وهو يقع فى المكان الذى صلى فيه عمر بن الخطاب عندما دخل القدس خارج كنيسة القيامة .. وإلى الشمال منه إيوان صغير يسمونه (مقام عزيز) أو (مقام الأربعين) وإلى الشمال ملتصق به محراب زكريا ، وللمسجد أحد عشر باباً : سبعة منها إلى الشمال .. وهى كبيرة .. وكل واحدة من هذه الأبواب ينتهى إلى كور من أكوار المسجد السبعة . وباب إلى الشرق . وآخر إلى الغرب . وهناك فى الناحية الغربية أيضاً باب يدخل منه النساء فى طريقهن إلى الجامع المسمى بإسمهن : (جامع النساء) . وفى الجدار القبلى باب غير نافذ إلا إلى زاوية ، كانت فيما مضى مدرسة .. وأمام المسجد من الناحية الشمالية رواق كبير هو الذى أنشأه الملك المعظم عيسى ، وقد جدد من بعده . وهو مؤلف من سبع قناطر مقصورة . كل قنطرة منها تنتهى إلى باب من أبواب المسجد السبعة . وتحت بناء المسجد الحالى دهليز واسع وطويل . يتألف من سلسلة عقود ترتكز على أعمدة ضخمة ، وهو ما يسمى بـ "الأقصى القديمة" .

وقد طرأ على المسجد الأقصى العديد من التغيرات بسبب الزلازل والعواصف والأمطار ، فكانت أبوابه ، فى زمن الأمويين ، ملبسة بصفائح الذهب والفضة . ولما قدم أبو جعفر المنصور ، وكان شرقى المسجد وغريبه قد وقع بسبب الزلزال عام (٧٤٧م) أمر بقلع هذه الصفائح . فقلعت ، وضربت دنانير ، وأنفقت عليه حتى فرغت عام (٧٧١م) .

وحدث زلزال آخر عام (٧٧٤م) . فوقع البناء الذى أقامه المنصور فأمر المهدي بتعميره . وعمر عام (٧٨٠م) . إلا أنهم أنقصوا من طوله يومئذ وزادوا فى عرضه . وخرب المسجد الذى عمره المهدي إثر زلزال وقع فى عام (١٠٣٣م) . فعمره الخليفة الفاطمى الظاهر لإعزاز دين الله عام (١٠٣٤م) حاذفا أربعة أروقة من كل جانب ، وإن القبة الحالية والأبواب السبعة التى فى شمال المسجد من صنع الظاهر لإعزاز دين الله . وهناك بالخط الكوفى وبالفسيفاء المذهبة منقوشة على واجهة القوس التى تحمل القبة من الشمال ، تشير إلى ما فعله الظاهر فى ذلك التاريخ . وفى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله عام (١٠٦٦م) جددت واجهة المسجد الشمالية .. ولما احتل الصليبيون القدس عام (١٠٩٩م) استغلوا المسجد لصالحهم ، فجعلوا قسما منه كنيسة ، واتخذوا قسما آخر مسكنا لفرسان الهيكل ، واستعملوا القسم الباقى مستودعا ل ذخائرهم مضيفين إلى البناء القديم بعض القناطر المعقودة . وكانوا يسمونه Palatium Tempelum Solomones ، وعندما استرد صلاح الدين القدس من الصليبيين عام (١١٨٧م) أمر بإصلاح وترميم المسجد الأقصى فجدد محرابه ، وكسا قبتة بالفسيفاء ، وأزال كل أثر فيه للصليبيين وهناك فوق المحراب كتابة نقشت بالفسيفاء المذهبة تشير إلى ما فعله صلاح الدين .

وقد عنى ملوك بنى أيوب ، بعد موت صلاح الدين ، بالمسجد الأقصى . فكانوا يكتسونه بأيديهم ، ويغسلونه بماء الورد . وكان أشدهم اهتماما الملك المعظم عيسى ، فهو الذى أنشأ عام (١٢١٧م) الرواق الذى يكون الواجهة الشمالية لهذا المسجد . وهذا الرواق مؤلف من سبعة أقواس معقودة . يقابل كل واحد منها باب من أبواب المسجد السبعة . وعلى واجهة الرواق الأوسط بلاطة من الرخام نقشت عليها كلمات تشير إلى ما فعله هذا الملك . ولم يكن الممالك أقل اهتماماً بالمسجد الأقصى من الأيوبيين ، فيذكر المؤرخون أن الذى عمر سقف هذا المسجد من الناحية القبلىة بما يلى الغرب عند جامع الأنبياء هو الملك

المنصور سيف الدين قلاوون عام (١٢٨٧م) ، وأن القبة نفسها جددت في زمن ولده الملك الناصر محمد قلاوون عام (١٣٢٧م) وكذلك قل عن الرخام والشبائيك المصنوعة من الفسيفساء في صدر المسجد ، ومنها الشباكان اللذان عن يمين المحراب وشماله ، والأبواب ، والسور القبلى عند محراب داود . فإن هذه الأشياء من صنع الملك الناصر محمد بن قلاوون . وهناك كتابات كثيرة في المسجد تشير إلى ذلك . منها الكتابة التي تجدها في القبة نفسها من الداخل والمكتوبة بأحرف كبيرة تعرف بالثلث ، وفوق الشباك الكائن شرقي المحراب ، وفي الواجهة الأمامية فوق الأروقة .. وقد اهتم المماليك بعمارة المسجد الأقصى ونذكر من سلاطينهم السلطان شعبان بن الملك الناصر محمد قلاوون ، وأخوه السلطان حسن عام (١٣٧٦م) والملك الأشرف اينال عام (١٤٦٠م) . والملك الأشرف فايتباى عام (١٤٧٩م) . وهناك كتابة تشير إلى ما فعله فايتباى نقش على واجهة المسجد الشمالية فوق الرواق الأوسط إلى اليمين .. أما سلاطين بنى عثمان ، فإنه لم يعتل العرش منهم سلطان إلا وفكر في ترميم المسجد الأقصى ، أو تعمير جانب من جوانبه . نذكر منهم السلطان سليمان القانونى عام (١٥٦١م) . فالسلطان محمود الثانى عام (١٨١٧م) وإسمه منقوش على قبة الأقصى من الداخل ، وعلى بلاطة تراها إلى يسارك وأنت داخل المسجد من بابه الكبير .. والسلطان عبد العزيز عام (١٨٧٤م) . فإليه يرجع الفضل في عدد كبير من الشبائيك المصنوعة من الفسيفساء . وأما السلطان عبد الحميد الثانى عام (١٨٧٦م) . فإنه هو الذى بعث بالشرط الأكبر من السجاد العجمى ، ذلك السجاد الذى نراه فى مسجدى الصخرة والأقصى .

وبتعاقب الأعوام .. وتقادم الزمن ضعفت بعض أعمدة المسجد وحوائطه عام (١٩٢٢م) فأوفد المجلس الشرعى الإسلامى الأعلى ، وهو المسئول عن إدارة الشئون والمعاهد والآثار الإسلامية بالقدس ، وفوداً وجهوا الدعوة للأقطار العربية والإسلامية للتبرع لترميم المسجد فجمعوا مبلغاً من المال يقدر بنحو (مائة ألف دينار) عام (١٩٢٧م) وقد تم تعمير جزء كبير من المسجد ، ولعل أخطر تعمير جرى يومئذ ، هو استبدال الأعمدة القديمة البالية التي تقوم عليها القبة بأعمدة جديدة (عددها ثمانية) . وأقيمت هذه على أساسات متينة من الخرسانة المسلحة . ولقد تم هذا العمل بإشراف المهندس التركى الشهير الأستاذ كمال الدين .. وما كاد هذا التعمير يتم حتى حدث زلزال (١٩٢٧م) فتضرر المسجد بسببه . ولكن القبة سلمت من الأذى بفضل التعمير الذى كان قد تم قبل برهة وجيزة .

وفى عام (١٩٣٧م) حدثت هزة أرضية وإن كانت خفيفة ، إلا أنها أظهرت ما كان كامنا من الخراب . فتولى المجلس الإسلامى الأعلى عمارة المسجد وترميمه من واردات الأوقاف العامة عام (١٩٤٣م) .

ومن أبرز الترميمات والإصلاحات التى أجريت وقتها أنهم هدموا الرواق الشرقى وكان قد تصدع تصدعاً خطيراً ، وأعادوا بناءه من جديد وبنوا سقفه من الأسمنت المسلح بالحديد وهدموا أيضاً الرواق الأوسط وأعادوا بناءه واستبدلوا الجملون الخشبى الذى كان يستره بآخر من الحديد الصلب وبنوا تحته سقفا خشبياً بشكل أفقى : أنفق على تذهيبه وزخرفته عشرة آلاف جنيه ، تبرعت بها الحكومة المصرية ، وأعادوا الرصاص القديم فوق السطح بعد أن أعادوا سبكه واستبدلوا الأعمدة الحجرية القديمة بأعمدة من الرخام أتوا بها من إيطاليا كما استبدلوا الأوتار الخشبية التى كانت تربط العقود بعضها ببعض بأخرى حديدية مصفحة بالخشب المدهون .

الحرم الشريف : الحرم الشريف هو الذى يضم كل الآثار الإسلامية .. مسجد الصخرة والأقصى وما بينهما من منشآت حتى الأسوار ومساحته الشرقية ٤٧٤ متراً ، ومن الناحية الغربية ٤٩٠ متراً ومن الناحية الشمالية ٣٢١ متراً ، ومن الناحية القبلية ٢٨٣ متراً . وكان موضع الحرم الحالى فيما مضى يدعى (تل المريا) ذلك التل الذى ورد ذكره فى سفر التكوين وكان فيه بيدر (أرنان) اليبوسى : فاشتره الملك داود ليقم عليه الهيكل ، تملكه اليهود حقبة من الدهر ثم عاد إلى حظيرة المسلمين فأسموه (الحرم القدسى) لأنه مقدس فى نظر المسلمين كافة إنه هو المسجد الأقصى .. أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وللحرم أبواب عشرة مفتوحة هى من الشمال إلى الغرب :

- ١ - باب الأسباط .
- ٢ - باب حطه .
- ٣ - باب شرف الأنبياء (ويسمونه الباب العتم أو باب الداودية أو باب الملك فيصل) .

- ٤ - باب الغواصة (ويسمونه باب الخليل أو باب الوليد) .
 ٥ - باب الناظر (ويسمونه باب علاء الدين البصير أو باب الحبس أو باب ميكائيل) .
 ٦ - باب الحديد (ويسمونه باب أرغون) .
 ٧ - باب القطنين .
 ٨ - باب المتوضأ (ويسمونه باب المطهرة) .
 ٩ - باب السلسلة (ويسمونه باب داود) .
 ١٠ - المغاربة (ويسمونه باب النبی) .

وهناك أربعة أبواب مغلقة هي : من الغرب ١ - باب السكينة (ويسمونه باب السحرة) ومن الشرق : ٢ - باب الرحمة ٣ - باب التوبة ٤ - باب البراق (ويسمونه باب الجنائز) .

وللحرم الشريف أربعة مآذن شهيرة هي :

- ١ - مئذنة باب المغاربة - فى الزاوية الجنوبية ويسمونها المنارة الفخرية بناها القاضى شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلي (١٢٧٨م) .
 ٢ - مئذنة باب السلسلة غربى الحرم وفوق باب الكنيسة بالتمام بناها الأمير سيف الدين تنكز الناصرى عام (١٣٢٩م) .
 ٣ - مئذنة باب الغواصة فى الزاوية الغربية الشمالية : بناها القاضى شرف الدين عبد الرحمن الذى بنى المئذنة الأولى وكان ذلك بأمر من الملك المنصور حسام الدين لاجين عام (١٢٩٧م) وجدها الأمير تنكز فى عهد الملك الناصر محمد قلاوون ، ولهذا يسمونها أيضاً منارة قلاوون .
 ٤ - "مئذنة باب الأسباط" بين باب الأسباط وباب حطة فى الساحة الشمالية الشرقية من الحرم أنشأها ناظر الحرمين الأمين سيف الدين قطلوينا فى أيام الملك الأشرف شعبان بن حسن بن الملك الناصر محمد قلاوون عام (١٣٦٧م) .

أما أروقة الحرم فتقع فى نهاية الحرم من الغرب وترجع نشأتها إلى عهد السلطان محمد بن قلاوون عام (١٣٠٧م - ١٣٣٦م) وبعضها أنشئ فى عهد السلطان الأشرف شعبان عام (١٣٦٧م) ، وقد سد الأتراك هذه الأروقة فى عهدهم فأتخذوها مساكن لإيواء المهاجرين والمحتاجين من فقراء المسلمين إلا أن المجلس الإسلامى الذى تولى الإشراف على الحرم عام (١٩٢٢م) أزال جدرانها الخارجية وأرجعها إلى ما كانت عليه فى عهد المماليك .. أما مياه الحرم فيذكر أن بها سبعا وعشرين بئرا كلها عامرة ، خلا اثنتين منها وفيها من الماء ما يكفى لسكان المدينة القديمة كلهم وليس المصلين الذين يفدون إلى الحرم فى أوقات الصلوات الخمس فحسب ومنها ثمانى آبار فى صحن الصخرة وسبع قرية من المسجد الأقصى وست إلى الغرب من ساحة الحرم وثلاث فى الشرق وواحدة فى الشمال .

وهناك سبل كثيرة ، نذكر منها :

- (سبيل شعلان) فى أسفل الدرج المؤدى إلى صحن الصخرة وعلى بعد بضعة أمتار من باب الناظر أنشأه الملك المعظم عيسى عام (١٢١٦م) وجدده الملك الأشرف برسباى عام (١٤٢٩م) وجدده أيضاً السلطان مراد الرابع عام (١٦٢٧م) .

- (سبيل قايتباى) تجاه باب المتوضأ وعلى بعد بضعة أمتار منه إلى الشرق وهو من أشهر السبل القائمة فى الحرم وأكبرها بناه الملك الأشرف إينال (١٤٥٥م) وجدده الملك الأشرف قايتباى عام ١٤٨٢م ثم جدده السلطان عبد الحميد عام (١٨٨٢م) .

- (سبيل قاسم باشا) ويقع على حافة البركة المعروفة ببركة الرانج ويسمونها أيضاً الفاغنج على بعد بضعة أمتار من باب السلسلة إلى الشمال الشرقى أنشأه متولى القدس قاسم باشا فى أيام السلطان سليمان القانونى عام (١٥٢٧م) .

- (سبيل علاء الدين البصير) ويقع غربى الحرم تجاه باب الناظر لانعرف متى بنى وإنما عليه كتابة تقول " إن عمارته جددت من لدن نائب السلطان وناظر الحرمين المقر الحسامى قبجا وكان ذلك فى أيام الملك الأشرف برسباى عام (١٤٣٥م) .

- (حوض الكأس) يقصده المصلون من أجل الوضوء للصلاة ويقع بين مسجدي الصخرة والأقصى بناه الأمير تنكز الناصري عام (١٣٢٧م) وهو حوض مدور مبنى من الرخام ، يجرى إليه الماء من قناة تبدأ عند برك المرجع الثلاثة المعروفة ببرك سليمان وهى واقعة على بعد عشرة أميال من القدس إلى الجنوب .
هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الصهاريج التى تتجمع فيها المياه من الأمطار والتى تزود الحرم بالماء .

الجوامع والمساجد والزوايا بالقدس

تضم القدس عدداً كبيراً من المساجد غير مسجدي الأقصى والصخرة ونذكر أبرزها :

(أ) الجوامع التى فى ساحة الحرم :

- "جامع قبة موسى" تجاه باب السلسلة من الشرق تقام فيه الصلوات الخمس .
- "جامع باب حطة" تجاه باب حطة من الجنوب تقام فيه الصلوات الخمس .
- "جامع كرسى سليمان" ملاصق للصور الشرقى تقام فيه الصلوات الخمس .
- "جامع المغاربة" عند باب المغاربة من الشرق تقام فيه الصلوات الخمس .
- "جامع باب الغوانمة" عند باب الغوانمة من الشرق فيه الآن دار الكتب والمتحف الإسلامى .
- "جامع دار الإمام" عند باب المجاهدين .

(ب) الجوامع التى فى خارج الحرم وداخل السور :

- "جامع باب خان الزيت" فى سوق خان الزيت .
- "جامع الخانقاه" ويقع إلى الشمال الغربى من كنيسة القيامة .
- "جامع قمبر" وهو ملاصق للصور الشمالى عند الباب الجديد .

- "الجامع العمرى" فى حارة النصارى قبلى كنيسة القيامة له مثذنة .
 - "الجامع اليعقوبى" وهو فى إتحاه القلعة من الشرق باب الخليل .
 - "جامع الشيخ لولو" ويقع عند باب العمود على مقربة من السور .
 - "الجامع الصغير" ويقع عند مفترق طريقى الواد وباب العمود .
 - "جامع حارة اليهود الصغير" ويقع فى الطرف الشمالى لحارة اليهود .
 - "جامع سويقه علون" ويقع فى سويقه علون .
 - "جامع القلعة" يقع داخل باب الخليل له مثذنة .
 - "جامع حارة النصارى" على طريق باب خان الزيت .
 - "جامع البازار" فى سوق البازار .
 - "جامع الزاوية النفشبنديّة" فى داخل الزاوية النفشبنديّة على درب الآلام .
 - "جامع المولوية" فى داخل الزاوية المولوية بحارة السعدية .
 - "جامع زاوية الهنود" فى داخل زاوية الهنود تجاه باب الساهرة .
 - "جامع البراق" وهو ملاصق لحائط البراق فى حارة المغاربة .
 - "جامع خان السلطان" فى خان السلطان بسوق باب السلسلة .
- وتوجد جوامع أخرى لكن مهجورة .

(ج) الجوامع الموجودة فى القدس الجديدة خارج السور :

- "جامع النبى داود" فى حى النبى داود له مثذنة .
- "جامع الشيخ جراح" ويقع فى حى الشيخ جراح على طريق نابلس له مثذنة .
- "الجامع المسعودى" فى حى سعد وسعيد على طريق نابلس له مثذنة .
- "جامع عكاشة" ويقع فى حى زخرون موشه اليهودى له مثذنة .
- "جامع حجازى" فى حى باب الساهرة له مثذنة .

وتوجد جوامع أخرى لكن مهجورة ولا تقام فيها الصلاة .

(د) من أشهر الزوايا :

يوجد فى القدس عدد من الزوايا أعدت لإجتماعات ولقاءات الدراويش من مختلف الطرق وأعدت كذلك لتنزل الغرباء من المسلمين الذين يهبطون للقدس بغرض الزيارة نذكر منها :

- "زاوية الهنود" واقعة تجاه باب الساهرة من أبواب المدينة على بعد بضع خطوات من سورها الشمالى أسسها بابا فريد شكر كنج من مسلمى الهند ، وكان ذلك فى أواسط القرن السادس للميلاد ذكرها مجير الدين فقال إنها قديمة العهد . كانت بادئ ذى بدء مخصصة لفقراء الطريقة الرفاعية ثم راح الهنود ينزلون بها وللزاوية أملاك موقوفة بباب حطة ولقد تبرع لهذه الزاوية بعض أغنياء الهنود فأضافوا إليها بعض العمارات الجديدة .

- "الزاوية الأدهمية" بين باب العمود وباب الساهرة ، خارج السور وعلى بعد مئتى متر منه إلى الشمال ويعتقد البحافة الأثرى كليرمان غانو أنها مغارة أرميا النبى و يقيم فيها الآن جماعة من آل البديرى .

- الزاوية الرفاعية" ويسمونها زاوية أبى السعود ، واقعة فى داخل الحرم تحت مئذنة باب الغوانمة .

- "زاوية الشيخ جراح" فى حى الشيخ جراح على طريق نابلس واقفها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسى الجراحى من أمراء الملك صلاح الدين عام (١٢٠١م) وفى ظاهرها من الناحية القبلىة قبور جماعة من آل الجراح وآخرين من المجاهدين .

- "الزاوية اللؤلؤية" بباب العمود فى داخل السور وهى وقف بدر الدين لؤلؤ غازى .

- "الزاوية القادرية" ويسمونها زاوية الأفغان لأن أكثر المنتمين إليها من بلاد الأفغان إنها فى حارة الواد وعلى بعد بضعة أمتار من الزاوية النقشبندية إلى الجنوب الغربى : هناك على بابها بلاطة نقشت عليها كلمات تدل على أنها زاوية مولانا وسيدنا قطب العارفين وسلطان الأولياء الشيخ عبد القادر "الجيلانى" وكان ذلك عام ١٦٣٣ م .

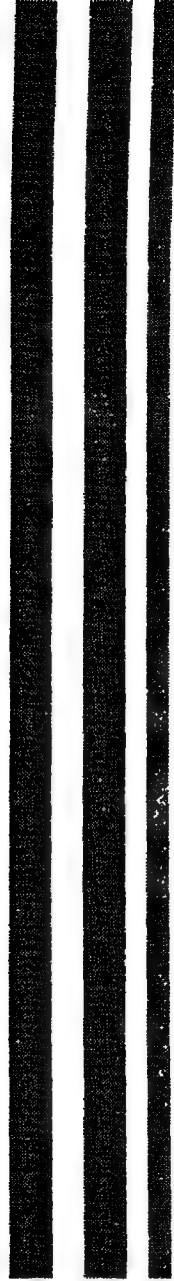
- "الزاوية المولوية" واقعة فى حارة السعدية يقيم فيها أشخاص ينتمون إلى الطريقة المولوية تلك الطريقة التى أنشأها مولانا جلال الدين الرومى ، أصله من فارس

وقد إستقر به المقام بعد أن حج إلى بيت الله الحرام ، فى قونية من أعمال سلطنة بنى عثمان ، وكان ذلك فى أوائل القرن الثالث عشر وقد دخلت هذه الطريقة بيت المقدس فى أوائل الحكم العثمانى عام (١٥١٩م) وبعد ذلك بقليل أسس أتباعها فى القدس مكانا أسموه (الخانقاه المولوية) .

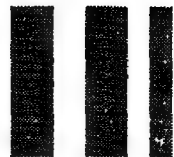
ويظهر أن الطابق الأرضى لهذه الخانقاة كان فى غابر الأزمان ديراً وكان فيه كنيسة لللاتين .. وأتخذت بعدئذ ، مسجداً وقد تم ذلك فى العهد الأيوبى وقيل أنه تم فى أوائل حكم المماليك ، أما الطابق العلوى والمثلثة التى بجانبه فلإنها من عمل الأتراك العثمانيين عام (١٥٨٦م) .

- "الزاوية المجيدية" واقعة فى حى النبى داود وإلى الشمال من ضريحه شيدت على عهد السلطان عبد المجيد عام (١٨٤٩م) .

- "الزاوية النقشبندية" ويسمونها الأزيكية واقعة فى حارة الواد على درب الآلام وعلى مقربة من باب الغواطة إلى الغرب ، بناها مؤسس الطريقة النقشبندية الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند البخارى (١٦١٦م) لإيواء الغرباء وإطعام الفقراء من مسلمى بخارا وجاوا وتركستان .



حضارة المستوطنات وإرهاب التهويد



المستوطنات: تقويض الهوية العربية الإسلامية

توافرت على إعطاء مدينة « القدس » أهمية خاصة تختلف عن وضعية أى مدينة فى العالم .. هذه الأهمية تستند لخلفيات تاريخية ولأساب دينية ولعوامل جغرافية .. جعلتها محط الأنظار .. تتوفر لها صفة « التقديس » بشكل لا يتوافر لغيرها من المدن، فمثلا مكة المكرمة أو المدينة المنورة لها مكانة للمسلمين .. و « الفاتيكان » محل تقديس بالنسبة للنصارى .. أما القدس فهى مدينة الأديان السماوية الثلاثة - اليهودية والمسيحية والإسلام .. إنه لا يوجد فى العالم كله مكان تتوافر فيه هذه الكمية من المقدسات بالنسبة لديانات ثلاث، لذا فقد شهدت صراعاً دولياً يكاد أن يكون مستمراً بين القوى الدولية المختلفة التى سادت ثم بادت وظهرت غيرها .. هكذا حتى الآن وما نعرضه يستهدف أن نرى المدينة فى الوقت الحاضر ، فقبل الإنتداب البريطانى كانت مدينة « القدس » لإحدى المدن التى يتكون منها إقليم فلسطين الذى كان جزءاً من الشام الكبير لوقت طويل تحت الحكم العثمانى وعندما هزمت الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى ١٩١٧م، كانت هناك مؤتمرات دولية لتقسيم أسلابها بين الدول المنتصرة فى هذه الحرب - دول الحلفاء وعلي رأسها المملكة المتحدة « بريطانيا » وفرنسا - بينما كانت الوعود تقدم للحسين بن على من جانب بريطانيا لمساعدته على تكوين دولة عربية تضم بين ماتضم، الشام الكبير بما فيه فلسطين، ويشهد التاريخ على أن بريطانيا لم تف بوعدها وبدلاً من ذلك وضعت فلسطين تحت الإنتداب البريطانى من الفئة الأولى بما يشهد بأن فلسطين كانت قرية من الحصول على مركز الدولة المستقلة، إذ كانت بالقياس إلى معظم الأقاليم التى وضعت

تحت الانتداب متقدمة فى شئون الإدارة والحكم بما يؤهلها لنيل الاستقلال أو الحكم الذاتى ، وهما الهدف الذى يجب أن يتحقق فى ظل نظام الانتداب .. علماً بأن الجانب الأكبر فى هذه المؤامرة كان الجانب المتصل بالتعهد البريطانى بإقامة وطن قومى لليهود، ذلك التعهد الذى قطعه بريطانيا على نفسها لأبناء يهود مقابل قيامهم بمساعدتها فى حربها ضد الأعداء ، وكان وفاء بريطانيا هنا واضحاً فإن صك الانتداب الذى أبرمته مع عصبة الأمم تضمن الطريق إلى تحقيق وعد بلفور إذ نصت المادة الثانية منه على أنه : « تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد فى أحوال سياسية وإدارية وإقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومى لليهود » ، ولم يهمل صك الانتداب النص على تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين وكذلك .. تسهيل حصولهم على « الرعوية » الفلسطينية عن طريق سن قانون للجنسية يسمح بذلك .

على أن أن الوفاء البريطانى لليهود كان أوضح فى العمل منه فى الصكوك أو الوثائق ، هذا العمل الذى اختصت مدينة القدس فيه بأكبر قدر من التدابير والأعمال التى تكفل تحويلها إلى مدينة يهودية قبل قيام الدولة اليهودية بوقت ليس بالقصير .. وقد اتخذت سلطات الاحتلال البريطانى عدة خطوات تمهيداً للوفاء بوعدها لليهود تركت هذه الخطوات حصداً مازال موجوداً وكائنا حتى اليوم ، هذه الخطوات تتمثل فى :

- إعادة تخطيط المدينة .

- تدعيم المؤسسات اليهودية فى القدس .

- الهجرة إلى المدينة وبناء المستوطنات .

ونعرض لكل خطوة منها :

أولاً : إعادة تخطيط المدينة :

قبل أن يتم « سلفادور اللبى » سيطرته على الشام إستدعى « مالكين » مهندس الإسكندرية ليضع تخطيطاً للمدينة يحقق الهدف الصهيونى وقام الأخير بذلك خير قيام فى مخططة الذى وضعه عام ١٩١٨ م فقد قسم المدينة إلى أربعة أقسام : البلدة القديمة وأسوارها .. المناطق المحيطة بالبلدة القديمة، القدس الشرقية (العربية) القدس الغربية

«اليهودية» وسمحت هذه الخطة بالبناء فى القدس الغربية وجعلها منطقة صالحة للتطوير بينما منعت ذلك تماماً فى البلدة القديمة وقيدته بشدة فى القدس الشرقية وبذلك سمحت هذه الخطة بتعزيز الوجود الصهيونى فى القدس، وإحكام تطويقها واستيطانها، لمنع أى توسع عربى محتمل ومحاولة السيطرة على الحكم البلدى للمدينة، ليتسنى السيطرة تماماً على المدينة وتحويلها إلى عاصمة للدولة اليهودية .

ثانياً : تدعيم المؤسسات اليهودية فى القدس :

ساعدت حكومة الانتداب البريطانى على جذب الإستثمارات الأوروبية للمساعدة على إقامة وطن قومى لليهود.. وساعدت على إقامة مجموعة من الهيئات والمؤسسات اليهودية، لكى يحقق ذلك الهدف فى المدينة المقدسة مثل : اللجنة التنفيذية للمنطقة الصهيونية العالمية WZO والوكالة اليهودية والصندوق التأسيسى والصندوق القومى لليهود والمجلس الوطنى « لليشوف » الحاخامية الرئيسية والجامعة العبرية ومستشفى « هداسا » الجامعى .. ولوحظ فى إقامة هذه المؤسسات أن تقام على هضبة « سكويس » فى الجهة الشمالية الشرقية من المدينة القديمة وهو الاتجاه الوحيد الذى كان يسمح بالتوسع العربى فى المدينة.. مما شكل حصاراً كلياً للتوسع العربى فيها .

ومن المفارقات الغريبة أن ذلك قد حدث فى الوقت الذى وعدت بريطانيا العرب بتأسيس دولة مستقلة لهم وذلك عام «١٩١٥ - ١٩١٦ م» فى إطار محادثات «الحسين/ مكماهون» ، ومن خلال رسائل أخرى أرسلت إلى الحسين بن على فى وقت لاحق عام ١٩١٨، وبعد أن كانت الحكومة البريطانية قد أصدرت وعد بلفور فقد أصدرت بياناً آخر ذكرت فيه أن دول الوفاق عاقدة العزم على منح الجنس العربى فرصة كاملة لتكوين أمة فى العالم مرة أخرى وفيما يتعلق بفلسطين، فإننا عقدنا العزم على ألا يكون أى قوم خاضع لقوم آخر .. كذلك أعلنت بريطانيا بعد احتلالها لمدينة القدس عام ١٩١٨ أن رغبة حكومة جلالة الملكة هى : أن يقوم حكم هذه المناطق مستقبلاً على أساس مبدأ موافقة المحكومين . وأعلنت فى بيان مشترك مع فرنسا فى يونيو من نفس العام : أن الهدف الرئيسى الذى ترمى إليه فرنسا وبريطانيا العظمى من مواصلتها الحرب حتى النهاية فى المشرق .. «هو التحرير الكامل الواضح للشعوب العربية وإنشاء حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من مبادرة السكان الأصليين واختيارهم الحر» .

وإذا كانت هذه البيانات عن حق الشعوب في تقرير مصيرها فكان الأجدر أن تطبق على فلسطين بما فيها القدس .. ويذكر أن « لجنة كنجج - كرين » وهي أحد اللجان المصنفة في تاريخ العلاقات الأمريكية العربية قدمت تقريراً واضحاً ذكرت فيه أن السكان غير اليهود في فلسطين .. وهم تسعة أعشار السكان تقريباً ، يرفضون البرنامج الصهيوني رفضاً باتاً ، وأن سكان فلسطين لم يجمعوا على شيء مثل إجماعهم على هذا الرفض، وإقترحت اللجنة تعيين الولايات المتحدة متدبة على سوريا، بما فيها فلسطين.. ولكن الحلفاء ، أهدروا تقرير اللجنة وإعترف وزير خارجيتهم « بلفور » بأن هذا المبدأ - تقرير المصير - لن يطبق على فلسطين، وأن سياسة الحلفاء تتناقض مع نصوص عهد العصبة، وكان مما ذكره : إننا لا ننوي في حالة فلسطين أن نقوم حتى بشكليات إستقصاء رغبات سكان البلاد الحاليين .. إن الدول الكبرى الأربع ملتزمة بالصهيونية سواء أكانت صائبة أم خاطئة، حسنة أم سيئة، تضرب بجذورها في عادات قديمة قدم الدهر، وهي أكبر أهمية بكثير من رغبات السبعمئة ألف عربي الذين يقطنون الآن تلك الأراضي القديمة .

وقال « بلفور » : إنه ينبغي استثناء فلسطين من مبدأ استطلاع آراء السكان فيمن يحكمهم ، « لأن الدول الكبرى قد التزمت بالبرنامج الصهيوني الذي استثنى حتماتقرير المصير العددي ، إن فلسطين تمثل حالة فريدة، فنحن لا نبحث رغبات مجتمع موجود، بل نسعى عن وعى إلى إعادة إنشاء مجتمع جديد والعمل على تكوين أغلبية عددية في المستقبل .. فهنا لمجد اعترافاً بضرورة استطلاع رغبات المحكومين في الطريقة التي يحكمون بها، وإعتراف صريح بضرورة إستثناء فلسطين من هذه القاعدة، وبسبب واضح في ذلك الوقت هو أن الدول الكبرى ملتزمة بالصهيونية وبإقامة وطن لليهود في فلسطين.

وكانت حصيلة فترة الانتداب على فلسطين ، بما فيها القدس ، تمثلت في السماح بهجرة واسعة لليهود، وفي تمكينهم من إتخاذ التدابير اللازمة لإقامة الوطن القومي ، حسبما جاء في وعد بلفور وقرار التقسيم ولكن الأزمات الناتجة عن هذه السياسة جعلت السلطات البريطانية تشعر بسوء ما فعلت، فأصدرت كتاباً أبيض عام ١٩٣٩ م يعبر عن سياستها الجديدة في فلسطين، والتي تتمثل في الآتي :

١- وقف الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، إذ أن في السماح باستمرارها تخليداً للعداوة بين الشعبين اليهودي والعربي ، وجعل حالة فلسطين مصدراً للاحتكاك الدائم بين جميع شعوب الشرق الأدنى والأوسط.

٢- رفض مبدأ تقسيم فلسطين والسماح بإقامة دولة يهودية فيها، لأنها تعتبر ذلك مما يخالف الإلتزامات المترتبة عليها نحو العرب بموجب صك الإنتداب، والتأكيدات التي التي أعطيت للشعوب العربية فيما مضى ، أن يجعل سكان فلسطين رعايا دولة يهودية خلافاً لإرادتهم .

٣- تشكيل حكومة فلسطينية مستقلة - خلال عشر سنوات يساهم فيها العرب واليهود على وجه يضمن المصالح الرئيسية لكل من الفريقين.

ويمثل هذا الكتاب الأبيض اعترافاً بضرورة مراعاة الإدارة العربية في تشكيل الحكومة التي يجب أن تقوم في فلسطين، ولكن للأسف كانت الأوضاع قد تغيرت تحت الحكم البريطاني الذي استمر عقدين، فقد غيرت الهجرات اليهودية والأفعال التي قامت بها الوكالة اليهودية في فلسطين - في عقدين من الزمان - طبيعة الإقليم، والقدرة على احتواء العناصر المتصارعة فيه، فضلاً عن أن إضطهاد اليهود في أوروبا في تلك الفترة جعل السلطة البريطانية تتساهل في قبول مزيد من اليهود في فلسطين . وكانت تلك السياسة البريطانية ضربة لأهداف اليهود في إسرائيل، مما جعلهم يتحولون إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، لنيل تأييدها لهم ويقومون بإنتفاضات واسعة ضد العرب وضد سلطة الإنتداب، حتى إنه عندما إنتهت الحرب العالمية الثانية كانت هذه السلطة غير قادرة علي الإمساك بزمام الأمور في الإقليم، مما جعلها تعرض المشكلة على الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ م .

وعندما شكلت الأمم المتحدة لجنة لتقصي الأمور في الأراضي المحتلة في عام ١٩٤٧ م كان من الصعب أن تجمع على رأي حاسم في أسلوب حل المشكلة، وظهر إلتجاه قوى في ضرورة تقسيم فلسطين إلى دولتين - عربية ويهودية يجمع بينها اتحاد إقتصادي ، وتدويل مدينتي القدس ، واتجاه آخر رأى التقسيم مخالفاً للقانون ومن شأنه أن يجعل المشكلة تتفاقم .. ولكن الجمعية العامة وافقت علي رأي الأغلبية وأقرت التقسيم

مع تحديد حدود كل دولة .. وقد نص قرار التقسيم على أن تضع الجمعية التأسيسية من الدولتين مشروع دستور ديمقراطي يتضمن المبادئ التي أوردتها القرار، وهي تتصل بكفالة المساواة وعدم التمييز في الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية للجميع، وضرورة التمتع بكافة حقوق الإنسان، إلا أن قرار التقسيم صادف بدوره حق تقرير المصير للفلسطينيين، مع أنهم كانوا يمثلون أغلبية السكان صُدوره، وكانت الأغلبية تعارض بشدة قرار التقسيم، وإن كان الإنصاف يقتضيها إن قرار التقسيم اعترف بدولة فلسطينية علي جزء محدود من أرض فلسطين حقوقهم الكاملة كشعب، ولا يمكن القول بأن رفض العرب له قد أثر علي وجوده استمرار الوضع على النحو الذي سار عليه فيما بعد، إذ كثيراً ما يقال : إن اله أضاعوا الفرصة التي أعطيت لهم، فما أخذوا وما أضاعوا فالسلطة الصهيونية، و الصهيونية لابتلاع كل فلسطين كانت واضحة، ففي حرب ١٩٤٨ إبتلعت الأراضي الفلسطينية بما فيها القسم الأكبر من مدينة القدس، ولم يبق من هذه سوى الضفة الغربية لنهر الأردن التي وضعت الأردن يدها عليها وقطاع غزة وضعت مصر يدها عليه بصفة مؤقتة حتى تقوم الدولة الفلسطينية .. وقد أنشأت حكومة عموم فلسطين وجعلت مقرها قطاع غزة حتى لا تنتهي القضية الفلسطينية ولكي يضم إليها ما يتحرر من الأراضي الفلسطينية بعد ذلك، علي خلاف الأمر ضمت الضفة إلى أراضيها، وإن تخلت عن هذا الضم بعد ذلك .. لقد أقر قرار فلسطين وضعاً آخر لمدينة القدس بسبب أهميتها وقداستها يتمثل في تدويلها وقبالة الوصاية التابع للأمم المتحدة بإدارتها لمدة عشر سنوات، يعاد النظر بعدها في النظر يجب أن تحكم به المدينة بعد ذلك، وقام مجلس الوصاية بوضع معالم النظام الذي المدينة وإن لم يطبق هذا النظام أبداً.

وعندما أعلن قيام إسرائيل في مايو ١٩٤٨ م إستولت على الأراضي لها في قرار التقسيم، وأخذت أراض أخرى من تلك التي خصصها القرار لها قامت بالإستيلاء على الجزء الغربي من مدينة القدس، ومع ذلك تم التأكيد على القدس بموجب قراراتين صدرتا من الجمعية العامة .. الأول في عام ١٩٤٨ م برقم

الصادر في ١١ ديسمبر عام ١٩٤٨، وقد نص أن منطقة القدس يجب أن تتمتع بمعاملة خاصة منفصلة عن معاملة مناطق فلسطين الأخرى ويجب أن توضع تحت الرقابة الفعلية للأمم المتحدة.. أما القرار فكان عام ١٩٤٩ ويحمل رقم (٣٠٣) صادر في ٩ ديسمبر وقد نص علي وجوب وضع القدس في ظل نظام دولي دائم، يجسد ضمانات ملائمة لحماية الأماكن المقدسة داخل القدس وخارجها، وأكد على مجاء بقرار التقسيم والقرار اللاحق له من وجوب قيام مجلس الوصاية بإدارة المدينة وحدد حدود مدينة القدس بأنها « بلدية القدس الحالية والمراكز والقرى المحيطة بها .

وبعد نكسة يونيو « حزيران » ١٩٦٧ احتلت إسرائيل الضفة الغربية بما فيها الجزء الشرقي من مدينة القدس والذي كان تحت السيطرة الأردنية وقامت على الفور باصدار قانون بضم المدينة لها وجعلها مع المدينة الجديدة السابق لها الإستيلاء عليها - مدينة موحدة - وعاصمة أبدية لها، ثم وضعت خطة كاملة لتحويلها وتغيير المعالم الرئيسية الإسلامية والعربية التي تميزها، وهذه الأعمال كانت موضع اعتراض واستنكار من المجتمع الدولي، إلا أن هذا لم يؤثر على ما تقوم به إسرائيل من تدابير وممارسات لا يقرها القانون الدولي .

ثالثاً : الهجرة إلى المدينة وبناء المستوطنات :

لا شك أن الهجرة والاستيطان الإستعماري يشكل حجر الزاوية في الفكر الصهيوني ، وهو الأساس الذي قامت عليه إسرائيل .. والأساس الذي تعتمده لإضفاء صفة الأمر الواقع الديمغرافي على توسعاتها العسكرية المتتابة .. والإستيطان الإسرائيلي يختلف عن كل أشكال الإستيطان الإستعماري التي عرفها العالم في العصر الحديث ذلك لأنه يستند في تبرير نفسه إلي فلسفة ذرائعية وحق ديني مزعوم، ويعتمد سياسة الأمر الواقع التي تساندها القوة العسكرية .

ويعتبر إستيطان القدس أحد أهم ركائز الدعوة الصهيونية، لأن الدعاة الصهاينة كانوا يرددون دائماً أمام بسطاء اليهود في العالم أحد المزايم اليهودية التي تقول : إن أقدامنا كانت تقف عند أبوابك ياقدس .. ياقدس التي بقيت موحدة .

إن موضوع العودة إلى القدس وتأسيس دولة يهودية في البلاد المقدسة تمتد من

الفرات إلى النيل ، حلم اليهود الذين رفضوا الاندماج في المجتمعات التي أقاموا داخلها وقد جرى تنفيذ الاستيطان الإسرائيلي في القدس على عدة مراحل :

المرحلة الأولى (١٨٩٧ - ١٩١٧ م) :

وهذه المرحلة بدأت من المؤتمر الصهيوني في مدينة « بازل » السويسرية عام ١٨٩٧ م برئاسة تيودور هرتزل وكان محطة رئيسية لتسليح اليهود إلى فلسطين عامة والقدس خاصة وشراء المباني والأراضي فيها ودعم هذه المرحلة وعد بلفور الذي صدر في ١١/٢ / ١٩١٧ .

المرحلة الثانية (١٩١٨ - ١٩٤٨ م) :

وهي مرحلة الانتداب البريطاني على فلسطين وفي هذه السنوات بذلت بريطانيا جهودها لتنفيذ وعد بلفور وكانت نتائجها : تدفق الهجرة اليهودية وتدفق المساعدات الألمانية والأمريكية التي تدعمها.. وقد أدت تلك الهجرة إلى إرتفاع عدد السكان اليهود في فلسطين من ٥٦ ألف سنة ١٩١٨ مقابل ٦٤٤ ألف عربي «مسلم ومسيحي» إلى حوالي ٦٥٠ ألفا من اليهود مقابل ١,٤٠٠,٠٠٠ عربي «مسلم ومسيحي» في آخر عهد الانتداب البريطاني سنة ١٩٤٨ م ، كما أدت إلى إرتفاع عدد اليهود في القدس من حوالي عشرة آلاف سنة ١٩١٨ م وكانوا يشكلون حوالي ٢٥٪ مقابل حوالي ثلاثين ألفا من العرب (المسلمين والمسيحيين) .. وكانوا يشكلون حوالي ٧٥٪ من سكانها، ثم إرتفع عددهم ما بين عام ١٩٢٠ و ١٩٢٥ فأصبحوا يشكلون ٣٣٪ من سكان القدس ويمثلون بمجلسها البلدي بأربعة أعضاء مقابل ستة أعضاء مسلمين وإثنين مسيحيين عرب وأصبح عددهم في نهاية الانتداب يقارب مائة ألف ويمثلون في المجلس البلدي بنصف أعضائه مقابل مثلهم من العرب المسلمين والمسيحيين .

كما أدت عمليات الإستيطان الإسرائيلي التي تمت نتيجة للتشريعات المخالفة لصك الانتداب ولحقوق الإنسان إلى رفع نسبة ملكية الأراضي الفلسطينية لليهود فيها من حوالي ٢٪ سنة ١٩١٨ إلى حوالي ٥,٦٦٪ في آخر عهد الانتداب البريطاني سنة ١٩٤٨ مقابل ٩٤٪ للعرب سنة ١٩١٨ و ٩٢٪ لهم سنة ١٩٤٨ و ٢٪ للأجانب ورفع

نسبتها لليهود في القدس من حوالى ٤٪ سنة ١٩١٨ إلى حوالى ١٤٪ فى آخر عهد الانتداب البريطانى (١٥ / ٥ / ١٩٤٨) و ٢٪ للأجانب .

المرحلة الثالثة (١٩٤٨ - ١٩٦٧) :

وقد تم خلال هذه الفترة إنشاء دولة «إسرائيل» وإغتصابها « بمساعدة الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة لمعظم أراضى فلسطين العربية وطردها أكثر من مليون عربى فلسطينى منها، ومصادرتها لجميع أملاكهم المنقولة وغير المنقولة ومنع عودتهم إليها خلافاً لقرارات الأمم المتحدة، وفتح أبواب الهجرة اليهودية على مصراعها وقد أدت هذه الإعتداءات إلى رفع عدد السكان اليهود من ٦٥٠ ألفا سنة ١٩٤٨ إلى حوالى ٢,٤٠٠,٠٠٠ فى سنة ١٩٦٧ ، ووضع اليد الإسرائيلية بالقوة على ما يقرب من ٧٠٪ من مساحة أراضى فلسطين .

كما تم خلال هذه المرحلة تقسيم القدس إلى قسمين : قسم ضم إلى المملكة الأردنية الهاشمية وقسم إحتله الجيش الإسرائيلى سنة ١٩٤٨ ووضع أيديه على مساحة حوالى ٨٠٪ من مساحة المدينة وطردها ستين ألفا من أهلها العرب المسلمين والمسيحيين منها، ومصادرة أراضيهم وأملاكهم ومنع عودتهم إليها خلافا لقرارات الأمم المتحدة المتواصلة التى تنص على حقهم فى العودة وتقرير المصير وأدت هذه الاعتداءات إلى رفع عدد السكان اليهود فى المدينة من حوالى مائة ألف سنة ١٩٤٨ إلى حوالى ١٩٠ ألفا فى سنة ١٩٦٧ ، وإنخفاض عدد العرب بسبب عدم السماح بعودة اللاجئين منهم من حوالى مائة ألف فى أوائل سنة ١٩٤٨ إلى حوالى ٣٥ ألفا بعد حرب ١٩٤٨ ثم إرتفع إلى حوالى ٧٥ ألفا سنة ١٩٦٧ ، كما أدت إلى إرتفاع الملكية الإسرائيلية على الأراضى فيها من حوالى ١٤٪ فى أوائل سنة ١٩٤٨ إلى حوالى ٧٣٪ قبل حزيران / يونيو ١٩٦٧ ، مقابل حوالى ٨٤٪ كانت للعرب وحوالى ٢٪ للأجانب .

المرحلة الرابعة (١٩٦٧ - ١٩٨٥) :

وهى التى بدأت باحتلال باقى فلسطين وتشمل أجزاء الضفة الغربية وقطاع غزة والقسم الثانى من القدس فى أعقاب حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ ، ومباشرة سلطاتهم

بتنفيذ مراحل التهويد النهائية فيها ضمن عدد من الإجراءات العسكرية والإرهابية والتشريعية والإدارية خلافا لاتفاقيات جنيف وحقوق الإنسان وقرارات الأمم المتحدة، ففي الثامن من حزيران « يونيو » ١٩٦٧ كان الحاخام شلومون غورون - حاخام الجيش الإسرائيلي آنذاك - يقف على رأس تلة من الجيش الإسرائيلي بالقرب من الحائط الغربى للحرم القدس الشريف « حائط المبكى » و يقيم شعائر الصلاة اليهودية معلنا فى ختامها أن حلم الأجيال اليهودية قد تحقق فالقدس لليهود ولن يتراجعوا عنها وهى عاصمتهم الأبدية .. وبالفعل فقد جاءت كل الإجراءات الإسرائيلية فى مدينة القدس منذ ذلك الحين لتكون مصداقية لهذا الكلام وتحقيقا للحلم الصهيونى بجعل مدينة القدس الموحدة عاصمة للكيان الصهيونى، ففي ١١ حزيران ١٩٦٧ عقدت الحكومة الإسرائيلية إجتماعها لبحث ضم القدس إلى إسرائيل وتوالت اجتماعاتها إلى أن تقدمت للكنيست بتاريخ ٢٧ حزيران ١٩٦٧ بمشروع قرار لضم القدس إلى إسرائيل .. وقد وافق الكنيست فى اليوم نفسه على قرارالضم وجرى إلحاق القدس العربية بإسرائيل سياسياً وإدارياً بموجب الأمر رقم ٢٠٦٤ الذى صدر فى الصفحة ٢٦٩٠ من نشرة الأنظمة.

وفى اليوم التالى أصدرت الحكومة الإسرائيلية ماسمى بأمر القانون والنظام رقم (١) لسنة ١٩٦٧ وأخضعت بموجبه منطقة تنظيم مدينة القدس للقوانين والنظم الإدارية الإسرائيلية .. وفى الثلاثين من تموز ١٩٨٠ وبعد ثلاثة عشر عاما من إجراءات الضم والتهويد أقر الكنيست الإسرائيلى ما سمي بالقانون الأساسى للقدس الموحدة الذى ينص على إعتبار مدينة القدس بشطريها عاصمة موحدة لإسرائيل ومقرأ لرئاسة الدولة والحكومة والكنيست والمحكمة العليا و يدعو القانون إلى إتخاذ الإجراءات التى من شأنها تنفيذ نصوص هذا القانون .

وعملية الإستيطان فى القدس تمت على مرحلتين :

- الأولى : الإستيطان فى القدس القديمة وقد باشرتها السلطات الإسرائيلية فور الإنتهاء من عمليات المصادرة والهدم داخل البلدة القديمة بإقامة أول حى سكنى يهودى فيها.. ويضم هذا الحى سوقاً تجارياً وكنيسة للصلاة أقيمت كلها على أنقاض أربعة أحياء عربية هى حى الشرف، حتى الباشورة، حى المغاربة

وباب السلسلة .. وقد جاءت عمليات الاستيطان العاجلة داخل البلدة القديمة مصاحبة لإجراءات التهويد الأخرى وعلى رأسها توسيع ساحة حائط البراق على حساب العقارات الوقفية الإسلامية والشروع فى عمليات الحفر تحت الحائطين الغربى والجنوبى للمسجد الأقصى وترحيل العائلات العربية من المناطق المجاورة للحى اليهودى وإصدار مختلف التعليمات والقوانين لتجريد العرب من أملاكهم ووضع اليد على المزيد من الأراضى والعقارات فى البلدة القديمة وخارج الأسوار وفى نطاق حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧ .

- أما المرحلة الثانية : فهى الاستيطان فى حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧ وقد بدأت إسرائيل خلال عام ١٩٦٨ بالشروع فى إقامة حزام من الأحياء السكنية يحيط بالقدس من الناحيتين الشمالية والجنوبية ، وقد تم حتى الآن إقامة عشرة من هذه الأحياء أحاطت القدس العربية بجدران من القلاع الأسمتية الصماء التى شوهدت طابع المدينة الحضارى ومعالمها الجمالية الأمر الذى حدا باليونسكو إلى تشكيل لجنة لدراسة هذه المسألة ومطالبة إسرائيل بالتوقف عن تشويه طابع المدينة الحضارى بهذه السلاسل من القلاع الأسمتية المدججة .

وقد تبين أن هناك طوقاً آخر يقع خلف هذا الطريق من القلاع وهو طوق المستوطنات التى أقيمت فى نطاق ما يسمى بخطة القدس الكبرى .

وتتلخص هذه الخطة فى توسيع حدود مدينة القدس بحيث تمتد لتشمل مايقارب ٣٠٪ من مجمل مساحة الضفة الغربية .. وكانت أول تفاصيل تنشر حول هذا الموضوع ما نشرته جريدة معارف الإسرائيلية فى ٢٦ آذار ١٩٦٩ وتحت عنوان « القدس الكبرى عاصمة إسرائيل » وجاء فيها أن لجنة هندسية إسرائيلية بدأت منذ حزيران ١٩٦٧ بوضع المخططات اللازمة لمشروع القدس الكبرى وإنتهت من وضعها خلال عام ١٩٦٨ ، وفى آذار ١٩٧١ أعلن الدكتور ميرون بنفستى نائب رئيس بلدية القدس الإسرائيلى عن إنجاز مشروع مشابه عرف بإسمه وفيه يقترح توسيع حدود بلدية القدس لتشمل المناطق الممتدة من مدينة رام الله شمالاً وحتى بيت لحم جنوباً .. وقد أطلق على هذا المشروع إسم «مشروع الأب » وفى إطاره أقيمت أكثر من ١٩ مستوطنة تشكل بسحذ ذاتها الحزام الذى

يحيط بطوق الأحياء السكنية المجاورة للمدينة والتي أقيمت ضمن حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧ .. وفي فبراير عام ١٩٧٤ أعلنت الصحف الإسرائيلية عن تفاصيل مشروع آخر وضعه الدكتور « رافل بنكلر .. وقيل أنه يشبه إلى حد كبير مشروع « بنفستى » ولكنه يتجاوز إلى طرح وجهات نظر سياسية وتصورات عامه لمستقبل المدينة ويتضمن مشروع بنكلر النقاط التالية

- ١ - إبقاء مدينة القدس موحدة تحت السيادة الإسرائيلية .
- ٢ - توسيع حدود المدينة وتقسيمها إلى ثمانية أحياء لكل حى مجلس بلدي فرعى وتخضع كلها لهيمنة المجلس البلدى المركزى الذى يضم ٥٥ عضواً بينهم ٣٨ عضواً من اليهود .
- ٣ - إعطاء الأحياء العربية نوعاً من الحكم الذاتى .
- ٤ - ضمان حرية العبادة والوصول إلى الأماكن المقدسة لجميع الديانات .
- ٥ - حدد المشروع نسبة السكان العرب بحيث لا تتجاوز ٢٥ ٪ ابتداءً من عام ١٩٦٧ وحتى عام ٢٠١٠ .
- ٦ - يشتمل التوسع المقترح المناطق العربية الممتدة شمالاً حتى مدينتى رام الله والبيرة وشرقاً حتى أبو ديس والعيزرية وغرباً حتى اللطرون وجنوباً حتى بيت لحم .

وفى هذه الأثناء شكلت الحكومة الإسرائيلية لجنة لوضع مخطط لتوسيع القدس أطلق عليه إسم « لجنة جفنى » وقد أنهت هذه اللجنة توصياتها التى نشرتها جريدة هآرتس الإسرائيلية ١٤ / ١٠ / ١٩٧٥ ، ودعت إلى إقامة ٢٨٦٠٠ وحدة سكنية خلال السنوات الخمس ٧٥ - ١٩٧٩ ولكن اللجنة حصرت عمليات البناء فى إطار حدود أمانة القدس لعام ١٩٦٧ وذلك فى محاولة لإحكام طوق الإستيطان حول البلدة القديمة كخطوة أولى قبل التوسع الإستيطانى فى نطاق القدس الكبرى .. وفى ٣٠ أيلول ١٩٧٥ نشرت جريدة دافار الإسرائيلية خبراً نسبت فيه إلى مسئول إسرائيلى كبير قوله أن الموافقة قد تمت على خارطة القدس الموسعة وذلك على النحو التالى :

تمتد حدود بلدية القدس ما بين الحان الأحمر شرقاً واللطرون غرباً ودير ديبوان وبتين شمالاً وضواحي مدينة الخليل « مستوطنة كريات أربع » جنوباً .

ويقضى هذا التوسع بضم ٩ مدن و ٦٠ قرية عربية مايقارب ٣٠٪ من مجموع المساحة الكلية للضفة الغربية .. وهذا المشروع هو بمثابة التوسع النهائي لحدود مدينة القدس الكبرى ، وهو يحدد ذاته المشروع الذى تم تنفيذه على الطبيعة بإقامة ١٥ مستوطنة أخرى تشكل الحزام الثالث من الأحزمة الاستيطانية حول القدس ويضم هذا الحزام المستوطنات التالية :

أ - فى الشمال وهى المستوطنات التى أقيمت حول مدينتى رام الله والبيرة وتضم ..
كوخاف هشاجر عفره، بيت ايل، كفاروش، نيفى تسوف، بيت ايل ب.

ب - فى الجنوب وهى المستوطنات التى أقيمت فى المنطقة الممتدة من شمال مدينة الخليل وحتى مناطق بيت لحم وبيت ساحور وتضم .. تكواع، كفار عصيون، تكواع ب،
اليعازر أوب، افرات مجدل عوز، روش تسوريم الون شيفون، متبسى جويرين.

إن الهدف من إقامة هذه الأحزمة الاستيطانية الثلاثة حول مدينة القدس ليس فقط عزل المدينة نهائيا عن الضفة الغربية بأسيجة من القلاع والمستوطنين ، ولكن هناك أهدافا أخرى يمكن إيجازها فى تجزئة الضفة الغربية وتقطيع أوصالها جغرافيا وديمقرافيا والقضاء على الوجود العربى الكثيف حولها (٢٥٠ ألف نسمة) والذى يشكل رافدا يغذى الوجود العربى فيها باستمرار . إحداث خلخلة سكانية فى وسط الضفة الغربية تمهيدا لتمزيقها إلى منطقتين معزولتين تماما ومحاصرتين بالاستيطان اليهودي وهما منطقة الخليل جنوبا ومنطقة نابلس شمالا .. ضم مساحات واسعة من أراضي الضفة الغربية تتراوح ما بين ٤٠٠ - ٥٠٠ كم بالإضافة الى المساحات التى جرى إلحاقها بالقدس وفقا للمخططات الهيكلية وكان آخرها إضافة ٦٣ كم علي حساب الضفة الغربية .

مدينة القدس الكبرى العاصمة التى تركز فيها كل عوامل الجذب والإستقطاب للنشاطات الاستثمارية والسياحية والصناعية والزراعية لليهود من جميع أنحاء العالم ، فالمساحات الشاسعة من الأراضي التى تقع فى نطاق القدس الكبرى ستمكن المخططين اليهود من توفير كل المناخات اللازمة للاستثمار والتوطن اليهودي فى هذه المنطقة .

المرحلة الخامسة (١٩٨٥ - ١٩٩٥) :

فى تلك المرحلة ركزت إسرائيل على تغيير الطابع العربى للمدينة والعمل على إخلال الميزان السكانى لصالح اليهود .. وقد شكلت السلطات الإسرائيلية لجانا للإشراف على الإستيطان فى الأحياء الإسلامية وهى الحى الإسلامى الجنوبى والشرقى والأوسط .. وأطلقت على هذه اللجنة اسم « لجنة التنسيق لإعادة توطين اليهود » ويشترك فيها ممثلون عن وزارة الداخلية ووزارة العدل والشرطة الإسرائيلية ومدير دائرة الأراضى وتعمل هذه اللجنة منذ عام ١٩٨٥ ، على إسكان مستوطنين يهود فى أحياء الواد والسعدية وباب حطة حيث تدعى وجود أملاك يهودية سابقة فى هذه الأحياء ، وهناك مخططات إسرائيلية سرية وضعت حديثا وتهدف إلى طرد سكان هذه الأحياء البالغ عددهم حوالى ١٨ ألف عربى والإستيلاء على مساكنهم ومحلاتهم التجارية وتوطين اليهود المهاجرين حديثا فيها وعلل المسئولون الإسرائيليون ذلك بضرورة تخفيف الكثافة السكانية داخل البلدة القديمة « لمصلحة سكانها العرب » .

كما تعمل سلطات الإحتلال بشتى أساليب الضغط على السكان من أجل إجبارهم على بيع منازلهم فى البلدة القديمة أو مصادرتها فى حالة رفضهم كما فعل الوزير الاسرائيلى « أرئيل شارون » الذى سكن يوم ١٥ / ٢ / ١٩٨٧ فى منزل فى شارع الواد فى الحى الإسلامى بعد إجبار سكانه العرب على إخلائه بإقتحام مبنى تملكه بطيركية الروم الأرثوذكس - فندق ماريوحنا - الذى يقع فى مكان متوسط من حارة النصارى العربية ومجاور لعدة أماكن إسلامية ومسيحية مقدسة .. وبعد « توحيد » المدينة أصبح السكان العرب يشكلون أقلية حيث تراوحت نسبة العرب ما بين ٢٦,٦ - ٢٩,٩ ٪ كحد أعلى خلال الفترة ٧٢ - ١٩٨٨ ، وقد أظهرت دراسة أصدرها معهد القدس لأبحاث إسرائيل ونشرت فى ٢ / ٥ / ١٩٨٨ أن نسبة تزايد العرب مقابل تزايد اليهود فى مطلع التسعينات كانت ٣,٦ ٪ وأصبحت فى الثمانينات ٢,٥ ٪ ، كما أظهرت الدراسة فروقا كبيرة فى مستوى المعيشة بين العرب واليهود فالحى اليهودى الوحيد المكتظ بالسكان هو حى « مائة شعاريم » حيث يعيش ١٧ ألف نسمة على مساحة كليو متر واحد بينما يعيش فى البلدة القديمة ٣٠ ألف نسمة فى الكيلو متر الواحد ، أما متوسط الإكتظاظ السكانى لليهود فهو ١,١ شخص للغرفة مقابل ٢,٣ شخص للغرفة لدى العرب ، ويبلغ دخل اليهودى ثلاثة أضعاف دخل الفرد العربى كما أشار التقرير إلى

إنّقال قطاعات سكانية يهودية شابة فى النصف الأول من الثمانينات إلى المستوطنات المحيطة بالقدس العربية مما أثر على التوازن السكانى فى المدينة .. ويشير النشاط العملى للإستيطان فى القدس إلى النية فى تطبيق مشروع القدس الكبرى اليهودية أو ما يعرف بخطة الجيش وهى الخطة الأمنية القائلة « بوجوب نقل الحدود إلى ماوراء الجبال المحيطة بالمدينة ما بين منطقة قلندية شمالا ومنطقة بيت لحم جنوبا وبين معالية أودميس شرقا ومعالية هعمشيا غربا بحيث تكون المساحة الكلية ٢٠٠ ألف دونم ، وفى نهاية الأمر جرى تقليص هذا الرقم ليصبح ١١٠ آلاف دونم » .

يمكن القول : إنّ التقليل بقى نظريا ففى السلوك العملى تجاوز له حيث يجرى العمل على إستيطان سفوح الجبال المحيطة بالقدس لجهة المدن والقرى والتجمعات العربية .

ويجرى باستمرار توسيع هذه المستوطنات والأحياء والبناء فيها من قبل مستثمرين أفراد تكمل نشاطاتهم نشاط المؤسسات الرسمية والمنظمات الإستيطانية تحت شعار «تسمين القدس» لتسهيل دفع المزيد من المستوطنين إليها ، فحسب إحصاءات صحيفة «يروشلايم» الإسرائيلية بلغ عدد سكان القدس فى تشرين الأول ١٩٩٠ (٤٩٣) ألفا ٧١,٧ ٪ منهم يهود وحسب وكالة رويتر فإنه حتى عام ١٩٨٩ بلغ عدد المستوطنين فى القدس بعد عام ١٩٦٧ - ٢٩٠ ألف مستوطن، وقد أشارت صحيفة « القدس » المقدسية فى عددها الصادر يوم ١٢ / ٧ / ١٩٩٠ إلى أن القدس الشرقية تضم ٢١٠ آلاف نسمة بينهم ١٢٠ ألف يهودى من مجموعة ٥٠٠ ألف هم سكان القدس .

ورغم أن مخططات استيطان القدس كانت تجرى على قدم وساق، إلا أن الهجرة الكثيفة لليهود السوفيت لإسرائيل عام ١٩٩٠ شكلت قوة دفع هائلة لإستيطان القدس، بتوفير المادة البشرية التى تشكل القوام الأساسى للإستيطان ، ومنذ بدء هذه الهجرة كان واضحا ان الأوساط الإسرائيلية تعمل على توجيههم لإستيطان القدس، وليستخدم مثل هذا التوجه فى إقامة مستوطنات جديدة أو توسيع القائمة منها والسيطرة سيطرة تامة على معابر الطرق المؤدية إلى التجمعات العربية .. سواء داخل المدينة الموسعة أو خارجها وهدفها عزل السكان العرب فى القدس عن السكان فى الضفة الغربية .

وقد ألغت إسرائيل الحدود الإدارية للقدس الجديدة - خارج الأسوار - القرى

العربية التي كانت تقع فى ضواحي المدينة، وأصبحت هذه القرى مجرد أحياء متفرقة من أحياء مدينة القدس الموسعة والعديد من القرى العربية إنشطرت وأصبحت أجزاء منها داخل الحدود الإسرائيلية وأخرى فى الضفة الغربية وفقدت معظم القرى أراضيها الزراعية التى دخلت ضمن الحدود البلدية الأمر الذى أدى إلى مصادرتها فيما بعد وقد نتجت عن السياسة الاستيطانية آثار مدمرة على حياة السكان فيها ويتمثل هذا الخطر فى التفوق السكاني لصالح اليهود فى المدينة ونتيجة لحملة السياسات الإسرائيلية تجاه سكان البلدة القديمة فقد ازدادت الكثافة السكانية فى بعض الأحياء العربية وبصورة خاصة فى الحي الإسلامى .. ومن الإحصائيات الحديثة يتضح أن الكثافة السكانية العربية فى المناطق التى يتواجد فيها العرب تظل أعلى منها فى المناطق اليهودية مما يوضح أيضا سياسة سلطات الاحتلال القائمة على حصر العرب فى مناطق محدودة وتضييق الخناق عليهم فيما ينتشر اليهود فى مناطق واسعة وقد تم فى عام ١٩٩٥ الاستيلاء والمصادرة الإسرائيلية لعدد كبير من الأراضى والممتلكات العربية فى القدس تمهيدا لبناء مستعمرات جديدة وخطط قادمة .. وحين نضع فى الاعتبار الخطط الإسكانية التى رافقت مشروع القدس الكبرى والتى تنص على جعل سكانها مع نهاية عام ٢٠٠٠ قرابة المليون نسمة ٧٥ ٪ منهم يهود فإننا نجد ما يلى :

- عدد سكان القدس إحصائية عام ١٩٩٥، ٧٥ ٪ منهم يهود والـ ٢٥ ٪ الباقية عرب.
- ينص مشروع القدس الكبرى على جعل سكان القدس مليون نسمة عام ٢٠٠٠ شريطة ألا يتجاوز عدد السكان العرب فيها نسبة ٢٥ ٪ وذلك يعنى أن عدد العرب المسموح به فى نطاق القدس الكبرى سيظل محدداً بعدد معين لا يتجاوز ٢٥٠ ألف نسمة فقط.
- وهذا يعنى أن خطة القدس الكبرى تستهدف العمل على تهجير آلاف المواطنين العرب حتى بعد عام ٢٠٠٠ إذا وضعنا فى الاعتبار التكاثر المتوقع للعرب .
- إن خطة القدس الكبرى كما هو واضح لا تستهدف فقط التهويد النهائى للمدينة وتدمير طابعها الحضارى وتحويل العرب فى إطارها إلى أقلية هزيلة ، ولكنه يستهدف الإستمرار إلى خلق حقائق بشرية وجغرافية جديدة حول مدينة القدس .

التهويد : طمس المعالم العربية والتاريخية والدينية

منذ احتلال الشطر الشرقي من مدينة القدس في حزيران / يونيو ١٩٦٧ تبنت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة.. العمالية منها و الليكودية سياسة منهجية ثابتة إزاء القدس.. تمثلت في توطيد السيطرة اليهودية على المدينة ومحيطها.. وتعزيز وحدتها المادية.. وكان الهدف الواضح لهذه السياسة.. منع إعادة تقسيم القدس.. الأمر الذي شكل ركنا راسخاً في « الإجماعى الحكومى والجماهيرى » اليهودى .. وقد تجسدت سياسة التهويد هذه في جملة القرارات والإجراءات التى اتخذتها القيادة السياسية فى الخطط و المشاريع الاستيطانية المكثفة داخل القدس وحولها.. وفى الاستيلاء المنظم على الأراضى والعقارات العربية فيها ... وقد بلغ التهويد مبلغاً خطيراً، ليتعدى المدينة نفسها، ليشمل منطقة واسعة حولها تعرف باسم « القدس الكبرى » ومن أبرز وسائل عمليات التهويد :

أولاً : الإرهاب وطرده السكان ونسف عقاراتهم :

إن الإرهاب هو أولى وسائل التهويد التى استعملتها السلطات العسكرية الإسرائيلية في إحتلال القدس.. والإرهاب هو نفس الأسلوب الذى اتبعته إسرائيل فى دير ياسين (٩ / ٤ / ١٩٤٨) وكفر قاسم (٢٩ / ١١ / ١٩٥٦) والمناطق التى احتلتها، فقد أمطرت القوات الإسرائيلية المدينة وسكانها المدنيين - فى اليوم الأول من القتال، وبعد انسحاب القوات الأردنية (فى اليومين التاليين) - بوابل من القصف المتواصل بالقنابل المحرقة جواً وأرضاً ، وزخات من رصاص الرشاشات، بحيث أدى ذلك إلى استشهاد

حوالى ٣٠٠ من المدنيين، وكان من بينهم عائلات بكاملها داخل بيوتهم وبعضهم فى الطرقات والأزقة، أثناء هروبهم فزعاً من جحيم النيران المسلطة عليهم ..

وقد دمرت القنابل وأحرقت مئآت العقارات السكنية والتجارية، خارج السور وداخله، وألحقت اضراراً فادحة بعدد من الكنائس والجوامع والمستشفيات، من جملتها كنيسة القديسة حنة (المعروفة بالصلاحية) وكانت تضم حوالى ثلاثمائة من اللاجئين الوافدين إليها من خارج السور، والكنيسة المقابلة لكلية شميدت خارج باب العمود، والمسجد الأقصى، ومثدنة باب حُطّة، ومستشفى أوغستا فيكتوريا Augusta Victoria فى جبل الزيتون (وكان مكتظاً بالجرحى والمرضى) .. وقد استولى الجيش الإسرائيلى على معظم الأبنية الكبيرة فى المدينة، وفى مقدمتها المدارس والفنادق، وقام بنهب الكثير من محتوياتها، ومحتويات الكثير من المتاجر ودور السكن والسيارات بعد اعلان توقف القتال، ولجأت السلطات المحتلة إلى فرض نظام منع التجول لساعات طويلة، وفى فترات متلاحقة، كانت تقوم خلال ذلك بتجميع سكان الأحياء لساعات طويلة فى الليل، وتبقيهم تحت أشعة الشمس المحرقة فى النهار وتسوق المئات من السكان إلى معتقلات مجهولة وتمجزهم، دون مراعاة للسن، وتخضعهم لأنواع شتى من التعذيب النفسانى والجسدى، ولم يعرف مصير الكثير منهم حتى اليوم .

وأدت هذه المجازر الإرهابية إلى نزوح مايزيد على خمسة آلاف مواطن .. أكثرهم كان قد لجأ إلى القدس .. وبعد احتلال اسرئيل للقدس عام ١٩٦٧ وبالتحديد فى ١١ / ٦ من ذات العام أى بعد أربعة أيام فقط من الاحتلال وفى أقل من أسبوع أزيل عن طريق الهدم والنسف حى المغاربة وكان يضم ١٣٥ منزلاً يسكنها ٦٥٠ شخصاً .

- مسجدان فى حى المغاربة .

- مصنع للبلستيك، قرب حى الأرمن، فى داخل السور، يعمل فيه ٢٠٠ عامل وعاملة

- ما يقارب مائتى منزل ومخزن فى المناطق الحرام .

وتبع ذلك هدم عدد آخر من العقارات ونسفها، من بينها مجموعة متفرقة من الدور بلغت ٢٤ داراً، نسفها الجيش الإسرائيلى المحتل خلال الأشهر الأولى للاحتلال، بحجة الانتقام من أعمال المقاومة، كما قامت سلطات إسرائيل المدنية فى ١٤ / ٦ / ١٩٦٩

بنسف ١٤ داراً من الدور الدينية والأثرية العربية وهدمها وذلك بحجة توسيع كشف امتداد الحائط الغربى للحرم الشريف (حائط البراق الشريف) المعروف بحائط المبكى، وتضم هذه المجموعة من الدور مسجداً إسلامياً، والزاوية الفخرية التى كانت مقراً لمفتى الشافعية ، وكان من نتيجة عمليات الهدم والنسف، تشريد ما يقارب ألف شخص آخر من سكان القدس القديمة.

ثانياً : فرض الأمر الواقع بضم القدس ادارياً إلى إسرائيل :

بعد ١٨ يوماً من احتلال القدس عام ١٩٦٧ كانت السلطة الإسرائيلية قد وضعت حجر الأساس للسيطرة على المدينة، بإصدارها قانوناً يسرى بموجبه « قانون الدولة وقضاؤها وإدارتها » على القدس.. وآخر يشرع لإلحاقها بمنطقة صلاحية مجلس بلدية القدس اليهودى .. ففى خلال ثلاثة أيام هم : ٢٧، ٢٨، ٢٩ يونيو ١٩٦٧ أصدرت السلطات الإسرائيلية أربعة قرارات، ففى ٢٧ / ٦ / ١٩٦٧ أصدر البرلمان الإسرائيلى قراراً على شكل فقرة من قانون الإدارة والنظام لعام ١٩٤٨ تخول لحكومة (إسرائيل) تطبيق ذلك القانون على أية مساحة من الأرض ترى حكومة إسرائيل ضمها إلى أرض إسرائيل .. وبتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٩٦٧ أصدر سكرتير حكومة (إسرائيل) أمراً أطلق عليه (أمر القانون والنظام رقم واحد لسنة ١٩٦٧) أعلن فيه أن مساحة أرض (إسرائيل) المشمولة فى الجدول الملحق بالأمر، هى خاضعة لقانون قضاء الدولة الإسرائيلية وإدارتها وتضم القدس .. وبتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٩٦٧ أيضاً أصدر وزير داخلية سلطات الاحتلال العسكرى الإسرائيلى حاييم موشى شايبير، أمراً آخر، أعلن فيه ضم تلك المناطق لحدود بلدية القدس .. ويقطن ضمن هذه المنطقة التى تم ضمها حوالى مائة ألف من السكان العرب.. وهكذا خضع المواطنون العرب للسيادة الإسرائيلية المباشرة رغم احتجاجهم، وبتاريخ ٢٩ / ٦ / ١٩٦٧ أصدر جيش الدفاع الإسرائيلى، أمراً يقضى بحل مجلس أمانة القدس العربى المنتخب من سكان القدس، أى بلدية القدس، وبإنهاء خدمة أمين القدس، أى رئيس بلديتها، من عمله وإلحاق موظفى أمانة القدس وعمالها ببلدية القسم المحتل سابقاً من المدينة ، وقد نفذت السلطات العسكرية الإسرائيلية المحتلة هذه القرارات والأوامر بشدة، فاستولت على جميع ممتلكات الحكومة الأردنية ودوائرها ومحاكمها

وأثاثها وأجهزتها وسجلاتها، واستولت كذلك على جميع ممتلكات أمانة القدس العربية وأجهزتها وأثاثها وسجلاتها، وألحقتها بدوائرها ومحاكمها وبلدياتها الإسرائيلية، ثم ألغت جميع القوانين والأنظمة الأردنية واستعاضت عنها بالقوانين والأنظمة الإسرائيلية، وفرضت بالقوة جهازاً عسكرياً إسرائيلياً وأخضعت جميع السكان العرب لحكمه وجبروته .. اعترض عرب القدس وعرب الضفة الغربية والحكومة الأردنية على هذه الإجراءات، وأوصلوا شكواهم إلى الأمم المتحدة فأصدرت الهيئة القرارين ٢٢٥٣ و ٣٣٥٤ بتاريخ ١٩٦٧/٧/٤ و ١٩٦٧/٧/١٤ واعتبرت بموجبهما جميع إجراءات (إسرائيل) باطلة وطالبتها بإلغائها والعدول فوراً عن اتخاذ أى إجراء عمل من شأنه تغيير الوضع بالقدس . ولكن (إسرائيل) لم تزدعن وواصلت استكمال سلسلة مؤامرتها ضد القدس .. وفى ٣٠ تموز / يوليو ١٩٨٠ أقر الكنيست قانوناً أساسياً يعتبر « القدس الكاملة والموحدة عاصمة إسرائيل » وكانت الحكومة الاسرائيلية اتخذت فيما اتخذت فى ١٨ آب / أغسطس ١٩٦٧ قراراً يفوض رئيس الحكومة بتسريع عمليات البناء والاسكان فى القدس الكبرى .

ثالثاً : اجراء احصاء عددى لسكان القدس بعد الاحتلال :

بعد شهر واحد من الاحتلال أجرت السلطات الإسرائيلية إحصاءاً عاماً لسكان القدس .. سجلت بموجبه أسماء جميع الموجودين فيها من مواطنين وأجبرتهم على الحصول على بطاقات هوية إسرائيلية (وهذه الهويات لا تفرض على حاملين الجنسية الإسرائيلية) خلال ثلاثة أشهر .. واستناداً إلى هذا الاجراء اعتبر جميع مواطني القدس الغائبين بحكم النزوح من ولايات الاحتلال أو بحكم العمل فى مناطق أخرى قبل نكبة ١٩٤٨ وبعدها، والذين نزحوا مؤقتاً أثناء القتال، اعتبر هؤلاء جميعاً غائبين .. وحرّموا من حق العودة لبلادهم .. ويقدر عدد هؤلاء مع عائلاتهم بما لا يقل عن مائة ألف عربى، وقد قضت عملية التهويد والاحتلال والإحصاء الإسرائيلى بإلغاء حقهم الدولى فى الانتساب للقدس، فيما منح هذا الحق لكل يهودى فى العالم .

رابعا : نهب أملاك المقيمين والغائبين ومصادرتها :

بعد عمليات حصر سكان القدس من العرب الغائبين والمقيمين وبعد إحكام القبضة على المدينة .. وضعت سلطات الاحتلال الاسرائيلى يدها على مساحات واسعة،

مما تبقى لعرب القدس من أراضي وعلى قسم كبير مما تبقى من عقارات، كما حجزت، ومازالت تحجز، ما يصل إلى علمها من أموال منقولة وأسهم وشركات تخص أولئك الغائبين، وحولت ذلك كله إلى أملاك يهودية أو واقعة تحت تصرف إسرائيل لتسويدها تدريجياً، كما فعلت بأملاك العرب الذين طردوا أو كانوا غائبين في المناطق الفلسطينية سنة ١٩٤٨.

ولم تكتف بما وضعت أيديها عليه من أراضي الغائبين سنة ١٩٤٨ وعقاراتهم أولاً، وما تلاها بعد حرب سنة ١٩٦٧ ثانياً، ويشكلان معاً حوالي ٨٤٪ من أملاك عرب القدس، حتى سارعت باغتصاب ما تبقى من أراضي وأملاك، قطعة بعد أخرى.. مستندة في كل عملية منها إلى قانون من القوانين التي وضعتها هي أو التي وضعتها حكومة الانتداب قبلها، وكلها غير شرعية ومخالفة للقوانين والقرارات الدولية ولميثاق حقوق الإنسان، وإستناداً إلى قانون وضعته حكومة الانتداب سنة ١٩٤٣ اسمه (قانون الأراضي - استملاك للمصلحة العامة - لسنة ١٩٤٣) بدأت سلطات الاحتلال منذ ١٩٦٨ باغتصاب مساحات كبيرة من الأراضي وأعداد كبيرة من العقارات العربية بحجة لزومها للغايات وللخدمات العامة في المدينة. والغايات العامة، كما يفسرها القانون الذي استندوا إليه، هي ما كانت ستستعمل لخدمات السكان كالمستشفيات والمدارس والملاعب والحدائق العامة وخزانات المياه وغيرها، وهذه لا تكون مساحتها في بلد مثل القدس أو ما حولها لتزيد علي بضع مئات من الدونمات على أكثر تقدير، وليست بالآلاف، كالتى نهبوا واغتصبوها، ومازالوا ينهبون ويغتصبون، لغايات الاستيطان . وإستناداً إلى هذا القانون وتحقيقاً لتلك الغايات، قاموا خلال السنوات من ١٩٦٨ إلى ١٩٨٤، بعمليات النهب التالية .

- مصادرة العديد من الأراضي العربية خارج أسوار القدس بموجب قانون رقم ١٤٢٥ بتاريخ ١١ / ١ / ١٩٦٨ يملك العرب منها ٩٣٪ ويملك ٧٪ ليهود ما قبل ١٩٤٨.

- مصادرة العديد من الأراضي والأملاك داخل أسوار القدس واستملاكها بموجب قانون رقم ١٤٤٣ بتاريخ ١٤ / ٤ / ١٩٦٨ وتشمل هذه المصادرة أربعة أحياء عربية تقع خلف حائط الحرم القدسي الشريف وهي: حي المغاربة، وحي باب السلسلة، وحي

الشرف، وحى الباشورة، وأربع مدارس، وزاويتين إسلاميتين، ويسكنها حوالى ستة آلاف عربى ويعمل فيها حوالى ٧٠٠ صاحب عمل وموظف وعامل .

كذلك ضم حدود تنظيم مدينة القدس وإستملاكها وتخص هذه الأراضى أهالى قرية بيت حنينا الواقعة شمال القدس ما بين مدينتى القدس ورام الله.. أيضاً تم مصادرة أراضى عرب القدس والقرى المجاورة لها وهى : مكنديا، بيت حنينا، النبی صموئيل، شعفاط، عرب السواخرة، صور باهر، وبيت صفافا طبقاً لقانون أصدرته السلطات الإسرائيلية برقم ١٦٥٦ بتاريخ ٣٠ / ٨ / ١٩٧٠ ونشر بالجريدة الرسمية .. وبعد هذه المصادرات لجأت سلطات الاحتلال الإسرائيلى إلى وضع أيديها على مساحات واسعة من أراضى عرب القدس الباقية وأراضى القرى العربية المحيطة بها دون الإعلان عنها بالجريدة الرسمية، ومنع أصحابها من الدخول إليها، وتحويلها إلى مواقع لمستوطنات إسرائيلية جديدة .

ونتيجة لهذه الاجراءات من عمليات اغتصاب الأراضى ومصادرتها تقلصت الملكية العربية للأرض فى القدس إلى ١٤٪، بينما كانت فى أوائل ١٩٤٨ ٨٤٪، وارتفعت الملكية اليهودية للأراضى فى القدس إلى حوالى ٨٤٪، بينما لم تزد سنة ١٩١٨ عن ٤٪ وأوائل سنة ١٩٤٨ عن ١٤٪ .. وفى كل عملية نهب للأراضى العربية، يختار الإسرائيليون المواقع التى تخدم استراتيجيتهم بحيث جاءت مواقع الاراضى المصادرة، مطوقة لما تبقى من ممتلكات عرب القدس وقرىها غرباً وشمالاً وشرقاً وجنوباً، وجعلهم محصورين ضمن رقعة صغيرة يطوقها السكان الإسرائيليون بثلاث أطواق : الأول يطوق منطقة الحرم الشريف، والثانى يطوق من تبقى من عرب القدس، والثالث يطوق القرى العربية المحيطة بالقدس، الأمر الذى يهدد الوجود العربى بالتقلص والتصفية.

خامساً : عزل القدس عن القرى والمدن العربية والسيطرة عليها إقتصادياً .

منذ اليوم الأول للاحتلال الإسرائيلى للقدس أقامت السلطات الإسرائيلية عدداً من مراكز الحدود العسكرية على المنافذ والمخارج والطرق التى تربط القدس بالمدن والقرى

العربية الملاصقة لها، واعتبرت القدس منطقة أجنبية بالنسبة لتلك المدن والقرى ، ويقتضى الدخول إليها والخروج منها الحصول علي تصريح عسكري ، ولايمنح لطالبه إلا بصعوبة، وبعد مراجعات قد تمتد أياماً . ولما كان الكثير من أهل القدس يعمل في المدينة ويسكن في الضواحي ، ولما كان الكثير من أهل الضواحي يعمل في المدينة، فإنهم مرتبطون بحكم أعمالهم وسكنهم بأن يكونوا باستمرار ما بين المدينة والضواحي، تماماً كما هي الحال في أية مدينة متوسطة أو كبيرة في العالم. وبناء على ذلك فإن أى إجراء للفصل بين الضواحي والمدينة سياسياً ، يكون بمثابة خلق مأس يومية للسكان، فضلاً عن كونه صراعاً قومياً مصيرياً . وقد لحق بأهل القدس وسكان المناطق المحيطة بها من جراء هذا الإجراء التهويدي العناية والمشقة.

ولم تكد سلطات الاحتلال تعزل القدس، سياسياً وإدارياً ، عن المناطق والمدن والقرى المجاورة لها حتى فاجأت سكانها بسلسلة من إجراءات أخرى، وتهدف من ورائها إلى تصفية الإقتصاد العربي واذابته تدريجياً في بوتقة الاقتصاد الإسرائيلي. فأغلقت البنوك العربية القائمة وصادرت أموالها، كما أغلقت لفترة البنكين العثماني والبريطاني ، واستبدلت العملة الأردنية بالعملة الإسرائيلية، ومنعت إدخال أى إنتاج زراعي أو صناعي أو أية سلعة من القرى والمدن العربية المحيطة بالقدس، والضفة الغربية، إلى أسواق القدس فيما أدخلت جميع أنواع البضائع والمنتجات الإسرائيلية إليها .. وقد أدى هذا المنع، إلى حرمان سكان القدس العربية من استهلاك الإنتاج العربي، حتى ولو كان من مزارعهم أو صناعتهم هم شخصياً، واضطراهم إلى شراء حاجياتهم الضرورية من السلع الإسرائيلية والإنتاج الإسرائيلي ، وفتح باب التعامل الإجباري بين بعض التجار العرب وبين بعض التجار الإسرائيليين، وحرمان المنتج العربي المجاور من أسواق كانت تستهلك قسماً كبيراً من إنتاجه، وأدى هذا الحرمان إلى تقليص بعض هذا الإنتاج، وبالتالي إلى تخفيض الأيدي العاملة فيه وإضافتها إما إلى طائفة العاطلين عن العمل، أو التحاق بعضها، أمام ضغط الحياة، للعمل لدى السلطات المحتلة أو إحدى مؤسساتها أو أماكن العمل فيها ، الأمر الذي دفع فريقاً من المنتجين الزراعيين والصناعيين في الضفة الغربية لمراجعة السلطات المحتلة لتسهيل نقل إنتاجهم أو بعضه إلى أسواق الضفة الشرقية

من الأردن، كأنما جرى ذلك ضمن تخطيط إسرائيلي واسع، يقصد به التفريغ الجزئي عن هذا الإنتاج مقابل تثبيت المنع عن القدس، ومقابل تأكيد فصلها عن الضفة الغربية، وإكراه المواطنين من جهة، والجانب الأردني من جهة أخرى، على الرضوخ لهذه الإجراءات وقبول الأمر الواقع الذي فرضه الاحتلال الغاشم .

سادساً: تهويد التعليم العربي :

وضعت السلطات الإسرائيلية منذ احتلالها للقدس قضية التعليم نصب عينيهما، فوضعت أيديها على جميع المدارس الحكومية وأعلنت إخضاع المدارس الحكومية لبرامج التعليم التي تطبقها على المدارس العربية في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨ .. كما أعلنت إلغاءها لبرامج التعليم الأردني ولجميع الكتب المدرسية الخاصة بها ونتيجة للرفض الذي وجده هذا القرار اعتقلت سلطات الاحتلال المعارضين من رجال التعليم الأردني والفلسطيني ، وأصدرت أوامرها لفتح المدارس في الأوقات المحددة لها، والضغط على أجهزة التعليم وأولياء الأمور والطلاب بشتى الطرق للتعاون واستئناف الدراسة، لإيهام الرأي العام العالمي بأن الأمور تسير طبيعية وعلى مايرام .

وقد اغتنم عرب القدس فرصة إفتتاح باب التعليم في المدارس الطائفية والاهلية فحولوا قسماً كبيراً من الطالبات والطلاب إليها بعد أن تفاهموا مع إدارتها لتوسيعها، وإفساح المجال لاستيعاب أكبر عدد ممكن فيها . وقد أدت هذه الإجراءات إلى تخفيض أعداد الطلاب العرب في المدارس الحكومية وخاصة الثانوية منها، بشكل أقلق السلطات المحتلة، ودفعها إلى إصدار قانون آخر سمته (قانون الإشراف على المدارس لسنة ١٩٦٩)، نشر في مجلة القوانين الإسرائيلية العدد رقم ٥٦٤ الصادر بتاريخ ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٩ وتقرر العمل به اعتباراً من ١٧ كانون الثاني / يناير ١٩٧٠ ، والقانون في إجماله، حلقة جديدة من حلقات التهويد الإسرائيلي للقدس، ويستهدف الإشراف الكامل على جميع المدارس الطائفية والأهلية ويفرض على جميع المدارس والجهاز التعليمي فيها، الحصول على تراخيص إسرائيلية تميز لهم ولها الاستمرار بممارسة المهنة، كما يفرض عليهم الإشراف الإسرائيلي الكامل بالنسبة لبرامج التعليم ومصادر التمويل .

وبرامج التعليم الإسرائيلي ، كما حللها رجال التربية العرب، تستبعد كل ما ينمى روح القومية العربية، وتستدرج الطلاب العرب، وبخاصة الجيل الجديد منهم، إلى الابتعاد عن ثقافتهم وقيمهم العربية، بهدف محو شخصيتهم وهويتهم الأصلية وعندها يسهل صهرهم كلياً في بوتقة الشخصية اليهودية والدولة الإسرائيلية

سابعاً : تهويد الإنسان العربي :

أصدرت السلطات الإسرائيلية في ٢٣ / ٨ / ١٩٦٨ قانوناً يطبق على عرب القدس.. يعرف باسم « قانون التنظيمات القانونية والإدارية » وأعطت السلطات مهلة حتى ٢٢ / ٢ / ١٩٦٩ لتنفيذ بنود هذا القانون الذي يفرض على عرب القدس عدة أمور:

أ - إنه على كل عربي .. سواء كان صاحب عمل أو مهنة، وكان يمارس عمله أو مهنته بموجب رخصة أو إجازة حسب القوانين الأردنية، أن يحصل على رخصة جديدة وبموجب القوانين الإسرائيلية خلال ستة أشهر، وتضم هذه الفئات ما يقارب خمسة آلاف شخص، بين أصحاب العمل وأصحاب المهن الحرة والحرف .

ب - على كل شركة عربية، سواء كانت خاصة أم عامة أم محدودة، قائمة في القدس، ومسجلة بموجب القوانين الأردنية، أن تعيد تسجيل نفسها لدى المحاكم الإسرائيلية وبموجب القوانين الإسرائيلية المرعية، وحسبما تقتضيه المصالح الإسرائيلية وأن تقوم بذلك خلال المدة المحددة، ثم مددت لثلاثة أشهر أخرى بحيث انتهت في ٢٢ / ٥ / ١٩٦٩، وتشمل هذه العملية حوالى ١٨٠ شركة يبلغ رأس مالها المدفوع حوالى خمسة ملايين دينار ويبلغ عدد مساهميتها حوالى أربعة آلاف، كما يبلغ عدد موظفيها وعمالها حوالى أربعة آلاف آخرين .

ج - على كل جمعية تعاونية عربية، قائمة في القدس ومسجلة بموجب القوانين الأردنية أن تعيد تسجيل نفسها لدى السلطات الإسرائيلية وبموجب القوانين والأنظمة الإسرائيلية، خلال المدة المحددة لذلك ويبلغ عدد الجمعيات التي يشملها هذا القانون ٢٣ جمعية، وتضم تحت لوائها ١٥١٨ عضواً

د- على كل طبيب أو مهندس أو مدقق حسابات عربي مازال يمارس مهنته في القدس

بموجب القوانين الأردنية، أن يتقدم بطلب إلى السلطات الإسرائيلية ليحصل على إجازة تتيح له الاستمرار بمهنته وبموجب القوانين والأنظمة الاسرائيلية، وذلك خلال المدة المحددة لذلك . ويبلغ عدد هذه الفئات من عرب القدس حوالى الثمانين.

هـ - على كل محام يزاول المحاماة فى القدس بموجب القوانين والأنظمة الأردنية ويقيم فى المدينة أن يسجل اسمه فى نقابة المحامين الإسرائيلية بموجب أمر وزير العدل الإسرائيلى، وينشره فى الجريدة الرسمية، دون طلب من المحامى نفسه، وذلك خلال المدة المحددة وكان عدد المحامين العرب فى القدس آنذاك حوالى الثلاثين محامياً

و - على كل صاحب امتياز أو علامة تجارية أو اختراع كان مسجلاً لدى الحكومة الاردنية ومازال يستغل امتيازه أو اختراعه أو علامته التجارية فى القدس، أن يعيد تسجيل امتيازه أو علامته التجارية أو اختراعه لدى السلطات الإسرائيلية وبموجب القوانين والأنظمة والتعليمات الإسرائيلية .

ز - إن أى فئة من الفئات المشمولة من أ - و آنفاً، لم تحصل على ترخيص جديد بموجب القوانين والأنظمة الإسرائيلية، تعتبر مخالفة للقوانين والأنظمة الإسرائيلية، ويعرض أصحابها للعقوبات والغرامات التى تنص عليها القوانين والأنظمة الإسرائيلية . وفى حالة الاستمرار فى المخالفات يمنعون من ممارسة أعمالهم، وبالتالي يتعرضون لتجميد أنفسهم والحيلولة دون كسب رزقهم من المواد التى يعيشون منها، الأمر الذى سيضطرمهم فيما بعد إما إلى القبول بالتسجيل أو النزوح والتشرد .

وضم هذا القانون مواداً بشأن الأملاك اليهودية القائمة فى القسم العربى من المدينة، تسمح بعودتها لأصحابها أو لورثتهم من اليهود الذى كانوا يقيمون فى القسم العربى بينما لا تسمح هذه المواد أو غيرها للعرب المقيمين فى القسم العربى ، من استعادة أملاكهم فى القسم الذى كانت قد احتلته (إسرائيل) قبل ٥ / ٦ / ١٩٦٧ .. وقد أدى رفض عرب القدس هذا القانون وامتناعهم عن التقدم بطلبات للحصول على أية رخصة أو إعادة تسجيل أية شركة، إلى اضطراب سلطات (إسرائيل) لإصدار ملاحق للقانون تمنح أصحاب الاختصاص من وزاراتهم التفويض الكامل بتجديد رخص جميع أصحاب المهن

والحرف العرب الموجودين في المدينة تجديداً تلقائياً (بموجب أمر نشرته الوزارة الإسرائيلية في صحيفة جيروسالم بوست بتاريخ ٢٩ / ٤ / ١٩٦٩)، وكذلك اعتبار جميع الشركات والجمعيات التعاونية وأصحاب العلامات التجارية مسجلين بموجب الأنظمة والقوانين الإسرائيلية. وكان وزير العدل الإسرائيلي جدد رخص المحامين العرب في القدس بموجب أمر أصدره وتم نشره في صحيفة جيروسالم بوست Jerusalem Post بتاريخ ١٩ / ٢ / ١٩٦٩ .

ثامنا : تهويد النظام القضائي الشرعي الاسلامي :

إثر الاحتلال الإسرائيلي للقدس في عام ١٩٦٧ أغلقت اسرائيل جميع المحاكم النظامية في المدينة، واتخذت إجراءات عديدة تهدف لتهويد النظام القضائي ، ففصلت القضاء النظامي القائم بالقدس عن شئون الضفة الغربية، والحقته كلياً بالقضاء الاسرائيلي.. كما نقلت مقر محكمة الاستئناف العليا من القدس إلى مدينة رام الله، وأدمجت محاكم البداية والصلح في القدس بالمحاكم الإسرائيلية - المماثلة القائمة، بالجزء المحتل سابقاً من المدينة، ونقلت إليها جميع السجلات وطلبت من القضاء والموظفين العرب تقديم طلبات للالتحاق بوزارة العدل الإسرائيلية .. ومعنى هذه الاجراءات هو تأكيد تهويد القدس بتهويد نظامها القضائي العربي وقد رفض رجال القضاء العربي التعاون مع إسرائيل .. ورفضوا الظهور أمام محاكمها المدنية والعسكرية.. وأعلنوا رفضهم الاعتراف بضم القدس إلى اسرائيل وفصل قضائها عن قضاء الضفة الغربية.. وأكدوا هذا الرفض في عدد من المذكرات والوثائق رفعت إلى الحكومات العربية والهيئات الدولية والسلطات المحتلة نفسها .

أما المحاكم الشرعية الاسلامية، فقد تغاضت إسرائيل في بادئ الأمر عن إغلاقها وحاولت استمالة قضاتها وموظفيها.. تارة بالاعزاء وتارة أخرى بالتهديد.. ولكنها لم تنجح في ذلك .. لقد استمر قضاء الشرع الإسلامي في القدس في رفض التعاون مع السلطات المحتلة وتضامن معهم جميع قضاء الشرع، وأجهزة المحاكم الشرعية، ودوائر الأوقاف في الضفة الغربية، ومازالوا جميعاً يتمسكون بهذا الرفض حتى الآن .

وكان من نتيجة هذا الموقف أن أوعزت سلطات الاحتلال إلى أجهزتها بعدم تنفيذ أى حكم أو قرار للمحاكم الإسلامية، كما تجاهلت كلياً أية شكاية ترفعها إليها دوائر الاوقاف أو رئيس الهيئة الإسلامية التى تألفت بعد الاحتلال فى القدس لترعى شؤون المسلمين فى الضفة لغربية بما فيها القدس .. وقد شمل هذا التجاهل لقرارات المحاكم الإسلامية وأعمالها عدم الاعتراف بشهادات الزواج والطلاق والإرث والوصاية والوقف وغيرها مما له علاقة بالأحوال الشخصية اليومية للسكان، ومن ذلك أية ولادة جديدة تنشأ عن زواج جديد، الأمر الذى خلق التعقيدات المتتالية للقضاة الشرعيين وللأوقاف وللسكان المسلمين . وعلى الرغم من كل هذه المتاعب، فقد تحمل الجميع الوضع بصبر وهدوء أقلق السلطات المحتلة واضطرها إلى اتخاذ إجراء معاكس تأمل من ورائه الى خلق جو من البلبلة والانقسام بين المسلمين، وذلك بتعيين قاضى شرعى ليافا على أن يكون مسؤولاً أيضاً عن القضاء الإسلامى فى القدس، والطلب من السكان مراجعته واعتماده فى القدس فى كل ما يتعلق بشؤونهم الدينية . وقد رفض مسلمو القدس الاعتراف بهذا التعيين ورفضوا التعامل مع القاضى الجديد، معتبرينه غير مؤهل للقضاء الاسلامى ، طالما كان يمارس عمله عن طريق الولاء لحكومة (إسرائيل) فضلاً عن أنه بقبوله ذلك، يعتبر معترفاً بضم القدس، وهذا ما يابون الاعتراف به .

تاسعا : استحداث مدن و ضواحي إسرائيلية جديدة للقدس :

بعد دراسة استمرت أعوام أقرت لجان التنظيم الإسرائيلى مشروع تنظيم جديد للقدس وضواحيها يهدف إلى تغيير طابع المدينة العربى و التاريخى والدينى .. وبحول المدينة الى مدينة يهودية خالصة ، ومن طموحات المشروع، إنشاء مركز تجارى رئيسى فى وسط المدينة، فى مساحة تبلغ ٢,٧٠٠ دونم وفى حدود تقع ما بين مقبرة مأمّن الله (ماملاً) الإسلامية غرباً وبين منطقة المستشفى البلدى فى طريق يافا شمالاً، وبين محطة سكة الحديد جنوباً وسور القدس وحي وادى الجوز شرقاً.

والمناطق التى يشملها المشروع، تضم الأحياء العربية التالية :

أ - حتى باب الساهرة، ويضم شوارع صلاح الدين وبور سعيد والرشد وقسماً من شارع الملك حسين، وكلها سكنية وتجارية وسياحية ومدرسية ومكتظة بالسكان .

ب - حتى باب العمود - خارج السور - ويضم طريق نابلس وقسماً من شارع الملك حسين، وهي معاً تشكل قسماً آخر من المناطق التجارية والسكنية والمدرسية والدينية، وكلها مكتظة بالسكان

ج - حتى الشيخ جراح، ويضم مناطق سكنية ومدرسية وسياحية وتجارية وكلها مكتظة بالسكان

د - أجزاء من أحياء المصراة وسعد وسعيد، وهي مناطق سكنية وتجارية وسياحية ومكتظة بالسكان، وتقع هذه الأحياء ضمن المناطق العربية التي تم احتلالها من قبل (إسرائيل) في حزيران / يونيو ١٩٦٧، ويسكنها ويعمل فيها أكثر من ثلاثين ألف عربي الآن.

ويضم المشروع أيضاً، أحياء عربية أخرى سبق لإسرائيل أن إحتلتها منذ سنة ١٩٤٨، وما زالت قائمة وهي:

أ - أجزاء أخرى من أحياء المصراة وسعد وسعيد، وهي مناطق سكنية ومدرسية.

ب - باب الخليل وطريق يافا، وهما منطقتان تجاريتان وسكنيتان ودينتان.

ج - ساحة الساعة والمنشية، وهما منطقتان تجاريتان وسكنيتان.

د - مأمّن الله (ماملأ) وتضم مناطق تجارية وسكنية وسياحية ودينية.

هـ - الشماعة وتضم مناطق تجارية وسكنية.

و - حتى جمعية الشبان المسيحية، ويضم مناطق سكنية وسياحية وتجارية ومدرسية.

ز - المستشفى الطلياني وطريق الأحباش، وتضم مناطق سكنية وتجارية وصحية.

ح - المسكوبية، وتضم مراكز خدمات عامة ودينية وسكنية.

والجدير بالذكر أن هذه المناطق تشكل قلب القدس العمراني الحديث وهي أملاك عربية يملكها مسلمون ومسيحيون وعرب وأجانب.. إن الهدف من مشروع إعادة تنظيم ضواحي القدس ومدينتها، هو التوقف عن النمو العمراني في المدينة كمرحلة أولى.. كذلك تغيير المعالم سواء بالهدم الكلي الفوري أو التدريجي.. وبممارسة الضغوط المتواصلة على السكان والملوك وأصحاب المهن العرب، بهدف إجلائهم عنها.. وفي المخطط إعادة التنظيم العمراني داخل الأسوار كمرحلة ثالثة كما فعل في الأحياء العربية

من قبل .. أما المرحلة الرابعة فتشيد فيها انشاءات إسرائيلية جديدة ويتبعها إسكان يهودى واسع .. وليس هذا فحسب بل إمعاناً فى التهويد تم تغيير الأسماء العربية لهذه الأحياء واستبدالها بأسماء أخرى يهودية كمرحلة خامسة .

ويعد الاعتداء بهدم الممتلكات العربية وسيلة لطمس معالم القدس القديمة نذكر من أمثلة ذلك إعتداء السلطات الإسرائيلية على واحدة من أكبر المقابر الإسلامية فى القدس الشريف وهى مقبرة مآمن الله والتى تقع غرب المدينة القديمة وتبعد حوالى أقل من كيلو متر واحد عن باب الخليل من سورها ، وتبلغ مساحتها حوالى ١٦٨ دونماً . وتضم جثث مئات الآلاف من المسلمين ومن بينهم قادة التحرير والفتح الإسلامى وكبار أهل الحكم ورجال العلم والقضاء الذين روت دماؤهم الزكية أرض الإسراء فى سبيل تحريرها أو الدفاع عنها أو نشر الإسلام فى ربوعها الطاهرة أو رفع منارات العلم فى أرجائها المقدسة . وقد أورد الدكتور كامل العسلى فى كتابه " أجدادنا فى ثرى القدس " أسماء ١٤٩ من كبار الأجداد الذين تضمهم هذه المقبرة ، مع موجز عن تاريخ كل منهم .، وتمكنت قوات الاحتلال - على أنقاض المقابر الإسلامية - من انشاء فندق يُعرف باسم «بلازا» وحديقة وموقف للسيارات وسوق تجارى .

ونذكر أيضاً أنه فى عام ١٩٨٥ أخذت السلطات الإسرائيلية فى تنفيذ مشروع المركز التجارى لوسط المدينة . . ونشرت عنه جريدة « القدس » المقدسية بتاريخ ١٤ / ٥ / ١٩٨٦ فقالت : « أنهت بلدية القدس المحتلة مؤخراً وضع اللمسات الأخيرة على مايسمى بمشروع الربط بين شطري القدس الغربية والشرقية من خلال إجراء تنظيم بمنطقة حي المصراة فى القدس . ويشمل هذا التنظيم إقامة موقف جديد للباصات بدلاً من الموقف القديم " باب العامود " وإنشاء مشروع تجارى . ويشمل هذا التنظيم أيضاً شارعاً رئيسياً جديداً بعرض ٣٠ - ٤٠ متراً يبدأ بالقرب من فندق نوتردام ويمر عبر حي المصراة حتى الشيخ جراح وذلك كمقدمة لإنشاء الشارع الرئيسى الجديد الذى سيربط بين مدينتى القدس ورام الله وبيت لحم بدلاً من الشارع الحالى، ويتوقع المراقبون أن تغيير الشارع الحالى الرابط بين شمال الضفة وجنوبها والمار بمدينة القدس سوف يؤثر بشكل خاص على شارعى صلاح الدين ونابلس، وهذا يعنى القضاء إقتصادياً وتجارياً على المحلات التجارية الواقعة فى هذين الشارعين .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المصادر الصحفية الإسرائيلية كانت قد ذكرت أن الجهة التي تمول المشروع هي منظمة يمينية أمريكية متطرفة في الولايات المتحدة تدعي "الأغلبية الخلوقة" التي يرأسها المدعو جيرى فويل JERRY FULLWE المعروف بتأييده غير المشروط لإسرائيل، وعلم أن سبب دعم هذه الجهة للمشروع هو رغبتها في نقل موقف الباصات القديم حتى تستولى علي هذا الموقع لتحويله إلى حديقة تكون امتداداً لبستان قبر السيد المسيح المجاور، والجدير بالذكر أيضاً أن الأراضي التي سيقام عليها المشروع الجديد ومن ضمنه الشارع الحديد والذي أطلق عليه رقم ١ هي ملك لمواطنين عرب، وعلم أن من بين العائلات صاحبة الملكية أو التي كان لها محلات تجارية قبل هدمها عام ١٩٦٧ : عائلات الدزدار والعارف والحبشة والنشاشيبي وقلبيو والخليلي . والأراضي المشار إليها كانت تعد كمنطقة حرام، قبل العام ١٩٦٧ وتمت مصادرة جزء منها أيضاً . ومن المعروف أن القانون الدولي يعطي الحق لأصحاب الأراضي الشرعيين في التصرف أو في أولوية الاستفادة من الأراضي التي كانت تعتبر منطقة حراماً والتي أصبحت بعد العام ١٩٦٧ تحت سيطرة حارس أملاك الغائبين الإسرائيلي .

هذا، و كان التنظيم الهيكلي لهذا المشروع قد أعلن في آذار الماضي ومنح الأشخاص الذين لهم علاقة بالأمر فترة شهرين لتقديم أى اعتراضات في آخر الشهر الجارى . وبعد انتهاء فترة الشهرين قررت اللجنة اللوائية للتنظيم في بلدية القدس الموافقة على المشروع بصورته الحالية ، وفي حال تنفيذ هذا المشروع فإن مواقف سيارات الأجرة بالضفة وغزة ومواقف الشاحنات الكبيرة ستعرض للإزالة.

وفي نهاية المطاف أجمع المراقبون على أن هذه الخطوة تأتى في سياق السياسة الإسرائيلية الرامية إلى توحيد مدينة القدس .

عاشراً : قانون أملاك الغائبين الإسرائيلي التعويض عن أملاك العرب المقيمين في القدس

في حزيران / يونيو ١٩٧٣ أقر البرلمان الإسرائيلي مشروع قانون يعرف باسم «قانون أملاك الغائبين الإسرائيلي - تعويض - ١٩٧٣» .. ويدعو هذا القانون عرب القدس الغائب منهم والحاضر في المدينة بالتنازل عن املاكهم مقابل تعويضات مالية ..

وحدد القانون الاجراءات التى بموجبها يتم النظر فى الطلبات المقدمة، ورغم ضآلة القيمة المادية لهذه التعويضات ومدة تسديدها التى تمتد من عام إلى خمس عشر عاماً، فإن لهذا القانون أهدافه الخطيرة التى ترمى إلى حرمان الغائبين من عرب القدس الذين طردتهم سلطات الاحتلال بين عام ١٩٤٨ و ١٩٦٧ وعدد هؤلاء العرب قد يزيد على مائة ألف مواطن.. من حقهم العودة لمدينتهم واستعادة أملاكهم.. أيضاً الضغط على أصحاب الأملاك العرب الموجودين بالمدينة .. وكذلك على وكلاء الغائبين بشتى أنواع الإرهاب للتنازل عما يملكون أولهم حق التصرف فيه فى القسم المحتل من القدس بعد حرب ١٩٤٨ .. وقد قامت سلطات الاحتلال بحملات إعلامية ضخمة روجت فيها لفكرة أن عرب القدس باعوا ممتلكاتهم إلى السلطات الإسرائيلية بحض ارادتهم .. ومن هنا زعموا أن من حقهم دعم إجراءاتهم فى تكريس ضم القدس.. وأن القدس عاصمة دولة إسرائيل.

حادى عشر : إبعاد المواطنين (النفى، السجن، الاعتقال . العقوبات الجماعية)

لجأت السلطات الإسرائيلية إلى إبعاد عدد كبير من معارضيهها الفلسطينيين سواء كانوا من رجال السياسة - وزراء سابقون وأعيان ونواب ومحامون وصحفيون ، أو من رجال الدين - شيوخ وعلماء وأصحاب مواقع دينية وعلمية مرموقة ، ومن مختلف قطاعات الشعب - أطباء ومعلمون ومزارعون وطلاب . بحجة قيامهم بأعمال تخل بأمن البلاد .. وبأسلوب إرهابى انتهج سياسة إبعاد المواطنين ..وقد كان يتم الإبعاد بصورة مفاجئة .. بحيث يبلغ المبعد أمر الإبعاد على الحدود، دون أن يعطى أية فرصة للاتصال بعائلته أو التزود بشيء من حاجياته الخاصة، مما يترتب عليه فصل المبعد عن عائلته ، وقطع سبل العيش أمامه .. وكان الهدف من وراء سياسة الإبعاد التخلص من عدد كبير من المعارضين والقادة السياسيين والشعبيين العرب، مما يضعف روح المقاومة عند المواطنين، مما يضطر عائلات المبعدين للحاق بهم لأسباب قاهرة .. وهذه السياسة تخفض العبء على سلطات الاحتلال، بالتخلص من عدد كبير من الناس.. يشكل بقاؤهم فى السجن دون محاكمة أوتهم محددة وصريحة عامل ضغط كبيراً بالنسبة للرأى العام الداخلى والخارجى .. والتوسع فى ممارسة الإبعاد يجعل قدرة السجن على الاستيعاب أكبر .

إن سلطات الاحتلال تمارس الإبعاد مستندة، كما تدعى، إلى قانون للدفاع أيام الانتداب البريطاني وهو قانون قد ألغى بعد دمج الضفة الغربية بشرق الأردن . وإن إجراءاتها تخالف :

١ - ميثاق جنيف، المادة ٤٩، الاتفاقية الرابعة، وقد وقعت « إسرائيل »، وتنص على « أن النقل الإجباري للأشخاص المحميين من أراض محتلة إلى أراضى دولة الاحتلال أو أية أرض محتلة أو غير محتلة محظور بغض النظر عن دواعيه ».

٢ - قرار مجلس الأمن رقم « ٢٣٧ » بتاريخ ١٤ حزيران / يونيو ١٩٦٧ الذى ينص على « ضرورة تفضيل إلحاق الضرر بالمدنيين وأسرى الحرب، ورعاية حقوق الإنسان والتقييد بميثاق جنيف » .

وتحرم المادة « ٢٢ » وما بعدها من اتفاقية جنيف بشأن حماية الأشخاص المدنيين وقت الحرب المؤرخة ١٢ / ٨ / ١٩٤٩ على السلطات المحتلة تحريماً مطلقاً احتجاجاً المدنيين فى المناطق المحتلة بصفة رهائن أو اعتقالهم غير قضائى، أو مسـ كرامتهم الإنسانية أو الوطنية، أو إيقاف تطبيق الحقوق المدنية والداخلية وتحرم المواد ٣١ - ٣٣ من الاتفاقية ذاتها تحريماً مطلقاً التعذيب أو التشويه جسدياً ونفسياً، ورغم ذلك فالمعتقلات والسجون الإسرائيلية تضم فى بطونها الآلاف من أهل القدس والمناطق المحتلة الفلسطينية وهم يقاسون أشد أنواع التعذيب، وبعضهم توفى نتيجته، وقد قاموا بالكثير من الإضرابات عن الطعام ولمدد طويلة احتجاجاً على ما يقاسونه من قسوة وسوء معاملة، وقد لفتت هذه الإضرابات أنظار الهيئات الدولية، وخاصة الصليب الأحمر، وصدر عنها إدانات متوالية لـ « إسرائيل » .

ولا تجيز المواد ٣ - ٥ اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ لسلطات الاحتلال تطبيق أحكام العقوبات المشتركة ضد المدنيين فى المناطق المحتلة، ولا إنزال العقوبات على أكثر من الفاعلين الأصليين ذاتهم فى كل حادث مقاومة لسلطات الاحتلال . والذى يحصل هو العكس تماماً، فسلطات الاحتلال العسكرى الإسرائيلى دأبت منذ الاحتلال عام ١٩٦٧ وحتى اليوم بإنزال العقوبات الجماعية فى كل مدينة وقرية لأبسط حقوق المقاومة.. والأمثلة على هذه العقوبات الجماعية الظالمة التى تنزلها سلطات الاحتلال بالفلسطينيين

كثيرة .. وتحديث كل يوم لتضييق الخناق على هؤلاء الصامدين الصابرين في الأرض المحتلة .

ثاني عشر :مشروع إسرائيل «القدس الكبرى»:

سعت اسرائيل بمخططاتها لتكريس احتلالها للأراضي الفلسطينية المحتلة في ١٩٦٧ وضمها إلى المناطق الأخرى التي احتلتها في ١٩٤٨ وما بعدها .. وكان «مشروع «القدس الكبرى» من أبرز المخططات التي تهدف إلى تهويد القدس وضمها للاحتلال وليس هذا فحسب بل يمتد المشروع الى قرى محافظتها العربية المحيطة بها أيضاً .. وفضائي رام الله والبيرة من جهة وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور والقرى ومخيمات الشرف فيها وما حولها من جهة أخرى .. وتشكل هذه كلها حوالي ٣٠٪ من مساحة الضفة الغربية التي احتلتها سلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي في حزيران / يونيو ١٩٦٧ ، وذلك كخطوة أولى لضم باقى المناطق المحتلة التي تشمل محافظتى نابلس والخليل من جهة، وقطاع غزة من جهة أخرى ، إلى دولة العدوان الإسرائيلي كى تصبح قاعدة لإسرائيل الكبرى، وتهدد أمن الأقطار العربية واستقرارها وتستنزف ثرواتها، وتحول دون تضامنها وتصديها لهذه المؤامرات، معتمدة في كل ذلك علي مساندة الولايات المتحدة الأمريكية المتواصلة وبعض الأقطار المتعاونة معها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، كما كشفت لنا مواقفها العلنية طيلة السنوات والعقود الماضية..

وقد تم الكشف لأول مرة عن مشروع القدس الكبرى وذلك في مقال نشرته جريدة « معارف » الإسرائيلية الصادرة بتاريخ ٢٦ / ٣ / ١٩٦٩ ، تحت عنوان « القدس الكبرى» كعاصمة لإسرائيل . وقد وردت فيه تفاصيل مشروع كانت تخطط له لجنة هندسية إسرائيلية عليا منذ حزيران / يونيو ١٩٦٧ لتوسيع حدود مدينة القدس بحيث تمتد إلى رام الله شمالاً وإلى بيت لحم جنوباً، ولم تذكر الجريدة فيه شيئاً عن الحدود الشرقية، ولكنها أضافت أن هذا المشروع قد صمم وخطط لحمسين سنة قادمة، وعلي أساس أن عدد السكان فيها سيزداد ليبلغ حوالي ٩٠٠ ألف تكون غالبيتهم من اليهود . وقد أطلقت السلطات الإسرائيلية على هذا المشروع اسم مشروع « الأب » وتشترك في التخطيط له أربع مؤسسات إسرائيلية هي : البلدية ووزارة الإسكان ووزارة المواصلات ووزارة

الداخلية . ومن جملة أهداف هذا المشروع: هدم قسم كبير من مساكن العرب وعقاراتهم داخل السور، بحجة أن هذه الأماكن مكتظة بالسكان وأنها غير صحية، ويؤدي هذا الهدم بالتالى إلى تشريد أعداد جديدة من السكان العرب بالقدس، وهو ما سيؤدي إلى إزالة معالم الكثير من الأبنية العربية التاريخية والحضارية والدينية التى تربط حاضره العرب بماضيهم فى المدينة المقدسة وطمسها كلياً .

وتم الكشف - أيضاً- عن مشروع ثان جاء ضمن خبر نشرته جريدة دافار الإسرائيلية الصادرة بتاريخ ٣٠ / ٩ / ١٩٧٤، وجاء فيه مايلى: قال مسؤول إسرائيلى كبير، إن خارطة القدس الموسعة التى تمت الموافقة عليها مؤخراً بالكنيست والتى رسمت بإيعاز من رئيس الحكومة، وقد شملت الضواحي التالية : الحان الأحمر شرقاً، وبيت ايل « أى قرية بيتين» والواقعة شمال مدينه البيرة شمالاً، ومستعمرة كريات أربع، «التي أنشأتها سلطات الاحتلال العسكري الإسرائيلي شرق مدينه الخليل بعد عام ١٩٦٨» جنوباً، ومستعمرة بيت شيمش « قرب اللطرون » غرباً، وقال المسؤول الإسرائيلي إنه «من أجل أن تؤمن القدس موحدة كاملة وعاصمة لإسرائيل ذات أكرثية يهودية، علينا أن نقلل من النقاش حول مشكلتها، كما لا توجد ضرورة لعرض الحلول السياسية المختلفة ووضع المشاريع والمقترحات لحلها، كل ذلك من أجل تخدير العالم لينسى هذه المشكلة .

وقد كشف هذا المشروع بعض مايطبخ لحاضر الضفة الغربية ومستقبلها من مخططات تقطع وتمزق جزءاً كبيراً منها لضمة للسيادة الإسرائيلية المباشرة .. وقد مر مشروع « القدس الكبرى » بعدة مراحل نذكر منها:

- الاحتلال الإسرائيلي للقسم الغربى من القدس فى ١٩٤٨، ويشكل هذا القسم حوالى ٨٠٪ من مساحة المدينة، والاعلان بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٩٥٠، إن هذا الجزء من القدس هو عاصمة لإسرائيل، ونقل البرلمان إليه .

- احتلال إسرائيل للقسم الشرقى من القدس بتاريخ ٧ / ٦ / ١٩٦٧ . وهو القسم الذى كانت المملكة الأردنية الهاشمية قد أنقذته سنة ١٩٤٨، ويضم المدينة القديمة داخل الأسوار ومعظم المقدسات الإسلامية والمسيحية وبعض الأحياء المحيطة بها شمالاً

وشرقاً وجنوباً، وكانت مساحته حوالى ١٢ كم^٢، وعدد سكانه حوالى ٧٥ ألفاً، وقد أعلنت السلطات الإسرائيلية ضمها لهذا القسم إدارياً بتاريخ ٢٧ / ٦ / ١٩٦٧، بموجب قرار أصدره رئيس الوزراء ليفى اشكول آنذاك، وأعلنت فيه تطبيق قانون دولة «إسرائيل» الخاص بالقضاء والإدارة على كل مساحة «أرض إسرائيل» التي حددتها حكومة العدو بمرسوم، وبمعنى آخر اعتبار القسم الشرقى من القدس منذ ذلك التاريخ، جزءاً من دولة سلطات الاحتلال العسكرى الإسرائيلى .

- توسيع حدود القدس بتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٩٦٧ بموجب أمر صادر عن السكرتير العسكرى لحكومة إسرائيل يائيل اوزاى، وضم قطاعات فى المناطق العربية المحتلة تقع شمالي القسم الشرقى فى القدس وشرقيه وجنوبيه، وتبلغ مساحتها حوالى ٥٣ كم^٢. وتضم مناطق مطار القدس وأجزاء من قرى قلنديه وبيت حنينا وضاحية البريد، وقرية شعفاط ومخيم اللاجئين فيها وقرى العيساوية والطور وصورباهر وجزءاً من بيت صفافا ويبلغ عدد سكانها حوالى ثلاثين ألف عربى. وقد سبق الإشارة إلى ذلك.

- الإعلان رسمياً عن ضم هذه المناطق إلى حدود بلدية القدس تحت الاحتلال الإسرائيلى. وذلك بموجب أمر صدر بتاريخ ٢٨ / ٦ / ١٩٦٧، عن وزير الداخلية الإسرائيلى حاييم موشى شايبير، وقد عارض أهل القدس واخوانهم الفلسطينيون فى الداخل والخارج، والأقطار العربية والإسلامية كافة هذا الضم، واتخذت الأمم المتحدة قرارات بعدم الاعتراف به واعتبرته باطلاً، وطالبت بإلغائه .

- حل مجلس أمانة القدس بتاريخ ٢٩ / ٦ / ١٩٦٧ . وذلك بموجب أمر غير شرعى صادر عن جيش الدفاع الإسرائيلى وموقع من قبل يعقوب سالمان مساعد القائد العسكرى الإسرائيلى، ويقضى بضم أملاك أمانة القدس ومحتوياتها إلى بلدية الاحتلال الإسرائيلى .

- منذ أوائل عام ١٩٦٨ نشطت عمليات مصادرة الأراضى والعقارات العربية داخل القدس وماحولها من مدن وقرى ومخيمات اللاجئين الواقعة ضمن محافظتها .

- فى ٣٠ / ٩ / ١٩٧٤ أعلن عن مشروع باسم « توسيع حدود القدس » والمناطق التي يشملها هذا المشروع تضم (٩) مدن و (٦٠) قرية عربية وهى كالتالى:

- المدن : رام الله والبيرة وبيتونيا ودير دبان شمالاً والخليل وحلحول وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور جنوباً.

- القرى : بيتين وبرقة وكفر عقب وجبع وحزما ومخماس والقسم الغربي من قلنديا وبيير نبالا وبيت حنينا وعناتا سوريك وبدو وقطنة والقبية ودير ابرزيغ وعين عريك وبيت عور التحتا وبيت عورالقوقا وبيت اجزا شمالاً.

مناطق قرى يالو وبيت نوبا وعمواس التى هدمت وشرد أهلها خلال أيام حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ وصفا وصيرا وبيت لقيا وبيت تول والطرول غرباً .. صور باهر وام طوبى وشرفات وبتير والخضر وحوسان ووادى فوكين وأرطاس ونحالين وصوريف وبيت امر وخراس وبيت اولاء وسعير والشيخ وبنى نعيم وبيت كاحل وتفوح وترقوميا وبيت سكاريا جنوباً.. والعيزرية وأبو ديس والعبدية وعرب التعمارة وعرب السواخرة ومنطقة الخان الأحمر شرقاً.

وتقدر مساحة هذه المناطق التي تخطط سلطات الاحتلال العسكرية الإسرائيلية لاقتطاعها من الضفة الغربية بحوالى ٣٠ ٪ من مساحة الضفة الغربية، ويقدر عدد سكانها بحوالى ٢٥٠ ألف عربى. وقد مهدت سلطات الاحتلال العسكرية الإسرائيلية لاحتواء هذه المناطق بعدد من الإجراءات، كان أبرزها ما يلى :

أ - إعلان منطقة الخان الأحمر منذ سنة ١٩٧٢ منطقة عسكرية، وإقرار الوزارة الإسرائيلية بتاريخ ٢٤ / ١١ / ١٩٧٤، بإنشاء مدينة صناعية فيها ومصادرة سبعين ألف دونم من الأراضي العربية فيها، ومباشرة فتح طرق داخلية فيها « وقد تم فيما بعد إنشاء هذه المدينة واسمها معاليه ادوميم، وأنشئ حولها أربع مستعمرات فيما بعد».

ب - مصادرة سلطات الاحتلال الإسرائيلية ما بين ١٩٧٠ و ١٩٨٥ مساحات واسعة من أراضى قرى بيت حنينا والرام والنبي صمويل وقلنديا والجيب وبيت اكسا وشعفاط وبيت صفا وصور باهر وشرفات وبيت جالا وعناتا، والعيزرية وأبو ديس وبيت سكاريا وعرب التعمارة والعبدية والخليل.

ج- إنشاء السلطات المحتلة لأحياء سكنية ومناطق صناعية وطلابية وعسكرية على تلك الأراضي العربية المصادرة والتي سبق الإشارة إليها، معتبرة أن القدس والضواحي التي حولها أصبحت تحت السيادة والملكية الاسرائيلية.

- إقرار البرلمان الإسرائيلي بتاريخ ٣٠ / ٧ / ١٩٨٠، قانوناً يقضى بجعل القدس الموحدة عاصمة « إسرائيل » إلى الأبد ومقرًا لبرلمانها ولرئيس دولتها ولحكومتها العليا، تحدياً للقرارات الدولية ولمبادئ حقوق الإنسان .

- أعلن عن مشروع إسرائيلي في مطلع عام ١٩٨٢ يسمى « نظام المشروع الإسرائيلي لمنطقة المركز » وكان بمثابة أول مشروع متكامل يعلن عنه رسمياً .. وقد سمي بالمشروع التنظيمي الإقليمي الجزئي .. وكرس هذا المشروع بمخططاته وآليات كل ما تم تنفيذه من مشاريع القدس الكبرى .

ويتضمن المشروع ثمانية فصول وست خرائط، وتبحث في الاسم والموقع والأهداف والتنظيم الحالي والمستقبلي. ولقد أثار هذا المشروع قلق الأهالي في محافظة القدس، وبادروا بتقديم الاعتراضات عليه لكل من رئيس مجلس التنظيم الأعلى ولضباط الداخلية ومدير التنظيم والبناء في رام الله التابعين لسلطات الاحتلال العسكري، مطالبين بإلغائه.

إن الهدف الأساسي من تخطيط منطقة المركز هو ربطها بالجزء المحتل من فلسطين سنة ١٩٤٨، دون الأخذ في الاعتبار أيًا من العوامل الاجتماعية والظروف المعيشية لسكان هذه المنطقة، ويلاحظ أن عدد اليهود الذين سيسكنون هذه المنطقة سيكونون أضعاف عدد العرب بعد تزايدهم ، إن أهمية المركز، كما أطلق عليه، ترجع إلى كونه وسط الضفة الغربية، وحلقة الاتصال بين الشمال والجنوب، وحلقة الاتصال بين فلسطين المحتلة منذ ١٩٤٨ ومنطقة الأغوار على نهر الأردن.. هذا فضلاً عن توسيع حدود منطقة القدس بحيث تشمل معظم قرى من بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور علاوة على قرى منطقة رام الله والبييرة.

بعد دراسة هذا المشروع تبين ان المساحات موزعة كالتالي :

- مساحة المناطق الحمراء « المناطق المخصصة للإسكان العربي » حوالي ٥٨,٩٤١ دونماً

ويشمل ذلك مدن رام الله والبيرة وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور، وتبلغ نسبتها ١٣٪ .

- مساحة المناطق الصفراء « المناطق المخصصة للإسكان اليهودي » حوالى ٧٦,٦٠٨ دونمات، نسبتها ١٧٪ .

- مساحة المناطق الخضراء «حدائق عامة لا يسمح البناء بها » حوالى ٢٨,٨٢٠ دونمات، نسبتها ٦,٥٪ .

- مساحة الطرق «تشمل منطقة المطار » حوالى ١٨,٣٤٠ دونماً ونسبتها ٤٪

- مساحة الأراضي الزراعية ٢٦٣,٥٧٠ دونماً ونسبتها ٥٩,٥٪ .

مجموع مساحة المشروع حوالى ٤٤٦,٢٧٩ دونم

من هذه الإحصائيات يمكن القول بأن عدد السكان المتوقع للمغرب سنة ٢٠٠٢ هو ٤١٠,٨١٢ نسمة.. بينما عدد السكان المتوقع لليهود سنة ٢٠٠٢ هو ٩١٩,٢٩٦ نسمة .. ويعلق المهندس أبوشلبك على هذا المشروع بأن الأهداف المتوخاه منه هو زيادة عدد السكان اليهود، ليصبحوا ثلاثة أضعاف السكان العرب .. وتحديد مناطق زراعية بمساحات كبيرة من أجل التخطيط للمستقبل .. أيضاً التوسع بعمل شبكة طرق رئيسية تصل الجزء المحتل من فلسطين عام ١٩٤٨ بالأغوار على نهر الأردن المحتلة عام ١٩٦٧ .. وكذلك لربط الشمال بالجنوب .. إلا أن التخطيط للمشروع لم يراع أى عوامل إجتماعية بالنسبة للعرب أو أي ظروف معيشية أو أى ملكيات خاصة ونهب الإنسان الفلسطيني ومحاصرته هو نفسه تدمير البنية التحتية والاستيلاء على مصادر المياه والطاقة لاقتلعه من جذوره ومن أرضه .. كما أن استباحة حرمة الضفة الغربية وقطاع غزة يهدف إلى إحكام السيطرة الإسرائيلية على الأرض .. ومنع الشعب الفلسطيني من إنشاء الدولة الفلسطينية.

ثالث عشر: الاعتداء على المقدسات الإسلامية :

اعتدت اسرائيل على المقدسات الإسلامية بالقدس .. بداية من تصريحاتها المعادية لكل مقدس اسلامي، حتى السعى لهدم هذه المقدسات على مراحل مختلفة.. وقد أشار الشيخ عبد الحميد السائح فى كتابه « ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى » الى أن وزير

الأديان الإسرائيلية « زيراح فيرهافتغ » صرح في عام ١٩٦٧ أثناء اجتماع عقد في القدس لرؤساء حاخامى بعض دول العالم من رجال الدين اليهودى بأن تحرير القدس يعنى وضع جميع المقدسات المسيحية فيها وقسماً مهما من المقدسات الإسلامية تحت سلطة إسرائيل.. وإعادة جميع مقدسات اليهود فيها .. الحرم الشريف القدسى هو قدس الأقداس بالنسبة لليهود .. ولا يزال مقدساً لدى ديانة أخرى .. وأضاف : « إن الإسرائيليين لا ينون في المرحلة الحاضرة إعادة بناء هيكل سليمان ، وأنه من الجميل إرجاء هذه الفكرة في الوقت الحاضر .. ولكن هذا لا يعنى أن يمتنعوا عن القيام بعمل ما يستطيعون » .. وفي مطلع الثلاثينات كان الوزير البريطانى اليهودى اللورد « ميلشيت » قد كشف النوايا الصهيونية تجاه المسجد الأقصى فقال : « إن يوم إعادة بناء هيكل سليمان قد اقترب ، وسأصرف بقية حياتى فى السعى لإعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى » .

وطرحت دائرة المعارف اليهودية المعروفة باسم « جويش انسيكلوبيديا » Jewish Encyclopedia معنى الصهيونية فقالت « إن اليهود يرغبون أن يحزموا أمرهم وأن يأتوا للقدس ويتغلبوا على قوة الأعداء وأن يعيدوا العبادة إلى الهيكل مكان المسجد الأقصى وقيمون ملكهم هناك .

وفى ١٦ / ٦ / ١٩٦٨ ، نشرت جريدة نيويورك تايمز Newyork times بيان لجنة صهيون ومعه خريطة للقدس القديمة أخفى منها المسجد الأقصى ومسجد الصخرة ، وكان مكانهما ميدان الهيكل .

والأمثلة على العبث بالمقدسات الإسلامية كثيرة نذكر منها :

- هدم حى المغاربة والعقارات الإسلامية خلف الحائط الغربى للحرم القدس الشريف :
لم تكد تمر أربعة أيام على احتلال الجيش الإسرائيلى للقسم الثانى من القدس الشريف فى ١٩٦٧ / ٦ / ٧ ، حتى بدأ الإسرائيليون بتنفيذ بعض مخططاتهم لتهود الحرم القدسى الشريف مبتدئين بهدم الحى المغربى الملاصق للمسجد الأقصى المبارك من الجهة الغربية الجنوبية ، وكان يشكل بأوقافه وسكانه من إخواننا من شمال أفريقيا ، حصناً منيعاً يفصل الحى اليهودى عن المسجد الأقصى المبارك ويدفع عنه وعن المقدسات الإسلامية أى

عدوان يأتي من ناحيتهم، هذا الحى وأهله، كان الهدف الأول من مسلسل التهويد . فقد فوجئ أهله في فجر ١١/٦/١٩٦٧، بجرافات الجيش الإسرائيلي تزحف عليهم، وتهدم عقاراتهم ومنازلهم واحداً بعد الآخر، ولم ينفذ النهار إلا و ١٣٥ منزلاً ومسجدين وصغيرين أصبحت أطلالاً، وتشرد سكانها البالغ عددهم ٦٥٠، وبوشر بتمهيد أرضها لتضم إلى ساحة البراق الشريف والذي يطلق اليهود عليه اسم " حائط المبكى " وهو جزء من حائط الحرم القدسي الشريف، وقد تساهل السلف الصالح من حكام المسلمين بالسماح لهم بالبكاء خلفه، وجاء اليوم ليتخذوا منه ذريعة لهدم الحى المغربى بحجة توسيع ساحته ولتكون الخطوة الأولى في تهويد الحرم .

الاعتداءات بواسطة الصلوات اليهودية وإباحتها داخل الحرم القدسي : اتخذت بعض الجماعات الدينية والسياسية والنقابية الإسرائيلية في بعض الأوقات أسلوب التستر بزيارة الحرم القدسي الشريف مدخلاً إلى الاعتداء على حرمة وإقامة الصلوات اليهودية في ساحاته، كخطوة أولى لإثبات حقوقهم الدينية فيه، وكان أول من قام بمثل هذا الاعتداء رئيس حاخامي الجيش الإسرائيلي شلومو غورين في ١٥/٨/١٩٦٧ مع حوالى عشرين من جماعته، حيث دخلوا من باب المغاربة وأقاموا أول صلاة لهم في الساحة الداخلية للباب وأعلن يومها أنه سيقوم بصلاة أخرى في كل أسبوع وسيبنى كنسية في مكان آخر في ساحات المسجد، وقد احتجت الهيئة الإسلامية في القدس على هذا الاعتداء في حينه وهددت بإغلاق أبواب الحرم، وسارعت سلطات الاحتلال إلى منع رئيس الحاخاميين من إقامة هذه الصلاة وأرسلت لرئيس الهيئة الإسلامية الشيخ عبد الحميد السائح آنذاك، (الذى أبعد فيما بعد) بتظمينه بعدم تكرار تلك الصلاة ولم تنفذ وعدها .

وفي ٢٨/١/١٩٧٦ أصدر قاضى محكمة صلح إسرائيلية في القدس المحتلة قراراً يقضى بإباحة الصلاة لليهود في الحرم القدسي الشريف، ولقد شجع هذا القرار جموع اليهود على القيام باعتداءات إسرائيلية متواصلة لانتهاك حرمة الحرم القدسي الشريف واقتحام أبوابه في معظم ساعات النهار في محاولات لتأدية صلوات يهودية بالقوة، وكانوا في كل مرة يصطدمون بالحرس الاسلامى وبجموع المصلين المسلمين ويتعاركون معهم وتتدخل الشرطة الإسرائيلية المقيمة في الحرم وتخرجهم بعد أن تعتدى على المسلمين وتعتقل بعضهم .

وقد أثار قرار المحكمة بإباحة الصلاة اليهودية داخل الحرم القدسي غضب المسلمين وإحتجاجهم داخل فلسطين وخارجها .. وعمت المظاهرات والاضرابات المدن والقرى ومخيمات اللاجئين، وقدمت الحكومة الأردنية فى أعقابها شكوى إلى مجلس الأمن الدولى مطالبة التدخل ووضع حد لهذه الانتهاكات الإسرائيلية لحرمه الأماكن المقدسة ولأهلها، خلافاً وتحدياً للاتفاقيات الدولية ولقرارات هيئة الأمم المتحدة التى تعتبر ضم القدس أصلاً، عملاً باطلاً وغير قانونى، ولقد نقضت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية باستعمالها حق الفيتو مشروع القرار المناسب آنذاك، استمراراً لمواقفها المتواصلة فى تأييد سلطات العدوان الإسرائيلى .

- اغتصاب سلطات الحكم العسكرى لباب المغاربة :

وهو أحد أبواب الحرم القدسي الشريف الملاصق للمسجد الأقصى المبارك ١٩٦٧/٨/٣١، وإقامة مركز للشرطة العسكرية الإسرائيلية فيه، وفتحه لجميع الزوار اليهود دون رقابة إسلامية من قبل موظفى الأوقاف الإسلامية على الداخلين منه والاستمرار فى ذلك على الرغم من معارضة الهيئة الإسلامية ومديرية الوقف الاسلامي بالقدس .

- إحراق المسجد الأقصى :

فى يوم ١٩٦٩/٨/٢١ أشعل حريق فى المسجد الأقصى المبارك عن طريق مجموعة من الاسرائيليين .. وكان الهدف من هذا الحريق هو هدم هذا المسجد الشريف والذى له صفه القداسه والاحترام لدى المسلمين .. ولكن فور اندلاع الحريق سارعت الجموع الإسلامية العربية المجاورة واستطاعت إنقاذ القسم الأكبر من المسجد وأفشلت مخطط هدم المسجد .. وفى حينها قدمت الدول العربية شكاوى للهيئات الدولية المعنية .. وعقدت مؤتمرات قمة تناولت هذا الموضوع .. وقد حاولت سلطات (إسرائيل) - فى بادئ الأمر - إصاق تهمة الحريق بشركة كهرياء القدس، إلا أن مبادرة الشركة بإرسال مهندسيها وبقطع التيار الكهربائى عن الموقع فور كشف الحريق، والقيام بإجراء تحقيق فنى بسرعة، والإعلان عن سلامة الشبكة الكهربائية الموزعة والموصلة، ونفى وجود أى علاقة بين الكهرياء والحريق، فوتت على تلك السلطات محاولة إصاق الحريق بها وقد أقلقها

هذا ودفعها إلى إلصاق التهمة بشاب إسترالى اسمه مايكل روهان، فألفت له محكمة صورية، ولفقت أدلة جنونه، وانتهت الرواية بوضع المتهم فى مستشفى للأمراض العقلية لفترة من الزمن، ثم أخلت سبيله بعد ذلك وأعلنت عن عودته إلى استراليا .

ولقد أعلن رئيس الهيئة الإسلامية بالقدس سماحة الشيخ حلمى المحتسب فى مؤتمر صحفى عقده فى القدس بعد إطفاء الحريق ما يلى : إن الحريق مفتعل، وغير طبيعى، وليس من جراء التيار الكهربائى، وإن مياه البلدية التابعة لسلطات الاحتلال الإسرائيلى قد قطعت عن منطقة الحرم الشريف فور اندلاع الحريق، وإن سيارات الاطفاء التابعة لبلدية سلطات الاحتلال الإسرائيلى قد تأخر وصولها ومباشرتها عملية الإطفاء وإن الذى ساهم وساعد على إخماد الحريق اطفائيات بلديتى رام الله والخليل .. ولكن من ناحيتهم كشف المهندسون العرب الذين انتدبتهم الهيئة الإسلامية فى القدس أن الحريق قد شب فى موقعين وليس فى موقع واحد، وكان الأول عند منبر صلاح الدين المشهور بمنبر نور الدين التاريخى فأتى عليه برمته، والثانى عند السطح الشرقى الجنوبي للمسجد فأتى على سقف ثلاثة أروقة وعلى جزء كبير من هذا القسم من المسجد ولئن سلم القسم الأكبر من المسجد من هذا الحريق، فإن الخوف عليه من أى اعتداء إسرائيلى لا يزال قائماً طالما الاحتلال متواجداً .

- محاولات لهدم المسجد الأقصى المبارك ومسجد الصخرة المشرفة :

بعد فشل هدم المسجد الأقصى عن طريق الحريق الذى أشعل فيه خططت سلطات الاحتلال الإسرائيلى لهدم المسجدين الأقصى والصخرة المشرفة .. وهذه المخططات - كما سنلاحظ - شارك فيها ودبرها ضباط ورجال دين ورجال أحزاب .. نذكر من هذه المحاولات على سبيل المثال :

فى أول شهر آيار / مايو ١٩٨٠، أعلنت السلطات الإسرائيلية أنها اكتشفت كميات من المتفجرات والقنابل والأسلحة على سطح إحدى المدارس الدينية فى الحى اليهودى داخل سور القدس، التى تبعد عن الحائط الغربى للحرم القدسى الشريف بحوالى خمسين متراً ، وأعلنت أنه لدى التحقيق ظهر لها أن هذه الكميات سرقها ثلاثة من رجال الجيش الإسرائيلى، أحدهم برتبة ضابط، وكانوا يخططون لنسف المقدسات الإسلامية داخل الحرم الشريف .. وبتاريخ ٩/٨/١٩٨١، الذى صادف ذكرى "خراب الهيكل"

عند اليهود قامت جموع يهودية كبيرة بمحاولات اقتحام الحرم الشريف من جميع أبوابه وتسللوا إلى بعض الأبنية المطلة على ساحات الحرم واعتدوا على أهلها، وحاولوا الدخول إلى ساحات الحرم بالقوة، واشتبكوا مع المسلمين وكالعادة تدخلت الشرطة الإسرائيلية وفصلت بينهم واعتقلت بعض العرب، ومنعت اليهود من الدخول .

وفى صباح ١١/٤/١٩٨٢ اقتحم جندي إسرائيلي باب الغوانمة، الواقع فى الشمال الغربى من الحرم، وكان يقف على مدخله أحد رجال الحرس الإسلامى ورجل شرطة، وأطلق الجندي الاسرائيلى عليهما النار من بندقيته الرشاشة التى يحملها وواصل مسيرته إلى سطح مسجد الصخرة المشرفة يطلق النار منها بغزارة على المسلمين الموجودين هناك، فقتل حارس المسجد، ثم اقتحم المسجد وواصل إطلاق النار داخله، وفى الوقت نفسه، كانت تطلق نيران إسرائيلية مماثلة من مكان غربى على المسلمين الذين هرعوا للاستطلاع واستشهد نتيجهما رجل واحد وجرح ٤٤ ولما تدفق المسلمون من الأحياء المجاورة صدتهم القوات الإسرائيلية التى هربت للتدخل، واعتقلت المجرم الذى تبين أنه يحمل الجنسية الأمريكية، واعتقلت معه عشرات من المعتدى عليهم، وقد أسفرت محاكمة المعتدى بالحكم عليه مدة سنة فقط بحجة أن يعانى من مرض عصبى .. وبتاريخ ١١/٣/١٩٨٣، حاول ٤٦ من الإسرائيليين التسلل إلى الحرم القدسى الشريف من المسجد الأقصى المبارك عن طريق الحفريات التى كانوا يقومون بها، وكانوا يحملون صناديق تحتوى على مواد متفجرة تكفى لنسف جميع الأماكن المقدسة داخل الحرم . وقد اكتشفهم حراس الأوقاف الإسلامية وأبلغوا عنهم قوات الأمن الإسرائيلية التى اعتقلتهم مع معداتهم، وأقامت لهم محاكمة صورية كما أقامت لمن سبق من المعتدين، وأفرج عنهم فيما بعد .

وفى شهر نيسان / أبريل ١٩٨٤، اكتشفت سلطات الأمن الإسرائيلية تنظيماً سرياً من رجال الجيش الإسرائيلى، كان يخطط لنسف الحرم القدسى من الجو، واعتقلت رجاله وأجرت لهم محاكمة استغرقت حوالى العام، وحكمت على بعضهم بالسجن أحكاماً تتراوح بين ثلاث وسبع سنوات .. فى ٨/١/١٩٨٦ قام وفد من البرلمان الإسرائيلى

باقتحام الحرم القدسي واستمرت المحاولات على مدار أسبوع، وقد أثارت العرب والمسلمين، فتقدموا بشكوى إلى مجلس الأمن، وانتهى مصير الشكوى باستعمال أمريكا حق الفيتو ضد أى قرار ضد إسرائيل.. كما أن مناورات التمهيد لوضع اليد الإسرائيلية على مقبرتي باب الرحمة واليوسفية الملاصقتين للحرم القدسي الشريف من الجهة الشرقية وضمهما لمتنزه إسرائيل الوطني : وقد مهد لذلك على مرحلتين :

الأولى : إقرار لجنة التنظيم المركزية الإسرائيلية لتخطيط منطقة القدس فى ١٩/٨/١٩٧٠ مخطط تصميم للبلدة القديمة بالقدس ولضواحيها، ومصادقتها على خطة المتنزه حول أسوار المدينة ويسمونه " المتنزه الوطنى الإسرائيلى " .

الثانية : أصدر وزير الداخلية الإسرائيلى أمراً نشر فى جريدة القدس بتاريخ ٦/٣/١٩٧٤، اعتبر بموجبه المنطقة المحيطة بسور البلدة القديمة من القدس، حديقة عامة .

والمقبرتان المشمولتان بهذه المؤامرة الجديدة، هما أقدم المقابر الإسلامية فى القدس، وتعتبران جزءاً حياً من تاريخ الإسلام بالقدس، وذلك بما تضمنناه من رفات كبار رجال الفتح الإسلامى والمجاهدين الأوائل ورجال الحكم والقضاء والعلم على مدى أجيال، وفى مقدمتهم الصحابيـان الجليلان عبادة بن الصامت البدرى المتوفى سنة ٣٣ هـ ٦٥٣ م وشداد بن أوس الأنصارى المتوفى سنة ٥٨ هـ / ٦٧٧ م وهو ما سبقت الإشارة إليه، وعلاوة على الأهمية التاريخية، فإن مجرد ملاصقة المقبرتين للحرم الشريف شرقاً، ووضع اليد الإسرائيلية عليهما، يطوق الحرم بالحفريات جنوباً وشرقاً ويعرض الحرم بكامله لأخطار مقلقة .. وقد قامت بلدية الإحتلال العسكرى الإسرائيلى بالقدس فى أول سنة ١٩٨٠ باغتصاب جزء من المقبرة اليوسفية، يلاصق الجزء الشرقى من سور القدس من زاويته المالية وعلى امتداد حوالى ٣٠٠ متر جنوباً حتى باب الأسود (والمعروف باسم باب الأسباط) وبعمق يتراوح ما بين ١٥ - ٢٥ متراً، وأنشأت عليه حديقة وطريقاً حجرياً وأنارتهما بالكهرباء، كمرحلة تنفيذية للمشروع الذى سموه " المتنزه الوطنى الإسرائيلى " .

- الحفريات حول وأسفل الحرم القدسي :

فى مرحلة سابقة قبل الشروع فى مخطط الحفريات تمكنت السلطات الإسرائيلية من مصادرة الكثير من الأحياء العربية الملاصقة للحرم القدسي .. وأن الهدف من وراء عملية الحفريات - كما تدعى إسرائيل - هو الكشف عن التاريخ اليهودى القديم وهيكل سليمان .. ولكن الهدف الحقيقى هو تصدع المقدسات الاسلامية، نتيجة لأعمال الحفر والتنقيب وبالتالى هدمها وطمس الهوية الإسلامية، ففي عام ١٩٦٩/٧/١٥ نقلت وكالات الانباء " أن حائط المبكى سيكشف قريباً .. وأعلن فى القدس أن امتداد حائط المبكى (حائط البراق الشريف) سيظهر عارياً وكاملاً ولأول مرة بعد ألفى سنة، ويعتبر هذا الحائط أقدس مكان لدى اليهودية، وهذا الحائط هو جزء من بقايا الحائط الغربى لساحة الهيكل الذى بنى فى عهد الملك هيرودس ودمر من قبل الكتائب الرومانية سنة ٧٠ بعد الميلاد، وعندما احتلت إسرائيل القدس لم يكن ظاهراً منه سوى ٣٠ ياردة ثم أظهرت سلطات إسرائيل بعد ذلك ما طوله ٥٠ ياردة أخرى وعندما تنتهى العملية المخطط لها، سيكشف ويظهر منه مائتا ياردة أو أكثر .

نشرت صحيفة (دافار) الإسرائيلية بتاريخ ١٩٧١/٨/٢ خبراً عن زيارة الجنرال دايان (وكان وقتها وزيراً للدفاع) إلى منطقة الحفريات وحائط المبكى وهناك رداً على سؤال أحد الصحفيين له قال : إنه لا ضرورة - حسب رأيه - للتأخير بسبب العثور على آثارات قديمة من عهود متأخرة والتي عثر عليها فى منطقة الحفريات، ويجب الكشف والعمل على إعادة ترميم جميع ما يتعلق بأيام الهيكل الثانى، وأفضل أن أرى السور كما كان فى عهد الهيكل الثانى، ويمكن تصوير بقية الآثارات وتخليدها وإزالتها لأنها تخفى عنا رؤية الصورة كاملة كما كانت فى حينها .

ونشرت صحيفة (هآرتس) الإسرائيلية بتاريخ ١٩٧٧/٢/٢٧ خبراً مفاده أن الحاخام الأكبر لإسرائيل إسحق نسييم قام برفقة عدد من كبار الاسرائيليين بزيارة لقسم من الحائط الغربى للحرم القدسي (ويقع فى منتصف الحائط داخل رباط الكرد قرب مشوى المرحوم الملك حسين بن على) وبعد أن قاموا بصلاة يهودية أصدروا البيان التالى: حائط المبكى الصغير (فى داخل رباط الكرد) واستمرار الكشف عنه واجب دينى كبير : سيظل صراخنا مستمراً ونضالنا مستمراً ومتواصلاً حتى اكتشاف طوله وارتفاعه من زوايته

الجنوبية إلى زاويته الشمالية القريبة من باب الأسباط، نريد تنظيف المنطقة من جميع المباني التي ألصقت بقصد وإقرار رؤساء الدين المسلمين المتعاقبين .. وقد بدأت الحفريات حول الحرم القدسي في أعقاب احتلال إسرائيل للقسم الثاني من القدس بعد حرب يونيو ١٩٦٧ خلافاً للمادة ٣٢ من ميثاق لاهاي التي تحرم إجراء أى حفريات أثرية في المناطق المحتلة .. وقد مرت الحفريات التي أقدمت عليها إسرائيل بعدة مراحل .

المرحلة الأولى : وقد بدأت في أواخر سنة ١٩٦٧ وتمت سنة ١٩٦٨، وقد جرت على امتداد ٧٠ متراً من أسفل الحائط الجنوبي للحرم الإسلامي القدسي خلف قسم من جنوب المسجد الأقصى وأبنية جامع النساء والمتحف الاسلامي والمثدنة الفخرية الملاصقة له ، ووصل عمق هذه الحفريات إلى ١٤ متراً، وهي تشكل باستمرار، ومع مرور الوقت، عامل خطر يهدد باحداث تصدعات لهذا الحائط والأبنية الدينية والأثرية الملاصقة له .

المرحلة الثانية : وقد تمت سنة ١٩٦٩، وقد جرت على امتداد ٨٠ متراً أخرى من سور الحرم الإسلامي القدسي، بدأت من حيث انتهت المرحلة الأولى، ومتجهة شمالاً حتى وصلت (باب المغاربة) أحد أبواب الحرم الشريف، مارة تحت مجموعة من الأبنية الاسلامية الدينية التابعة للزاوية الفخرية (مركز الإمام الشافعي) وعددها ١٤ صدعتها جميعها وتسببت في إزالتها بالجرافات الإسرائيلية بتاريخ ١٤/٦/١٩٦٩، وإجلاء سكانها .

المرحلة الثالثة : وقد بدأت سنة ١٩٧٠، وتوقفت سنة ١٩٧٤ ثم استؤنفت ثانية من سنة ١٩٧٥، إلى سنة ١٩٨٨ وقد امتدت من مكان يقع أسفل عمارة المحكمة الشرعية القديمة (وتعتبر من أقدم الأبنية التاريخية الإسلامية في القدس) مارة شمالاً بأسفل خمسة من أبواب الحرم القدسي هي : باب السلسلة وباب المطهرة وباب القطانين وباب الحديد وباب علاء الدين البصير (المسمى باب المجلس الإسلامي) وعلى إمتداد ١٨٠ متراً وفوق مجموعة من الأبنية الدينية والحضارية والسكنية والتجارية تضم أربعة مساجد ومثدنة قايتباي الأثرية وسوق القطانين (أقدم سوق أثري عربي إسلامي في القدس) وعدداً من المدارس الأثرية ومساكن يقطنها حوالي ٣٠٠٠ عربي من أهل القدس، وقد وصلت هذه الحفريات إلى أعماق

تتراوح بين ١٠ و ١٤ متراً، وقامت السلطات الدينية اليهودية بتحويل الجزء الأول منها تحت المحكمة الشرعية إلى كنيس يهودى، كما تسببت أيضاً فى تصديع عدد من الأبنية، منها الجامع العثمانى ورباط الكرد والمدرسة الجوهريّة، وكلها عقارات دينية وحضارية .

المرحلتان الرابعة والخامسة : بدئُ بهما سنة ١٩٧٣ واستمرتا حتى سنة ١٩٧٤، فى المنطقة التى تقع خلف الحائط الجنوبيّ الممتد من أسفل القسم الجنوبيّ الشرقى للمسجد الأقصى وسور الحرم القدسى الشريف، وتمتد شرقاً على مسافة تقارب الثمانين متراً، وقد اخترقت هذه الحفريات فى شهر يوليو ١٩٧٤ الحائط الجنوبيّ للحرم القدسى والمدخل إلى الأروقة السفلية للمسجد الأقصى المبارك وللحرم فى أربعة مواقع هى :

الأول : أسفل محراب المسجد الأقصى وبعمق ٢٠ متراً إلى الداخل .

الثانى : أسفل جامع عمر - الجناح الجنوبيّ الشرقى للمسجد الأقصى .

الثالث : تحت الأبواب الثلاثة للأروقة الواقعة أسفل المسجد الأقصى المبارك .

الرابع : تحت الأروقة الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى المبارك .

وقد وصلت أعماق هذه الحفريات إلى أكثر من ١٣ متراً، وأصبحت تعرض السور والمسجد الأقصى إلى خطر الانهيار آخذين بعين الاعتبار - كما يقول مهندسو الأوقاف الإسلامية بالقدس - الأمور التالية : قدم البناء، تفريغ التراب الملاصق للحائط من الخارج إلى أعماق كبيرة، العوامل المناخية، الضغط الجوى الناتج عن الطائرات الحربية، وما ينطبق على هذه الناحية من الحفريات ينطبق على النواحي التى سبق الكلام عنها .

المرحلة السادسة : بدأت فى أوائل سنة ١٩٧٥ فى مكان قرب منتصف الحائط الشرقى لسور المدينة ولسور الحرم الشريف، يقع بين باب السيدة مريم والزاوية الشمالية الشرقية من سور المدينة، وتهدد أعمال الحفر فيها بإزالة القبور الإسلامية التى تضمها أقدم مقبرة إسلامية فى المدينة، وفيها رفات الكثير من رجال الدين والعلم والحكم المسلمين وفى مقدمتهم الصحابيّان عبادة بن الصامت البدرى وشداد بن أوس الأنصارى، وقد نتج عن هذه الحفريات مصادرة الأرض الملاصقة لإحدى هذه المقابر وإنشاء جانب من متنزه إسرائيل الوطنى فيها .

المرحلة السابعة : مشروع تعميق ساحة البراق الشريف والتي تسمى أيضا بساحة المبكى، وهي الملاصقة للحائط الغربى للمسجد الأقصى المبارك وللحرم القدسى الشريف وهو مشروع وضع سنة ١٩٧٥ وتمت الموافقة عليه - كما تقول جريدة " القدس " المقدسية فى عددها بتاريخ ١٥ / ٦ / ١٩٧٧ - من قبل اللجنة الوزارية الإسرائيلية مع بعض التعديلات ويقضى المشروع بضم أقسام أخرى من الأراضى العربية المجاورة للساحة وهدم ما عليها وحفرها بعمق تسعة أمتار، وكانت هذه الساحة حتى ١٩٦٧/٦/٧ تضم حوالى ٢٠٠ عقار عربى إسلامى تشكل القسم الأكبر من الحى المغربى، جرفتها الجرافات الإسرائيلية ما بين سنتى ١٩٦٧ و ١٩٧٧ وشردت جميع أهلها، ويقدر عددهم بشمائه، وأن المشروع الجديد عرض الأبنية الملاصقة والمجاورة لخطر التصديع والانهار ثم الهدم وتضم هذه الأبنية : عمارة المحكمة الشرعية القديمة المعروفة بالمدرسة التنكزية، عمارة المكتبة الخالدية وهى من أقدم المكتبات الإسلامية فى القدس زاوية ومسجد أبو مدين الغوث وكلاهما من الأوقاف الإسلامية القديمة ، بالإضافة إلى عدد من العقارات السكنية يتجاوز ٥٠ عقاراً .

المرحلة الثامنة : وقد بدأت سنة ١٩٦٧ تحت شعار " كشف مدافن ملوك إسرائيل فى مدينة داود " .. وتقع الحفريات خلف جدارن المسجد الأقصى وجنوبها .. وهى استكمال للمرحلتين الرابعة والخامسة .. والخطر فيها أنها عملت على تصديع الجدارن الجنوبية للمسجد الأقصى .

المرحلة التاسعة : بدأت فى ٢٨ / ٨ / ١٩٨١ عندما اخترقت الحفريات الحائط الغربى للحرم القدس .. وأعيد فتح نفق كان قد اكتشفه الضابط البريطانى " تشارلز وارن " سنة ١٨٨٠ وسمى باسمه .. ويقع ما بين باب السلسلة وباب القطنان فى الحرم ، ونفق المطهرة فى أسفل جانب من الحرم ، وتوغلت الحفريات أسفل ساحة الحرم من الداخل على امتداد ٢٥ متراً شرقاً ويعرض ٦ أمتار ووصلت أسفل سبيل قايتباى التاريخى ، وقد أدت هذه الحفريات إلى تصدع فى الأروقة الغربية الواقعة ما بين بابى السلسلة والقطنان للحرم القدسى ، كما جاء فى تقرير المهندس المقيم لإعمار المسجد الأقصى المبارك فى ٣٠ / ٨ / ١٩٨١ .

المرحلة العاشرة : وانتهت فيها إسرائيل إلى افتتاح نفق الأقصى أسفل الحرم الشريف في ٢٤ سبتمبر ١٩٩٦ ، والذي يمتد بمحاذاة الجدار الغربى للمسجد وصولاً إلى حائط البراق بطول ٣٥٠ متراً .

وقد بدأ العمل فى النفق منذ أغسطس ١٩٧٤ ، وسبقت ٣ محاولات لافتتاحه فى أعوام ١٩٨١ ، و ١٩٨٨ ، و ١٩٩٥ ، لكن وقوف هيئة الأوقاف الإسلامية بالقدس ضد هذه المحاولات حال دون افتتاح النفق ، إلى أن أعلنت السلطات الإسرائيلية عن افتتاحه رسمياً بمساندة الجيش الاسرائيلى فى صبيحة ٢٤ سبتمبر ١٩٩٦ .

وإلى جانب النفق ، كانت أعمال الحفر الإسرائيلية أسفل الحائط الجنوبي للحرم القدسى مستمرة منذ عام ١٩٧٤ أيضاً ، إلى أن اخترقت الأروقة السفلية للمسجد فى مواقع بعمق ٢٠ متراً إلى الداخل ، ومن الناحية التاريخية ، سبق افتتاح النفق الإسرائيلى ، محاولة لوزارة الأديان الإسرائيلية عام ١٩٨٧ لترميم نفق صغير كان قد اكتشف فى القرن التاسع عشر كبقية لقناة مائية بمنطقة الأقصى ، مع توصيله بالنفق الجديد، ليمتد فى مجموعة بطول ٥٠٠ متر ، ومعروف أن افتتاح النفق -وما سبقه من حفريات إسرائيلية - يهدف إلى اكتشاف هيكل سليمان وإعادة بنائه فى نفس المكان الذى يقوم عليه المسجد الأقصى المبارك ومسجد القبة المشرفة .

رابع عشر : الاعتداء على المقدسات المسيحية :

تعرضت المقدسات المسيحية ورجال الدين المسيحى فى القدس للاعتداء على حرمانهم ومقدساتهم ، وإجبارهم على التنازل عن مساحات كبيرة من عقاراتهم وممتلكاتهم بشتى الطرق تارة عن طريق الإرهاب وتارة أخرى عن طريق البيع أو التنازل ، مما حدا بالكثيرين منهم بالهجرة خارج المدينة .. ومن أبرز صور الاعتداءات الصارخة على المقدسات المسيحية .

سرقة أماكن العبادة واغتصاب الأملاك : وأشهر الحوادث ما تعرضت له كنيسة القيامة - كبرى كنائس العالم - من سرقات ، فقد سرق تاج السيدة العذراء فى أواخر

عام ١٩٦٧ من قبل بعض الإسرائيليين .. وبتاريخ ٢٤ / ٣ / ١٩٧١ حطمت قناديل الزيت والشموع التي فوق القبر المقدس فى مدخل الكنيسة من قبل إسرائيليين .. أعقبها محاولة سرقة إكليل مرصع بالماس قائم قرب صليب الجلجلة داخل كنيسة القيامة من قبل ثلاثة إسرائيليين ليلاً ، واعتدائهم على راهب فرنسيسكانى ، والتسبب فى إلحاق أضرار بالغة فيه .. كذلك تعرض دير الأقباط ليلة عيد الفصح المجيد فى ٢٥ / ٤ / ١٩٧٠ إلى اعتداء على ممتلكاته ورهبانه من قبل عدد كبير من رجال الشرطة الإسرائيلية .

وأقدم بعض الاسرائيليين المتعصبين فى ٦ / ٢ / ١٩٧٣ على إحراق المركز الدولى للكتاب المقدس على جبل الزيتون .. كما أحرقت أربعة مراكز مسيحية فى القدس فى ١١ / ٢ / ١٩٧٤ ، ومن ناحية أخرى اغتصبت السلطات الإسرائيلية الكثير من العقارات ودور العبادة المسيحية فى القدس .. ووضعتها تحت سيطرتها نذكر من ذلك ، استيلاء سلطات الاحتلال على أراضى أحياء المصلبة والقطمون وكرم الرهبان الواقع بين محطة السكة الحديد وفندق الملك داود بالقدس .. ويضم مساحات واسعة من أراضى غرب القدس .. وقد استولت عليها عن طريق إجبار البطيركية الرومية الارثوذكسية لتأجيرها لهم لمدة مائة عام .. وقد شيدت على هذه الأراضى أحياء يهودية .. كذلك استولت على عقارات متعددة ومن بينها عمارة فندق فاست فى وسط القدس ، كانت تملكها بطيركية الأرمن بالقدس ، باعتها للسلطات الإسرائيلية تحت التهديد أيضاً

أيضاً استولت على مدرسة شنلر الألمانية والمعروفة باسم مدرسة الأيتام السورية ، ومعها مساحة واسعة من الأرض وعدد كبير من الأبنية تقع شمال القدس ، كانت تملكها جمعية خيرية ألمانية ، اضطرت لبيعها لسلطات الاحتلال الإسرائيلية تحت التهديد. كذلك اغتصبت أراضى الكنيسة الروسية البيضاء والمعروفة بـ (المسكوبية) وأبنيتها وتقع فى وسط القدس وتضم مساحة واسعة من الأرض وعدداً من العمارات الضخمة والتي منها المستشفى الحكومى وعمارات المحاكم النظامية وقيادة البوليس والسجن المركزى ، وجميعها تنازلت عنها الكنيسة الروسية البيضاء للسلطات الإسرائيلية تحت التهديد والإرهاب .

- الاعتداء على رجال الدين المسيحي : لم تتوان سلطات الاحتلال فى التحقير من شأن أفراد ورجال الدين المسيحي ، واعتدت عليهم داخل أديرتهم وكنائسهم بهدف إبعادهم عن المدينة ومن هذه الاعتداءات على سبيل المثال : اعتقال القس إيليا خورى ،

راعى الكنيسة الإنجيلية الأسقفية العربية فى رام الله فى ٢/٣/١٩٦٩ وتعرضه لتعذيب نفسانى متواصل لمدة (٤٥) يوماً ، ثم إبعاده إلى عمان بتاريخ ١٦/٤/١٩٦٩ ، وقد أصبح فيما بعد مطراناً للطائفة الإنجيلية العربية فى عمان بالأردن .. اعتداء فوج من رجال الشرطة الإسرائيلية على رهبان دير الأقباط بالقدس بالضرب ليلة عيد الفصح المجيد (٢٥/٤/١٩٧٠) .

فى ٦/٢/١٩٧٣ اعتدى إسرائيليون بالضرب الشديد للمطران "فاسيلوس" الذى يعد الرجل الثانى فى بطريركية الروم الأرثوذكس بالقدس .

اعتقال المطران إيلاريون كبوشى ، مطران القدس للروم الكاثوليك فى ٨/٨/١٩٧٤ ، وتوجيه ثلاث تهم له هى حيازة أسلحة والقيام بخدمة لمنظمة غير مشروعة والاتصال بعملاء أجنب ، ثم الحكم عليه فى ٩/١٢/١٩٧٤ بالسجن لمدة اثنى عشر عاماً ، أمضى منها حوالى ثلاث سنوات وأربعة أشهر فى السجن ، ثم أفرج عنه بتاريخ ٦/١١/١٩٧٧ بعد تدخل الفاتيكان ، وجرى إبعاده فى اليوم نفسه .. ونتيجة لهذا الاضطهاد والإرهاب اضطرت المئات بل الآلاف من المسيحيين للنزوح خارج القدس .. وتشير الاحصائيات إلى تناقص عدد الطوائف المسيحية فى القدس بشكل كبير جداً .. وأبرز هذه الطوائف الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك والأرمن .. وطوائف مسيحية أخرى ، ويقف وراء الهدف من نزوح المسيحيين عن القدس هو نزوح المسيحية معهم وترك المقدسات المسيحية نهباً لليهود الإسرائيليين .. ولم يتوان رؤساء وأسقف ومطارنة الطوائف المسيحية عن مناشدة الحكومات والهيئات الدولية لمناصرتهم ضد إرهاب الإسرائيليين المتواصل ، إن ما عانته "القدس" المدينة وأبنائها المقدسين طوال ٣٠ عاماً من الاحتلال الصهيونى وما قدموه من تضحيات وفداء فى سبيل الحفاظ على الهوية والعقيدة وحماية المقدسات هو سجل مشرف لكل عربى ومسلم ومسيحى وسجل خذى وعار لأبناء صهيون .. سيرة هذه المدينة هى دعوة صريحة لكل عربى مسلم أو مسيحى ، للنهوض لفداء مدينة المقدسة بالمال والدماء ، فلا سبيل لنصرتها غير تحريرها كما حررها الناصر صلاح الدين الأيوبي منذ ٨٠٠ عام من أيدي الصليبيين ، ليعود إليها الأمن والسلام ولترتفع الأذان وتدق الأجراس بالدعاء والصلوات .



المحور الأول

القدس عربية رغم الأطماع الإسرائيلية

د. محمد سيد طنطاوى

شيخ الأزهر

إسلامية لحما ودهما

القدس مدينة عربية إسلامية لحماً ودماً ولا يمكن لأى قوة أن تغير من وضعها التاريخي كأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومنتهى مسرى النبی .. وبداية معراجہ إلى السماء .. وهى أمانة فى أعناق المسلمين جميعاً .. والتاريخ شاهد صدق على أنها مدينة إسلامية عاشت فى ظل الحكم الإسلامى وتمتع فيها أصحاب الديانات السماوية بكل حقوقهم فى ممارسة شعائرهم المقدسة .. وسوف تظل القدس هى قضية العرب والمسلمين الأولى حتى يتم تحريرها وإعادة تراثها إلى سابق عهدها رغم كل المحاولات الإسرائيلية الرامية إلى تزييف تاريخها عن طريق ترويع الأباطيل .. ولابد من استردادها طوعاً أو كرهاً .

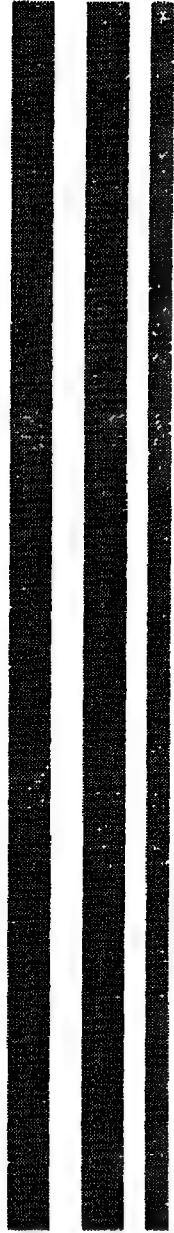
إن تضامن العرب والمسلمين من أجل ذلك « فرض عين » ولذلك وجب على المسلمين فى كل بقاع الأرض شعوباً وحكاماً أن يقدموا الدعم للشعب الفلسطينى .. المكلف الأول بالدفاع عن المدينة المقدسة .. كذلك يجب دعم المفاوض الفلسطينى أثناء عمليات السلام ، لأن هذا من شأنه أن يجعله أكثر صلابة وتمسكاً بجميع حقوقه المشروعة ، وذلك فى سبيل إستعادة القدس ذلك الواجب الذى لا يتحمله الفلسطينيون وحدهم بل هى مسئولية المسلمين جميعاً .

إننى مع السلام العزيز العادل الذى يأتى من مركز قوة وضد أى صلح يكون فيه ضرراً أو إذلالاً أو إنتقاصاً من حقوق المسلمين فهذا غير مقبول بالمرّة والشریعة ترفضه وتحاربه وولى الأمر هو المسئول عن ذلك والقرآن الكريم يقول: ﴿ وإن جنحوا للسلم

فاجنح لها وتوكل على الله ﷻ .. أما الممارسات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني المسلم فهي تعكس تاريخهم المليء بالدماء والغدر والعدوان على مر التاريخ وهذه الصفات قد أكدها القرآن الكريم ، ولذلك فلإن السعى فى الحصول على الحقوق المغتصبة لا بد من قوة تحميه ولا بد أن يستبسل أصحاب الحق فى الدفاع عنه حتى الموت .. ويجب على العالم كله التصدى للممارسات الإسرائيلية ، وخاصة الشعوب المسلمة ، لأن هذا التصدى يمنع الظالم عن مواصلة ظلمه وإلا حلت علينا جميعاً المصائب والويلات .

وإننى أرى أن كل تبادل تجارى يقوم على تكافؤ الفرص وعدم الضرر بالمسلمين لا بأس به وقد ثبت أن الرسول ﷺ توفى ودرعه مرهون عند يهودى .. ولكننى ضد أى علاقة تضر بكيان المسلمين ومعتقداتهم ومقدساتهم ، كما أننى لن أقوم بزيارة إسرائيل إلا بدعوة من الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات أو الحكومة الفلسطينية بعد تحرير القدس إن شاء الله .

* * *



الشيخ : جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر الراحل



عربية إسلامية

إسرائيل هي إسرائيل منذ أن خططوا للوضع القائم والموقف العربى والإسلامى متهاون فى حق نفسه وأرضه وعرضه ، إن ما تفعله إسرائيل فى القدس وغير القدس لا سيما بعد توقيع إتفاق أوسلو الذى كان ينتظر أن توقف إسرائيل معه العدوان بأشكاله المختلفة على الأرض والناس ولكن ما حدث كان العكس فلقد اشتد القهر وجرى طرد الناس من بيوتهم وهدمت وصودرت الأراضى من القدس مخالفين بذلك إتفاق أوسلو الذى أرجأ موضوع القدس إلى المرحلة الأخيرة من المفاوضات .. بما يعنى أن القدس تظل على الوضع الذى كانت عليه وقت الإتفاق ، ومن ثم فما قامت به إسرائيل من إجراءات جغرافية وسكانية فى القدس لتغيير معالمها هى إجراءات باطلة وعلى العرب وخصوصاً الفلسطينيين الذين وقّعوا أن يبادروا فى أخذ الاجراءات التى تمكنهم من وقف أى عدوان على أراضى القدس وممتلكاتهم.

إن إسرائيل تمارس إجترأاً على الحق والقانون وهو أمر يدعو للمعجب ، إذ كيف تكون المفاوضات جارية بينما تمتد الأيادى اليهودية لاغتصاب الأرض ويشتد خاصة فى تلك البقعة ذات الأثر فى النزاع .. إن اللوم لا يوجه إلى إسرائيل لأنه لم يعد يجدى معها اللوم ، ولكن يرد إلى تساؤل : أين المجتمع العربى والإسلامى والدولى ؟ وإذا كانت الأمم المتحدة وهبئاتها تقف عاجزة ولا تتحرك لمجابهة مثل هذا العدوان الصارخ على أحب جزء فى الأراضى المقدسة ، ثم فأين الجهد الجماعى للعرب والمسلمين .

مطلوب من العرب والمسلمين سرعة التحرك لاستنهاض المنظمات الدولية لتقف ضد هذا العدوان .. ثم أين منظمة المؤتمر الإسلامى ؟! وأين موقفها من مساندة قضية القدس ؟ التى يحمل لها العالم كله كل إعتراز ويحافظ عليها واقعياً من هؤلاء الذين لا يراعون عهداً ولا وعداً ، الذين نقضوا كل الوعود والعهود فى تاريخهم الطويل لاسيما منذ أن استوطنوا فلسطين ، إن الأمر جد أيها العرب والمسلمين وإن لم تنهضوا للوقوف ضد العدوان على القدس فإلى أن يأتى السلام والمفاوضات حولها لن تكون هناك قدس نتفاوض حولها .. ولابد من وقوف العرب والمسلمين والعالم ضد أية تغييرات تحدث فى القدس بحيث يبقى الحال فى القدس على ما كان عليه إلى أن يعاد التفاوض بشأنها مع الفلسطينيين هذا ما ينبغى أن تقوم به أمريكا ، حتى يثق بها الناس كراعية للعهود والوعود وعليها حتى تحكم بين المتنازعين أن تتوخى العدل والإنصاف .

القدس لها منزلة عظمى فى نفوس المسلمين ، ولكنهم يحجمون الآن ويحجبون أنفسهم عن زيارتها والصلاة فيها ترقباً لتحريرها .. وما يقع فيها لا يمكن أن نطبقه فاليهود يخترقون حرمة المسجد ويعطلون الصلاة ويقومون بعمل حفريات حول المسجد وأسفله الأمر الذى يوحى بأن إسرائيل تستهدف إزالته وهذا أمر يجب أن يفكر فيه المسلمون طويلاً وكثيراً وأن يعملوا على حراسته بأجسادهم .

الأمر الآن أمر القيادات الإسلامية والعربية ، فالشعوب العربية والمسلمة فى لهفة لعمل يجمع الأمة لتقف فى وجه هذا التحدى الموجه إليها ، بعد أن اتضح موقف بعض الدول مثل الولايات المتحدة وغيرها ، التى تظاهر إسرائيل علناً وتترك المعتدى فى البوسنة والهرسك والشيشان يفعل ما يشاء بالإنسان والأرض والعرض ولا بد من وقفة عربية وإسلامية حتى يظهروا أنهم أمة لها كيان .. وينبغى أن يفكر الزعماء المسلمون ولهم منظمة المؤتمر الإسلامى وعليهم أن يتحركوا من خلالها ويكونوا يداً واحدة وصوتاً واحداً ، يتجاوز كل الخلافات الموجودة أياً كان قدرها ، وإلا سيكون مصير هذه الأمة .. والقدس مصيراً نرجو ألا يكون .. وبقاء القدس فى أيدي الفلسطينيين أمر حتمى ، لتظل مفتوحة للجميع .. وينبغى أن تشغل هذه القضية كل الجهات الدولية سواء سياسية أو قضائية لحسم النزاع وإعادة الحقوق لأصحابها ، ويبدو أن مسيحى الغرب مهتمون بالأمور المتعلقة

بالقدس من الناحية التاريخية والعقائدية لكن ابن الشرق يعرفها ويعرف تاريخها وهناك ارتباط قوى عند الشرقي بهذه المدينة سواء مسلماً أو غير مسلم ، هذه القدس التى شرفت بإسراء الرسول ﷺ إليها مصلياً فى مسجدتها إماماً لرسول الله وأنبيائه ، ثم كان معراجها منها إلى حيث كرمه الله فأراه من آياته الكبرى، هذه مأساة المسجد الأقصى ومسجد القبة المشرفة ، إنها قضية كل مسلم على وجه الأرض ، وليست قضية العرب وحدهم .. وإن كان عليهم عبؤها ، إن العمل من أجل حماية القدس ومسجدها الأقصى ، وكل آثارها الإسلامية وأهلها فريضة قطعية على كافة الدول والشعوب الإسلامية وإن مسجدتها ثالث الحرمين الشريفين تشد إليه الرحال فأين نحن المسلمين مما يجرى فى القدس ؟! أين نحن المسلمين مما يراد للمسجد الأقصى وقبة الصخرة والآثار الإسلامية .. والإعتداء المستمر على هذا الحرم ؟! أين نحن من هؤلاء البغاة الطغاة الذين استمروا صمت المسلمين وقعودهم عن حماية مقدساتهم ؟!

ألم يأن لنا أن نجتمع الشمل ، ونجتمع على أمر ننقذ به أرضنا ونحمي به عرضنا؟ نعم .. أن الألوان لتجميع الصفوف وتوحيد الكلمة . وجمع شمل الأمة الإسلامية . أن الألوان لأن نعرف العدو والصديق . وأن نتصادق ونتآخى بدلاً من الصراع والخلاف ، وأن نتصافى ونتعاضد بدلاً من التباغض والتباعد والاختلاف ، أن الألوان لتراجع المواقف التى أدت بنا إلى الخسران وأوقعتنا فى المهالك . أن الألوان لننظر إلى حراس المسجد الأقصى ، وما يقاسونه فى سبيل الدفاع عنه بأجسادهم فقد جردوا من كل سلاح ، مع أن عدوهم قد تزود بكل الأسلحة المهلكة ، وأخسها الغدر والخيانة .. أين المساعدات لهؤلاء الحراس حتى يقيموا البنيان ويصدوا العدوان ؟! ألا نحمى ديارنا ، ألا ندافع عن حوزتنا وإخوتنا الذين قال قائلهم : إن وطنهم الآن حقائبهم ، ألا ننهض معهم حتى يستردوا قدسهم وأرضهم ؟! فما بالناس نصايح بالشروع وعظام الأمور فيما بيننا .. ولا نتنادى إلى الدفاع عن قدسنا ومقدساتنا ووجدتنا !! ثم ما بالناس نصمت وأجزاء من جسد المسلمين تبتتر ، وأرضهم تسلب ومقدساتهم تنتهك ؟! ما بال المسلمين لم يفيقوا لما يراد بهم ؟!



قداسة البابا شنودة

بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية



فى الكتاب المقدس

القدس أول ما عرفنا عنها فى الكتاب المقدس كان منذ أيام ملكى صادق ملك
سالم المعاصرة لأبينا إبراهيم أبى الأنبياء وكلمة سليم معناها سلام ثم صار اسمها
أورشليم وفى الكتاب المقدس يسمونها المدينة المقدسة ، وأحب أن أقول أن هذه المدينة لها
مكانة كبيرة فى قلب كل مسيحى حيث عاش فيها السيد المسيح وأيضاً تأسست فيها أول
كنيسة مسيحية فى العالم ، وبدأت فيها المسيحية بواسطة تلاميذ المسيح القديس بطرس
والقديس بولس والقديس يوحنا ، ولكن أورشليم أقصد ولكن اليهود فى أورشليم
اتخذوا المسيحية والمسيحيين إلى أبعد الحدود وفيها سفك دم أول شهيد مسيحى وهو
القديس اسطفانوس وقال السيد المسيح عن أورشليم وأقصد أيضاً اليهود فى أورشليم يا
أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع بنيك
كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم ترد وهو ذا بيتكم يترك لكم خراباً وفعلاً
خرب الهيكل فى سنة ٧٠ ميلادية على يد تيتوس الوالى الرومانى وبدأ المسيحيون يعمرن
هذه المدينة من جديد وبنيت كنائس وكاتدرائيات فى كل مكان له ذكرى مقدسة فى قلوب
المسيحيين ، وأصبح لكل كنائس العالم تقريباً أماكن مقدسة فى أورشليم وفى البلاد
المقدسة بل كثير من الكنائس صار لها بطاريكيات ومطرائيات ومزارات كثيرة ، بل إن كل
شبر وطأه السيد المسيح كانت له قدسيته وكل حادثة تاريخية وردت فى الكتاب المقدس
كان لها كنائسها وظلت عامرة بهذا الشكل ليس فقط فى مدينة أورشليم إنما فى كل أماكن

الأراضي المقدسة فى بيت لحم حيث ولد المسيح وفى الناصرة حيث نشأ وسمى بالناصرى وفى أريحا وفى مجدل وفى بيت عنيا وفى الرامة وفى غير ذلك من البلاد ثم حكمها العرب سنة ٦٤٢ ميلادية طوال القرون التى مرت علينا ثلاثة عشر قرناً من الزمان ثم جاء اليهود وبدأوا يدعون أنها مدينتهم وإنها عاصمتهم وأنهم يحتفلون بمرور ٣٠٠٠ سنة ، أريد أن أشرح هذا الأمر من نظرة المسيحية إلى هذا الموضوع .

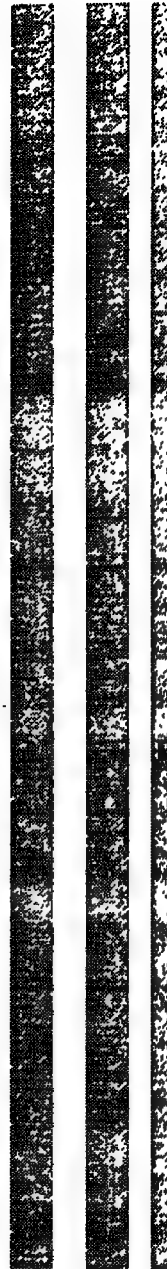
اليهود يسمونها أرض الموعد ويقولون أنهم عاشوا فيها بوعد من الله وأنا أقول إنهم جاءوا إليها ليس بوعد من الله وإنما بوعد من بلفور . أقول إن اليهود يقولون أن لهم وعد من الله لم يحدث إن شعباً غضب منه الله مثلما غضب من اليهود سفر التثنية اصحاح ٢٨ ، يقدم الله بركات لمن يطيعون الوصايا من هؤلاء اليهود وبركات لباقي الناس ثم لعنات لهم إذا بعدوا عنه وإذا لم يحفظوا وصاياه ومنها فى سفر التثنية اصحاح ٢٨ آية ٢٥ من لعنات مخالفي الناموس " تكون منهزماً أمام أعدائك فى طريق واحد تخرج عليهم وفى سبع طرق تخرج أمامهم وتكون قلقاً فى جميع ممالك الأرض " فما الذى حدث ، الذى حدث أن هؤلاء الناس عبدوا الأصنام حتى فى أيام موسى النبى لما تأخر موسى النبى أياماً على الجبل مع الله نحتوا عجلاً ذهبياً وسجدوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أخرجتك من أرض مصر أعنى هذا العجل الذهبى وغضب الله عليهم ، غضباً شديداً وأمر أنه ولا واحد من هؤلاء يدخل إلى أرض الموعد ثم بعد ذلك بدأ داود النبى يتخذها عاصمة له ، هذا تقريباً فى القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد الذى يتحدثون عن تاريخ ٣٠٠٠ سنة بالنسبة إليه وأيضاً قال الله لداود أن حفظ بنوك طرقى فإن بنيهم يجلسون على كرسيك ولم يحفظ بنوه طرق الله ولذلك انقسمت الدولة بعد سليمان مباشرة رجوعاً فى يهوذا ويربعام استقل بعشرة أسباط وعبد الأصنام وظل فى سياسة عبادة الأصنام إلى نهاية الأيام كلها ثم مملكة يهوذا أيضاً وقعت فى عبادة الأصنام كذلك وغضب الله عليهم ، لدرجة أنه قال لأرميا النبى لا تصلى من أجل هذا الشعب ولا ترفع من أجلهم طلبه فإننى لا أسمع لك وازدادت عبادة اليهود للأصنام وبخاصة فى أيام آخاب الذى وجد فى عهده ٨٥٠ نبياً للبعل وللسواري تخلص منهم إيليا النبى ثم خلفاء آخاب وبخاصة الملك منسى والملك هويقين وهواحاز وازداد غضب الله لدرجة أنه دفعهم إلى أيدي الأعداء دفعهم إلى بابل وآشور فسبواهم هناك وتحطمت أورشليم هذه المرة الأولى كل هذا

قبل المسيح وبقوا فى السبى ٧٠ سنة ، كانت هناك وعود من الله أن يعودوا إلى أرضهم والقصد أن يعودوا من أرض السبى إلى بلاد اليهودية وتحقق ذلك فى عهد نحميا وعزرا وظرو بابل وفى عهد ملوك الفرس كورش واحشويرش وارتخشستا ، بقى اليهود أيضاً بعيدين عن الله إلى أن جاء قول المسيح " هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً " وخربت أورشليم سنة ٧٠ ميلاديا فى التخريب الثانى الذى شتت به اليهود فى أجزاء الأرض كلها ولم تعد لهم دولة فيما بعد سنة ٧٠ ميلادية إلى الأيام القليلة الماضية أما فكرة شعب الله المختار فقد انتهت ، الله اختار إناساً أيام الوثنية وعبادة الأصنام ولم يكن غيرهم يعبد الله أما الآن فهل من المعقول أن الله يترك آلاف الملايين الذين يعبدونه ويتخصص فى ثلاثة ملايين احتلوا أرض فلسطين لا يمكن .

فى المسيحية عبارة أرض الموعد ترمز إلى السماء وهذا هو وعد الله لنا أن نسكن فيها إلى الأبد... إذن ما هو الأساس الدينى لإسرائيل ، إن كان من جهة الوعد فهو بين طرفين وله شروط أخلوا بالشروط فانتهى الوعد... أما إن كان من جهة الدين فأحب أن أقول أنه لا توجد حياة دينية كما أمر الرب موسى ، أيام موسى النبى كان الغفران مرتكزاً على تقديم الذبائح والمحرقات أما الآن فلا ذبائح ولا محرقات ولا يوجد عمل للكهنوت فى إسرائيل ولا توجد النار المقدسة التى كانوا يحرقون بها الذبائح ولا يوجد الأوريم والتسيم ولا يوجد الحكم فى أوقراط إلى الله بينهم عن طريق الأنبياء إذن ما هى الحياة الدينية ، تبقى السياسة ، السياسة تتلخص فى أنهم احتلوا فلسطين واحتلوا الأراضى العربية ثم بدأوا يتكلمون عن السلام فى ظل هذا الاحتلال ، السلام الحقيقى لا يأتى بإخضاع الغير والسلام الحقيقى لا يأتى بالتهديد ولا بفرض القوة العسكرية ولا باستخدام الأسلحة النووية المدمرة بل إن بقاء هذه الأسلحة يشعر بالتخوف من المستقبل ويشعر بعدم الثقة بهؤلاء الناس لماذا يقولونها إذا ! إلا لو كان فى نيتهم فكر اعتداء جديد أو فكر حماية الاحتلال بالقوة .. سألهم معنى السلام وأرض الموعد التى وعد بها الله قال إنها أرض تفيض لبناً وعسلاً ، أما الآن فإنها أرض تفيض دماً ورصاصاً وتفيض حجارة من الجانب الآخر ، أين السلام ؟ ليس السلام هو إخضاع الغير بالقوة لأنه سيبقى فى القلب محاولة للخروج من هذا النطاق ولا يضيع حق وراءه مطالب ، الحق يا إخوتى لا يضيع بالتقادم

ولا بفرض الأمر الواقع، من جهة الـ ٣٠٠٠ سنة ولست أرى ٣٠٠٠ سنة حكمها اليهود فى أورشاليم إطلاقاً، هؤلاء إتخذوها عاصمة أيام داوود النبي وسليمان وبعد ذلك انقسمت الدولة ودخلت عبادة الأصنام وحكمهم الفرس ثم اليونان ثم حكمهم البطالمة خلفاء الإسكندر ثم حكمهم الرومان واستمر الأمر هكذا إلى أن حكم الغرب فى منتصف القرن السابع الميلادى سنة ٦٤٢ ، فاستقرت الأمور بحكم العرب إلى أن حاولوا إضاعة هذا الإستقرار بالإحتلال الجديد فأى ثلاثة آلاف سنة هذه إن كان على تأسيس المدينة فقد تأسست قبل الثلاثة آلاف منذ أيام ملكى صادق من أيام أبينا إبراهيم من قبل داوود بمراحل ، نحن نريد السلام وليس غير السلام ثم جاء مبدأ السلام مقابل الأرض ثم صاروا ينادون بمبدأ السلام والأرض معا ، ولعل تهافت بعض العرب على هذا السلام جعلهم يفرضون شروطهم ، نحن ندين اعتداءاتهم على أرض فلسطين وعلى الدول العربية الأخرى ولا نقبل لفلسطين إلا أن تكون دولة مستقلة ذات سيادة تحكم نفسها بنفسها .

كل ما فكرنا فيه أثناء إتفاقية غزة وأريحا أن هذه مجرد خطوة أولى تعقبها خطوات ولكننا لم نجد هذه الخطوات بل وجدنا تنكراً للإتفاقيات السابقة . السلام الحقيقى يعطى لكل ذى حق حقه ونحن كرجال دين نطالب بالحق وكرجال دين نطالب بالعدل ونرى أن الوجود الإسرائيلى بهذا الشكل ووقوفهم ضد حقوق فلسطين نراه ضد الحق وضد العدل وضد قرارات مجلس الأمن وضد قرارات الأمم المتحدة وضد قضية السلام التى يتكلمون عنها نرجو من الله إله السلام أن ينشر السلام على الأرض ونرجو من الله الذى الحق هو اسمه أن يعطى كل ذى حق حقه .



د. أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر بالقاهرة



منزلة الثيرة

لقد سجل القرآن الكريم ، مكانة القدس ، حين وضع أن الله سبحانه وتعالى أسرى بعبده وحبيبه سيدنا محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، حيث قال جل شأنه : ﴿ سبحانه الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ .

وسمى بالمسجد الأقصى ، لبعده ما بينه وبين المسجد الحرام وكان أبعد مسجد عن أهل مكة فى الأرض يعظم بالزيارة ، والمراد بالبركة المذكورة فى الآية الكريمة ، فى قوله تعالى : ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ هى البركة الحسية والمعنوية ، فأما الحسية فهى ما أنعم الله تعالى به على تلك البقاع من الثمار ، والزروع والأنهار ، وأما المعنوية فهى ما اشتملت عليه من جوانب روحية ودينية ، حيث كانت مهبط الصالحين ، الأنبياء والمرسلين ، ومسرى خاتم النبيين وقد دفن حول المسجد الأقصى كثير من الأنبياء والصالحين ، والمسجد الأقصى : هو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى " رواه أحمد البخارى .

ومعنى هذا الحديث : أنه لا يسافر أحد لمسجد للصلاة فيه إلا لهذه المساجد الثلاثة ، لأنه لا يسافر أصلاً إلا لها ، وقد بنى المسجد الأقصى بعد المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما جاء فى الحديث الصحيح : عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أولاً ؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهم ؟ قال : أربعون سنة وأينما أدركت الصلاة فصلى فهو مسجد

رواه مسلم .. وللمسجد الأقصى مكانته الجليلة في الإسلام ، فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين .

روى الطبري في تاريخه ، عن قتاده قال : كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة وبعد ما هاجر رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً.. وما يدل على فضل بيت المقدس ومكانته ، أنه أرض المحشر والمنشر . وعن ميمونه مولاة .. رسول الله ﷺ قالت : قلت : يا رسول الله افتنا في بيت المقدس ؟ قال " أرض المحشر والمنشر أثنوه فصلوا فيه ، فإن الصلاة فيه كآلف صلاة في غيره " رواه ابن ماجه .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " من أراد أن ينظر إلى بقعة من الجنة فلينظر إلى بيت المقدس " .

وفي مدينة القدس عدد كبير من الصحابة والتابعين ، منهم الصحابي الجليل عبادة بن الصامت وشداد بن قوس ، فهي مهد النبوات والشرائع ، والرسل الذين وجدوا هناك في هذا العصر ، ولقد كان المسجد الأقصى قبلة لهم ، وهذا كله يمثل البركة الدينية التي أحاطت به ، وأما البركة الدنيوية : فكثرة الأشجار والأنهار وطيب الأرض ، وهذا ما يراد بقوله تعالى : ﴿ الذي باركنا حوله ﴾ .

وروى أن الذي أسس المسجد الأقصى هو يعقوب ابن اسحق عليه السلام بعد بناء إبراهيم الكعبة ، وقد قام سليمان عليه السلام بتجديده ، وقد أشكل ذلك ، لأن باني البيت الحرام إبراهيم عليه السلام وباني المسجد الأقصى داوود وابنه سليمان بعده ، وبينهما مدة طويلة تزيد على الأربعين التي ذكرت في الحديث المروي في الصحيحين عن أبي ذر رضى الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض ؟ فقال المسجد الحرام ، قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً ثم الأرض لك مسجد ، فحيثما أدركت الصلاة فصل فيه فإن الفضل فيه .

وأجاب عن هذا الإشكال أبو جعفر الطماوى في شرح معاني الآثار : بأن الوضع غير البناء ، والسؤال في الحديث السابق عن مدة ما بين وضعهما لاعتدال مدة ما بين بنائهما فيحتمل أن يكون واضح الأقصى بعض الأنبياء قبل داوود وسليمان ، ثم بنياه بعد ذلك ،

وللمسجد الأقصى إرتباط وثيق بعقيدتنا وله ذكريات عزيزة وغالية على الإسلام والمسلمين ، فهو مقر للعبادة ، ومهبط للوحي ومنتهى رحلة الإسراء ، وبداية رحلة المعراج .

وقد مر الرسول ﷺ فى رحلته إلى المسجد الأقصى بالبقعة المباركة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام ، وهى طور سيناء فصلى بها ركعتين .. ومر بالبقعة المباركة التى ولد فيها عيسى عليه السلام ، وهى : " بيت لحم " فصلى بها ركعتين ، ثم وصل إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى جمع من الأنبياء والرسل فصلى بهم جميعاً ، ثم عرج به إلى السماء فرأى من آيات ربه الكبرى .. ولما عاد رسول الله ﷺ من هذه الرحلة المباركة ، وأخبر قومه ، وكان منهم من صدق ، ومنهم من كذب ، وذهب بعضهم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأخبروه ، فما كان جوابه إلا أن قال لهم .

والله لئن كان قوله لقد صدق ، قالوا : تصدقه على ذلك ؟ قال : إني أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه على خبر السماء ، وقد تمادى القوم فى لجاجهم وحوارهم ، يسألون الرسول ﷺ فى تعنت عن بيت المقدس ، ومنهم من كان قد رآه ، وظنوا أنهم بهذه الأسئلة سيوقعون الرسول ﷺ فى حرج ، ولكنه هو المؤيد من قبل ربه ، وقد وصف لهم بيت المقدس وصفاً كاملاً فى غاية الدقة ، وأخبرهم عن آياته ، يقول الرسول ﷺ : " فجعلت أخبرهم عن آياته ، فالتبس على بعض الشيء فجلى الله لى بيت المقدس ثم جعلت أنظر إليه دون دار عقيل ، وأنعته لهم " فقالوا : أما النعت فقد أصاب وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه - كلما وصف لهم الرسول ﷺ وصفاً - يقول : صدقت أشهد أنك رسول الله ثم أخبرهم عن غيرهم ، وعن أحمالها ، وعن دقائق الملابس ووصفها أكمل وصف ، وقال لهم تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس ، وفيها فلان وفلان ، يقدمها جمل أورك عليه غرتان محيطتان ، ومع وضوح الأدلة فقد لج القوم فى عنادهم ولم يصدقوا تلك المعجزة الواضحة فقد طمس الله على أبصارهم وبصائرهم ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ وفى رحلة الإسراء والمعراج فرض الله سبحانه وتعالى الصلاة ، وهى الصلة القوية بين العبد وربّه وكانت القبلة آنذاك هى صخرة بيت المقدس حيث أمر الرسول ﷺ باستقبالها وكان بمكة يصلى بين الركعتين فتكون بين يديه الكعبة

وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة تعذر عليه أن يجمع بينهم ، عندئذ أمره الله تعالى أن يتوجه إلى بيت المقدس واستمر على ذلك نحو ستة عشر شهراً ، وكان يدعو ربه ويبهتل إليه أن تكون وجهته إلى الكعبة قبله إبراهيم عليه السلام ، فأجيب إلى ذلك ، وأمر بالتوجه إلى البيت الحرام ، فخطب الناس وأعلمهم بذلك ، وكانت أول صلاة : صلاة العصر ، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعلمون ﴾ .

وعن البراء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان قد صلى معه فمر على أهل المسجد ، وكانوا راكعين فقال :

أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذى قد مات على القبلة أن تحول رجالاً قتلوا لم ندر ما تقول فيهم فأنزل الله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ .. وما يؤكد عاطفة المسلمين نحو القدس الشريف كواحد من أهم معالم الإسلام أنه قد أسرى الله برسوله ﷺ ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام دخل المسجد الأقصى وصلى فيه ، ففي رواية أنس رضى الله عنه :

"..... ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن " فقال جبريل :

" أخذت الفطرة " وقال الإمام النورى رحمه الله : المراد بالفطرة هنا : الإسلام والإستقامة .

وفى رواية ابن مسعود : ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكم وساجد ، ثم أذن مؤذن ، فأقيمت الصلاة ، فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدي جبريل ، فقدمنى فصليت بهم .

وفى رواية أبى إمامة - عند الطبرانى - ثم أقيمت الصلاة ، فتوافقوا حتى قدموا
محمد ﷺ .

فصلى إماماً بالأنبياء جميعاً فى المسجد الأقصى ، ولقد أطلع الله سبحانه وتعالى
رسول الله ﷺ فى هذه الرحلة المباركة على نماذج لثواب الطائعين ، وعقاب العاصين ،
ومن هذه النماذج ما رآه من ثواب المجاهدين فى سبيل الله : "مر على قوم يزرعون
ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عادوا كما كانوا ، فقال لجبريل عليه السلام : ما هذا ؟
قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف الحسنة إلى سبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من
شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين " رواه الطبرى .

وفى هذا المشهد توضيح لمكانة الجهاد والمجاهدين ، وفى هذا النموذج المحسوس
لمثوية الجهاد ، تحبش فى نفوسنا عواطف الإيمان ، لتدفعنا لتطهير القدس الشريف
واسترداده ، وتطهير كل بقعة فى الوطن الإسلامى ، ولجihad من أجل إعادة الحق إلى
أصحابه الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، وكما قال
سبحانه وتعالى : ﴿ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ﴾ .. وقد اختارت الإرادة الإلهية أن
يكون الإسراء برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى ، وصلاً للحاضر بالماضى ،
وتقديراً لمنزلة هذه البقعة المباركة ، التى عاشت عمراً كبيراً تنتشر على ظهرها الهداية ،
وتستقبل فى رحابها النبوات .. وظل بيت المقدس مهبط الوحي الإلهى سنين عديدة " .

فلما عصى اليهود أمر ربهم ، وتكفروا لوحى السماء ، تحولت النبوة عنهم ،
وانتقلت إلى ذرية إسماعيل ، وتحولت بالتالى القيادة الروحية إلى خاتم الأنبياء والمرسلين .
فانتقل الرسول ﷺ إلى هذه البقعة المباركة تقديراً لإخوانه السابقين من الأنبياء
 والمرسلين ، وإعلاناً عن إكباره لهم وللدِين الذى انتشر نوره وسناه فى هذه البقاع
المباركة ؟ لأن الرسول ﷺ والمؤمنين ، يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، كما قال
الله سبحانه : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ .. ولقد جمع الله تعالى له الرسل السابقين ،
فاستقبلوه ، وصلى بهم إماماً وطبق الله فى ليلة الإسراء والمعراج وفى رحاب المسجد
الأقصى ذلك العهد والميثاق الذى أبرمه منذ القدم مع الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً

وَيَمْهَدُ بَعْضُهُمْ لِلْبَعْضِ ، وَأَنْ يُؤْمِنُوا بِمَنْ سِيرَ سِلْهُ لَهُمْ وَأَنْ يَنْصُرُوهُ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ .

وهكذا كانت إمامة الرسول ﷺ للأنبياء والمرسلين في هذا المكان المقدس إعلاناً ختمياً لرسالات السماء ، وإن رسالته خاتمة الرسالات ، ودستوره السماوي وهو القرآن ، كلمة السماء الأخيرة ، وأنه ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين .

وصلاة رسول الله ﷺ بالأنبياء ، لا ينافيها كون الأنبياء كانوا قد ماتوا من قبل ، لأن الذي أسرى هو الله الخالق القادر على كل شيء فهو القادر على تغيير بشرية الرسول ﷺ ليصلي بالأنبياء ، وهو القادر على تغيير قانون بشرية الأنبياء السابقين ليصلي بهم .. فما أراد الله تعالى حدث ، وبالكيفية التي أرادها رب العزة سبحانه وتعالى .. وفي هذا إعلان لعالمية الإسلام ، وإعلان بأنه التشريع الخاتم والرسول الذي ختم الله به الأنبياء والمرسلين ، وأن حادث الإسراء والمعراج ليضع في أعناق المسلمين في كل الأرض أمانة القدس الشريف ، وسيسأل الله تعالى المسلمين عن هذه الأمانة إن فرطوا في حقها أو تقاعسوا عن نصرتها وإعادتها .. فعلينا أن نوحّد جهودنا ، وألا نتفرّق ، لنكون بوحدتنا ، قوة إسلامية لا يستهان بها ، ولا تضعف في المطالبة بحقوقها فطريق الوحدة ومناشدة القوة ، هو طريق الحفاظ على مقدساتنا التي هي جزء من عقيدتنا وديننا . ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾

إن القدس مسرى خاتم الأنبياء ، وبوابة الأرض إلى السماء ، وأولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ولكم تعرضت إلى العدوان والتخريب ، فلماذا ؟ وهى الوطن الإسلامى ، ولولا الصفة الإسلامية للقدس وفلسطين ما كانت لتعانى كل هذه المعاناة ، ﴿وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله .. ﴾ .

لأنها مسلمة تحتل وتكثر المستوطنات اليهودية بها يوماً بعد يوم ؟

الآن شعبها مسلم يضطهد ويشرد ويتعرض للإبادة والتفكيك ؟ هل أصبحت هذه سمة البلاد والشعوب الذين يتعرضون لتهاون النظام العالمى ؟
فنى أمثال المعاناة فى البوسنة والهرسك والشيشان .

أقول : إن الجهاد فرض عين فى الدفاع عن القدس ، كما أنه فرض عين فى الدفاع عن البوسنة والهرسك والشيشان وكل وطن إسلامى على ظهر الأرض .. وفرضية الجهاد للدفاع عن الأوطان ليست مقصورة على ساكنى هذه الأوطان المسلمة أو المنهوبة فحسب ، بل إن فرضية الجهاد على جميع المسلمين فى كل الأرض ، والحكم الشرعى الذى قرره الفقه الإسلامى أن أعداء الإسلام إذا دخلوا بلداً يقيم فيه المسلمون فيجب الخروج لقتالهم ولا يجب لأحد أن يتخلى عن هذا الواجب ، قال الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا " رواه البخارى .

فإذا نادى الواجب المسلمين لتحرير أوطانهم ، ورفع العدوان عنها واسترداد الحق ، فإنه يجب عليهم أن يخفوا لتلبية هذا النداء وألا يتأقلوا ، قال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم أنفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل ﴾ .. لقد تكررت المأسى فى القدس الشريف من جراء انتهاك السلطات الإسرائيلية لحقوق هذه المدينة وحقوق الفلسطينيين ، حيث تعددت المجازر البشرية ، والاستمرار فى زيادة المستوطنات اليهودية ، كما تعرضت إلى حوادث الإحراق والعدوان على الأنفس والأموال واستهانت إسرائيل بالشرائع السماوية ، والمقدسات الدينية والحقوق الإنسانية ، وكانت لها ممارسات إرهابية فى المنطقة ، باشرت من خلالها كل وسائل العدوان والعريضة ..

ولما كانت القدس لها منزلتها الأثيرة فى قلوب المسلمين والمسيحيين والعرب جميعاً فهى مسرى رسول الله سيدنا محمد ﷺ ، وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وعاش فيها المسيح عليه السلام .. ولما كان السلام الشامل والدائم فى المنطقة رهناً بالتسوية العادلة والكاملة ، وإسترداد الحق إلى أهله ولما كانت القدس البلد الوحيد الذى عانى الأمرين وكان الشعب الفلسطينى أكبر من تحمل فى سبيل الدفاع عن وطنه من معاناة وقتل وتشريد وضياح فإننى أدلى بالتوصيات التالية :

- تأكيد الدعوة إلى إستمرار صمود المجاهدين من أبناء فلسطين دفاعاً عن الحق والشرعية ووقوف الدول العربية والإسلامية مع هذا الشعب المظلوم إسترداداً لحقه ، وإنتصاراً للشرعية والحق .
- الدعوة إلى توحيد القوى العربية والإسلامية والإنسانية عامة المحبة للسلام الواقفة بجانب العدل والحق ، فلا يضيع الحق إلا بضعف أهله ولا قوة لنا إلا في وحدتنا ، إستجابة لقول الله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ .
- تحريك الرأي العام الدولي .. بإظهار الحق ومناشدة الضمير الإنساني في كل الأرض لمناصرة الحق ومناهضة الباطل والظلم .
- مطالبة النظام العالمي بإيقاف الهجرة اليهودية ، وإيقاف المستوطنات وإسترداد الحق لأهله حتى يسود السلام الدائم والشامل .
- تضييد الجراح العربية والإسلامية بين الأشقاء العرب والمسلمين ، حتى تتم وحدة الصف والهدف ، وتقوى الأمة في مواجهة التحديات .
- مطالبة النظام العالمي ومجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي بتحقيق القرارات التي سبق أن أبرمت مطالبة بحقوق القدس وفلسطين والشعب الفلسطيني .
- دعوة الأمة أفراداً وجماعات وأئمة وشعوباً بتوثيق الصلة مع الله ، وتأكيد تطبيق التعاليم الإسلامية التي فيها إنتصار لدين الله مما يترتب عليه إنتصار مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ وقوله : ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ .
- تشكيل لجنة دولية تمثل أهم الشخصيات الدولية الذين يمكن أن يتابعوا الإنتهاكات والتطورات الحادثة على أرض القدس الشريف من جانب إسرائيل والتصدى لها .



د . أحمد شلبي

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة القاهرة



قيمة دينية وتاريخية

يعتبر قرار الكونجرس الأمريكى بأن القدس عاصمة إسرائيل ، ونقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إليها عدواناً على القيم الدينية وعلى تاريخ المدينة المقدسة عبر الأجيال المتوالية عليها ، الأمر الذى يجب أن نحفظ فيه تاريخ هذه المدينة ، وأن نذكر به أبناءنا إستعداداً ليوم انتصار الحق على أرض فلسطين ، وبيت المقدس أو القدس الشريف هو ثالث الحرمين بعد الحرم المكى والحرم المدنى ، وهو أولى القبلتين ومسرى الرسول محمد (ﷺ) ، ومنه بدأ المعراج .. وتقع القدس وسط فلسطين ، فوق تل صخرى يبلغ إرتفاعه عن سطح البحر ٧٦٤ متراً ، وتبعد القدس عن مدينة يافا بحوالى خمسة كيلو مترات ، وتحيط بها عيون كثيرة تتفاوت فى غزارة مياهها ، والقدس القديمة تضم آثاراً دينية ترتبط باليهودية والمسيحية والإسلام ، فهى غنية بارتباطاتها بالعهد القديم والعهد الجديد وتكثر بها المعابد والكنائس التى تتصل بأحداث التوراة والإنجيل وبشخصيات هذين الكتابين .

ومن أخطر ما يدعيه اليهود من آثار بها ما يسمى " حائط المبكى " وهو الحائط الغربى للمسجد الأقصى ، فاليهود يرون أن هذا الحائط هو أحد أسوار هيكل سليمان ويدل على كذب هذا الإدعاء أنه كان قد ظهر فى أثناء الإنتداب البريطانى على فلسطين ، ومع إنحياز بريطانيا لليهود فإن القضاء البريطانى حكم سنة ١٩٣٠ بعدم صحة هذه المزاعم وبعض

اليهود يخففون هذا الإدعاء فيرون أن جانباً من أحد جدران المسجد الأقصى بنى بأحجار أخذت من هيكل سليمان ، ويتجمع اليهود للبقاء على ماضيهم عند هذا الحائط ولذلك يسمى " حائط المبكى " .. أما الآثار المسيحية بالقدس فكثيرة جداً منها بستان جثيمانى الذى اختبأ فيه السيد المسيح وقبض عليه به ، ومنها وادى قدرون وجبل الزيتون وهو يواجه أسوار الحرم الشريف من الناحية الشرقية ، وهناك كذلك جبل بطن الهواء وهو امتداد لجبل الزيتون من الزاوية الجنوبية الشرقية للقدس ، وكنيسة القبر المقدس التى تقوم فوق جبل الجلجثة الذى يعتقد المسيحيون أن المسيح صلب عليه ، وهناك عدد كبير من الكنائس والأديرة التى تتبع مختلف الطوائف اليهودية والمسيحية .. أما المسلمون فيعظمون المسجد الأقصى الذى أسرى بالرسول إليه والذى ورد فى القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ﴾ سورة الإسراء - آية : ١ .

كما يعظمون قبة الصخرة وهى المكان الذى ابتدأ منه المعراج ، ويعظمون كذلك مجموعة كبيرة من المساجد التى بناها المسلمون عبر التاريخ ، وبخاصة مسجد عمر بن الخطاب .. ومن أهم الجبال التى تحيط بالمدينة جبل الزيتون موريا ، ومن أهم أوديتها وادى قدرون ووادى الجبانة ، وفى شمال المدينة القديمة يقع جبل اسكويس الذى شيد عليه اليهود مركزاً طبياً والمكتبة الجماعية والجامعة العبرية .

ويحيط بالمدينة سور بناه السلطان سليمان القانونى سنة ١٥٤٤ وبهذا السور عدة أبواب هى باب الجليل ، وباب المغاربة ويتجه نحو منخفض الجبانة ومنه تخرج الجنازات لدفن الموتى فى جبل الزيتون ، وباب دمشق ، وباب السلطان عبد الحميد وباب السلسلة .. والمسجد الأقصى هو أهم المعالم الإسلامية فى القدس ومساحة هذا المسجد (٨٥) متراً طولاً و (٥٥) عرضاً ويقوم على (٥٣) عموداً من الرخام ، و (٤٩) سارية من الحجر وفى داخله عند الزاوية القبلىة مسجد عمر ، وإلى شماله يقع مقام الأبرعين .. ولهذا المسجد أحد عشر باباً أهمها الأبساط ، والخطة والأنبياء ، والقوائم ، والنظر ، والمتوطأ ، والسلسلة ، وهناك ثلاثة أبواب مغلقة هى باب الرحمة ، وباب التعزية وباب البراق .

أما مدينة القدس الجديدة فحافلة بالأبنية المهمة ذات الطابع الحديث غالباً .

تسمية المدينة في التاريخ

- مرت مدينة القدس بعدة عصور اختلفت خلالها تسميتها ، وفيما يلي أسماؤها عبر التاريخ :
- أور سالم أو يور سالم : كان اليبوسيون وهم بطن من العرب الكنعانيين أول من بنى هذه المدينة حوالى ألفى سنة قبل الميلاد ، وأطلقوا عليها : أور سالم أو يور سالم ، نسبة إلى أحد ملوكهم المسمى : سالم ، وهو الذى وسع المدينة وأعلى شأنها .
 - يوس : فى بعض فترات التاريخ القديم أطلق اليبوسيون عليها : يوس نسبة لهم .
 - أورشليم أو جروشليم أو جروشلم : عندما استولى داوود على المدينة أعاد لها الإسم القديم ببعض التحريف تبعاً للنطق العبرى الذى ينطق السين شيئا .
 - ايلياء كابتولينا : فى العهد الرومانى أصبح اسمها ايلياء كابتولينا نسبة للمعبد الوثنى الذى بناه أدريانوس .
 - أورشليم أو ايلياء : فى العهد المسيحى أطلق عليها الإسمان فأحيانا يطلق هذا وأحيانا يطلق عليها ذاك .
 - بيت المقدس أو القدس : فى العهد الإسلامى سميت بيت المقدس أو القدس .

فلسطين الإسلامية والقدس

وقد فتح المسلمون فلسطين أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وجاءت الدولة الأموية بعد الخلفاء الراشدين وفى عهد الدولة الأموية بنى عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة وبنى ابنه الوليد المسجد الأقصى الذى اتخذ اسمه من القرآن الكريم ، وفى عام ٧٥٤ أعاد الخليفة العباسى المنصور بناء المسجد الأقصى بعد أن تأثر البناء السابق بالزلازل .. وفى خلال العهد الطولونى بمصر ، وكذلك العهد الأخشيدى والفاطمى أصبحت فلسطين تابعة لمصر .

ودخل الصليبيون مدينة القدس سنة ١٠٩٩ وقتلوا المسلمين واليهود والمسيحيين الأرثوذكس ، وعاملوا الجميع بكل القوة والتجبر .

وفى سنة ١١٨٧ استرد صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس بعد انتصاره فى موقعة حطين ، وعامل المنهزمين بأقصى ما يمكن من الرحمة .. وعندما استعاد صلاح الدين القدس اتجه لتقديم أعظم هدية للمسجد ، وكانت هذه الهدية هى المنبر الذى كان نور الدين زنكى قد بدأ فى اعداده ، وكان هذا المنبر آية فى الفن والروعة ويعده الباحثون تحفة أثرية رائعة وأعظم منبر فى العالم الاسلامى ، وكان هذا المنبر مصنوعاً من خشب الأرز وخشب الأبنوس ، والعاج ، مع خيوط من الفضة ، وكانت صنعته بالغة الدقة فتماسك الأخشاب فيه بعضها مع بعض تم دون مسامير أو غراء ، بل بالتداخل والتعشيق الدقيق .. وبعد طرد الصليبيين من فلسطين عادت القدس تتبع مصر فى عهد الأيوبيين والمماليك .

وأصبحت فلسطين تابعة للأتراك العثمانيين المسلمين من سنة ١٥١٦ إذ كان العثمانيون قد سيطروا باسم الإسلام على أكثر الدول العربية .. وفى سنة ١٩١٩ احتل الانجليز القدس بقيادة الجنرال المبى وبقيت فلسطين تحت الإنتداب البريطانى ثلاثين عاماً أصدروا خلالها وعد بلفور سنة ١٩١٧ وأخذوا يهيئون البلاد لإحتلال الصهاينة .. وصدر قرار تقسيم فلسطين من الأمم المتحدة التى كانت ولا تزال خاضعة للغرب ، وذلك فى ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧ .

وتم إعلان قيام إسرائيل فى ١٥ / ٥ / ١٩٤٨ .

وفى يونيو الأسود سنة ١٩٦٧ احتلت إسرائيل القدس القديمة وضمتها للقدس الجديدة التى أنشأتها عقب سنة ١٩٤٨ .

اعتداءات يهودية على الأقصى

واليهود كما يكرهون الإسلام والمسلمين والعرب يكرهون كل ما يتصل بهؤلاء ، والحرب دائرة بينهم وبين الإنسان كما هى دائرة بينهم وبين المقدسات التى تهم ذلك الإنسان ولذلك سجل التاريخ صوراً من عدوان الصهاينة على المسجد الأقصى منذ سيطر هؤلاء الطغاة على مناطق فلسطين سنة ١٩٦٧، وسنرى فيما يلى بعض هذه الاعتداءات :

- فى أغسطس ١٩٦٩ تم عدوان شنيع على المسجد الأقصى ، فقد أشعل المجرم الأسترالى اليهودى (مايكل رومان) بإيعاز من جماعة الصهاينة نارا شديدة التهمت حوالى (١٥٠٠) متر مربع من مساحة هذا المسجد ، وهى تمثل ثلث مساحة المسجد الشريف ، وقد أتت هذه النيران على المعالم الأثرية التالية :

- ١ - منبر صلاح الدين الذى تحدثنا عنه من قبل .
- ٢ - قبة المسجد الخشبية المزخرفة بالزخارف الإسلامية المميزة .
- ٣ - مسجد عمر فى الداخل .
- ٤ - محراب زكريا وبعض الأقواس والأعمدة .

ومن الواضح أنه كان هناك إهمال شديد فى إطفاء هذه النيران والسيطرة عليها ، وكان ذلك بقصد أن تلتهم النيران أكبر قدر من المسجد والخدمات به . ولم تنزل عقوبة ذات بال بهذا المجرم الأثيم ، وكل ما حدث أنهم أعادوه إلى وطنه استراليا ، وربما كانت رحلته إلى استراليا رحلة متعة أعيد بعدها إلى إسرائيل الوطن المغتصب .

- وفى ديسمبر سنة ١٩٦٩ اقتحمت مجموعة من اليهود حرم المسجد الأقصى وقامت بالصلاة فيه ، وتكرر ذلك فى مارس سنة ١٩٧١ ، ولما اعترض المسلمون على ذلك أصدرت " روث أور " قاضية محكمة الصلح فى القدس قراراً بأحقية اليهود فى أداء طقوسهم الدينية فى المسجد الأقصى ، ولم يحل دون تنفيذ ذلك إلا ثورات عارمة قام بها المسلمون .

- فى ابريل سنة ١٩٨٢ قام اليهودى الأمريكى " هارى جودمان " باقتحام المسجد وإطلاق النار على المسلمين داخله .

- وفى يونيو ١٩٨٢ حاول (بول ليزنز) أحد أعضاء حركة كاخ أن يقوم بتفجير بعض المتفجرات فى الحرم .

وبالإضافة إلى ذلك يعلن كثير من اليهود أن مجرد وجود مسجد على هضبة المعبد هو تدنيس لها ، ولهذا لابد من تدمير المسجد الأقصى وقبة الصخرة وأى موقع إسلامى آخر فى هذه المنطقة .

إنها صبيحة نرفعها لولاة أمور المسلمين ، ولكل مسلم يغار على دينه ومقدساته أن يهب للدفاع عن المسجد الأقصى وعن المقدسات الإسلامية التى تقع الآن تحت سيطرة إسرائيل .

صراع فى أرض السلام

خلق وجود اليهود فى فلسطين صراعاً فى أرض نادى فيها السيد المسيح بالسلام ، ونشر فيها الإسلام أجنحة الحب والوئام وكان موقف اليهود متمشياً مع طبيعتهم التى لا تعيش إلا فى الصراع والظلام ، وقد نزلنا المارك معهم راضين أو كارهين ، ولكن حرب العاشر من رمضان - السادس من أكتوبر - كانت المعركة الوحيدة التى بدأناها بإرادتنا ، فعبّرنا إلى النصر مع قسوة الظروف التى أحاطت بهذه الحرب (المانع المائى والسد الترابى وخط بارليف والتابلم) وحققنا الكرامة والمجد على الرغم من عون الولايات المتحدة لريبتها إسرائيل ، ومما يدل على مدى هذا النصر ما جاء فى التقرير السنوى لمعهد الدراسات الإستراتيجية الدولية فى لندن أن حرب أكتوبر بسلاحها العسكرى والبترولى جعلت من العرب قوة هائلة ، ويقول التقرير أيضاً : إن حرب أكتوبر جعلت بقاء إسرائيل فى الأرض العربية ترفاً باهظ الثمن لن تقدر عليه بعد اليوم أبداً .

القدس فى العصر الحديث

وتبذل السلطات اليهودية أقصى الجهد لطمس المعالم الإسلامية بالقدس رغبة فى تهويدها ، فهى تعزلها عن باقى المناطق المحتلة ، وتمنع الفلسطينيين من دخولها ، وتدفع لها بعض اليهود ، وتقيم بها عمارات على نسق مغاير للملامح العربية والإسلامية وتحديث بالمدينة بعض الأعمال التى من شأنها تغيير مكانة القدس سياسياً وديمجرافياً ودينياً ، وقد احتجّت منظمة العالم الإسلامى ضد هذه الأعمال ، وجاء أخيراً زرع المستوطنات فيها ، وفى الوقت الذى تتطور فيه العواصم الإسلامية وتزدهر لمجد هذه العاصمة المقدسة تتراجع وينزل بها الضيم من المحتل الأثيم ، وستظل المعارك دائرة بين العرب وإسرائيل طالما وجد اليهود فى هذه المنطقة ، فاليهود لا يعرفون حياة السلام ، وأهدافهم فى الأرض العربية واسعة ، والعرب والمسلمون ملتزمون بالدفاع عن وطنهم ومقدساتهم وأجيال الحاضر والمستقبل يدركون هذه الحقيقة التى ينقلها جيل إلى جيل ، ولا بد لهذا الليل من آخر ، مهما تكن جسارة قرار الكونجرس الأمريكى باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل ونقل سفارتها من تل أبيب إلى المدينة المقدسة .

د . عبد الوهاب المسيري

خبير الدراسات اليهودية

للقدس أهميتها الخاصة عند المسلمين والمسيحيين واليهود نظراً لما تحتويه من آثار دينية ، وهذا ما يجعلها من أهم المراكز الروحية ومن أهم مراكز التوحيد ولكنها فى الوقت نفسه ذات أهمية جغرافية حيث تقع على تقاطع الطرق التى تربط جميع أرجاء العالم القديم بقاراته الثلاث وهذا ما جعلها (شأنها شأن فلسطين ككل) هدفاً لجميع القوى السياسية الدولية على مر العصور ، والاهتمام الصهيونى بالقدس والدعم الاستعماري للاستيطان الصهيونى فيها لا علاقة له بتطلعات اليهود الدينية التى يمكن الوفاء بها دون أى حاجة لتهود القدس وتوطين نصف مليون يهودى فيها وربطها بأنفاق وكبارى للمستوطنات التى تقع داخل نطاق ما يسمى " القدس الكبرى " ، بل إن كثيراً من اليهود المتدينين يشكون من أن تهويد القدس يتم فى إطار الإثنية اليهودية (اللادينية) وليس فى إطار الانتماء الدينى ، ولذا يلاحظ أن المدينة التى كانت ذات صبغة دينية واضحة (فى مقابل تل أبيب الشيطانية) بدأت تفقد طابعها الدينى وبدأت تتحول إلى مركز سياحى توجد فيه محلات الأشياء الإباحية على مقربة من حائط المبكى .

وقبل أن نتناول مكانة القدس فى الوجدان العربى اليهودى قد يكون من المفيد أن نتناول بشكل عاجل مكانتها فى الوجدانين المسيحى والإسلامى . ظلت للقدس - بعض الوقت - مكانتها الخاصة فى الوجدان المسيحى إذ كانت فلسطين تعد الوطن المقدس الذى ورثه المسيح لأبنائه المسيحيين ، ولم تكن القدس توصف بأنها صهيون اليهودية بل بأنها مدينة العهد الجديد المقدسة ، ولم تتضاءل أهمية هذه المدينة كمدينة مقدسة إلا بعد عام ٥٩٠ حين أصبح عرش البابا جريجورى العظيم هو مركز السلطة المسيحية وأصبحت لروما الخطوة على القدس وأصبح أسقف القدس يحتل المرتبة الخامسة فى السلسلة

الهرمية لهيئة الكهنوت الكاثوليكية ، ومع ذلك بقيت فلسطين (الأرض المقدسة) تغلغل في حياة وخيال مسيحيي العصور الوسطى وكانت الرحلة إلى الأرض المقدسة مطمح كل مسيحي مع ما قد يرافق ذلك من إغراء بالمغامرة والكسب الاقتصادي ، ومن مشاهد رائعة وكان من يزورونها يثيرون الرغبة لدى الآخرين لزيارتها ، ولا يزال للقدس مكانتها الخاصة في الوجدان المسيحي (رغم تراجع أهمية الحج على الأقل بالنسبة للمسيحيين الغربيين).

وللكنييسة القبطية موقف خاص من القضية فالحج لا يزال من الشعائر المهمة بالنسبة للأقباط ، ومع هذا أصدر البابا قراراً بتحريم أداء هذه الشعيرة طالما أن القدس تحت هيمنة الدولة الصهيونية وأهم الآثار المسيحية في القدس كنيسة القيامة التي تضم قبر السيد المسيح والكنائس المقامة على أحقاب طريق الآلام .

أما بالنسبة للمسلمين فيرجع إهتمامهم بالقدس إلى أنها مسرى الرسول (ﷺ) وأرض المعراج ولكونها مباركة (بنص سورة الإسراء) وبها أولى القبليتين وثالث الحرمين ، وكان المسلمون يتوجهون بالصلاة إليها حينما كان المسلمون بمكة قبل الهجرة واستمروا في التوجه للصلاة إلى بيت المقدس حوالى سبعة عشر شهراً حتى أمرهم الله تعالى بالتوجه إلى الكعبة ، وهناك أحاديث شريفة كثيرة تبين أهمية القدس ومكانتها عند المسلمين وقد اهتم بها الحكام والخلفاء المسلمون فأنشأت فيها المساجد والمقابر والزوايا والتكايا فضلاً عن السبل والأربطة والمدارس ، كما أوقف الكثيرون على القدس معظم مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى والحرم المقدس الذي يضم المسجدين ، وتشغل القدس (أورشليم في المصطلح الديني) مكاناً مركزياً في الوجدان اليهودي فبعد أن استولى عليها داود نقل إليها تابوت العهد ثم بنى سليمان فيها الهيكل ويطلق على المدينة اسم " صهيون " في الموروث الديني أما الشعب فهو " بنت صهيون " وهي تضم أيضاً " جبل صهيون وقبر وحائط المبكى " ، وقد أصبحت المدينة مركزاً للدين اليهودي يتجه إليها اليهود ويذكرونها في صلواتهم وخصوصاً في الاحتفال بعيد الفصح حيث يرددون " نلتقى في العام القادم في أورشليم " وهي المدينة التي كانوا يحجون إليها ثلاث مرات في العام .

وقد أحاط التشريع اليهودي والتراث الأجداد مدينة القدس بكثير من القوانين والأساطير ، وفي الأجداد توجد أوصاف مسرفة في مديح أورشليم وأهلها فهي على

سبيل المثال لا يضاهاها في حسننها مدينة أخرى وفي محاولة تفسير سبب سقوطها تلوام
الاجاداه أهلها وتلقى عليهم المسئولية فأهل أورشليم كانوا يحبون المال ، ويكره بعضهم
البعض ويكرهون العلماء ولم يقيموا شعائر السبت ، وجاء في الاجاداه أيضاً أن الإله
خلق أورشليم عند خلقه العالم وأنه أقام خيمة الاجتماع فيها وصلى متمنيا ألا يعصيه
أبناؤه وحببته أي أورشليم وهناك كذلك إشارات إلى أورشليم في العصر المشيخاني :
فستمتلى حدودها بالأحجار الكريمة وسيأتى اليهود ويأخذونها وسيضاف إليها آلاف
الحداثق وقد طورت القبالة هذه الأفكار حيث صورت أورشليم على أنها المكان الذى
سيفيضى فيه الخير من السماء ومنها يوزع على بقية العالم ، وهى بهذا الشخيانه أو الملكوت
الذى سيحكم العالم وتحيط التلال بالقدس حتى لا تصل إليها قوى الظلام (الجانب
الآخر في القبالة) ويقوم على حراستها ملائكة الشخيانه وأورشليم لا يفصلها أى فاصل
عن الإله وتصعد كل أدعية جماعة يسرائيل من خلالها كما أن أورشليم باعتبارها الملكوت
تلعب دوراً مهماً فى عملية الإصلاح (تيفون) إذ ستعلو جدرانها وتقترب من العرش
الإلهى وبهذا يعود التوازن للعالم ولعالم التجليات (سفىروت) والقدس هى إحدى مدن
فلسطين الأربع المقدسة التى يجب ألا تنقطع فيها الصلاة (إضافة إلى الخليل
وصفد وطبرية) .. ومع هذا تحرم اليهودية الحاخامية العودة إلى فلسطين (ارتس يسرائيل)
ومن ثم القدس إلا فى آخر الأيام وقد أحجم أحد كبار الحاخامات عن زيارة القدس وقطع
رحلته فى طريقه إليها خوفاً من أن يفسر الصهاينة رحلته هذه على أنها قبول لمبدأ العودة
اليهودية بأن تحول فكرة اللقاء فى القدس إلى فكرة معنوية تشبه فكرة العصر الذهبى
والحلم بالسعادة والفردوس ولكن الصهيونية فسرت الشعار الدينى تفسيراً حرفياً وحولته
إلى شعار سياسى ، وفى إطار هذا الفهم السياسى الضيق قام الإسرائيليون بتغيير الصلوات
واستبدلوا بالصيغة التقليدية فى الدعاء صيغة جديدة تقول : فى العام القادم نعيد بناء
أورشليم ولا يعترف السامريون بالقدس مركزاً للدين اليهودى فنانلس هى مدينتهم
المقدسة .

ولكن إلى جانب الوجدان الدينى يوجد التاريخ الميقن بكل نتوئه وحقائقه ومدينة
القدس هى حقيقة تاريخية تسبق الوجود العبرانى فى فلسطين بعشرات القرون واستمرت

بعدها بعشرات القرون الأخرى فقد كانت مركزاً للحضارة الكنعانية حيث كان اليوسيون هم أول من أقاموا فيها ملكاً واتخذوا فيها هياكل لألهتهم واعتبروها مدينة مقدسة حيث أقيمت فيها العبادات عند الصخرة المقدسة في عصور سحيقه في القدم ، كما يبدو من سياق النص التوراتي عن ملكي صادق ملك شاليم أنه كاهن الإله العلى وأنه كان يجمع السلطتين الإدارية والدينية فالمدينة إذن كانت مقدسة من قبل إبراهيم الذى يعود زمنه إلى نحو ١٩٠٠ ق.م وقد كتب حاكمها اليوسى فى عام ١٥٥٠ ق.م يستنجد بفرعون مصر من غارات الحابيرو وأصبحت المدينة خاضعة لنفوذ مصر فى عهد تحتمس الثالث فى عام ١٤٧٩ ق.م ولم يستول عليها داود (الذى حولها إلى عاصمة المملكة اليهودية المتحدة) إلا فى عام ١٠٤٩ ق.م أى بعد مرور مدة طويلة من سكنى العبرانيين فى كنعان وبعد وفاة سليمان أصبحت أورشليم عاصمة المملكة الجنوبية وحسب ، أما المملكة الشمالية فكانت عاصمتها شكيم (نابلس) .

وقد هاجمها ملوك المملكة الشمالية عدة مرات ودك الملك يواش حوائطها عام ٧٨٥ ق م واستولى فرعون مصر شيشاق (شيشنق) عليها بين عامى ٩٢٠ و ٩٣٥ ق م وخرب المدينة وحمل كنوز الهيكل والقصر كغنائم حرب وسقطت القدس فى يد الآشوريين فى عام ٧٢٠ ثم فى عام ٦٧٨ ق م وقام نبوخذ نصر بدك أسوارها فى عام ٥٨٦ ق م ثم استولى الفرس عليها فى عام ٥٣٨ ق م واحتلها الإسكندر الأكبر فى عام ٣٣٢ ق.م حيث تأرجحت السيطرة على أورشليم فى عهد خلفائه من البطالمة والسلوقيين وقد حاول الكاهن الأعظم ياسون أن يغير من طابعها ويؤغرقها تماماً ويحولها إلى مدينة يونانية تسمى "أنطاكية " فأسس فيها جيما نزيوم ، واندلع التمرد الحشمونى فى القدس ، فاستولى الحشمونيون عليها عام ١٣٥ ق م ودخل القائد الرومانى بومبى إلى القدس فى عام ٦٣ ق م وبعد اندلاع التمرد اليهودى الأول ضد الرومان استولى تيتوس على القدس وهدم الهيكل فى عام ٧٠ م وبعد التمرد الثانى (١٣٢ - ١٣٥) دمرها الرومان وأسسوا مكانها مستعمرة رومانية سميت " ايليا كابيتولينا " حرم على اليهود دخولها .. وبعد اعتناق قسطنطين المسيحية أصبحت القدس مدينة مسيحية وظلت كذلك حتى عام ٦٣٧ (إلا فى الفترة بين عامى ٦١٤ و ٦٢٨ حين سقطت فى يد الفرس) وفى عام ٦٣٧ فتحها العرب

حيث سميت باسمها الحالي " القدس " أو "بيت القدس" .

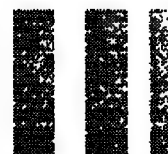
ومنذ عام الفتح الإسلامي أصبحت القدس حاضرة إسلامية وبنى فيها مسجد الصخرة عام ٦٩٠ ميلادية حتى عام ١٠٩٩ حين حاصرها الفرنجة وسقطت لهم ولما استولى صلاح الدين على المدينة في عام ١١٨٧ ، ازداد عدد أبناء الباعة اليهودية سريعاً لكن أحد علماء اليهود كتب يقول أنه لم يجد فيها بعد خمسين عاماً من ذلك التاريخ إلا عدداً صغيراً من اليهود ذلك لأن سكان القدس كانوا قد أصبحوا كلهم تقريباً مسلمين ، وقد أصبحت القدس تابعة للدولة العثمانية عام ١٥١٦ م وفي عهد سليمان القانوني أعيد تأسيس أسوار المدينة (عام ١٥٣٨ - ١٥٣٩) وهكذا يتضح أن القدس في أصلها ومعظم تاريخها لم تكن مدينة يهودية بل إن عدد سكان الإسكندرية من اليهود كان يفوق في القرن الأول قبل الميلاد عدد سكان القدس وذلك قبل سقوط الهيكل ومع هذا احتفلت الدولة الصهيونية بمرور ثلاثة آلاف عام على تأسيس مدينة القدس .

وفي العصر الحديث وقعت المدينة (وكل فلسطين عام ١٩١٧) في قبضة الإستعمار الانجليزى وبدأ الإستيطان الصهيونى تحت مظلة هذا الإستعمار إلى أن قامت دولة إسرائيل فتم تقسيم القدس عام ١٩٤٨ إلى القسم الغربى (التابع لإسرائيل) والذى فرغ من معظم سكانه (حوالى ٣٠ ألفاً) والقسم الشرقى (التابع للأردن) وأعلنت إسرائيل القدس (الغربية) عاصمة لها في ٢٣ يناير ١٩٥٠ وكانت نسبة العرب من المسلمين والمسيحيين آنذاك ٨٤% من السكان ، بينما كانت نسبة اليهود ١٤% (الباكون أجنب) وكان ما يملكه اليهود في الأرض لا يتجاوز ١٧% من مساحة المدينة ثم احتلت الدولة الصهيونية القدس الشرقيه وبدأت عملية تهويدها .



د . محمد عمارة

الكاتب والمفكر الإسلامى



أمانة عمر .. تنتظر صلاح الدين

فى الألف الرابعة قبل الميلاد بنى الكنعانيون - أهل فلسطين - مدينة "يوروسالم" أو "يوروشالم" ومن اسمها هذا جاءت تسميتها الغربية JerussIemt فى اللغات اليونانية واللاتينية والألمانية والفرنسية والإنجليزية وغيرها .. ومن هذا الاسم أيضاً جاءت تسميتها فى "العهد القديم" بـ "أورشليم" .. ولقد بدأ تاريخ العبرانيين الاتصال بهذه المدينة الكنعانية ، عندما استولى عليها داود عليه السلام فى القرن العاشر قبل الميلاد ، أى بعد نحو ثلاثة آلاف عام من تأسيسها على يد الكنعانيين .. ولم تدم هذه السيطرة العبرية على هذه المدينة لأكثر من أربعة قرون - (٤١٥ عاماً) - .. أى إلى التاريخ الذى هدمها فيه البابليون الذين أزالوا مملكة يهوذا من الوجود سنة ٥٨٥ ق .م وبدأوا حقبة "السيى البابلى" للعبرانيين ، وحتى بعد سماح الفرس لبعض العبرانيين بالعودة إلى أرض كنعان كانت عودة الذين عادوا منهم إليها ، عودة استيطان ، بلا دولة وبلا سيادة على مدينة "أورشليم" .

ولكن هذا "الوجود اليهودى" قد عاد وأثار حفيظة الدولة الرومانية ، فدمروا هذه المدينة مرتين الأولى على يد الإمبراطور "تيطوس" Titus (٣٩ - ٨١ م) فى سنة ٧٠ م .. والثانية على يد الإمبراطور "حدريانوس" سنة ١٣٥ م ، وذلك عندما محاها محواً تاماً ، بل وغير اسمها إلى "ايليا كابيتولينا" أى ايليا العظمى وهو الاسم الذى ظل

علماء عليها حتى الفتح الإسلامى لها (١٥ ، ٦٣٦ م) فى خلافة الراشد الثانى الفاروق
عمر بن الخطاب (٤٠ ق.هـ - ٢٣ هـ ، ٥٨٤ - ٦٤٤ م) .

وفى السنوات الأربعمائة التى سيطر فيها العبرانيون على هذه المدينة احتكروا
قداستها لمقدساتهم وحدهم ، دون غيرهم من الشعوب التى كانت تقطن أرض كنعان فى
ذلك التاريخ ، وهى الشعوب التى بنت هذه المدينة قبل ثلاثة آلاف عام من دخول داود
عليه السلام إليها وظلوا يمارسون هذا الاحتكار بل والاضطهاد ، مع النصرانية والنصارى
منذ بعثة المسيح عيسى بن مريم ، عليه السلام .. وبعد تدين الدولة الرومانية بالنصرانية
(فى القرن الرابع الميلادى) كانت قدسية هذه المدينة " إيليا " وقفا على النصارى ، الذين
اضطهدوا اليهود وجعلوا أماكن " هيكلهم " - بعد هدمه - مجمعا للقمامة والقاذورات ،
تجلب إليه من داخل المدينة وخارجها حتى لقد طلبوا من عمر بن الخطاب عند تسلمه
للمدينة بعد فتحها أن يضمن لهم " ألا يسكنهم فيها أحد من اليهود " .. ذلك هو تاريخ
هذه المدينة قبل الإسلام .. لكن فتح الإسلام والمسلمين لهذه المدينة " يوروسالم " أورشليم
- إيليا " كان بداية عصر جديد ..

فالإسلام والمسلمون هم الذين أعطوا لهذه المدينة القداسة والقدسية حتى فى اسمها
الجديد ، فسميت بـ " بيت المقدس " و " القدس " منذ ذلك التاريخ .. ولأول مرة فى
تاريخها الدينى ، تصبح قداستها عامة لجميع أمم الرسالات السماوية اليهودية
والنصرانية .. والإسلام وليست حكراً لأبناء دين دون غيرهم من أبناء الديانات الأخرى
.

فأماكن المقدسات اليهودية المهدومة منذ قرون ، والتى جعلها النصارى فى العصر
الرومانى " مجمعا للقمامة والقاذورات " ذهب إليها عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -
بعد أن تسلم المدينة وعقد مع أهلها " العهد العمرى " الشهير فوجد على الصخرة زبلا
كثيراً ، مما طرحه الروم غيظاً لبنى إسرائيل ، فبسط رداءه وجعل يكس ذلك الزبل وجعل
المسلمون يكتسونه معه الزبل وتتبع المسلمون أماكن عبادة الأنبياء السابقين واحداً واحداً ،
إبتداءً من إبراهيم إلى آخر من دفن منهم فى فلسطين وبيت المقدس فأقاموا فيها المساجد
وحافظوا على قدسيتها وطهروها تطهيراً (د . اسحاق موسى الحسينى " مكانة بيت

المقدس فى الإسلام " كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية - ص ٥٧ ، ٥٨ - سنة ١٩٦٨ م) .

عمر يتسلم أمانة القدس

لقد أحل المسلمون هذه المدينة مكاناً فريداً تميزت به عن كل المدن التى فتحوها وذلك عندما لم يتسلمها القائد الفاتح وهو " أمين الأمة " أبو عبيدة بن الجراح (٤٠ ق هـ - ١٨ هـ ، ٥٨٤ - ٦٣٩ م) وكان تسليمها للخليفة عمر بن الخطاب الذى ركب من " المدينة المنورة " إليها ليتسلم أمانتها وليعقد بنفسه " العهد العمرى " مع بطريقها " صفر- ونيوس " (٥١٧ هـ ، ٦٣٨ م) .. ولتكون لها ، بهذه الخصوصية مكانة " أمانة الفاروق عمر " لدى أمة الإسلام .. وهو شرف لم تحظ به مدينة من المدن التى فتحها المسلمون عبر تاريخ الفتوحات .

وبتغيير اسم هذه المدينة إلى " القدس " و " بيت المقدس " رفع المسلمون عليها رايات القدسية والتقدیس ، وبتخرج عمر بن الخطاب عندما كان يجلس مع " صفر ونيوس " فى كنيسة القيامة من أن يصلى فى الكنيسة رغم دعوة البطريك ، كى لا تكون لمسلم شبهة حق فى أرض الكنيسة يقيم فيها مسجداً .. بهذا الموقف العمرى أضفى عمر بن الخطاب تقديس الإسلام لمقدسات النصارى .. ولم يكن عمر فى ذلك " مبتدعاً " بل ولا حتى " مجتهداً " لأنه هو المؤمن بالعقيدة الإسلامية ، التى لا تكتمل أركانها إلا بالإيمان بسائر الرسل وجميع الرسالات وكل الكتب التى سبقت رسالة محمد ﷺ ، على درب علاقة السماء بالإنسان ﴿ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ البقرة ٢ - ٥ ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله ﴾ البقرة ٢٨٥ .. وهو - عمر - الذى يتعبد بالقرآن الكريم ، الذى عرض لمقدسات أمم الرسالات السماوية جميعاً فبدأ بالصوامع وانتهى بالمساجد (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره إن الله

لقوى عزيز) الحج - ٤٠ .. بهذا الموقف العمري ، بدأت الحقبة الإسلامية في تاريخ المدينة فغدت قداستها عامة لعامة أبناء رسالات السماء .. فكنيسة القيامة قدس خاص بالنصارى .. ومواطن المقدسات اليهودية ، أعاد إليها عمر والمسلمون الطهارة عندما رفعوا عنها القمامة والقاذورات وارتفعت في المدينة عمائر المساجد الإسلامية .. صنع المسلمون ذلك ، لأنهم أمة الرسالة الخاتمة التي ورثت كل موارث الأنبياء والمرسلين فكانت رسالة رسولهم اللبنة التي تمت بناء دين الله الواحد وحملت أمانة الحفاظ على سائر لبنات هذا البناء ، فأمة الشريعة التي أكملت الدين الإلهي الواحد هي الحاملة لأمانة الحفاظ على مقدسات سائر شرائع هذا الدين لأنها وحدها التي تعترف بشرعية سائر شرائع هذه الأديان.

والمسلمون صنعوا ذلك مع القدس تحديداً ، لأن قرآنهم الكريم قد جعل الرباط بين " القدس " وبين الحرم المكي الذي هو قبلة الأمة الخاتمة آية من آيات الله وليس مجرد رباط سياسى أو إدارى يقيمه فاتحون وينقضه غزاة .. ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ الإسراء : ١ .. فكان الإسراء - إسراء الله بعبده ورسوله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وعروجه من الصخرة إلى سدره المنتهى الإعلان الإلهي عن ختم هذه الرحلة القدسية لخطوات الأنبياء والرسول على طريق الله وعن حمل أمانة الرسالة الخاتمة أمانة الجهاد فى سبيل الحفاظ على مقدسات كل الرسالات تلك التى تجسدها مدينة القدس قبل غيرها وأكثر من غيرها من المدن والبقاع .

ولقد شهد التاريخ الإسلامى للقدس بأحرف من نور على وفاء الأمة الإسلامية بهذه الأمانة التى أرادها الله والتى رمزت إليها رحلة الإسراء والتى سلمها إياها عمر بن الخطاب .. فغدت القدس منذ ذلك التاريخ مشاعة القداسة مفتوحة الأبواب لكل أبناء رسالات السماء .. ازدهرت فيها إلى جانب المساجد الإسلامية كنائس النصارى .. وأخذ اليهود يعودون إلى سكنائها بعد أن حرموا من ذلك فى العهد الرومانى ، الوثني والنصراني على حد سواء ! .. بل لقد تولت الأسر المسلمة القدسية " نظارة الأوقاف " التى أوقفها النصارى على كنائسهم ، إختارهم النصارى لذلك فرعوا هذه المقدسات

النصرانية على امتداد التاريخ الإسلامى .. وشاء الله أن تظل هذه الأمانة من خصائص الأمة الإسلامية والدول الإسلامية دائماً وأبداً ، فعندما جمع البابا الذهبي " اربان الثانى " (١٠٨٨ - ١٠٩٩) فرسان الإقطاع الأوربيين - الذين كانوا يتناحرون على الإمارات والجبايات ليوجه طاقاتهم القتالية ضد العالم الإسلامى ، فى سبيل احتلال القدس وبعد أن ضمن تمويل الحملات الصليبية من قبل المدن التجارية الإيطالية مقابل استيلائها على طرق التجارة العالمية المارة بالوطن العربى !

وخاطب البابا هؤلاء الفرسان - فى " كليرمونت " بجنوب فرنسا سنة ١٠٩٥ م - فقال لهم : " أنتم فرسان أقوياء ، ولكنكم تتناطحون وتتنابدون فيما بينكم ، ولكن تعالوا وحاربوا الكفار " المسلمين ؟! " يامن تنابذتم التحدوا يامن كنتم لصوصاً كونوا الآن جنوداً تقدموا إلى بيت المقدس انتزعوا تلك الأرض الطاهرة واحفظوها لأنفسكم فهى تدر سمناً وعسلاً ؟ إنكم إذا انتصرتكم على عدوكم ورثتم ممالك الشرق " !

اللصوص والمدينة المقدسة

فلما حدث واجتاح هؤلاء " اللصوص الذين صاروا جنوداً " المدينة المقدسة سنة ١٠٩٩ م ، ماذا صنعوا بها ؟ لقد صنعوا ما وصفه المؤرخ المسيحى " مكسيموس مونروند " فى كتابه " حرب الصليب " فقال بلغته وعبارته :
" انعقد ديوان المشورة العسكرية الصليبية فقرر أن يمات " يقتل " كل مسلم باق داخل المدينة المقدسة " !!

واستمرت المجزرة أسبوعاً كاملاً ومن هرب فى البيوت والأقبية قبضوا عليه وقذفوا به من أعلى البيوت والأبراج فى النار ، أما الذين احتموا بجامع عمر ابن الخطاب - الذى سبق وتخرج من مجرد الصلاة فى كنيسة القيامة - فلقد غدت دماؤهم سيلاً " علا إلى حد الركب ، بل إلى حد لجم الخيل " - كما يقول " مكسيموس " - وفى الرسالة التى بعثوا بها إلى البابا ، يبشرونه بما صنعوا قالوا مفاخرين : " إذا أردت أن تعرف ما يجرى لأعدائنا ، فثق أنه فى معبد سليمان كانت خيولنا تغوص إلى ركبها فى بحر دماء الشرقيين !!

وأبادوا المسلمين وكذلك اليهود وحولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة لاتينية وانفردوا بالمدينة المقدسة بعد أن حفظ المسلمون قداستها بين أبناء كل الديانات !

لكن ذاكرة الأمة لم تنس ، للحظة واحدة ، هذه المدينة المقدسة بل لقد اتخذت منها ثقافة الأمة والتي كان الشعر لسانها المعبر وإعلامها المفصح الرمز لذلك الصراع الذى دام مع الغزوة الصليبية على امتداد قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠ هـ - ١٠٩٠ - ١٢٩١) .. وكانت الأمة تدرك أن فك أسر القدس وتحرير الأقصى واستعادة الأرض الصليبية لاسبيل إليها إلا بوحدة مصر مع المشرق العربى لتطويق الكيانات الصليبية المغروسة قسراً فى قلب وطن الأمة ، ولذلك كان التذكير بالقدس مصاحباً لكل خطوة تتحقق على طريق هذا التوحيد ، فعندما تدخل جيوش السلطان نور الدين الشهيد (٥١١ - ٥٦٩ هـ ١١١٨ - ١١٧٤م) إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي - فتبدأ بذلك خطوات وحدة مصر بالمشرق العربى - نجد " العماد الكاتب " ، وهو يهنئ أسد الدين شيركوه مذكراً بإياه بالمقصد الأسمى : القدس والمسجد الأقصى فيقول لأسد الدين : " فتحت مصر ، وأرجو أن تصير بها ميسراً فتح بيت القدس عن كذب " .

فإذا توجه بالتهنئة إلى السلطان نور الدين رأيناه يحدثه عن أن شروط تحرير القدس قد بدأت تجتمع - بوحدة مصر مع المشرق فيقول :

" أغز الفرنج فهذا وقت غزوهم وأحطم جموعهم بالذابل

الحطم فملك مصر وملك الشام قد نظما فى عقد

عز من الإسلام منتظم "

فانتظام وحدة مصر والشام فى " عقد الإسلام " هو شرط التحرير للقدس الأسيرة والأقصى السليب !

ونفس " الفكر الاستراتيجى " يعبر عنه " الشعر " عندما يعلن ابن عساكر بن الحسن هبة الله ، أن لاعذر عن تأخير المعركة الفاصلة طالما تحققت وحدة مصر والشام فى " عقد الإسلام " فيوجه الحديث إلى السلطان نور الدين قائلاً :

ولست تعذر فى ترك الجهاد وقد

أصبحت ثمر من مصر إلى حلب

وصاحب الموصل الفيحاء ممثّل

لما تريد ، فبادر فجأة النوب

وعندما يستكمل صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ ، ١١٣٧ - ١١٩٣ م) مقومات معركة التحرير ويعزز انتصاره على الصليبيين في غزة لمجد الشاعر العماد الكاتب يحدثه عن أن فتح القدس هو الباب لتحرير سائر البقاع التي احتلها الصليبيون ، فهي الرمز للصراع كله وهي البوابة لتعميم الانتصارات . يعبر العماد الكاتب عن هذه الاستراتيجية الإسلامية شعراً يتوجه به إلى صلاح الدين الأيوبي ، فيقول :

غزوا عقر دار المشركين " بغزة "

جهارا وطرف الشرك خزيان مطرق

وهيجت للبيت المقدس لوعة

يطول بها منه إليك التشوق

هو البيت ، إن تفتحه والله فاعل

فما بعده باب من الشام مغلق

هكذا كانت " القدس " : الرمز والمقصد والمفتاح ! ولا تزال !

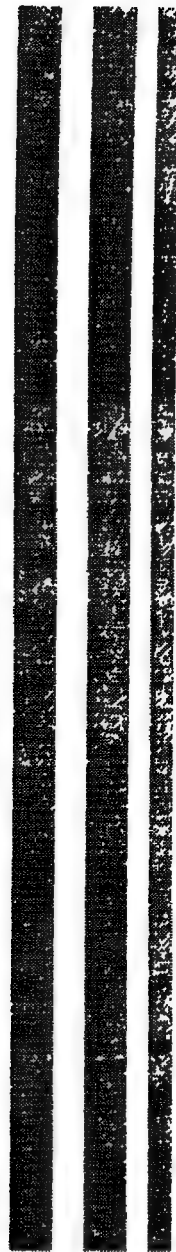
وعبر " حطين " التي كانت بلغتنا " المعركة المصيرية " المقررة لوجود المنتصر و " عدم المهزوم " والتي تحدث عنها الأمير الفارس المؤرخ - الذي عاصرها - ابن شداد (٦١٣ - ٦٨٤ هـ ، ١٢١٧ ، ١٢٨٥) فقال : " لقد علمت كل طائفة أن المكسورة منها مدحورة الجنس معدومة النفس " ! عبر " حطين " وصلت جيوش صلاح الدين إلى أسوار القدس ، فحررها في ذكرى الإسراء والمعراج - ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ - ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ م ليعيدها إلى " عقد الاسلام " الذي انتظمت فيه منذ أن أسرى الله برسوله ﷺ ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك فيه وحوله أرض فلسطين .

وبعد تحرير صلاح الدين الأيوبي للقدس ، لم يبق - كما قال الشاعر - " باب من الشام مغلق ، فتحررت الكثير من المدن والقلع والحصون التي سبق واستولى عليها

الصليبيون ، وبهذا التحرير عادت القدس ، كما كانت قبل الغزوة الصليبية المدينة المقدسة ،
والمشاعة قدسيته - تحت السلطة الإسلامية - لسائر أبناء كل أمم ورسالات السماء !

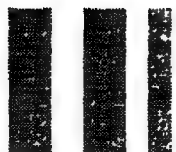
لكن القوى الغربية التى حركت ونظمت ومولت وقادت الغزوة الصليبية قد عادت
فى مرحلة لاحقة وفى طور جديد لتحقيق ذات المقاصد " انتزاع الأرض التى تدر سمناً
وعسلاً"!! فبدأت بعد سقوط غرناطة (٨٩٧ هـ ، ١٤٩٢ م) مرحلة تطويق العالم
الإسلامى عبر اكتشاف البرتغال لرأس الرجاء الصالح (٩٠٣ هـ ، ١٤٩٧ م) ومحاربة
الجيش المصرى على سواحل الهند (٩١٠ هـ ، ١٥١٤ م) لتسلم إلى مرحلة ضرب قلب
هذا العالم الإسلامى التى بدأت بحملة بونابرت على مصر (١٢١٣ هـ ، ١٧٩٨ م)
ولتؤسس منذ ذلك التاريخ " الشراكة " بين المشروع الغربى وبين المشروع الصهيونى ، فمن
نداء نابليون ليهود العالم كى يتعاونوا معه لإقامة امبراطوريته الشرقية لقاء أن يعد إليهم "
ملك بنى إسرائيل " إلى وعد بلفور (١٩١٧ م) إلى إقامة إسرائيل (١٩٤٨ م) إلى
اغتصاب كامل القدس (١٩٦٧ م) ، والذى بدأت به مرحلة تهويد المدينة المقدسة
واحتكارها دون الذين حملوا أمانة قداستها وعمموها لكل أبناء الديانات لأكثر من أربعة
عشر قرناً !

وإذا كانت ذاكرة الأمة - بواسطة ثقافتها - قد ظلت واعية بمكانة القدس فى هذا
الصراع التاريخى المتعدد المراحل والحلقات ، مكانة " الرمز ، والمقصد ، والمفتاح " حتى
جاء فحررها صلاح الدين الأيوبي ، فإن مهمة ثقافتنا - الوطنية ، والقومية ، والإسلامية
المعاصرة - هى إبقاء ذاكرة الأمة على وعيها الكامل بمكانة هذا القدس الشريف ، ولذلك
حتى يطلع الفجر الجديد بالناصر : صلاح الدين الجديد .



د . برنارد سابيل

الأستاذ بجامعة بيت لحم بالقدس



المسيحية والقدس

فى الديانة المسيحية فإن القدس هى أم الكنائس قاطبة . ذلك أن هذه المدينة قد شهدت الأحداث المتعلقة بحياة المسيح وبصلبه وقيامته . وقد قامت فى هذه المدينة الجماعة المسيحية الأولى والتي ضمت المسيح وتلاميذه ، وبذلك فإن المدينة تشهد للبداية الجديدة فى المسيح وهى نقطة انطلاق للمسيحية .. وللمسيحيين من أبناء فلسطين فى المدينة المقدسة ووجودهم فيها تأكيد لاستمرارية البداية الجديدة فى المسيح . ويرجع بعض المسيحيين الفلسطينيين جذورهم لكنيسة القدس الأولى ويستعملون فى صلواتهم وشعائهم اللغة الأرامية والتي كانت لغة المسيح نفسه . وهناك مسيحيون فلسطينيون آخرون يقطنون القدس اليوم ويعودون بجذورهم لشرقى الأردن ولغيرها من البلدان المجاورة . وبغض النظر عن الجذور والأصول فإن مسيحي القدس يجسدون حلقة متصلة بالقدس الأرضية التى جاءها المسيح وأسس فيها جماعته الأولى .

ومع ارتباط المسيحيين الشديد بقدسية المدينة وبمغزاهما الدينى لهم ، إلا أنهم فى العصر الحديث وفى الواقع ، منذ الفتح الإسلامى لفلسطين ، قد ارتبطوا مصيرياً بإخوانهم من المسلمين وأقاموا علاقات حسن جوار وألفة ومشاركة مبنية على احترام متبادل . وأكثر من يجسد هذا الاحترام هو الخليفة عمر بن الخطاب فى أعماله وعهده لأمان المسيحيين وأماكنهم المقدسة عقب الفتح الإسلامى فى عام ٦٣٨ م . كان بُعد نظر الخليفة عمر قد مهد الطريق لعلاقات ممتازة بين أتباع الديانتين واستمر المسيحيون فى القدس وفلسطين يعيشون حرية دينية مكنتهم من إقامة المؤسسات التعليمية والصحية والتي وفرت خدماتها لكل السكان دون إستثناء مما زاد من الشعور المتبادل بالثقة والاحترام ، وحين حلت النكبة

بأبناء فلسطين فإنها أصابت جميع الفلسطينيين ومنهم المسيحيون الذين وجد أكثر من ثلثهم ، أى ٣٥ ألفاً ، أنفسهم فى وضع اللاجئين . وتشهد أزقة البلدة القديمة على آلام المسيحيين والمسلمين من اللاجئين الذين وفدوا إليها عام ١٩٤٨ ووجدوا فيها المساعدة دون اعتبار لخلفية دينية أو اجتماعية . وقد صهرت النكبة أبناء القدس من مسلمين ومسيحيين وعلمتهم الوقوف سوية فى أوقات المحن والصعوبات ، وكذلك فى أيام الهدوء والاستقرار والتي عزت وندرت فى حياة الكثير من سكان القدس وفلسطين فى أيامنا هذه .. ومما زاد من أواصر الألفة والحياة المشتركة أن أهل القدس من مسيحيين ومسلمين قد سكنوا فى أحياء مشتركة وعملوا سوية فى المؤسسات العامة والخاصة وذهبوا إلى مدارس ومؤسسات تعليمية تتميز بالانفتاح والتسامح . وفى الأعياد والمناسبات ترى المسيحيين والمسلمين من أهل القدس يتبادلون التهاني والتبريكات وتراهم كذلك يواسون بعضهم البعض فى مصائبهم العامة والخاصة .

وقد تعرض المسيحيون مثلهم مثل إخوانهم من المسلمين إلى ضغوطات نتجت وبشكل خاص عن إحتلال إسرائيل للجزء الشرقى من القدس . وتمثلت إحدى هذه الضغوطات بحقيقة أن عدد المسيحيين والذي كان قد وصل إلى ٢٨ ألفاً عام ١٩٤٥ انخفض إلى ١١ ألف نسمة للعام ١٩٩٤ . ويعزى هذا الانخفاض لنزيف هجرة متواصل ومرتبط بالأوضاع الاقتصادية والسياسية الصعبة التى يعيشها شعبنا الفلسطينى فى القدس العربية وفى فلسطين . وإذا ما نظرنا إلى الأحد عشر ألفاً من المسيحيين فى القدس فإننا لمجدهم ينتمون إلى أكثر من عشر كنائس تمثل تعددية المسيحيين فى شتى بقاع الأرض . ورغم هذه التعددية فإن الغالبية العظمى وبالتحديد ٩١ بالمائة من المسيحيين فى القدس وفى فلسطين من أهل البلاد الأصليين أى من الفلسطينيين . وفى الوقت نفسه فإن التعددية المسيحية قد مكنت العديد من المسيحيين الفلسطينيين من أن يكونوا متحدثين بارزين فى مجال الدفاع عن قضيتهم وعن أمتهم فى المحافل الدينية وغيرها فى العالم الواسع وبعد المسيحيون الفلسطينيون اليوم أكثر من ٤٠٠ ألف منهم ٥٠ ألفاً فى الضفة الغربية وقطاع غزة و ١٢٠ ألفاً فى إسرائيل ، أما الباقون فإنهم أسوة بإخوانهم الفلسطينيين منتشرون فى شتى بقاع الأرض .

وفى القدس - وبالتحديد البلدة القديمة - يعيش ٦٠ بالمائة من الأحد عشر ألف مسيحي ، وبينما تعيش الأغلبية فى حارة النصارى وحارة الأرمن فإن العديد من العائلات المسيحية تتجاوز والعائلات المسلمة فى حارات القدس الأخرى والتي يغلب عليها الطابع الإسلامى . وفى خارج البلدة القديمة يعيش بقية المسيحيين فى أحياء شعفاط وبيت حنينا فى الطريق شمالاً لرام الله وتتميز علاقاتهم مع جيرانهم من المسلمين بالطيبة وحسن الجوار ويشتركون فى الكثير من المؤسسات سواء التعليمية أو الترفيهية أو غيرها .

ويواجه أهل القدس ، مسلمون ومسيحيون ، مشكلة تميز مستمرة فيما يتعلق بالسكن وتسهيلات الحياة الإقتصادية والإجتماعية والدينية . وفى وقت نتحدث فيه عن السلام ، ومن منا لا يريد السلام الذى يقوم على العدالة واحترام حقوق الآخرين وتوفير الفرص المتكافئة للمشاركة فى صنع السلام ، فإن أهل القدس العربية لا يجدون أماكن للسكن . وهذه مشكلة نواجهها جميعاً فالمسيحيون والمسلمون أسرة متساوية فى هذا الأمر ، وبينما يبنى الفلسطينيون فى القدس الشرقية ٢٣٢ منزلاً كل عام فإن المعدل السنوى لبناء المنازل لليهود فى القدس الشرقية ذاتها يتجاوز ١,٨٠٠ منزل . ولا غرابة إذن إذا وصل الاكتظاظ السكانى فى القدس العربية إلى ٨,٤ أفراد لكل منزل مقارنة بـ ٣,٦ أفراد لكل منزل يهودى فيها .

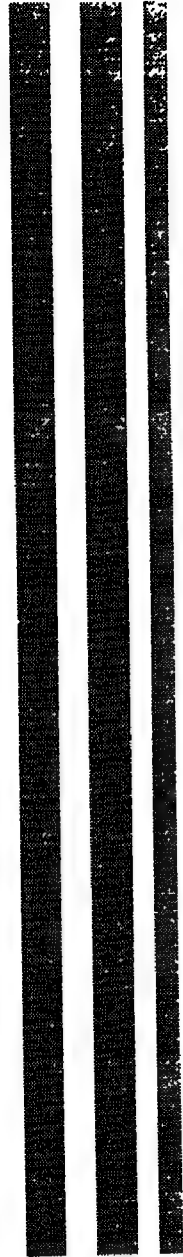
وتكمن دلالة هذا الاكتظاظ السكانى بأن العديد من شباب القدس - مسيحيين ومسلمين - يتركون مدينتهم المقدسة ويهاجرون سعياً للرزق والعيش الملائم . ومنذ فرض ما يسمى بالطوق الأمنى فى آذار ١٩٩٣ فإن حياة القدس الاقتصادية لكافة فئات السكان بغض النظر عن الدين أو حارة الإقامة قد تضررت وكذلك تعقدت الحياة الإجتماعية بحيث لم يعد العديد من العائلات والتي يسكن أعضاؤها فى القدس وفى مدن وقرى الضفة الغربية يلتقون سوى للمناسبات مثل الزيجات والحنازات وغيرها من الأمور الحياتية اليومية . ولربما كانت أصعب الصعوبات هى حقيقة عدم إمكانية الوصول للقدس للمسيحيين وللمسلمين لأداء شعائر الصلوات وبخاصة فى أيام الآحاد والجمع وفى أيام الأعياد والمناسبات الدينية .. وبعد ، ما هو الموقف المسيحى من القدس أو هل هناك موقف مسيحى من القدس ومستقبلها ؟

أود هنا أن أشدد بأن موقف المسيحيين الفلسطينيين هو موقف غالبية شعبنا الفلسطيني بأن القدس هي عاصمة دولتنا الفلسطينية . أى أنه لا يوجد هناك موقف مختلف أو متميز عن الموقف الفلسطيني العام . ويحترم المسيحي الفلسطيني الطابع العربي الإسلامي للقدس ويحلّه بناءً على تاريخ مشترك من الاحترام المتبادل والتسامح ما بين الديانتين السماويتين . ولم يكن هذا الطابع يوماً من الأيام حجر عثرة أمام الممارسة الكاملة والحرّة للمسيحيين الفلسطينيين لشعائهم وطقوسهم ولبناء كنائسهم وتشييد مؤسساتهم . ويأمل المسيحيون الفلسطينيون في أنه في ظل سلام حقيقى ستكون القدس لأهلها مصدر راحة وطمأنينة واستقرار عميق .

واسمحوا لى أن أنبه إلى موقف لاهوتى من القدس عند المسيحية بشكل عام وهذا الموقف يقول بأن الأهم من القدس هذه الأرضية هي القدس السماوية . أى أن القدس الأرضية مع كل ما تعنيه تبقى محدودة وأن هناك رسالة أعظم وأسمى يجب التفتيش عنها ليس فقط في القدس الأرضية وإنما في القدس السماوية والتي تجمع البشر وتخطى الحدود لإيجاد عالم أفضل وأرقى يحترم الرسالة السماوية دون إعتبار لجغرافية المكان ومحدوديته ، وعلى أن أعترف هنا بأن مسيحي القدس وفلسطين ليسوا جد متحمسين لهذا التمييز بين القدسين إذا أنهم يعتقدون بأنه في ظل سلام يضمن لشعبهم حقه في القدس العربية ويؤكد على عروبة وإسلامية ومسيحية القدس فإنه من الممكن أن نمزج ما بين القدسين وأن نعيش حياة أرقى وأفضل وإذا أردنا أن نصل للقدس السماوية فعلينا وعلى العالم الغربى والذي تدين غالبية شعوبه بالمسيحية أن نبدأ بالعمل لرفع الظلم والجور عن القدس الأرضية وعن أهلها مسلمين ومسيحيين وهذا هو الأمل للسلام وللقدس ولأهلها .. وقبل أن أنتهى أود أن أنوه بأن هناك من يعتقد بأن بعض الفئات المسيحية تنادى أو تؤيد فكرة تدويل القدس وهذا عن تأييد الفاتيكان في أول الأمر لفكرة corpus separatum التدويل لمدينة القدس وللمدن والقرى المحيطة بها وتشمل قرى أبو ديس وعين كارم ، شعفاط ومدينة بيت لحم كما جاء في القرار ١٨١ للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة والمؤرخ في ٢٩ تشرين ثانى ١٩٤٧ . ولكن موقف الفاتيكان قد تبدل وأصبح يركز أن الحل السياسى لمدينة القدس يجب أن يتم التوصل إليه بين الطرفين

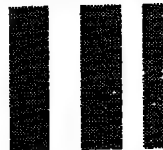
المتنازعين وأن الفاتيكان على استعداد لاحتزام هذا الحل على أن تكون الحقوق الدينية للمسيحيين مكفولة مثلها مثل حقوق أتباع الديانات الأخرى ، أما الحقوق والواجبات السياسية والاجتماعية للمسيحيين الفلسطينيين فهي تتحقق ضمن الأطر الوطنية الفلسطينية ولا علاقة للفاتيكان بها . أى أن التوجه الرئيسى للفاتيكان يقوم على تشجيع المسيحيين الفلسطينيين فى أن يكونوا أعضاء فاعلين فى مجتمعهم وأن يساهموا مساهمة فعالة وجادة فى بناء قواعد ومؤسسات مجتمعهم ، فى ظل احترام متبادل وتسامح منفتح على الآخرين ، ومنابع دينهم وتراثهم الحضارى الغنى والعريق .

إن الطريق نحو السلام الحقيقى يمر فقط عن طريق القدس واسمحوا لى من هذا الموقع أن أوجه دعوة حارة صادقة لكل من يهيمه أمر القدس بأن اعملوا حتى ترفعوا الضيم عن أهل القدس العرب مسلمين ومسيحيين واعملا حتى يكون السلام ليس على حساب القدس وكل ما تمثله لنا عرباً مسلمين ومسيحيين ، وإنما من أجل القدس ومن أجل أبنائها ومن أجل مستقبلها وإذا ما عملتم هذا فمن الممكن أن تتحول القدس الأرضية هذه إلى صورة مميزة وعاكسة للقدس السماوية التى نسعى جميعنا لها فى نهاية الأمر كل بحسب دينه ومعتقداته وقناعاته وبدون هذا السعى الدءوب فستبقى القدس الأرضية التى نعيش فيها تذكرة لظلم الإنسان لأخيه الإنسان ولانتفاء العدالة والحق والسلام بين الأمم والسلام عليكم من القدس وأهلها وأزقتها .



د . يحيى الصباحي

أستاذ القانون الدستوري بالقاهرة



القدس الموحدة

يمكن أن تعود القدس الموحدة عاصمة للجميع كما كان شأنها قبل قرار تقسيمها عام ١٩٤٧ .. وأن تصبح القدس عاصمة للدولتين الفلسطينية والإسرائيلية وتدار بهيئة مشتركة من الدولتين تسمى (الهيئة العامة لإدارة مدينة القدس) ويمثل كلا من الدولتين فيها عدد متساو من الأعضاء ويرأسها بالتناوب رئيس من إحدى الدولتين لمدة أربع سنوات غير قابلة للتجديد .

وذلك كله على أساس وضع ميثاق جديد يحدد الوضع الجديد لمدينة القدس مع الحفاظ الكامل والحماية الشاملة لجميع المقدسات الإسلامية والمسيحية واليهودية الموجودة بالقدس وعدم المساس بأى منها لأى سبب أو تحت أى ظرف كان . وذلك حماية لحقوق أصحاب الأديان الثلاثة من مسلمين ومسيحيين ويهود ، وعلى هذا الدرب قامت مؤخراً بالقدس حملة سياسية بدأها حوالى أربعمائة من الشخصيات العامة الفلسطينية والإسرائيلية حيث وقعوا على وثيقة بعنوان : (القدس لنا) وكان من بين الموقعين فيصل الحسينى مسئول شئون القدس بالسلطة الفلسطينية ، وهذه بادرة جديدة بأن ندعمها جميعاً من أجل حل مشكلة القدس لصالح الجميع وحفاظاً على حقوق الجميع وبشرط إزالة آثار عدوان ١٩٦٧ على الأراضى العربية بالقدس ليقوم الوضع الجديد على أساس سليم وليس على أساس مكتسبات .. إن إسرائيل تناهض بقوة جميع قرارات الأمم المتحدة والمواثيق الدولية وأحكام القانون الدولى . أهكذا يكون السلام على أرض السلام وتكون القدس عاصمة للجميع ؟

لقد أدهشنى ذلك الخلاف الذى يدور الآن بين الإدارة الأمريكية وبين الكونجرس وخاصة رئيس الأغلبية للحزب الجمهورى فى مجلس الشيوخ (بوب دول) وأن هذا الخلاف ينصب على موضوع نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس ولا ينصب على الجهة المختصة دستوريا بإصدار قرار هذا النقل .. ولم تتعرض الإدارة الأمريكية لموضوع اختصاص الرئيس الأمريكى بصفته رئيس السلطة التنفيذية بإصدار أو عدم إصدار قرار نقل هذه السفارة . وبذلك ظهر الأمر على الساحة السياسية والداخلية فى الولايات المتحدة الأمريكية وعلى المسرح السياسى الدولى فى صورة واحدة وهى أن الإدارة الأمريكية لا تريد حالياً نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس وأن الذى يخطط الآن لإصدار إجراء تشريعى للنقل هو الكونجرس بزعامة رئيس الأغلبية الجمهورية فى مجلس الشيوخ (السيناتور بوب دول) .

وهذا السيناريو الغريب لموضوع نقل السفارة الأمريكية إلى القدس يخالف القواعد الدستورية لاختصاص كل من الرئيس الأمريكى والكونجرس تلك القواعد التى تتلخص فيما يلى :

أولاً : إن السلطات الممنوحة للكونجرس بمقتضى المادة الأولى من الدستور الأمريكى وتعديلاته ، لا تعطى للكونجرس بمجلسيه أى حق فى إنشاء سفارة أو إلغائها أو نقلها من مدينة إلى أخرى بدولة أجنبية . لأن هذا الحق يدخل فى إختصاص الرئيس الأمريكى بصفته رئيساً للسلطة التنفيذية طبقاً للمادة الثانية من الدستور الأمريكى ، وإستناداً لمبدأ الفصل بين السلطات . فهو عمل من أعمال السلطة التنفيذية لا يجوز الاعتداء عليه من جانب السلطة التشريعية .

ثانياً : إن التقرير بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس أو بعدم نقلها ليس عملاً تشريعياً متعلقاً بسن قانون يوافق عليه الكونجرس ويكون للرئيس الأمريكى حق الاعتراض عليه بموجب الفيتو الرئاسى شأن أى قانون يرسله الكونجرس إلى الرئيس للموافقة عليه وإصداره بعد أن وافق الكونجرس عليه . كما أعلن ذلك وزير الخارجية الأمريكى آنذاك (كريستوفر) مهتداً الكونجرس مقدماً مع علمه بأن هذا الفيتو الرئاسى يمكن التغلب عليه عند عرض القانون على الكونجرس

والموافقة عليه مرة ثانية بأغلبية ثلثي الأعضاء وإصداره دستورياً بدون موافقة الرئيس!!

لماذا يلجأون إلى هذا الأسلوب المخالف للدستور الأمريكي؟! ولماذا لا يتمسك الرئيس الأمريكي باختصاصه الدستوري بأمر نقل السفارة أو عدم نقلها حتى يكف الكونجرس يده عن التدخل في اختصاصات الرئيس الأمريكي التنفيذية طبقاً لمبدأ الفصل بين السلطات الذي تقوم عليه فلسفة النظام الرئاسي الأمريكي؟! هل هذا المسلك الغريب ليظهر الرئيس الأمريكي أمام الدول العربية أنه يعمل كل ما في استطاعته وأن الكونجرس صاحب الأغلبية الجمهورية هو السبب وأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان؟!



د . محمد سيد أحمد

الكاتب والمحلل السياسي



عاصمة أبدية ١

استرشد عرفات بـ "سابقة" هي مدينة روما كي تكون أساساً لحل مشكلة القدس .. فإن روما ، كما هو معلوم ، عاصمة لدولة إيطاليا والفاتيكان "عاصمة" الكنيسة الكاثوليكية ، ومقر البابا .

اقترح عرفات أن تكون القدس عاصمة للدولتين الإسرائيلية والفلسطينية مستقبلاً .. فإنها تنطوي . مثل الفاتيكان ، على أبعاد روحية ، وهي على حد وصف الفاتيكان لها ، "جسر بين الأرض والسماء . ورمز للسلام والتعايش بين الديانات الثلاث" .. إنها مدينة مقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود معاً ، تماماً كما أن الفاتيكان عاصمة روحية للمسيحيين الكاثوليك .. والجدير بلفت نظرنا أن زيارة عرفات الأولى لغزة وأريحا قد غيرت الكثير من معطيات الموقف ، وأوضحت أن قضايا حساسة وساخنة ، كقضية القدس ، لا يمكن تعليقها إلى غير أجل محدد بعد بدء عملية التعاقد والشروع في وضع ما جرى الإتفاق عليه موضع التنفيذ .. لقد استغرقت المفاوضات التي دشنها مؤتمر مدريد سنوات دون أن تفضي إلى نتائج ملموسة . واقتضى إتفاق غزة - أريحا الذي كان نتاج مفاوضات سرية مضمينة في أوصلو ، أشهراً طويلة حتى تسفر عن "إعلان للمبادئ" تقرر وضعه موضع التطبيق عبر "مرحلة إنتقالية" تستغرق في أفضل الفروض خمسة أعوام .. ظل كل شيء يسير ببطء شديد .

ولكن بمجرد أن زار عرفات غزة وأريحا ، وأن وطأ بقدمه أرض فلسطين ، وأن تحول الإتفاق المبرم من فكرة مجردة إلى واقع ملموس ، انقلبت الأمور رأساً على عقب ..

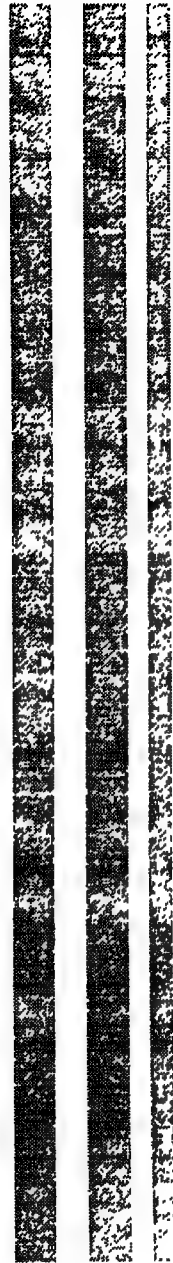
وكانت قضية القدس أبرز دليل على ذلك .. فلقد نص " إعلان المبادئ " على عدم التصدى لموضوع القدس قبل حلول السنة الثالثة من " المرحلة الإنتقالية " ولكن فجأة أصبحت قضيتها فى بؤرة الأحداث .. لمجرد إبداء عرفات رغبة ، وهو يخطب فى غزة فى أن يصل فى القدس ، شأنه فى ذلك شأن أى مسلم .. فهاج غلاة اليمين الإسرائيلى ، وثاروا ثورة عارمة . وطالبوا حكومتهم بوضع حد نهائى للتعامل معه !

وهكذا يتضح أن بروز سلطتين فى فلسطين السلطة الفلسطينية بجوار السلطة الإسرائيلىة . إنما أوجد جديداً فى طبيعة العلاقة بين الطرفين ، بصرف النظر عن صلاحيات السلطين ، وضآلة السلطة الفلسطينية إذا ما قورنت بالسلطة الإسرائيلىة .. إن مجرد وجود سلطين إنما أوجد حالة جديدة مختلفة نوعياً ، حالة لم يعد من السهل ولا من المفيد فيها إبقاء عناصر التسوية مجزأة ، زماناً ومكاناً .. زماناً بإرجاء التصدى لأكثر المشاكل حساسية للمستقبل .. ومكاناً ، بقصر نقل السلطة إلى الفلسطينيين على مواقع دون أخرى .. وليس المقصود بما أسوقه دعوة إلى إبطال مفعول ما أبرم من اتفاقات ، وإنما لفت النظر إلى أن التجربة قد أثبتت قصور الحلول المجزأة عن احتواء مختلف أبعاد عملية التسوية ، ومختلف أبعاد ردود الأفعال لها ، وإن العملية قد تسفر عن مردودات عكسية بسبب هذا القصور .. وتأكيذاً للمعنى ذاته ، حذر الفاتيكان من خطورة إرجاء النظر فى قضية القدس إلى ما بعد إنتهاء ترتيبات الحكم الذاتى ، ذلك أن المدينة القديمة فى القدس إنما تتعرض تدريجياً ، تحت الحكم العسكرى الإسرائيلى ، لخطر ضياع خصوصيتها ، وصورتها التاريخية من خلال تغيير ملامحها .

وربما أدرك المتفاوضون أنفسهم أن الإلتزام الحرفى بـ " إعلان المبادئ " كما صيغ قبل بدء عملية التنفيذ ، قد يفضى إلى نتائج غير مرغوب فيها .. والجدير بالملاحظة أن رايبين وبيريز لم يرفضاً إبتداء تأكيد عرفات - وقت لقائه بهما فى باريس عقب زيارته لغزة وأريحا لتلقى الثلاثة معا جائزة من اليونسكو - بضرورة التعجيل بخطوات " عملية السلام " حتى لا يتاح للقوى المناهضة لها من الجانبيين ، إستعادة المبادأة حتى فيما يتعلق بالقضايا المرجأة الحساسة ، كمستقبل اللاجئين ومسألة تقرير الحدود ، والوضع النهائى للقدس .. وقد سلم رايبين ، فى حديث إلى الإذاعة الإسرائيلىة بإضافة موضوع

" الإنتخابات الفلسطينية " إلى جدول أعمال المفاوضات وفي هذا تسليم ضمنى من جانبه بعدم جواز الإحتجاج بـ " إعلان المبادئ " لرفض إدخال تعديلات على ما سبق وجرى إتفاق بشأنه .. والحقيقة أن قصر صفة القدس على أنها " عاصمة إسرائيل الأبدية " وحسب تشخيص خطر وضار ولا ينسجم مع روح عصر لم يعد فيه مكان لكيانات منغلقة فى تحد سافر لمشاعر قطاعات واسعة من الجنس البشرى .. إن مسلمى العالم ومسيحيه لن يقبلوا أبداً أن تكون القدس قصراً على إسرائيل واليهود فقط ، وأن تملك إسرائيل وحدها حق بسط سيادتها المنفردة عليها .. خاصة فى عالم لم تعد له " سيادة " الدول فيها صلاحيتها " المطلقة " السابقة . إن هناك آفات عديدة تميز عالمنا المعاصر ، آفات البيئة ، والتلوث ، والإشعاع النووى ، والأوبئة ، وتجارة المخدرات وحركات الهجرة ، والإنتهاكات التى تتعرض لها حقوق الإنسان .. الخ ، وهى آفات لم يعد محتملاً التذرع بـ سيادة " الدول لمنع تصدى المجتمع الدولى لها ومعالجتها ، ذلك أنها آفات لا يمكن وقفها عند الحدود الجغرافية لأية دولة فى عالم يزداد تداخلاً وتكاملاً !

إن " السيادة " تتجه كى تصبح " نسبية بل وكى تصبح متعددة الطبقات " كما يثبت من تجربة " الإتحاد الأوروبى " ، لقد أسفرت عملية بناء الإتحاد عن صلاحيات ذات سمات سيادية لأوروبا المندمجة بحكم إنتماؤها إلى سوق واحدة ، وبحكم تيسيرات كثيرة كرستها معاهدة ماسترخيت .. ثم إن هناك الصلاحيات الممنوحة للأقاليم ، وهى بسبيلها أن تتسع وأن تتنوع بصفة مطردة .. إن إتسام مفهوم " السيادة " بصفة " النسبية " إنما أفسح المجال لأعمال أكثر من سيادة " فى وقت واحد .. وهذا مجال خصب لاجتهاد فقهاء القانون الدولى المعاصر .. وكما اكتشفت لفكرة " السيادة " خواص لمعالجة متطلبات الإندماج الأوروبى العويصة . فلماذا استبعد أن تبتدع لها خواص كفيلة بمعالجة مشكلة القدس ؟



د. أحمد صدقي الدجاني

رئيس المجلس الفلسطيني للثقافة والعلوم



عربية قبل قدوم اليهود بـ ٢٠ قرناً

حاجتنا ماسة - نحن العرب - هذه الأيام لقراءة صحيحة لتاريخ القدس ، كي نحسن التعامل مع ملف القضية ، وذلك فى وقت نشهد فيه قيام الحركة الصهيونية بهجمة قوية لتعميم قراءة خاطئة لتاريخ القدس على العالم أجمع وستبلغ هذه الهجمة أوجها فى الإحتفال الذى ستقيمه الحكومة الإسرائيلية " بمناسبة مضى ثلاثة آلاف سنة على دخول الملك داود القدس ". والهدف الصهيونى هو إستكمال تهويد المدينة بعد احتلالها واغتصابها " وتعميم الزعم الإسرائيلى " بأنها عاصمة أبدية لدولة إسرائيل التى لها السيادة على المدينة وحصر قضية القدس فى " كونها خلافاً مع مسلمين ومسيحيين حول أماكنهم المقدسة فيها وكيف تتم إدارتها " .. لقد دأبت الحركة الصهيونية على العمل لتحقيق هذا الهدف منذ إنعقاد مؤتمر مدريد يوم ٣٠ / ١٠ / ١٩٩١ بعد أن نجحت فى إقناع " مصمم عملية التسوية " الأمريكية بتأجيل البحث فى قضية القدس ودعمها فى عملية التهويد وفرض الأمر الواقع فى المدينة وأغرى الدعم " العاصمة الأبدية " فى حواضر عربية ، وأن تقدم على مصادرة أراضٍ أخرى لأهلنا المقدسيين العرب فى الربيع الماضى " لإقامة مساكن لليهود عليها معلنة هذا الهدف العنصرى بلا موارد .

عمدت الحكومة الإسرائيلية فى الوقت نفسه بينما هى توجد واقعاً جديداً فى المدينة إلى تعميم قراءتها المضللة لتاريخ القدس فى عدد من الندوات انعقدت إحداها فى مدينة عربية وفى محفل الأمم المتحدة .. من المؤسف أنها نجحت فى المنظمة الأممية فى استدراج بعض المندوبين العرب إلى مناقشة قضية القدس على أنها نزاع مع مسلمين ومسيحيين حول إدارة أماكنهم المقدسة ، وقد سمعنا أحد هؤلاء المندوبين وهو يجهر

بتقديم حجج بأن للمسلمين والمسيحيين فى القدس أكثر من اليهود دون أن يتحدث بكلمة عن القدس الوطن عاصمة فلسطين وطن الشعب العربى الفلسطينى الذى غالبيته من المسلمين يعيشون مع أخوتهم المسيحيين ويعتزون بأنهم ورثوا مسئولية إستضافة المؤمنين الذين يرون فى القدس قبلة لهم يزورونها ويحجون إليها .

واضح أن فى وطننا من أحس بضرورة تلبية هذه الحاجة الماسة للقراءة الصحيحة لتاريخ القدس بغية التعامل مع قضية القدس باعتبارها جزءاً من قضية فلسطين التى هى وطن لشعبها وقبلة للمؤمنين ومطعم للغزاة ، وقد أحسنت منظمة تضامن الشعوب الآسيوية الأفريقية حين نظمت ندوة بعنوان " دفاعاً عن عروبة القدس " يوم ٢٦ / ٦ / ١٩٩٥ بالقاهرة وخصصت فيها محوراً لقراءة تاريخ القدس ، حرصت على أن أسهم فيها بتقديم علامات من خلال الوقوف أمام علامات بارزة فى هذا التاريخ وإستخلاص نتائج .

مسرح الأحداث

نستهل قراءة تاريخ القدس بوقفة أمام المكان والواقع ونستحضر حقائق جغرافية .. والجغرافيا - كما قال المرحوم جمال حمدان - هى مسرح الأحداث التاريخية والمكان هو القسم الجنوبي من بلاد الشام فى موقع متميز من أرض فلسطين فى موقع القلب من الوطن العربى ، وفى مركز حيوى من دائرة الحضارة العربية الإسلامية وموقع القدس يبين مدى أهميتها لفلسطين والوطن العربى والعالم الإسلامى ، ويتداعى إلى الخاطر ما أورده فيليب متى فى كتابه تاريخ « سوريا ولبنان وفلسطين » والنتيجة التى نستخلصها من هذه الوقفة هى أن تاريخ القدس لا ينفصل عن تاريخ فلسطين وتاريخ الوطن العربى بمغربه ووادى نيله وشامه وعراقه وجزيرته العربية وتاريخ ديار الإسلام عامة ، وأن موقع القدس يتميز بأهمية إستراتيجية بالغة بالنسبة لجميع " الحواضر " فى منطقتنا من القاهرة إلى دمشق إلى بغداد إلى مكة وصنعاء .. وصولاً للرباط وطهران والأستانة وقد شاء الله أن يجمع أهل القدس من هذا الموقع فى رباط إلى يوم القيامة .. حين ننتقل إلى بعد الزمان فى تاريخ القدس لمجد أن هذا التاريخ جزء من تاريخ فلسطين والمنطقة ، وأنه موغل فى القدم ومتصل على عصور وحافل بأحداث كثيرة ، ويمكن أن نميز فيه بين قسمين تصل بينهما

الإنطلاقة العربية بالإسلام فى القرن السابع الميلادى الأول الهجرى ، لما لهذا الحدث من تأثير كبير.. لقد سكن الإنسان فى منطقة القدس منذ فترة ما قبل التاريخ - حسب إصطلاح المؤرخين - وهناك آثار له فيها تم إكتشافها تعود إلى العصر البليستوسينى وأخرى من العهد الباليوليثى وثالثة من العهد النيوليثى الذى شهد حدوث الثورة الزراعية وظهرت القدس مدينة فى بدايات العصر البرونزى حين بناها الكنعانيون مع مجموعة مدن على طريق الميصة بين الشمال والجنوب حوالى الألف الرابعة قبل الميلاد على مرتفع الضهور قرب عين ماء جيمون فى موقع حيوى . واكتسبت القدس منذ إنشائها مكانة دينية وكان ملكها هو عبد الإله " السلام " وهى مدينة سالم "أورسالم" وقد عرفت بإسم سالم وكونت مملكة مدينة وعرف من أسماء ملوكها قدوم سالم وملكى صادق وجاء ذكراها فى نصوص مصرية قديمة تعود إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد وهناك حديث فى كتب كثيرة عما جاء فى هذه النصوص وعن أسماء القدس عبر العصور .

إن النتيجة الأولى التى نستخلصها من حديث النشأة أن القدس ظهرت قبل قدوم نبي الله داود عليه السلام إليها فى القرن العاشر الميلادى بزمان طويل يمتد عشرين قرناً ، وأن محاولات الصهيونية التوسعية اليوم ربط تأسيسها " بالملك داود " ، والإحتفال بمضى ثلاثة آلاف سنة على هذه المناسبة هو استمرار فى القفز فوق الحقائق التاريخية الذى دأبت عليه هذه الحركة العنصرية ، كما أنه تحوير وتزييف للقراءة الصحيحة لتاريخ نبي الله داود كما سنرى فى جزء آخر من هذا الحديث .

فى بعد الزمان نقف أمام علامات سكانية ، ولجد أن القدس سكنها منذ نشأت جزء من شعب فلسطين وأن هذا الشعب هو واحد من شعوب المنطقة التى تعود جميعها إلى أصول واحدة تحركت بين أجزائها فى هجرات متتالية وحملت هذه الهجرات إلى فلسطين من قلب الجزيرة العربية العموريين والكنعانيين ثم العبرانيين والأراميين وكان للهجرة الكنعانية أثر كبير فسميت فلسطين أرض كنعان مع أجزاء من سوريا ولبنان ، اندمجت فى الكنعانيين موجات هجرة تالية وانصهرت فى بوتقة شعب فلسطين جماعات من شعوب أخرى مرت بالبلاد أو اقتربت منها مثل الحيثيين والخوريين أو استقرت بها مثل الفلسطينيين الذين أعطوا أرض كنعان اسمهم كما انصهرت فى بوتقة شعب فلسطين

جماعات من شعوب حكمت البلد من فرس ويونان ورومان آثرت البقاء وتوطنت بعد أن استأمنت واستكمل شعب فلسطين صورته وتحددت هويته في أعقاب الإنطلاقة العربية بالإسلام والفتح الذي حمل موجة جديدة من عرب الجزيرة ، وانتقل من الحديث بالآرامية إلى اللسان العربى بسهولة لأن اللغتين تنحدران من أرومة واحدة وكان اسم العرب قد تردد في تاريخ فلسطين من قبل واعتنق جزء من شعب فلسطين الإسلام وبقي جزء آخر يدين بالنصرانية واليهودية واستمرت فلسطين بعد الفتح وطناً لشعبها العربى هذا بلمله كلها واندمج في هذا الشعب مهاجرون جاءوا إليها آمنين ومستأمنين حملتهم غزوات اندحرت .

أما النتيجة الثانية التى نخلص إليها من الوقوف أمام هذه العلامات السكانية أن القدس وفلسطين وطن لشعب فلسطين العربى الذى تمتد جذوره فيها إلى أقدم العصور والذى فيه مسلمون ونصارى ويهود .. وهى لم تكن قط وطناً لشعبين كما تحاول الحركة الصهيونية أن تفرض بالقوة وبالأمر الواقع أن يتبنى هذا الزعم بعض أبناء فلسطين والعروبة ، توطئة لفرض زعمها أنها وطن لشعب يهودى يسعى للإستئثار بها ، وما العبرانيون الذين جاءوا إلى فلسطين إلا جماعة من جماعات عدة أتوا - كما يقول فيليب متى - بشكل متحولين ومغامرين ومرترقة وجنود استقروا تدريجياً بين سكان كانوا أرقى منهم فتعلموا الحرث والبناء والقراءة والكتابة وورثوا المظاهر الأساسية للحضارة الكنعانية وتحاول الصهيونية اليوم بعد إبرام إتفاق " أوسلو - واشنطن " عام ١٩٩٣ أن تنزع صفة الوطن عن قضية القدس وتقدمها للعالم على أنها قضية أماكن مقدسة يقوم نزاعهم حول كيفية إدارتها . ومن المؤسف أن البعض ينساق وراء هذه المحاولة فيخوض غمار حديث حول الأماكن المقدسة ويغفل عن أن القدس وفلسطين وطن لشعبها بداية وأن قضية القدس هى قضية وطن فى الأساس هو وطن فلسطين العربى الواحد بمسلميه ونصرانيه ويهوديه وكل من يلجأ إليه مستأمناً لاغزياً وهذا الشعب هو جزء من أمة عربية واحدة فى وطنها العربى الكبير .. نقف فى بعد الزمان أمام علامات دينية ، لها أهميتها العظيمة وبخاصة فى هذه المرحلة من مراحل هذا الصراع العربى الصهيونى التى يحتدم فيها الصراع حول القدس .

وقد حدثنا المستشرق الروسى أغناطيوس كراتشكوفسكى فى كتابه الشهير « تاريخ الأدب الجغرافى العربى » كيف برزت أهمية البعد الدينى للقدس إبان الغزو الفرنجى لمنطقتنا ، فكثير التأليف عن المدينة المقدسة فى الأوساط العربية والإسلامية ؟

البعد الدينى للقدس يتمثل فى إرتباط هذه المدينة المقدسة بأنبياء الله سبحانه عند المؤمنين وإنا واجدون فى التراث الدينى قصصاً عن هذا الإرتباط منذ آدم عليه السلام ، وتاريخاً واضحاً منذ إبراهيم عليه السلام أبى الأنبياء .. وهو الذى جاء فلسطين مهاجراً ونزل " ييوس " ضيفاً على العرب اليوسيين وزار مصر وعاد منها ليستقر فى الخليل ، وليحمل زوجته هاجر وابنه إسماعيل إلى واد غير ذى زرع عند بيت الله المقدس فى مكة وقد تولى إرتباط الأنبياء من أبنائه بالقدس فى سلسلة مباركة فيها اسحق ويعقوب ويوسف وموسى وداود وسليمان وزكريا وعيسى عليهم السلام وصولاً إلى محمد ﷺ الذى أسرى الله به إلى المسجد الأقصى وعرج به منه إلى السماء " وييوس " هو أقدم أسماء القدس .. إن هذا البعد الدينى جعل القدس قبلة للمؤمنين يحج إليها اليهود والنصارى ويزورها المسلمون مقدسين حجتهم إلى بيت الله الحرام . وقد اعتز شعب فلسطين العربى بهذا الأمر ونهض بمسئولية إستضافة الحجاج ورعايتهم أثناء حجتهم وزيارتهم لبيت المقدس من موقع إيمانه بالله وبرسله لا يفرق بين أحد من رسله ، ونظر شعب فلسطين العربى إلى أنبياء الله نظرة إحترام وإجلال باعتبارهم مسلمين لله سبحانه يدعون إلى الصراط المستقيم ، ومنهم نبي الله داود الذى ينزله المسلمون عما جاء فى روايات دينية إسرائيلية عنه وعن ابنه نبي الله سليمان عليهما السلام ، وهذه النظرة تفسر كيف يشيع فى أوساط شعب فلسطين إطلاق أسماء جميع الأنبياء على الأبناء المولودين أياً كانت ملتهم وقد ميز شعب فلسطين العربى بين مؤمنين يأتون للحج والزيارة ساعتين ، وغزاة طامعين يأتون معتدين أياً كان دينهم . وقد سئل ابن تيمية عن الموقف من المغول المسلمين الذين جاءوا غزاة فأجاب بوضوح « قاتلوا الفئة الباغية » مشيراً إلى آية سورة الحجرات .

النتيجة الثالثة التى نستخلصها من الوقوف أمام العلامات الدينية فى تاريخ القدس وفلسطين أن القدس قبلة روحية للمؤمنين وأن شعب فلسطين العربى يرحب بمن يحج

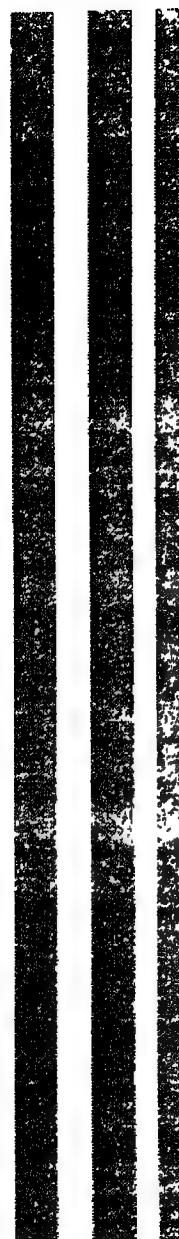
إليها منهم أو يزورها ويستضيفهم ، ولكن ليس لأحد من أتباع الديانات أن يأتي غازياً طامعاً معتدياً مستعمراً مستوطناً بزعم أن فلسطين وطنه لأن القدس قبلة روحية لأتباع دينه .. نقف في بعد الزمان أمام علامات سياسية ونتأمل في تاريخ فلسطين القديم فنجد أنها كانت جزءاً من المنطقة تعيش حضارتها وتصل بين بابل ومصر ، وقد أكدت كشوفات حضارة ايبلا أو " عبله " في شمال سوريا حقيقة التواصل بين أجزاء منطقتنا والترابط بين حضارة الوديان في الجزيرة العربية وحضارة النهر في العراق ومصر والهلال الخصيب بعمامة .. نجد أيضاً أن شعوباً من دائرة أوسع تحيط بوطننا العربى الكبير حكمت فلسطين وجاراتها فترات محدودة في مرحلة تالية ، شأن الفرس واليونان والرومان الغربيين والروم الشرقيين ويلفت نظرنا ما لاحظته المؤرخ بريسيد من أن تأثير هؤلاء تركز في المدن وبقي الريف كنعانى الطابع فى فلسطين وقد عاش بعض اليونانيين في المدن الفلسطينية ومنها القدس في ظل الحضارة الهلستية ولكن الحضارة الكنعانية كانت غالبية على حياة الناس الذين عزلوا عنهم الإنغماسيين من أمثال هيردد الملك . وقد جعل المؤرخ توينى اسمه رمزاً لهؤلاء فساهم الهيردديون في دراسته الشهيرة للتاريخ.

سنلاحظ أن شعب فلسطين رحب بالفتح العربى الإسلامى وقد رأينا كيف استقبل البطريك صفرونيوس الخليفة الراشد عمر بن الخطاب في بيت المقدس ، تماماً كما رأينا في مصر البطريك بينامين يرحب بعمر بن العاص ، وأعطى عمرو العهد الشهير الذى حكم العلاقات بين المؤمنين في ظل دولة الخلافة الإسلامية من نصارى ومسلمين ويهود .

علامة أخرى سياسية بارزة نراها حين بدأت الغزوة الفرنجية ونحن مع الصوت الذى سمعناه من الكنسية القبطية بضرورة تسميتها باسمها الذى عرفها أجدادنا به باسم الحروب الصليبية الذى سماها به الأوروبيون ، وقد استهدفت هذه الغزوة القدس واحتلتها وتطلعت بعد ذلك للسيطرة على حواضر المنطقة الأخرى ونذكر كيف استهدفت الفرنجة دمشق والقاهرة ثم كيف تجرأ أرناط على التفكير بغزو مكة والمدينة ونقف في هذه العلامة أمام الصحوة الرائعة التى حدثت في المنطقة إستجابة لتحدى هذه الغزوة وبدأت على صعيدى الفكر والروح وكان من روادها علماء عظماء ثم قادة سياسيون كبار منهم عماد الدين ونور الدين زنكى وصلاح الدين الأيوبي وبعض سلاطين المماليك وقد عبرت

السيرة الشعبية " الظاهر بيبرس " عن مدى ما اختزنه الوجدان الشعبى من عبر هذه الفترة ودروس هذه الصحوة ، ونذكر أيضا كيف تحررت فلسطين واندحر الفرنج مخلفين وراءهم مستأمن سرعان ما انصهروا فى بوتقة شعب فلسطين العربى ووفوا بحق انتمائهم له ولوطنهم ، كما نذكر كيف هزم المغول فى عين جالوت على أرض فلسطين أيضاً فى معركة فاصلة تذكرنا بسابقتها معركة حطين الفاصلة التى هزم فيها صلاح الدين الفرنج .

والنتيجة التى نستخلصها من الوقوف أمام هذه العلامات السياسية فى تاريخ القدس وفلسطين أن القدس بقيت مطمئناً لغزاه معتدين ، وأن جميع الغزوات العدوانية انتهت بالهزيمة والاندحار ، وأن أرض فلسطين شهدت المواقع الفاصلة بعد أن قامت الأقطار العربية الأخرى بأدوارها . . لقد عاد الغزو الفرنجى فى صورة جديدة يستهدف فلسطين والقدس والمنطقة فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى حين قام بونابرت بقيادة الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ ، ومع أن هذه الحملة كان مصيرها الاندحار والهزيمة ، واضطر بونابرت أن يرتد عن أسوار عكا ثم يقفل راجعاً إلى مصر ويخرج منها مهزوماً بعد أن واجه مقاومة شعبية قادها الأزهر ، الذى منه خرج سليمان الحلبي ليقتل كليبر المعتدى الذى خلف بونابرت ومع ذلك بقى الإستعمار الأوروبى فى فصائله المختلفة مستهدفاً القدس وفلسطين والمنطقة ، منذ ذلك الحين ، وباشر مرحلة الإستعمار الإستيطانى فى فلسطين والقدس التى لانزال نعيشها ونخوض الصراع لإنهائها وهذه المرحلة تستحق حديثاً آخر .



فهمی هویدی

الكاتب والمفكر العربی



قبل الغرق

ليس ما أقوله مرثية للقدس ، التى أيد الكونجرس الأمريكى رسمياً - ولأول مرة - اغتصاب إسرائيل لها ، فى جولة المزادات الإنتخابية سواء الأمريكية أو الإسرائيلية ، لكنها مجموعة من الإفادات والشهادات أضعها بين يدى الجميع ، لكى يكونوا على بينة مما جرى ويجرى من ناحية .. ومن باب إسراء الذمة من ناحية ثانية .. بيعت القدس فى جولة لمزادات الإنتخابات الأمريكية حين قرر الكونجرس الإعراف بها عاصمة لدولة إسرائيل ، وألزم الحكومة بنقل سفارتها إليها من تل أبيب مع حلول نهاية شهر مايو فى عام ١٩٩٩ ولكى يوضع القرار موضع التنفيذ على الفور ، فقد اعتمد الكونجرس مبلغ ٢٥ مليون دولار للشروع فى إقامة مقر السفارة فى العام القادم ، تضاف إليها ٧٥ مليوناً أخرى فى العام الذى يليه ، وهو ما يعنى عملياً أن تبدأ إقامة المبنى مع فتح ملف مباحثات الوضع النهائى ، وتنتهى العملية مع نهاية تلك المباحثات ، التى ظن المتفائلون أن مستقبل مدينة القدس سيكون أحد بنودها !

حتى لو لم يكن الخبر مفاجئاً ، فإنه يصفعك بقوة حين تقرأه بعينيك ، حتى يكاد يصيبك بالدوار ويشعرك بالانكسار والمهانة ، على الأقل فذلك ما حدث معى ، أخفيت الحزن وابتلعت الغضب ، ومضيت أتابع التفاصيل والأصداء ، وأقلب ملف المدينة المقدسة الذى احتفظ فيه بقصاصات القضية عنت لى بعض الملاحظات واستوقفتنى بعض العبر والشهادات التى وجدتها جديرة بالإثبات فى المناسبة .. قاومت تحذيرات صاحبي الذى

ادعى بأن مثل شهادتى - هذه - نفخ فى " قرية " مقطوعة أو سباحة ضد التيار . قلت :
ليكن حتى أذانا فى مالطة ، لأن المهم هو أن يرفع الأذان فى الأذان.

كانت ملاحظتى الأولى : أن موسم الانتخابات الأمريكية ، رئاسية كانت أم نيابية صار موسم التنافس على مجاملة إسرائيل على حساب العرب ، لأنهم يريدون أصوات اليهود أو يتطلعون إلى الفوز بتبرعات أثريائهم ، لتمويل حملاتهم الإنتخابية ، فإنهم لا يجدون سوى جثة فلسطين يقتطعون منها ما يشاءون وينهشون لحمها وعرضها لكى يقدموه لهم قرباناً مجانياً ، يقبضون هم عائده .. كأنما كتب على فلسطين أن تتحمل وحدها ثمن اضطهاد الأوروبيين لليهود فى الماضى ، وأن تدفع ثمن إسترضاء المرشحين الأمريكين لليهود فى الحاضر !

لقد وعى الإسرائيليون ذلك منذ وقت مبكر ، فحرب ٤٨ والجرائم التى استصحبتهما تمت فى سنة انتخابية .. عدوان ٥٦ الثلاثى تم فى سنة انتخابية .. وحرب ٦٧ تمت فى سنة انتخابية .. ومذبحة الكرامة تمت فى سنة انتخابية ، وها هو قرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس يصدر بدوره فى سنة انتخابية .

- الملاحظة الثانية : أن أعضاء الكونجرس تصرفوا فى المسألة وكأنهم يتعاملون مع فضاء واسع فى العالم العربى ليس فيه سوى إسرائيل .. من ثم فإنهم أعطوا لأنفسهم الحق فى أن يهبوا لها المدينة المقدسة بعد ما أفتوا فى ديباجة قرارهم بأنها " المركز الروحى للديانة اليهودية " ، ولم يخطر على بالهم أن لشعب فلسطين فيها حقوقاً ، أو أن للمسلمين والمسيحيين بدورهم فيها حقوق تتجاوز ما لليهود ، وتماثلها فى الحد الأدنى .. هم فى ذلك لم يخطئوا فى قراءة الجغرافيا فحسب ، وإنما أخطأوا فى قراءة التاريخ أيضا .. لقد عموا فى الأولى ، وجعلوا أو صموا فى الثانية . ذلك أن تلك المدينة التى أرادوا نقل السفارة الأمريكية إليها بحسبانها عاصمة أبدية ، لم تكن عاصمة لمملكة بنى إسرائيل إلا لمدة ٧٣ عاماً فقط فى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر قبل الميلاد .. بعدها أمر الرب "بتمزيق المملكة " كما ذكرت التوراة .. آنذاك تمزقت القبائل العبرانية (الإسرائيلية) أرض فلسطين التى سكنها الكنعانيون منذ العصر الحجري احتلوا أجزاء محدودة فى فلسطين بكثير دون الأراضى التى تحتلها إسرائيل الآن . الأمر الذى يعنى أن أولئك العبرانيين كانوا

أجانب في فلسطين ولم يولدوا بها ، ثم أنهم قضوا فيها فترة من زمن هي بمثابة لحظة عابرة في مسيرة أربعة آلاف سنة من عمر القدس وفلسطين .. وبعد مجيئهم وبعد رحيلهم كان العرب الكنعانيون هناك هم الذين أقاموا القدس وعمروها وحصنوها ، وهم أنفسهم الذين أصبحوا الآن مشردين ولاجئين .. تلك اللحظة الخاطفة في تاريخ القدس العريق والعريض ، هي التي سوغت تعمم أكذوبة العاصمة الأبدية لإسرائيل ، تلك التي صدقها كثيرون ، بما فيهم أعضاء الكونجرس ففعلوا فعلتهم بغير علم ولا هدى ، وإذا عممنا هذا المنطق ، وحتى لكل جماعة استوطنت بلداً من ألف أو ألفين أو ثلاثة آلاف سنة ، ثم عادت لتطالب به ، فإن العالم سيتحول إلى جحيم من الصراعات لا حصر لها .

وكما قال هـ . ج . ويلز : إذا كان سليماً إعادة بناء الدولة اليهودية التي لم توجد من ألفى سنة على الأقل ، ألا يكون من الأسلم العودة ألف سنة أخرى ، وإعادة بناء الدولة الكنعانية (العربية) ؟ .. فالكنعانيون على عكس اليهود ، هم الذين استمروا في فلسطين ولايزالون ، إن التسليم بالإدعاء الصهيوني يعطى الحق لأحفاد البابليين والمصريين والفرس واليونانيين والرومانيين في الإستئثار بالأراضي المقدسة ، حيث قضى كل من هؤلاء في فلسطين أكثر مما قضى أسلاف الإسرائيليين .. من هذه الزاوية فإن أهل العراق الذين هم أحفاد البابليين والآشوريين والعرب ، يصبحون أكثر استحقاقاً من اليهود في إدعاء ملكية فلسطين ، لأن أجدادهم حكموا فلسطين قبل وبعد الاحتلال اليهودي لها ، بل واختلطت دماؤهم مع دماء قبائل إسرائيل العشرة النائية ، التي حكمت القسم الأكبر من فلسطين أيام العبرانيين ؟ .. ناهيك عن أن سكان العراق الحاليين يرتبطون مع سكان فلسطين من العرب بروابط الدم واللغة والثقافة والدين .

ذات المنطق الذي يسوغ لإسرائيل حق اغتصاب فلسطين وإدعاء ملكية القدس ، لا بد وأن يعطى المكسيك الحق في استرداد مساحات كبيرة من الولايات المتحدة .. كما يعطى الأسبان حقاً في المطالبة بالمكسيك . ويبرر مطالبة العرب بأسبانيا ويفرض على الولايات المتحدة أن تسلم مقاليد البلاد إلى الهنود

- الملاحظة الثالثة : أن زعيم الجمهوريين في مجلس الشيوخ " بوب دول" الذي قاد حملة نقل السفارة الأمريكية إلى القدس كان من معارضي هذه الفكرة ، فقد ألقى خطاباً

أمام المجلس في عام ١٩٩٠ عبر فيه عن معارضته تلك وقال فيه ما نصه " إن من المجازفة بمكان أن يقحم مجلس الشيوخ الأمريكي نفسه في وضع ينطوي على حساسية شديدة في الشرق الأوسط " ١

غير أن ذلك الموقف انقلب ١٨٠ درجة بحلول عام ٩٥ الذي تحول فيه دول إلى زعيم لحملة المطالبة بنقل السفارة رغم أن الموقف الذي برر به معارضته المعلنة في سنة ١٩٩٠ لا يزال كما هو لم يتغير فالحساسية مازالت على أشدها ، ولاتزال قضية القدس أحد الألغام التي يمكن أن تفجر عملية السلام ذاتها والذي تغير هو موقف دول نفسه الذي عزم هذه المرة على ترشيح نفسه للرئاسة . الأمر الذي يكشف بطريقة فاضحة المدى الذي يمكن أن يغير به الساسة الأمريكيون مبادئهم ويسترخصون الانتقال من موقف إلى نقيضه ، حتى فيما يتعلق بمصائر الشعوب وحقوقها ، من أجل التزلف إلى إسرائيل أملاً في كسب أصوات اليهود الأمريكيين والفوز بحصة من أموال أثريائهم في تمويل الحملات الانتخابية .

- الملاحظة الرابعة : أن التصويت على القرار كان كاسحاً بدرجة مستفزة ، فالذين أيدوا القرار كانوا ٩٣ عضواً ، والذين عارضوا كانوا خمسة فقط لا غير ، بينما تغيب اثنان عن جلسة التصويت وهو ما يعنى أن الفلسطينيين والعرب ، بقضهم وقضيضهم ، وبنفطهم وذرائعهم بشعوبهم وتحالفاتهم وصدقاتهم للولايات المتحدة ، ذلك كله لم يحظ إلا بنسبة خمسة في المائة من عناية أعضاء الكونجرس ، بينما ٩٥% من الأعضاء تعاملوا مع العرب باحتقار شديد ، وصنفوهم أصفاراً لا تستحق نظراً ولا اعتباراً أئمه استهتاراً أو ازدراء ١١

وهذا الذي حدث في الكونجرس ليس أمراً شاذاً في المؤسسات الأمريكية ، ولكنه يجسد تصاعد مؤشرات الانحياز لإسرائيل في عموم الموقف الأمريكي ، التي بلغت في عهد الرئيس كلينتون ذروة غير مسبوقة .. ألم تر آية ذلك في التقرير الذي نشرته " صحيفة معاريف " لمراسلها في واشنطن ، فينوام باريوسف في الثاني من سبتمبر ١٩٩٤ تحت عنوان : اليهود يديرون بلاط كلينتون ، ولئن حدث ذلك على مستوى البيت الأبيض فهل نستكثر حدوثه في الكونجرس ١٢

- **الملاحظة الخامسة :** أن ذلك القرار الفج لا ينتهك فحسب أهم ما فى ميثاق الأمم المتحدة حين يؤيد الاستيلاء على أراضى الغير بالقوة لكنه يطيح أيضا وبجراحة متناهية بمختلف القرارات التى أصدرها مجلس الأمن عن موضوع القدس بالذات ، منها على سبيل المثال القرار الذى أصدره المجلس فى ٢١ مايو ٦٨ عندما تقدمت الدول العربية بشكوى لإحتجاجاً على قرارات إسرائيل بمصادرة بعض الأراضى وتغيير الأوضاع فى القدس ، آنذاك دعا مجلس الأمن فى قراره رقم ٢٥٢ إسرائيل إلى إلغاء كل إجراءاتها وقرر إدانة إسرائيل لفشلها فى الامتثال لقرارى الجمعية العامة الصادرى فى ٤ و ١٤ يوليو ١٩٦٧ ، واعتبر أن كل الإجراءات الإدارية والتشريعية وكل الأعمال التى قامت بها إسرائيل بما فى ذلك مصادرة الأراضى والأماكن التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير فى الوضع القانونى للقدس هى إجراءات باطلة ، ولا يمكن أن تغير فى وضع القدس " كما دعاها " بإلحاح إلى أن تبطل هذه الإجراءات ، وأن تمتنع فوراً عن القيام بأى عمل آخر من شأنه أن يغير فى وضع القدس .. هذا القرار صدر فى عام ٦٨ بأكثرية ١٣ من أعضاء مجلس الأمن الخمسة عشر ، ولم تجرؤ الولايات المتحدة آنذاك على أن تستخدم الفيتو ضده (لاحظ أن واشنطن استخدمت الفيتو فى سنة ٩٠ لمنع إصدار قرار من مجلس الأمن يدين مصادرة إسرائيل لبعض الأراضى فى القدس) .. ثمة قرار آخر له أهمية خاصة أصدره مجلس الأمن فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٨٠ ، إثر شكوى تقدمت بها الدول العربية بعد أن أصدرت إسرائيل قانوناً فى بدايات الشهر ذاته نص على اعتبار القدس عاصمة لإسرائيل ومقرراً للسلطة فيها القرار صدر تحت رقم ٤٧٨ وقد أصدره مجلس الأمن بالإجماع ، بينما امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت ، وجاء فيه ما يلى :

١ - إن المجلس يستنكر بأشد العبارات إقرار إسرائيل القانون الأساسى بشأن القدس ورفضها الإلتزام بقرارات مجلس الأمن ذات الصلة .

٢ - يؤكد مجلس الأمن أن إقرار إسرائيل القانون الأساسى يشكل انتهاكاً للقانون الدولى ، ولا يؤثر فى التنفيذ المستمر لاتفاقية جنيف الرابعة المؤرخة فى ١٢ / ٨ / ٤٩ .

٣ - ويؤكد مجلس الأمن على أن جميع الإجراءات التشريعية والإدارية والأعمال التى قامت بها إسرائيل - السلطة المحتلة والتى غيرت أو تهدف إلى تغيير طابع المدينة

المقدسة ووضعها القانونى ، وخاصة القانون الأساسى الأخير بشأن القدس ، باطلة ولاغية ، ويجب أن تلغى .

٤ - ويؤكد أيضا أن هذا العمل يشكل عائقاً خطيراً لتحقيق سلام شامل وعادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط .

٥ - ويقرر مجلس الأمن ألا يعترف بالقانون الأساسى ، وبأعمال إسرائيل الأخرى الناجمة عن هذا القانون ، التى تهدف إلى تغيير طابع المدينة ووضعها القانونى ، ويدعو جميع الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة إلى مايلى :
- أن تلتزم بقرار مجلس الأمن هذا (٤٧٨) .

- على الدول التى أقامت بعثات دبلوماسية فى القدس أن تسحب تلك البعثات .

- يقرر (مجلس الأمن) أن يظل مهتماً بذلك الوضع الخطير .

اللافت للنظر أن الطرف الفلسطينى لم يستخدم القرار ٤٧٨ فى مفاوضاته مع إسرائيل ، كما تتمسك سوريا مثلاً بالقرار ٢٤٢ فيما يتعلق بالجلولان .. الأخطر من ذلك والأسوأ أن المفاوضات الفلسطينى قبل بالتنازل عملياً عن مرجعية قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، حتى أصبحت اتفاقيات أوسلو واحد واثنين وحدها الحاكم لعلاقاته مع إسرائيل .

فى الوقت ذاته فإن مثل هذه القرارات تفسر لنا إصرار إسرائيل على استبعاد الأمم المتحدة بصورة لا تخلو من نفور وإزدراء - من كافة مراحل عملية السلام ، إبتداءً من مؤتمر مدريد وحتى إتفاق طابا أو أوسلو اثنين الذى وقع بالبيت الأبيض فى شهر سبتمبر الماضى .

- الملاحظة السادسة : أن القرار إذ يكرس إلحاق القدس لشطريها بدولة إسرائيل ، فإنه يدعم عملية تهويدها الجارية الآن على قدم وساق فضلاً عن مخططات توسيعها التى تكاد تبتلع ثلث الضفة الغربية . وهذا التهويد سعت إليه إسرائيل من البداية حين أوقفت نمو الأحياء العربية فى القدس الشرقية خاصة عبر التضييق على العرب فى الحصول على تصاريح البناء كما عمدت إلى حصار تلك الأحياء بالمنشآت السكنية اليهودية ، بل عملت

على اختراق تلك الأحياء وتسكين اليهود في قلب التجمعات العربية كما أنها لم تتردد في الإستيلاء على كل ما أمكنها الإستلاء عليه من المساكن المقامة بحجة غياب أصحابها في الأغلب .. وفي الوقت ذاته فإنها وجهت المستوطنين المستجلبين من شتى أنحاء العالم للإقامة في المدينة المقدسة ، حتى أصبح ٧٠ ٪ من أولئك المستوطنين يعيشون في مدينة القدس وحدها ، ومن ثم صار العرب هناك مجرد جزر منعزلة ومقهورة وهي تعيش وسط بحر إسرائيل بل إن القدس الشرقية التي تمتعت تاريخياً بأغلبية عربية ساحقة ، اختل توازن سكانها لصالح اليهود ، الذين أصبح عددهم ١٦٨ ألفاً مقابل ١٥٤ ألف عربي (طبقاً لإحصاء عام ٩٣) .

الاحتشاد اليهودي في القدس أدى بقوة الطرد إلى إبعاد العرب عنها مسلمين ومسيحيين وفي دراسة نشرتها الكاتبة الأمريكية " جريس هالسيل " والتي زارت الأراضي الفلسطينية المحتلة للتعرف على أوضاع شعبها والمسيحيين منهم بوجه أخص ، ذكرت ما نصه : لم يبق في أرض المسيحية سوى أربعين ألفاً من المسيحيين .. وقبل نصف قرن كان عدد هؤلاء نحو ١٣٥ ألفاً كانوا نصف سكان القدس ، و ٩٠ ٪ من سكان بيت لحم . وقد تناقصوا في القدس حتى أن طائرتي جامبو يمكنهما الآن نقلهم جميعاً (أى أنهم أصبحوا حوالى ألف شخص) وصاروا في بيت لحم مجرد ١٠ ٪ من مجموع سكانها - (مجلة " لينك " الأمريكية عدد أول إبريل ٩٥) .. حملة التهويد هذه سكانياً وعمراً لا تنتهك ميثاق الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن فقط ، ولا تنتهك ميثاق حقوق الإنسان بدورها فقط من حيث أنها تحرم أصحاب الأرض من حق الحياة فيها ، ولكنها تعد نوعاً من التطهير العرقي التدريجي الذي يستبعد المسلمين والمسيحيين بأساليب غاية في الخبث والدهاء لكي يستبقى المدينة لصالح اليهود في نهاية المطاف .

ومن شأن ذلك أن يحول المدينة من واقع متعدد الثقافات استقر عبر قرون تحت الحكم الإسلامي إلى واقع يهودي في الأساس تسيطر فيه إسرائيل على السيادة بدون منازع. الأمر الذي يفقد المدينة المقدسة أحد أهم أرصدها التاريخية والحضارية .

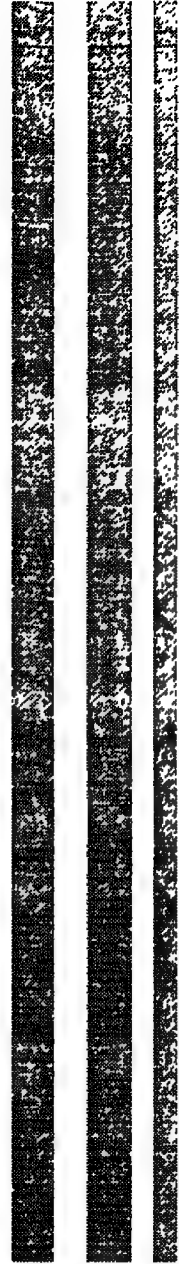
- الملاحظة السابعة والأخيرة : أن هذا الذي حدث لم يلق صداه المتوقع في الخطاب السياسي العربي والإسلامي ولم يحدث سوى استنكار بعض الدول للقرار ..

لقد انعقدت القمة الإسلامية لأول مرة فى عام ٦٩ بسبب محاولة حرق المسجد الأقصى فى المدينة المقدسة التى أقدم عليها أحد المستوطنين اليهود .. ولكن ابتلاع المدينة المقدسة كلها لم يحرك شيئاً فى الساحة الإسلامية بعد ربع قرن من وقوع الحادث الأول ، وغاية ما صرنا نملكه أن نتحدث عن " احتمال " انعقاد مجلس الجامعة العربية كأحد الخيارات المحتملة لبحث الأمر !!

إن الشعارات بالنسبة للعرب .. مسلمين ومسيحيين هو أن القدس هى عاصمة فلسطين .. أما الشعار بالنسبة إلى كل المسلمين ، هو أن القدس هى مدينة الأقصى المبارك ومسرى الرسول الأمين .. وأما الشعار بالنسبة إلى كل المسيحيين هو أن القدس هى مدينة قيامة السيد المسيح فكلها شعارات استراتيجية .. لكن ما من شعار منها قد تحول إلى عنوان عمل يومى .. كما تحول شعار الصهيونية بأن القدس هى العاصمة الموحدة والأبدية لإسرائيل .. لكن القدس بالنسبة لإسرائيل موضوع لا يقبل المساومة واعتبارها بقرار حكومى عاصمة موحدة وأبدية حتى العام ١٩٨٠ ما كان مجرد إجراء رسمى أو مجرد شعار .. لكنه كان عملاً سياسياً وشعبياً وعمرانياً متواصلاً .

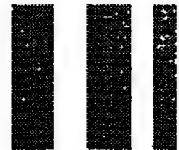
وإن قرار الكونجرس الأمريكى بنقل السفارة الأمريكية للقدس هو أول تحرك عملى أمريكى باتجاه القول بأن الحل المرحلى الذى تم إنجازه مع السلطة الفلسطينية هو الحل النهائي .. ويبقى أن يتبته الفلسطينيون والعرب إلى ذلك ، فيتحركون بسرعة ويرتبون أوراقهم لخوض المعركة بموقف تفاوضى موحد وإلا خسروا المعركة تماماً .

لقد تغيرت الدنيا حقاً بأبعد وأعظم مما نتصور .



د . صالح حسن المسلموت

الأستاذ بجامعة الأزهر بالقاهرة



بين الحقوق العربية والاطماع الإسرائيلية

القدس هي " يوس " كما ورد في سجلات الفراعنة وهي " أوروسالم " كما كان اسمها عند الكنعانيين ، وهي " أورشليم " كما سماها العبرانيون ، وهي " بروساليم " عند اليونانيين وهي " هيروسلما " أو " سوليموس " أو " إيليا " عند الرومان ، وهي " القرية " أو " بيت المقدس " أو " البيت المقدس " أو " القدس " كما سماها العرب المسلمون .. ومدينة القدس مدينة قديمة يرجع تاريخها إلى أكثر من ثلاثين قرناً قبل الميلاد وتذكر المصادر التاريخية أنها كانت في إبتداء الزمان صحراء خالية بين أودية وجبال ، وكان أول من اختطها سام بن نوح عليه السلام ، حيث يذكره البعض باسم " ملكى صادق " ومعناها بالعبرية ملك الصدق ، ويبدو لنا أن " ملكى صادق " متأخر في الزمن عن الجيل الأول الذى عاش فى هذه البقعة المباركة ، فى أول الأمر ، وكان ذلك قبل أن يفكر " ملكى صادق " فى تخطيط مدينته على أى شكل من الأشكال ، ويظهر أن أول من أقام بها هم بطن من بطون العرب الأوائل التى عاشت فى فجر التاريخ فى الجزيرة العربية .

ويذكر المؤرخون أنهم كانوا يسمون " اليبوسيين " تسمية أطلقها عليهم الفراعنة كما يظهر فى آثارهم ، ولقد رحل هؤلاء اليبوسيون إلى أرض مدينة القدس حوالى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، واستوطنوا بها وارتبطوا بترابها حتى أنهم كانوا بعد ذلك أصحابها الشرعيين صدوا عنها غارات المصريين كما صدوا عنها قبائل العبرانيين النائية فى صحراء سيناء ولقد لمجحوا فى بناء مدينتهم وعمارتها .. ولمجحوا فى صد الغزاة عنها أزماناً طويلاً إذ كانوا متحدين ، فلما تفرقت كلمتهم اشتد طمع العبرانيين فيهم مما

اضطربهم إلى التحالف مع المصريين وطلبوا عون "تحتمس الأول" عام ١٥٥٠ ق. م. فلبى رغبتهم وساعدهم في صد غارات القبائل العبرانية وأدت بهم هذه الاستعانة إلى نوع من الخضوع لسلسلة من فراعنة مصر: تحتمس الثالث ١٤٧٩ ق. م. ، امتحبت الثالث ١٤١٣ ق. م. ، إخناتون ١٣٧٥ ق. م. ، توت عنخ آمون ١٣٥١ ق. م. ، سيتي الأول ١٣١٤ ق. م. "رئيس الثاني ١٢٩٢ ق. م. .. وجدير بالذكر أن هذه الاستعانة أو هذا الخضوع لم يفقدهم كيانهم كشعب واحد متماسك يمارس حياة قومية خاصة ، ويحتفظ بحقه في حكم نفسه ، إذ كان المصريون يكتفون بتحصيل الجزية من أهلها .. ولما كان العبرانيون يبحثون لهم عن مستقر يقيمهم تيه الصحراء فإنهم استمروا في محاولتهم دخول "يوس" وأخيراً وبعد جهد شديد تمكنوا من ذلك في عهد داود عليه السلام حوالي ١٠٤٩ ق. م.

وتؤكد لنا التوراة أيضاً غربة اليهود عن القدس ففي سفر القضاة ١٩ ، ١١ ، ١٣ نجد قصة رجل غريب وفد مع جماعة له إلى مشارف يوس .. وفيما هم عند يوس والنهار قد انحدر جدا قال الغلام لسيدة : تعالى نميل إلى مدينة اليوسيين هذه ونبيت فيها ، فقال سيده : لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا .. إذن فلقد دخل اليهود يوس في عصر جد متأخر على يد داود عليه السلام واضطر أهل البلاد الأصليين إلى التعايش مع الغزاة مرغمين .. ويؤكد التاريخ أنه حتى في الفترة التي كان لإسرائيل فيها كيان ونفوذ في يوس وفي عصرهم الذهبي من داود إلى سليمان عليهما السلام كان ملك إسرائيل آنذاك بمثابة والٍ على فلسطين تحت السيطرة المصرية .. وما سبق يتضح لنا أن داود وسليمان عليهما السلام لم يكونا مؤسسي مدينة القدس وإنما أتيا إليها بعد ألفي سنة من وجودها وكانت عمارتهما لها بعد ذلك كما يقول المؤرخون بمثابة "تجديد البناء القديم" .. فإلى متى استمر الكيان السياسي لليهود في يوس ؟

بعد موت سليمان عليه السلام حوالي ٩٧٥ ق. م. انقسمت المملكة اليهودية إلى شطرين : إسرائيل في الشمال وعاصمتها "نابلس" ودامت نحو ٢٥٠ عاماً وانتهت عام ٧١ ق. م. وقضى عليها ملك آشور ولم تقم لها قائمة بعد ذلك وأورشليم مملكة يهوذا في الجنوب ، وقد عاشت أكثر من أختها وفي عام ٥٩٩ ق. م. دمرها نبوخذ نصر وسبي

جميع أهلها وأرسلهم إلى بابل وهو ما يعرف في التاريخ بالشتات البابلي الأول وراح اليهود يعيشون بعد مملكتهم هذه كطائفة دينية يرأسها كاهن حتى ظهر المكابيون وقاموا بثورتهم واستولوا على أورشليم عام ١٦٧ ق.م وظهر منهم الرؤساء والملوك وبعد فترة وجيزة كانوا خاضعين للحكم اليوناني مرة والحكم الروماني مرة أخرى رازحين تحت عبء التنازع السياسى والفساد الداخلى وذاقوا الدمار ثلاث مرات متوالية على أيدي الأباطرة : بومبي وتيطس وأدريانوس ، وكان أن قضى على دولتهم الهزيمة ولم تقم لهم دولة أو كيان بعد ذلك وهو ما يعرف في التاريخ أيضاً بالشتات الروماني الثانى أو ما يطلق عليه " الدياسورا " .

نما تقدم يتبين لنا عدة حقائق هي :

أولاً : أن وجود اليهود بمدينة القدس لم يكن إلا بعد وجودها بعشرين قرناً وبعد أن تحضرت على يد أصحابها الفلسطينيين ذوى الأصل العربى ، الذين نشأوا في صميم الجزيرة العربية .

ثانياً : إن وجودهم بها حدث واستمر كغزاة تقوم العلاقة بينهم وبين أصحاب الأرض الأصليين على هذا الأساس .

ثالثاً : إن كيانهم السياسى لم يقم بهذه الأرض إلا في فترة متأخرة جداً ولبضع سنوات لا تكاد تتجاوز خمساً وسبعين عاماً من بين خمسين قرناً على هذه الأرض وهي مأهولة متحضرة .

وليس أدل على ضعف ارتباط اليهود بأرض فلسطين من أن زعماء الصهيونية في العصر الحديث عندما بدأوا يفكرون في بناء وطن قومى لهم ساغ لبعضهم أن يتجهوا بتفكيرهم إلى بلاد أخرى غير فلسطين ، فهذا البارون هيرشى اليهودى الألماني الثرى يرى أن الأرجنتين هي أصلح مكان يمكن أن تقام عليه دوله لليهود .

بل إن هرتزل نفسه كان على استعداد لقبوله في سوريا أو البرتغال أو سيناء أو قبرص أو العريش أو موزمبيق أو طرابلس أو أوغندا أو الكونغو لولا أن بادرت المصالح الاستعمارية إلى ربط عجلتها بالمطامع الصهيونية فتكاتفا على إحداث المأساة .

الفتح الإسلامى لبيت المقدس

ونعود إلى القدس مرة أخرى وكيف دخلها الإسلام بعدما عانت من الحكم الرومانى تم فتح بيت المقدس فى عهد الفاروق عمر ثانى الخلفاء الراشدين بأكرم وأرفع وأخلد مجموعة عرفها هذا الكون من البشر ومن الملائكة اجتمعت لأول مرة بقيادة الرسول الكريم ليلة الإسراء ، ووضعت حجر الأساس فى الوجود الإسلامى فى المنطقة ولقد تابع سيدنا محمد ﷺ تنفيذ هذه الغزوة الملائكية بغزوة تبوك وسار من بعده على الدرب أصحابه فأذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقائد جيشه على الشام بفتح بيت المقدس فأرسل أبو عبيدة بن الجراح - وقد عسكر بالأردن - " إلى بطارقة أهل ايليا وسكانها " سلاماً ودعوة إلى الإسلام .. ﴿ " فإن شهدتم بذلك ، حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذرياتكم وكنتم لنا إخوانا ، وإن أبيتم فأقروا لنا بأداء الجزية " ﴾ .

دعوة إلى الحق والسلام والإخوة لا يأبأها منصف ولا يمتنع عنها مؤمن بالقيم الدينية والمثل الإنسانية ، وبعد القتال أرسلوا إليه يطلبون الصلح على أن يعطيهم الخليفة بنفسه العهد والأمان ، وقد انتقل إليهم الخليفة عمر بن الخطاب حقناً للدم وتوفيراً للجهد وأعطاهم العهد الذى جاء فيه :

١ - ألا يسكن بايليا معهم أحد من اليهود .

٢ - وأن يخرجوا منها الروم .

ونقف هنا لتساءل : لماذا نص فى العهد على هذين الشرطين ؟! يذهب بعض الباحثين إلى أن النص على ألا يسكن القدس أحد من اليهود كان بناء على طلب البطريرك .. ونحن نرى أن نظرة عمر كانت أبعد من مجرد الاستجابة لطلب البطريرك خاصة إذا لاحظنا الارتباط بين استبعاد اليهود واستبعاد الروم ، إننا على إقتناع بأن الإلهام العمرى كان يقوم بدوره عند عقد هذا العهد أن نكبة فلسطين التى نعيشها اليوم بأقسى ظروفها إنما كانت نتيجة الإخلال بهذين الشرطين ، فقد سمح للإستعمار بأن يدوسوا بأقدامهم تلك الأرض المطهرة وتلك كانت بداية الكارثة ، رحم الله عمر ورضى عنه .

لقد كان طلب البطريك دليلاً على عدم وجود اليهود بتلك الأرض ، ولكن اليهود تسللوا بعد ذلك من نافذه التسامح الإسلامى ، بل نقول من ثغور التساهل الذى كان المظهر المنحرف للتسامح الحكيم ، فقد سمح لبعض اليهود أن يكونوا بين خدام المسجد الأقصى يسرجون مصابيحهم بعد أن بناه عبد الملك بن مروان ، وهنا تظهر لمحة أخرى من لمحات عمر رضى الله عنه فى تصرف حفيده عمر بن عبد العزيز الذى منع ذلك بعد أن ولى الخلافة ، ولقد استمر بيت المقدس بأيدي المسلمين من حين الفتح العمرى إلى سنة ٤٩٢ هـ عندما استولى الفرنجة على بيت المقدس ، واستمر بيت المقدس وما جاوره من السواحل بيد الفرنجة ٩١ عاماً حتى استرد البيت صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣ هـ ثم استرجعوه فى عام ٦٢٦ هـ وتم استرداده مرة أخرى على يد الملك الصالح عام ٦٤٢ هـ .

وعد مشنوم ومؤامرة دنيئة

لم ينس الفرنجة أن لهم مأرباً فى بيت المقدس لم يقضوه فبيتوا للأمر وخططوا له طويلاً ودبروا وتآمروا حتى استوى لهم فى عام ١٩١٧ م فاحتلوا القدس تحت راية الجيش البريطانى وبعثوا إليها طلائع الصهيونية تحت إعلام وعد بلفور ، وقد حدث ذلك فى نفس الوقت الذى كانوا يقطعون فيه علي أنفسهم وعد الخديعة والغدر للشريف حسين أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية من مرسين حتي الخليج الفارسي شمالاً ومن بلاد فارس حتي خليج البصرة شرقاً ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتي سيناء غرباً .. وتنادي المسلمون برفض وعد بلفور ، ورفض الإنتداب البريطانى ومقاومة الحركة الصهيونية وأعلنوا إدراكهم لنوايا الصهيونية نحو السكان غير اليهود وبتبسيثهم النية علي إجلائهم عنها وفتح الباب للهجرة اليهودية .. ونقف هنا لنسأل :

كم كان عدد اليهود فى بيت المقدس فى الفترات التي عرضنا لها ؟
علمنا أنه فى الفتح العربى لم يكن بها أحد من اليهود .
فإذا إنتقلنا سريعاً إلي وقت الاحتلال الصليبي عرفنا أنه لم يكن بها غير المسلمين والمسيحيين وأنه لم يكن بها يهودي واحد .

وعندما فتحها صلاح الدين لم يكن بها يهودي واحد كذلك .

وفي عهد السلطان محمد الرابع سنة ١٦٧٠ م كان بها من اليهود عدد لا يزيد علي مائة وخمسين .. ثم أن عددهم أخذ يتزايد منذ أواخر القرن الماضي فبحر الحركة الصهيونية بما دعا الدولة العثمانية عام ١٨٨٢م إلي إصدار قانون حرمت فيه الهجرة اليهودية وشراء اليهود للأراضي ثم عدلته بعد ذلك بسبب سعي أمريكي وأعطت اليهود حق الدخول إلي فلسطين والبقاء فيها لمدة لا تزيد علي ثلاثة أشهر ، ولكن الذي حدث إثر ذلك هو أنهم دخلوا الأرض المقدسة وأقاموا بها وتكاثروا ، ولما استقر الأمر للإحتلال البريطاني أخذت الهجرة اليهودية تتزايد ولم يكن لها شيء يبررها من غير منطق الاستعمار ، تشهد بذلك لجنة بريطانية هبطت مدينة القدس برئاسة السير والترشو لتدارس المشاكل الناجمة عن الاحتكاك بين اليهود والمسلمين إذ جاء في تقريرها الذي أصدرته اللجنة عام ١٩٣٠ إنه إذا أجب اليهود إلي طلبهم وسمح لهم بإدخال خمسة وعشرين ألف مهاجر في السنة فإنهم سيصبحون أكثرية في عام ١٩٤٨ .

وننتقل الي الحديث عن خصوصية هذه المدينة بالنسبة للمسلمين عن المسجد الأقصى المبارك ، إن المسجد الأقصى له تاريخ أقدم - فيما نرجح - من تاريخ داود عليه السلام ، قال الإمام أبو العباس القرطبي يجوز أن يكون بناء الملائكة بعد بنائها البيت المعمور بإذن الله ، وظاهر الحديث يدل علي ذلك والله أعلم .. والإمام القرطبي يشير في هذا إلي ما رواه المحدثون عن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه قال : " قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام . قال : قلت ثم أي ؟ قال المسجد الأقصى : قلت كم بينهما قال : أربعون سنة " .

ومن العلماء من قال : بناء آدم عليه السلام ، ومنهم من قال : بناء سام بن نوح عليهما السلام . ومنهم من قال : أول من بناء وأرسي موضعه يعقوب بن إسحاق عليهما السلام ، وقد تأول بعض العلماء معني الحديث الشريف الوارد في أن بناء المسجد الأقصى كان بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة علي أن المراد به بناء يعقوب عليه السلام لبيت المقدس بعد بناء إبراهيم الخليل عليه السلام للكعبة الشريفة ، والذي نراه أن هذا المسجد كان موجوداً قبل داود عليه السلام ، ذلك أن هذه المنطقة كانت معمورة قبله . كان ممن عمرها ناس يعبدون الله علي حق سام بن نوح مثلاً لا بد أن يكون ممن عبدوا الله علي حق

إذ كان ممن لحجا من الطوفان وكان ممن عاش فيها من بين هؤلاء جميعا إبراهيم وإسحاق ويعقوب دون أن يبنوا لله مسجداً بالأرض التي عاشوا فيها ؟ أرجح الظن أنه كان لإبراهيم نصيب في بناء مسجد لله في الأرض التي عاش فيها في فلسطين .

ثم نخطوا خطوة أخرى ونسأل :

عندما يأتي داود عليه السلام بعد ذلك ليسبني مسجداً في الأرض التي عاش فيها جده أبو الأنبياء أكان له أن يبحث عن بناء أقامه جده ليحدثه ؟ أم يبدأ في بناء جديد كل الجدة ؟ أيهما أقرب الي طبيعة سلوك هذه الثلة الكريمة من الأنبياء التي لم تكن تغفل قط عن تأسي خطوات الأنبياء السابقين والافتداء بهم والاعتزاز بكل ما أمجروه والتمسك به في دقة عجيبة ، ألم يكن هذا هو الموقف نفسه عند تجديد الكعبة ؟ وأليس لنا أن نهتدي بطبيعة وسلوك الشخصيات الكريمة بجانب ما نهتدي به من الأخبار المروية ؟

ثم بعد ذلك : عندما نتدبر جمع الأنبياء للصلاة بالمسجد الأقصى في الإسراء نحس بأنهم جمعوا في المكان الذي صلوا فيه يوماً وإلا ألم يكن المسجد الحرام أولي إذا كان أقامه إبراهيم أبو الأنبياء .

ثم ما الذي جعل محمد ﷺ يتجه إليه في صلاته أولاً ؟

أكان محمد ﷺ يتجه إلي مكان أنشأه داود عليه السلام ؟

أم كان يتجه إلي المكان الذي أنشأه جده إبراهيم ؟

إذن : نحن نرجح أن البيت أقدم من داود عليه السلام وأنه يمتد إلي زمن إبراهيم عليه السلام وقد يكون أقدم وعلي أية حال :

هل لإسرائيل اليوم أن تزعم لنفسها حقاً يلغي حقوق الآخرين في هذا المكان المقدس ؟

إننا لحزم بأنه ليس لها شيء من ذلك للأسباب الآتية :

أولا : لأن هيكل داود أو سليمان ليس له أثر علي الإطلاق بعد أن دمر أكثر من مرة وأقيم مكانه معبد الاله " جوبيتر " وأصبحت بقاياها هي ما يتمسح به اليهود اليوم .

ثانيا : لأن المسلمين أولي بداود النبي المرسل عليه السلام فهو صاحب دعوة إلي الإسلام شأنه في ذلك شأن جميع الأنبياء .

ثالثا : لأن داود عند اليهود ملك ليس له شيء من قداسة الأنبياء التي يقرها المسلمون وإذن فما يبنيه ملك مجرد من القداسة عندهم كيف تكون له عندهم قداسة دينية ؟

رابعا : لأن اليهود هم الذين دنسوا من قبل المعبد الذي بناه داود ذلك أن الملك يهواش ملك إسرائيل أغار علي المدينة واستباح هيكلها ، أما المسلمون فقد كانت عنايتهم بالمسجد وتقديسهم له نابعة من شعورهم الديني الأصيل .

لقد وجد عمر رضي الله عنه المكان ممتلئاً (بالقمامة) التي وضعها النصاري فيه ذلك أن الملكة " هيلانه " عندما زارت إيليا وبنت فيها كنيسة القيامة سنة ٢٣٥ م جعلت مكان الصخرة لقمامات المدينة وعند ذلك جعل عمر يكنس القمامة والمسلمون معه وبعد أن فرغ من ذلك صلي هناك ، وهناك أقيم المسجد ثم جاء عبد الملك بن مروان فبني في نفس المكان مسجد قبة الصخرة وبني بعده المسجد الأقصى ورتب له الخدم ، وباختصار فإنه ما من ملك من ملوك العرب والمسلمين حكم القدس إلا وكان له فضل تجديده والعناية به .. لقد توخينا فيما عرضناه عن المسجد الأقصى إبراز الحقائق التاريخية التي تتعلق بها كل مطالب العرب وأماني إسرائيل .

ولقد وجدنا أن هذه الحقائق التاريخية تبنت أصالة وعراقة الوجود العربي الإسلامي وهي تثبت في نفس الوقت عرضية الوجود الإسرائيلي

د. أحمد يوسف القرعى
باحث ومفكر استراتيجى

عاصمة إسرائيل

تحتفل إسرائيل - كما تزعم - الألف الثالث - وفقاً للتقويم العبرى - لإعلان القدس عاصمة لمملكة يهودية ، والتي قامت عام ٩٩٦ قبل الميلاد ولسنوات قليلة لا تقاس بتاريخ المدينة المقدسة الطويل والمزمن ومقابل ثلاثة عشر قرناً ظلت المدينة المقدسة خلالها عربية فى أصالتها وإسلامية فى هويتها .

هكذا تغالط إسرائيل مغالطات تاريخية لا تفوت على أى باحث مبتدئ فى التاريخ وحقائق التاريخ تقول أن حقبة مملكة يهودا لا تمثل سوى برهة زمن عابرة من تاريخ طويل وحافل ومتصل تعرضت فيه المدينة للغزاة أكثر من ٤٠ مرة وفى كل مرة ظن المحتلون أن المدينة قد فقدت هويتها العربية .. لكن القدس كانت تلفظ كل دخيل وتعود دائماً كما كانت عريبه إسلامية .. وفى محاولة لتنشيط ذاكرة التاريخ لدى الجيل الجديد نقول: إن القدس عربية النشأة والمولد .. واليوسيون (بطن من الكنعانيين) هم مؤسسو المدينة حوالى ٣٠٠٠ ق . م فهم أول من سكنوا أرضها واستوطنوها وأقاموا الأبنية وتكاثروا وشيدوا معالمها العريقة وجعلوها حاضرة ملك لهم . وظل اليوسيون محتفظين بإسمهم هذا إلى عهد الميلاد وكانت لغة الكلام كنعانية اشتقت من العربية الأولى التى تولدت فى قلب الجزيرة العربية وظلت القدس تتكلم بتلك اللغة منذ نشأتها القديمة إلى نحو سنة ٤٠٠ ق . م حين إنتشرت اللغة الآرامية وهى أيضاً مشتقة من العربية الأولى وظلت الآرامية سائدة حتى حلت محلها اللغة العربية الحديثة بدخول العرب المسلمين إلى البلاد .

أما القبائل اليهودية فقد غزت القدس فى نحو سنة ١٠٠٠ ق . م وأسسوا فيها مملكة داود وسليمان ولم يحكموا فى القدس حكماً موحداً إلا مدة ٧٠ عاماً ثم تجزأت المملكة الى مملكتين - إسرائيل ويهوذا ، وأصبحت القدس عاصمة للأخيرة وسرعان ما أزيلت هذه المملكة على يد نبوخذ نصر عام ٥٨٧ ق . م ودمر هيكل سليمان وسبى

اليهود إلى العراق إلا أنهم عادوا إلى القدس عام ٥٣٨ ق . م مع القائد الفارسي قورش الذى حررهم ونقل ٤٠ ألفاً منهم إلى فلسطين وبعد الإحتلال الإغريقى لفلسطين عام ٣٣٠ ق . م جاء الإحتلال الرومانى عام ٦٣ ق . م كما طرد الإمبراطور الرومانى هادريان عام ١٣٥ م اليهود من المدينة وحرم عليهم الإقتراب منها .. ومع ظهور الإسلام أسرى بالرسول الكريم محمد ﷺ إلى (بيت المقدس) القدس وإعتبرها المسلمون مدينة لديهم وفتحوها عام ٦٣٦ م فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد حصار طويل .

وحافظ العرب على المدينة المقدسة ودور العبادة فيها وتوسعت وشيد عبد الملك بن مروان فى عهده عام ٦٨٥ م مسجد الصخرة المشرفة كما شيد خليفته الوليد بن عبد الملك المسجد الأقصى . وتعرضت القدس للغزو الصليبي عام ١٠٩٩ واستعادها المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٥ م ودخلت المدينة بعد ذلك تحت الحكم المملوكى ومن ثم الحكم العثمانى عام ١٥١٥ م وأعاد سليمان القانون بناء سور القدس البالغ طوله أربعة كيلو مترات ، وإرتفاعه إثنا عشر متراً وله ثمانية أبواب . واستمرت تحت السيطرة العثمانية حتى عام ١٩١٧ م حيث سقطت تحت الإحتلال الإنجليزى فى ١١ ديسمبر من العام نفسه وبقيت خاضعة للإدارة العسكرية البريطانية حتى عام ١٩٢٢ م عندما فرض الإنتداب البريطانى وثار العرب على سياسة الإنتداب التى كانت تشجع هجرة اليهود إلى فلسطين ، وقدمت لجنة بيل تقريراً أوصت فيه بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود فأبقت القدس وحيفا تحت الإنتداب ولكن الوضع استمر كما هو عليه حتى ٤ مايو ١٩٤٨ عندما انسحبت حكومة الإنتداب من فلسطين وأعلنت الحركة الصهيونية قيام دولة إسرائيل بعد، أن وافقت على قرار فلسطين (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) الذى وضع مدينة القدس وما حولها وصولاً إلى بيت لحم تحت وصاية دولية إلا أن إسرائيل سيطرت على جزء كبير من المدينة بعد إنضمام الضفة الغربية بما فيها القدس إلى الأردن عام ١٩٥٠ وفى العام نفسه أعلنت إسرائيل القدس الغربية عاصمة لها ونقلت الكنيست إليها واستمر الوضع كما هو عليه حتى حرب يونيو ١٩٦٧ عندما ضمت إسرائيل كل المدينة بعد إحتلالها للأراضى العربية الأخرى وبدأت فى عملية التهويد منذ اليوم الأول للإحتلال .. ولا شك أن اللجوء إلى إعادة قراءة صفحات التاريخ العربى للقدس سوف يسلمح هذا الجليل بسلاح معرفة أبعاد القضية وحقائقها فى مواجهة إفتراءات إسرائيل على التاريخ العربى .

د. مفيد شهاب
أستاذ القانون الدولي بجامعة القاهرة

القانون الدولى وقضية القدس

يتعين بالتأكيد منذ البداية ضرورة عدم إغفال الجانب القانونى فى أبعاد هذه القضية التاريخية أو الدينية أو السياسية ، التى تعتبر الحجر الأساسى فى قضية الصراع العربى - الإسرائيلى ، ولا أغالى إذا قلت بأننى أعتقد ، بأنه لا سلام ولا أمن فى المنطقة ، إلا بحل عادل يلتزم بحكم القانون ووضع الحقوق ، فى قضية المدينة المقدسة " القدس الشريف " منارة الأديان ، وإذا كنت قد سعدت بعدم إغفال الجانب القانونى ، فذلك لأن هناك فى عالمنا العربى من يعتبر المنهج القانونى درباً من العبث ، طالما أن أحكام القانون الدولى لا تلقى الاحترام من كل الدول ، ولا حتى من المؤسسات الدولية المنوط بها أعمال القواعد القانونية ، ولعل قرارات مجلس الأمن ، التى تكيل بمكيال أو أكثر ، مجرد نموذج على عدم إحترام أحكام القانون من المؤسسات المنوط بها أعمال القانون وإحترامه .

وعلى عكس هؤلاء فلئننى ضمن المجموعة التى تؤمن بحتمية الاستناد للمنهج القانونى ، خصوصاً وأننا أصحاب حق ، ولا نطالب إلا بإحترام هذه الحقوق ، هذه الحقوق المؤكدة بالقوانين وبالقرارات الدولية ، وليس غريباً أن نرى المعتدى يتمسح بهذا المنهج القانونى ، لتبرير عدوانه وتسريده ، ولا يرى البعض منا جدوى فى التمسك بهذا المنهج القانونى ، هذا المنهج الذى يدعم ، بلا شك ، ما نطالب به من حقوق . وما ندافع عنه من مصالح مشروعة . ونقول على سبيل المثال .. حرب ١٩٥٦ ، العدوان الإسرائيلى ، والذى بررته إسرائيل بأنه دفاع شرعى مسموح به فى القانون الدولى ، حرب ١٩٦٧ ، بررت إسرائيل عدوانها بأنه دفاع شرعى أما العمل العسكرى السورى المصرى عام ١٩٧٣

فقد قالت عنه إسرائيل إنه فى حكم القانون الدولى ، عدوان . لقد وصلت إسرائيل إلى حد الإستناد إلى نظرية الدفاع الشرعى فى تبرير قتل الأجنة فى بطون الأمهات الفلسطينيات ، وإذا كنت أؤكد على أهمية المنهج القانونى فى مواجهة المعتدى ، وفى مواجهة المجتمع الدولى ، فلست أدعو بذلك أبداً ، إلى التخاذل عن دعم كل مصادر قوتنا العسكرية والإقتصادية والسياسية والعلمية . والتكنولوجية إكتفاء بأننا أصحاب حق ، أو أن القانون فى صفنا . لكننى أزعـم أن المنهج القانونى السليم ، لو صح إستخدامه ، سياسياً وإعلامياً ، لكسبنا نحن العرب وضعاً أفضل فى المجتمع الدولى ، ومع المؤسسات الدولية من أجل إسترجاع الحقوق .

والتزاما منى بالأسلوب العلمى فى معالجة هذا الموضوع ، وإحتراما للبرنامج المعد أجـد لزاما على أن أقصر حديثى على قضية القدس دون القضايا الأخرى المرتبطة بها ، أو القضايا التى أدت إلى نشأة أزمة القدس : القدس الفلسطينية ، والصراع العربى - الإسرائيلى بصفة عامة ، وأقتصر ، أيضا فى حديثى على ما هو قانونى فقط ، دون ما هو دينى أو تاريخى أو سياسى ، فقد نتحدث فى هذا الجوانب من هم أكثر منى خبرة ودراية ولذا أتجاوز عن كل هذه الجوانب وأدخل مباشرة فى الناحية القانونية .

أولا : وضع مدينة القدس فى ظل قرار تقسيم فلسطين :

بموجب قرار تقسيم فلسطين ، الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة ، بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، وقرارين لاحقين ، صدرا فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨ ، وفى ديسمبر ١٩٤٩ ، تم وضع نظام للإدارة الدولية لمدينة القدس ، نظراً لإحتوائها على الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود ، ويشمل النظام الدولى بلدية القدس ، أى مدينة القدس بأكملها ، بما فيها من أحياء قديمة وحديثة والقرى المحيطة بها والتى تشكل معها وحدة واحدة ، وتم تحديد مشتملاتها فى خريطة ألحقت بقرار التقسيم الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .. وقد تقرر فى هذا التقسيم أن القدس تحت السيادة الجماعية للأمم المتحدة ويكون مجلس الوصاية مسئولاً عن إدارتها ، ويعين مجلس الأمن ، حاكماً للمدينة المقدسة ، يعاونه مجلس تشريعى يتكون من أربعين عضواً ، وتوضع فى حالة حياد دائم ، ويكون لسكانها رعيه خاصة .

لكن النظام الدولي للقدس لم ير الحياة ، وبيان ذلك أن مجلس الوصاية قد كلف بوضع مشروع لهذا النظام تمهيداً لعقد اتفاق دولي بشأنه ، لكن هذا المشروع تعذر إقراره بواسطة الجمعية العامة نتيجة لمعارضة كل من البلاد العربية وإسرائيل لتدويل القدس فبقى التدويل معطلاً .. وظل القسم القديم من القدس تحت سيطرة الأردن ، وهو الجزء الذي يحتوى على الأماكن المقدسة ، أما القسم الحديث فقد إحتلته إسرائيل منذ نشأتها سنة ١٩٤٨ . وفى ٧ يونيو ١٩٦٧ ، إحتلت إسرائيل مدينة القدس بأكملها عقب عدوانها على مصر فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ومنذ عام ١٩٦٧ وحتى الآن ، هناك إنتهاكات إسرائيلية لا يمكن حصرها للحقوق المدنية والمعتقدات فى مدينة القدس .

ثانيا : الإنتهاكات الإسرائيلية للحقوق الدينية والمعتقدات فى مدينة القدس :

لم تكف سلطات الإحتلال الإسرائيلى ، فى الأرضى العربية المحتلة بانتهاك حقوق الإنسان ، بل امتدت يدها للعبث بالمقدسات ، وخاصة فى مدينة القدس ، حيث عملت على إجراء الحفريات حول الحرم الشريف فى القدس ، وإغتصاب وهدم وإزالة العقارات والمعاهد والمقدسات الإسلامية بها وتشريد سكانها ، مستهدفة إزالة الحرم الشريف ومسجد الصخرة والمسجد الأقصى ، وإزالة ما حولها وما يجاورهما من ثرات إسلامى ومسيحى وحضارى ، وإستبدال الجميع بهيكل جديد لليهودية ، وعملت السلطات الإسرائيلية ، منذ إحتلال القدس ، على مواصلة إجراءات الحفر حتى وصلت أسوار الحرم الشريف من الجهتين الجنوبية والغربية ، وقد حدد أحد علماء الآثار الإسرائيليين طول الحفريات بـ ٤٨٥ متراً ، تم حفر ٢٣٠ متراً منها حتى ١٤ أكتوبر ١٩٧٠ .. وقد تجلت قمة الأعمال الإجرامية للسلطات الإسرائيلية بقيامها بإحراق المسجد الأقصى ، فى ٢١ أغسطس عام ١٩٦٩ ، فى محاولة منها لتهويد القدس العربية والقضاء على أهم معالمها الإسلامية ، كل ذلك من أجل بناء هيكل اليهودية المزعوم مكان المسجد الأقصى .

إن قواعد القانون الدولي تؤكد على حماية الأماكن المقدس والأماكن الأثرية ، وذلك لأنها تعتبر تراثاً إنسانياً وحضارياً لا يقدر بثمن ، كما ألزمت سلطات الإحتلال باحترام هذه الأماكن وعدم المساس بها ، والعمل على إحترام حرية ممارسة الشعائر الدينية ، وحذرت من التدخل فى هذه الشئون أو العمل على تعطيلها ، وعلى سبيل المثال ،

إتفاقية لاهاي الرابعة لسنة ١٩٠٧ فى نص المادة ٥٦ ، من أن " أملاك البلديات والمؤسسات الدينية والتعليمية ، حتى ولو كانت للدولة ، يجب أن تعامل كأملاك الخاصة ، وأن الإستيلاء ، أو التدمير أو الإضرار المتعمد لهذه المؤسسات أو المباني التاريخية أو التحف الفنية محظور ويجب أن تتخذ بحق المخالفين لنصوص هذه الإتفاقية كل الإجراءات القضائية " .. كما جرى النص أيضا ، على حرية ممارسة الشعائر الدينية ، وإلتزام السلطة المحتلة بوجوب إحترام ذلك ، فى نص المادة ٢٧ من إتفاقية جنيف الرابعة لسنة ١٩٤٩ الخاصة بحماية المدنيين ، والتي أكدت على حق السكان فى المناطق المحتلة فى ممارسة شعائرهم الدينية حسب عاداتهم وتقاليدهم .

وقد أكدت محكمة " نورمبرج " على أن تعرض سلطات الإحتلال للأماكن الدينية أو المساس بها ، وكذلك إعاقة أو تعطيل ممارسة الشعائر الدينية فى الأراضى المحتلة يشكل جريمة من جرائم الحرب ، تدينها قوانين وأعراف الحرب والإتفاقيات الدولية والقوانين الوطنية والمبادئ العامة المعترف بها من قبل الدول المتقدمة ، وقد أصدرت محكمة "نورمبرج " أحكاماً عديدة بإدانة الأشخاص الذين قاموا بإغلاق الأديرة وسلب أموال الكنائس والمعابد وإنتهاك حرمتها ، وتدخلوا فى ممارسة السكان المدنيين لعقائدهم الدينية وإضطهادهم للقساوسة ورجال الدين .

ثالثا : إسرائيل وإجراءات الإستيلاء والمصادرة للممتلكات العربية فى القدس :

نتيجة للغزو الإسرائيلى للدول العربية ، فى ٥ يونيو ١٩٦٧ والإستيلاء على الضفة الغربية ، أقدمت إسرائيل على ضم مدينة القدس واعتبرتها عاصمة موحدة لإسرائيل ، أقدمت إسرائيل على هذه الإجراءات متحدية بذلك المجتمع الدولى بأسره ومنتهاكة لمبادئ القانون الدولى التى أخذت جميع الدول على عاتقها إحترامها والإلتزام بها ، ومن ضمنها إسرائيل نفسها ، ولجوء إسرائيل إلى هذه الإجراءات ، الهدف منه تثبيت أقدامها تدريجيا فى الأراضى العربية المحتلة ، متبعة فى ذلك سياسة إقامة المستوطنات الإسرائيلية لتكون فى المستقبل بمثابة أمر واقع تفرضه إسرائيل على الدول العربية كما فعلت سنة ١٩٤٨ ، وقامت إسرائيل فى أعقاب حرب يونيو سنة ١٩٦٧ بحركة استيطان هائلة وضم أراضٍ واسعة فى الضفة الغربية ، تنفيذاً لمخططها التوسعى .

ففى ٢٨ يوليو ١٩٦٧ ، بعد العدوان بشهر ونصف ، أصدرت إسرائيل أمراً أطلقت عليه اسم " أمر القانون والنظام رقم ١ لسنة ١٩٦٧ " أعلنت فيه أن " مساحة أرض إسرائيل المشمولة فى الجدول الملحق بالأمر ، خاضعة لمرسوم قانون إدارة الدولة الإسرائيلية " هذا الجدول يتضمن تنظيماً لمدينة القدس بأكملها حتى الجزء الذى كان يقع تحت الحكم الأردنى العربى ، والذى كان يقطنه آنذاك حوالى مائة ألف نسمة من السكان العرب ، ودعا بن جوريون ، فى خطاب له أمام الكنيست الإسرائيلى ، الى الإسراع فى عملية توطين اليهود فى القدس القديمة وغيرها من الأماكن المقدسة وقال فى هذا الصدد ، إن توطين ٢٠,٠٠٠ أسرة يهودية فى المنطقة المحيطة بالقدس سينهى الى الأبد كل حديث حول فكرة تدويل المدينة المقدسة .. وقد قامت إسرائيل بإصدار الأمر رقم (١٤٤٣) المتعلق بمصادرة الأراضى والمباني داخل أسوار القدس القديمة ، حيث تمتد المساحة المصادرة بين السوار الجنوبي الغربى للحرم القدسى الشريف والحي الأرمنى داخل أسوار المدينة ، وتقدر مساحتها بحوالى ١١٦ دونما ، تشمل ٦٠٠ منزل عربي وخمسة مساجد و٤ مدارس وسوقين ومركزين إسلاميين ، وأصبح ساكنوها والبالغ عددهم ٧٠,٠٠٠ نسمة دون مأوى .. كما صدر إعلان لوزير المالية الإسرائيلى فى ٣٠ أغسطس ١٩٧٠ بمصادرة أرضٍ أخرى فى القدس تقع فى منطقة النبی يعقوب ، وتبلغ مساحتها ٤٧٠ دونما ، وأراضٍ عربية أخرى تقع شمال غربى القدس تبلغ مساحتها ٤٨٤٠ دونما ، وتقدر مساحة الأراضى العربية المصادرة بموجب هذا القرار بحوالى ١١٦٨٠ دونما فى منطقة القدس وحدها ..

وقد وصل عدد اليهود الذين أصبحوا يقطنون فى القدس العربية حتى نهاية ١٩٦٩ ، ثلاثة آلاف نسمة ، وخططت إسرائيل لكى يصل عددهم فى نهاية ١٩٧٣ ، فى القدس العربية إلى ٤٢,٠٠٠ نسمة وإستمرت الزيادة حتى وصلت إلى الأعداد التى أوضحناها منذ قليل .. وقد تعرضت مدينة القدس ووضعيتهما ، فى مفاوضات السلام فى الشرق الأوسط للهجوم مرتين ، منذ أن بدأت مسيرة مدريد أخيراً .

الأولى : من جانب إسرائيل التى أعلنت عن مصادرة ٥٣ هتكاراً من أراضى القدس الشرقية المحتلة ، لإنشاء حى يهودى جديد يضم ٢٥٠٠ وحدة سكنية كمرحلة أولى من خطة تهدف إلى مصادرة ٥٠٠ هتكار إضافية .

الثانية : من جانب الكونجرس الأمريكى ، عندما أعلن " روبرت دول " زعيم الأغلبية الجمهورى فى مجلس الشيوخ الأمريكى والمرشح للرئاسة الأمريكية القادمة ، عن تقديم مشروع لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس .

وسواء كان هذا الهجوم أو ذلك هو الأشرس ، فإن كليهما يصيب عملية السلام فى مقتل ، وينسف جهوداً كثيرة سابقة لإقرار الاستقرار أو التعاون فى المنطقة ويضع البذور للصراع بل للحرب ، وبإختصار شديد ، فإن كلا من إسرائيل ، إذا ما إستمرت فى سياستها الحالية لفرض الأمر الواقع الإستيطانى فى القدس الشرقية .. والولايات المتحدة ، إذا إستمرت فى إتخاذ قرار بنقل السفارة ، فسوف ينسفان عملية السلام بأسرها وتعود فى تقديرى الشخصى ، أوضاع المنطقة إلى ما كانت عليه ، من حدة وتوتر فى أكثر فترات الصراع العربى - الإسرائيلى إحتراماً .

رابعاً : موقف الأمم المتحدة من قضية القدس ومبدأ عدم الاعتراف بالأوضاع الإقليمية غير المشروعة :

يقر ميثاق الأمم المتحدة حق الشعوب فى تقرير مصيرها وإحترام حقوق الإنسان وعدم التفرقة العنصرية ، ومن ناحية أخرى تنص المادة ٢ / ٤ ، وأيضاً يؤكد الميثاق على أن يمتنع أعضاء الهيئة جميعاً فى علاقاتهم الدولية عن التهديد بإستعمال القوة أو إستخدامها ضد سلامة الأراضى أو الإستقلال السياسى .. وبناء عليه ، لو أن دولة ما إنتهكت حكم المادة ٢ / ٤ من الميثاق ، والتى تفرض على كافة الدول الامتناع عن إستخدام القوة ، فإن كافة الدول تلتزم بموجب الميثاق ، بأن تتخذ من التدابير الجماعية ، ما يحول دون المساس بالسيادة الإقليمية والإستقلال السياسى للدولة المعنية وأن تقمع العدوان عليها . هذا الإلتزام " الإيجابى " على كل دول العالم يفترض بداة أن يقترن بالإلتزام " السلبى " ، مفادة عدم الاعتراف بأى تصرف يأتى مخالفاً للمبادئ المذكورة ، ولا بأى أثر من الآثار الناجمة عنه والقول بغير هذا يجعل من هذه التدابير غير ذات معنى .

وقد شهدت الأجهزة المختلفة للأمم المتحدة - بعد إنشائها - محاولات لتقنين الإلتزام بفكرة عدم الاعتراف بالأوضاع الإقليمية غير المشروعة . من ذلك مثلاً : المشروع

الذى تقدمت به لجنة القانون الدولي سنة ١٩٤٩ ، والذى يقرر أن تلتزم كل دولة بالإمتناع عن الاعتراف بأى مكاسب إقليمية تحصل عليها دولة أخرى إنتهاكاً لأحكام المادة التاسعة ويراعى أن المادة التاسعة قد بينت القواعد العامة للقانون الدولي التى تضمن السلامة الإقليمية لكافة الدول .. وقد إعتنقت الجمعية العامة هذا المبدأ ، مبدأ عدم الاعتراف وأكدته فى الإعلان الصادر عنها ، والمتعلق بالعلاقات الدولية والتعاون بين الدول الصادر فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٧٠ ، والذى جاء فيه : " أن أية مكاسب إقليمية تم الحصول عليها عن طريق استخدام القوة أو التهديد باستخدامها لا يمكن الاعتراف بشرعيتها " .. وعليه طبقاً لهذا المبدأ المسلم به فقهيأ ، وفى أجهزة الأمم المتحدة ، حول مشكلة الشرق الأوسط ، وكما نعلم أنه فى أعقاب العدوان الإسرائيلى على كل من مصر وسوريا والأردن ، أصدر مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، قراره الشهير تحت رقم ٢٤٢ ، مقررأ فى ديباجته " عدم قبول الإستيلاء على أقاليم الغير عن طريق الحرب " وأن إرساء السلام العادل فى الشرق الأوسط يقتضى " سحب القوات الإسرائيلية من الأقاليم المحتلة إبان النزاع الأخير " .. وفى أعقاب توصيات عديدة متعلقة بهذا الهدف ، صدر قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٤ يوليو ١٩٦٧ يدين كل الإجراءات التى قامت بها إسرائيل لتغيير الوضع القانونى للقدس .

قد يقال أن الجمعية تصدر توصيات غير ملزمة ، وأن ما هو ملزم يصدر عن مجلس الأمن ، إذن ننتقل إلى مجلس الأمن ، وهنا أذكر بعض القرارات :

١ - القرار رقم ٢٥٠ لعام ١٩٦٨ : والذى يدعو إسرائيل إلى الإمتناع عن إقامة العرض العسكرى فى القدس ، بتاريخ الثانى من مايو ١٩٦٨ وطلب من الأمين العام للأمم المتحدة تقديم تقرير للمجلس فى هذا الشأن .

٢ - القرار رقم ٢٥١ لعام ١٩٦٨ : وفيه يسدى مجلس الأمن أسفه لإقامة العرض العسكرى الإسرائيلى فى القدس فى الثانى من مايو ١٩٦٨ .

٣ - القرار رقم ٢٥٣ لعام ١٩٦٨ : والذى يعتبر جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية التى قامت بها إسرائيل ، بما فى ذلك مصادرة الأراضى والأماكن ، التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير فى الوضع القانونى للقدس ، إجراءات باطلة ، ولا يمكنها تغيير

الوضع فيها ، ودعا القرار إسرائيل بإلحاح إلى أن تبطل هذه الإجراءات ، وأن تمتنع عن القيام بأى عمل آخر من شأنه تغيير الوضع فى القدس .

٤- القرار رقم ٢٦٧ لعام ١٩٦٩ : يعبر مجلس الأمن عن أسفه لفشل إسرائيل فى إظهار الإحترام لقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة المتعلقة بالقدس ، ويؤكد القرار على أن جميع الإجراءات التشريعية والإدارية التى اتخذتها إسرائيل ومن بينها مصادرة الأراضى والممتلكات ، أعمال باطلة ويدعو إسرائيل بإلحاح إلى الإعتراف بأن أى تدمير أو تدنيس للأماكن المقدسة أو المباني أو المواقع الدينية أو أى تشجيع على ذلك ، يهدد بشدة الأمن والسلم الدوليين ، كما يقرر أن العمل المقيت لتدنيس المسجد الأقصى يؤكد الحاجة الملحة لإمتناع إسرائيل ، عن خرق القرارات الصادرة عن المجلس ، كما طالبها بإبطال جميع الإجراءات والأعمال التى اتخذتها لتغيير وضع القدس ، أضف إلى ذلك أن المجلس دعا إسرائيل إلى التقيد بدقة بنصوص إتفاقية جنيف الرابعة ، وبالقانون الدولى ، الذى ينظم سلطات دولة الإحتلال ، هذه السلطات التى تقتصر على حق الإدارة اليومية للإقليم المحتل دون القيام بأى عمل يؤدى إلى التغيير الجغرافى أو القانونى أو الإدارى للإقليم المحتل ويدعو هذا القرار إلى الإمتناع عن إعاقه المجلس الإسلامى الأعلى للقدس عن القيام بمهامه ، بما فى ذلك أى تعاون يطلبه المجلس .

٥- القرار رقم ٢٩٨ لعام ١٩٧١ : والذى يعتبر ، بعبارات واضحة للغاية ، أن جميع الأعمال الإدارية والتشريعية التى قامت بها إسرائيل لتغيير وضع مدينة القدس ، ومن ضمنها مصادرة الأراضى والممتلكات ونقل السكان والتشريع الهادف إلى ضم القطاع المحتل ، لاغية تماماً ، ولا يمكن أن تغير ذلك الوضع ، ودعا المجلس الإسرائيلى بإلحاح إلى إلغاء جميع الاجراءات والأعمال السابقة وإلى عدم اتخاذ خطوات أخرى فى القطاع المحتل من القدس ، الذى قد يفهم منه تغيير وضع المدينة ، أو قد يجحف بالسكان ، وبمصالح المجموعة الدولية والسلام العادل والدائم .

٦- القرار رقم ٤٦٥ لعام ١٩٨٠ : والذى يدعو إلى إزالة المستوطنات الإسرائيلية القائمة فى الأراضى المحتلة ، وهذا القرار لم يذكر القدس تحديدا ، وإنما قال الأراضى

المحتلة، لكن كل قرارات مجلس الأمن ، بلا استثناء ، صريحة بالنص على أن المقصود بالأراضي المحتلة بما فيها القدس الشرقية ، ومن هنا لا يمكن لإسرائيل أن تتعلل بأى حال بأن الأراضي المحتلة لفظ عام لا ينطبق على القدس الشرقية ، إن القدس الشرقية بحكم القانون وبحكم قرارات مجلس الأمن جزء من الأراضي المحتلة ، تنطبق عليها نفس الأحكام .

٧- القرار رقم ٤٧٨ لعام ١٩٨٠ : والذي دعا جميع الدول إلى عدم نقل بعثاتها الدبلوماسية إلى مدينة القدس ، مع اعتبار جميع التدابير والإجراءات التشريعية والإستيطانية الرامية إلى تغيير الوضع القانونى للمدينة لاغية ومخالفة للقانون الدولى.

٨- القرار رقم ٦٧٢ لعام ١٩٩٠ : والذي أدان إسرائيل لإرتكابها أعمال عنف ضد الفلسطينيين ، وذلك بمناسبة المذبحة التى شهدتها ساحة المسجد الأقصى فى أكتوبر عام ١٩٩٠ ، وطالب إسرائيل بصفتها قوة إحتلال ، بالوفاء بمسئولياتها القانونية المقررة بموجب إتفاقية جنيف الرابعة .

٩ - القرار رقم ٦٧٣ لعام ١٩٩٠ : وجاء رداً على رفض إسرائيل للقرار رقم ٦٧٢ أكد فيه مجلس الأمن إصراره على ضرورة إمتثال إسرائيل لقرار المجلس السابق ، وأن تسمح لبعثة تقصى الحقائق بأداء مهمتها المقررة بموجب القرار السابق صدوره عن المجلس .

١٠ - القرار رقم ٩٠٤ لعام ١٩٩٤ : وقد أدان بقوة المذبحة التى ارتكبت فى مدينة الخليل ، وطلب من إسرائيل اتخاذ إجراءات من بينها مصادرة الأسلحة ، بهدف منع أعمال العنف غير المشروعة من جانب المستوطنين الإسرائيليين ، وفى الفقرة التمهيدية لهذا القرار يصف القدس من جديد بأنها محتلة ، وفى فقرة أخرى يصف القرار الأراضي التى احتلتها إسرائيل فى حرب ١٩٦٧ ، بأنها أراضى فلسطينية محتلة .

يستفاد مما سبق ، أن الأمم المتحدة إذ تقرر عدم شرعية التغيرات الإقليمية الناجمة عن العدوان الإسرائيلى على الدول الثلاث ، وتقرر بطلان التصرفات التى اتخذتها إسرائيل بمناسبة احتلالها لأقاليم هذه الدول ، فإنها تعتنق بذلك نظرية بطلان التصرفات

التي تصدر بالمخالفة لقواعد القانون الدولي ، وتسعى الأمم المتحدة ، من خلال الجمعية العامة أو مجلس الأمن ، إلى تأكيد مبدأ الشرعية القائم على فكرة سيادة القانون الدولي ، لكي يحل محل مبدأ آخر هو مبدأ الفاعلية ، القائم على أن الأمر الواقع يصحح التصرفات الباطلة ، والفقه والقضاء الدوليين يلتزمان بعدم الاعتراف بأي أوضاع إقليمية غير مشروعة إستناداً إلى مبدأ مسلم به في القانون ، وهو أن الخطأ لا يولد الحق ، على اعتبار أن ذلك المبدأ يعد من المبادئ العامة في القانون الدولي ، فإذا كان نوع الخطأ المرتكب ، بسبب التغيير الإقليمي أو بمناسبته ، تصبح أمام إنتهاك إحدى القواعد القانونية الدولية المتعلقة بالنظام الدولي العام ، وهي ليست قاعدة عادية ، وإنما هي قاعدة من القواعد الآمرة التي تشكل صلب النظام الدولي العام ، وهي قواعد نصت عليها المواد العديدة في ميثاق الأمم المتحدة .

أود أن أشير إلى أن إتفاقية أوسلو في سبتمبر ١٩٩٣ ، تتضمن نصاً صريحاً ، إذ تحدث في المادة الخامسة عن إجراءات التفاوض ، والفترة الإنتقالية ، والانتخابات وغير ذلك ، ونحن نقول إنه من المفهوم أن هذه المفاوضات سوف تغطي القضايا المتبقية بما فيها القدس ، اللاجئين ، المستوطنات ، الترتيبات الأمنية ، الحدود ، العلاقات والتعاون مع جيرانها ، إلى آخره من هذا الكلام ، الأمر الذي يعنى ، إنه وفقاً لأحكام إتفاقية أوسلو ، بين الفلسطينيين وإسرائيل ، فإن قضية القدس مؤجلة إلى مرحلة لاحقة من التفاوض ، وهذا يعنى ، من وجهة نظر القانون ، بأن هناك تعهداً من إسرائيل ، ينتج أثراً مانعاً نحو إسرائيل ، أن تقوم بأى إجراء منفرد ، منذ لحظة توقيع هذا الإتفاق ، ويطلق على هذا الأثر في القانون " الأثر الواقف " أى أن هناك فترة لتجميد وضع القدس على ما كانت عليه منذ لحظة توقيع الإتفاق حتى الإنتهاء إلى الوضع النهائي المتفق عليه في التفاوض ، إذن فأى تغير في هذا الوضع ، بالمصادرة أو غيرها ، يعتبر ، فضلاً عن مخالفته للقرارات الشرعية الدولية ، مخالفاً أيضاً لإلتزام إسرائيل نفسها وفقاً لهذا الإتفاق ، " إتفاق أوسلو " وهو في كل الأحوال باطل ، ولا يترتب عليه أى أثر قانونى ، بأى حال من الأحوال ، وللأسف فإن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم الفيتو الأمريكى في القرار الخاص بالقدس .

الفتوى الأمريكى فى القرار الخاص بالقدس :

جاء استخدام الولايات المتحدة الأمريكية للفتوى ضد مشروع القرار الذى كان مقدماً لمجلس الأمن لمطالبة إسرائيل بإلغاء مصادرة الأراضي فى القدس الشرقية مخيباً للآمال ، ومستفزاً لمشاعر العرب والمسلمين ، فضلاً عن مخالفته الصريحة لإدارة المجتمع الدولى ومخالفته لأحكام القانون الدولى .. ثم يأتى تعقيب " مادلين أولبرايت " مندوبة أمريكا سابقاً فى الأمم المتحدة على التصويت ، ليضعاف من هذا الإستفزاز ، ويؤكد مدى الإبتزاز الإسرائيلى لبلادها ، حين تقول ، إن التصويت كان على مبدأ يتمثل فى أن الطريق الوحيد لتحقيق سلام عادل ودائم وشامل فى الشرق الأوسط هو إجراء محادثات مباشرة بين الأطراف المعنية ، وأن مجلس الأمن ليس هو المكان المناسب لذلك ، ولقد كان وزير خارجيتنا على حق عندما تساءل إذا لم يكن مجلس الأمن هو المكان المناسب فأين المكان المناسب إذن ؟!

ولعله من المناسب هنا أن ننفذ هذه المبررات التى جاءت بها مندوبة أمريكا ، وسنقتصر هنا على النواحي القانونية :

- ١- إن مجلس الأمن هو المحفل الدولى الأساسى لعرض مصادرة إسرائيل لأراضى القدس الشرقية ، لأنه هو الجهاز المختص بالأمور التى تتعلق بحفظ السلم والأمن الدوليين ، وفقاً للفصل السادس والفصل السابع من الميثاق ، وأن ما حدث يهدد السلم والأمن الدوليين ، وذلك هو الإختصاص الأول والأساسى لمجلس الأمن .
- ٢- إن الولايات المتحدة الأمريكية ، التى اتخذت هذا الفتوى ، حتى لا يصدر القرار ، قد شاركت فى إصدار العديد من القرارات المماثلة التى تبناها مجلس الأمن بشأن قضية القدس ، لقد أقرت الولايات المتحدة فى كل القرارات السابقة ، بأن القدس الشرقية جزء من الأراضي المحتلة وأى تغير فيها يخالف القانون الدولى ، ويخالف إتفاقية جنيف ، وأنها لا توافق أبداً على انتقال البعثات الدولية إليها .
- ٣- إن الأمر الذى كان مطروحاً على المجلس يتعلق بانتهاك قاعدة من قواعد القانون الدولى الأمرة المتعلقة بالمصلحة العليا والأساسية للمجتمع الدولى ، مما لا يجوز مخالفتها ، أو الإتفاق على ما يخالف أحكامها ، وكان طبيعياً أمام قاعدة أمرة أن يتصدى مجلس لاتخاذ قرار بشأنها .

٤- إن الموضوع يتعلق بانتهاك إسرائيل للعديد من قرارات مجلس الأمن السابقة والمتعلقة بموضوع القدس ، والتي تقر في مجموعها ببطلان جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية التي قامت بها إسرائيل بما في ذلك مصادرة الأراضي والأماكن التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير في الوضع القانوني لمدينة القدس .

٥- إن مصادرة إسرائيل للأراضي الفلسطينية في القدس الشرقية - التي هي جزء من الأراضي المحتلة - هو انتهاك صريح لاتفاقية جنيف الرابعة ، الصادرة في ١٣ أغسطس عام ١٩٤٩ ، والتي تنظم بدقة صلاحيات سلطة الاحتلال العسكري وتقصصها على الإدارة اليومية ، دون الإخلال بالوضع الجغرافي والسكاني للأراضي المحتلة .. لقد حرصت على الالتزام بالجانب القانوني وحده ، والتزاماً بما قلته في البداية ، وذلك أنني مازالت أؤمن أن الالتزام بأحكام القانون والتمسك بها والدفاع عنها أمر يساعدنا كثيراً على إسترجاع الحقوق ، طالما أننا لا نكتفي ، بالقانون فقط ، ولا نكتفي بالحديث فقط ، ولا نكتفي بالندوات فقط ، وأن نستعد عسكرياً وسياسياً وإقتصادياً تكنولوجيا وعلمياً .

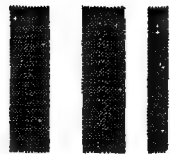
المحور الثاني

مؤامرات التهويد والمصادرة وموقف القانون الدولي



د . ادوارد سعيد

الأستاذ بجامعة كولومبيا الأمريكية



قصة استيلااب عربية

مضى ٢٨ عاماً على قيام إسرائيل بضم القدس وتعرضت جغرافيتها وبيئتها وهالتها التاريخية خلال تلك الفترة إلى تجاوزات بالغة الفظاظة وتغييرات قسرية وعبث ديموغرافى وعلى رغم ذلك ، لم يرشح عن هذا التاريخ المؤلم إلى العالم الخارجى سوى إنه رمز جدير بالإعجاب لنشاط إستيطانى بريء ، ما يعنى طمس ما تعرضت له القدس وما أجبرت على تحمله الغالبية الفلسطينية فى الجزء الشرقى من المدينة من خسارة ومعاناة جسيمتين . لذا فإن أول ما يمكن أن نلاحظه ليس مجرد قدرة إسرائيل على أن تفعل ما تفعله فى وجه مقاومة أولية وإحتجاج عالمى - كان هناك فى أى حال عدد من قرارات الأمم المتحدة التى احتجت على إجراءات إسرائيل المتخذة من طرف واحد فى القدس - بل قدرتها أيضا على أن تعطى العالم إنطباعاً بأن مبادراتها العسفية جاءت لتحقيق ما هو حق ، وأن الإعتراضات التى كانت على نطاق يكفى لردع أية جهة أخرى ، كانت تافهة ومضللة . وهذا مؤشر على مدى جدية إسرائيل فى تعاملها مع مهمتها فى القدس ، التى تمثلت فى تحويلها من واقع متعدد الثقافات إلى واقع يهودى فى الأساس تسيطر فيه إسرائيل وحدها على السيادة من دون منازع وتضمن ذلك الترويج لفكرة عن المدينة لا تناقض تاريخها وحسب بل تناقض أيضا واقعها الفعلى ، مصورة إياها كأنها المركز الوحيد " إلى الأبد " لحياة اليهود فى أنحاء العالم إذ ذاك فقط بعد ما فعلت ذلك أولاً على صعيد التصورات والمعلومات ، مضت إلى القيام بما فعلته على الأرض ، أى تنفيذ المسح العمرارى والديمغرافى والسياسى على نطاق هائل إنسجماً مع التصورات والانطباعات .

هذه العملية التى تبدأ ببث الإنطباع أولاً ثم البناء والتشريد لاحقاً ، تستمر حتى

اللحظة الراهنة . وبدأت عام ١٩٤٨ فى ما كان يسمى وقتها القدس الغربية ، ذلك الجزء من المدينة الذى فيه ولدت وقضيت سنى الأولى .. ومن المهم أن نتذكر هنا ، كما قال رشيد الخالدى ضمن " محاضرة إنطونيوس " فى كلية سانت إنطونى عام ١٩٩٠ ، أن كثيراً مما يجرى النظر إليه اليوم باعتباره القدس العربية الإسرائيلية كان يتألف فى الحقيقة من أحياء عربية قبل القتال فى ربيع ١٩٤٨ ، عندما شرد أكثر من ٣٠ ألفاً من سكانها أو هربوا من ديارهم فى أحياء مثل البقعة العليا والسفلى وقطمون والطالبية ، وذلك قبل أشهر عدة من إخراج حوالى ألفين من اليهود من الحى اليهودى فى المدينة القديمة .

ولم يجد أى من هذا التاريخ الملموس عن الخسارة والحرمان طريقه أبداً إلى السجلات الرسمية لـ " حرب الإستقلال " الإسرائيلية ، كما أطلق عليها بفجاجة . وكانت القدس مصدر الكثير من الإستحسان الذى لقيته إسرائيل من العالم بعد ١٩٤٨ . فحسب الرواية الرسمية للواقع كانت القدس أشهر مدينة فى بلد أعتبر مثل مشروع مارشال وإعادة بناء أوروبا واليابان ، واحداً من الإنجازات العظيمة فى فترة ما بعد الحرب التى حظت بالتمجيد والإطراء وكل أنواع التبجيل لإسرائيل هى التى جعلت الصحراء تزهر وزرعت الأراضى القاحلة وأعادت تصميم البيئة وأنشأت الديموقراطية وأقامت فى القدس الغربية نصباً تذكاريّاً للمحرقة كما شيدت صرحها الإشتراكي ، الكنيسة واقتضى الأمر الإنتظار إلى حين ظهور جيل آخر من الإسرائيليين الذين عرفوا بـ " مراجعى التاريخ " مثل بنى موريس وتوم سيفغف وآخرين ليكشفوا بعضاً من الثمن الذى ترتب على إقامة إسرائيل وتحمله أساساً الفلسطينيون بصمت . ولم يتسن التدقيق فى بعض سجلات الحكومة الإسرائيلية فى ١٩٤٨ إلا العام الماضى ، وهى أيضاً تتحدث عن سياسات مبرمجة خططت لإخراج الفلسطينيين وإزالة آثارهم رسمياً وإلغاء وجودهم قانونياً ومؤسسياً .

وليس أقل دلالة على عجز الفلسطينيين ، أو ما يمكن أن نسميه " عدم الكفاءة الجماعى " أن قصة ضياع القدس فى ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ ، لم تصدر عنهم بل إنها بقدر ما يتعلق الأمر بالتحدث عنها إطلاقاً – أعيد تركيبها فى صورة جزئية اما من جانب إسرائيليين من المتعاطفين وغير المتعاطفين معهم أو من جانب أجانب بكلمة أخرى لا يقتصر الأمر على غياب أى قصة فلسطينية للعام ١٩٤٨ وما تلاه يمكن على الأقل أن

تتحدى القصة الإسرائيلية المهيمنة ، بل كذلك لا يوجد أى تصوير فلسطينى جماعى للقدس منذ خسارتها المؤكدة فى ١٩٤٨ ومرة أخرى فى ١٩٦٧ وهذه هى النقطة الجوهرية لكلامى أى التركيز على هذا الإهمال التاريخى والسياسى البالغ الغرابة الذى أدى إلى فقداننا الروحى للقدس قبل وقت طويل من فقدانها واقعاً .

أعتقد أن هناك حاجة إلى أن نقول ونكرر أن المطلب العربى الفلسطينى بالقدس القائم على أسس من الحضارة والتاريخ موجود بالفعل ويجب إطلاقه بجهد وإجتهد . لكن أرى أن ليس من سبيل لإطلاقه بصدقية مالم نبدأ بالفهم الدقيق والتام الموضوعى لتاريخ خسارتنا المتدرجة للقدس وعندئذ فقط يمكننا معرفة الشروط الضرورية لإطلاق المطلب مع بعض الأمل فى النجاح . علينا أن ندرك أن عدد العرب مع سكان القدس الشرقية والقرى المحيطة بها عندما احتلتها إسرائيل مبكراً فى حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كان نحو ٧٠ ألف نسمة ، مقابل نحو مئتى ألف من اليهود فى القدس الغربية . وبنهاية الشهر نفسه ألغت إسرائيل الحواجز بين القدس الشرقية والغربية ورسمت حدودها البلدية ، متضمنة القدس الشرقية لتغطى ٢٨ ميلاً مربعاً . وتسلم " تيدى كوليك " رئاسة بلدية موحدة للقدس ، وتم ذلك على أساس الحل الفورى لبلدية القدس الغربية . وأمر كوليك بتدمير حارة المغاربة وتشريد سكانها . وتواصل صهر المدينتين فى كيان واحد على مدى السنين ، وعلى رغم أن عدد الفلسطينيين تضاعف بحلول أوائل التسعينات إلى نحو ١٥٠ ألف نسمة فلا تسمح لهم إسرائيل بالبناء إلا على ١٠ إلى ١٥ فى المئة من مساحة الأرض . وخصص نحو ٩٠ فى المئة من أعمال البناء لليهود مقابل ١٢ فى المئة للعرب (التفاصيل عن القدس) - كتاب معلومات تأليف مارثا وأجنر ، إصدار : ميريب أيار - حزيران ١٩٩٣ واستمرت مصادرة الأراضى فى القدس ومحيطها فى شكل منظم ، ووسعت حدود البلدية ويحيط بالمدينة الآن طوق من المستوطنات اليهودية الضخمة (البالغة البشاعة) المسيطرة استراتيجياً على المنطقة فتشكل إعلاناً إستفزازياً بأن القدس يجب أن تكون وستكون دوماً ، مدينة يهودية ، على رغم وجود عدد كبير لكن مسلوب القوة وتحت الحصار من الفلسطينيين . وأشار الجغرافى الهولندى يان دى يونج إلى ذلك عندما كتب " الذين يتوقعون أن تكون خريطة القدس المطروحة على الطاولة (فى مفاوضات الوضع النهائى) مطابقة لوضعها بعد ١٩٦٧ سيفاجأون تماماً فالأرجح أن (الخارطة) ستمتد من

بيت شمس ومدعين فى الغرب (أى نصف الطريق إلى تل أبيب تقريباً) إلى كيلو مترات قليلة عن حلحول والخليل فى الجنوب ، إلى ما بعد رام الله فى الشمال ، وإلى بضعة كيلو مترات عن أريحا فى الشرق . هذه المساحة الهائلة التى تعتبرها إسرائيل عادة القدس الكبرى تبلغ ١٢٥٠ كيلو متراً مربعاً يقع ثلاثة أرباعها فى الضفة الغربية .

وهكذا فإن القدس فى شكلها الموسع الحالى (الذى يقل قليلاً فقط عن الصورة المستقبلية التى يرسمها دى يونغ) تمثل نحو ربع أراضى الضفة الغربية . وأعطت إسرائيل سكانها الفلسطينيين وضعاً إستثنائياً وغريباً . فعلى رغم أن إسرائيل ضمت القدس الشرقية فهى لا تعتبر السكان من غير اليهود مواطنين ، وليس لهم حق التصويت خارج الإنتخابات البلدية وهم قانونياً " مقيمون أجانب " ولم تسمح إسرائيل ، خلال المسار التفاوضى الإسرائيلى - الأردنى - الفلسطينى الذى بدأ فى واشنطن أواخر ١٩٩١ ، بعد مؤتمر مدريد لأى فلسطينى من القدس بالإنضمام إلى الوفد الفلسطينى المفاوض والآن خلال المفاوضات بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية لا يزال السؤال عن إمكان مشاركة فلسطينى القدس فى الانتخابات الفلسطينية المزمعة يمثل مشكلة صعبة.. من جهة أخرى فقد تسبب حظر دخول سكان غزة والضفة الغربية إلى القدس بمشاكل لهؤلاء لأن القدس الشرقية تمثل المركز الإقتصادى الرئيسى لهم ، وهو ما تدركه إسرائيل تماماً . ويعنى الضم الدائم للقدس الشرقية ، ودمجها فى نظام " العزل " الذى تحاول حكومة العمل الإسرائيلية فرضه ، بتر القدس عن علاقاتها الطبيعية مع بقية الأراضى الفلسطينية ، وهو ما يلحق ضرراً دائماً بتلك الأراضى .

إلا أن هذه بالضبط هى خطة إسرائيل وهى عملياً ليست هجوماً جغرافياً فحسب ، بل هجوماً يستهدف الحضارة وبالطبع الدين . إن فلسطين التاريخية كانت دوماً بوتقة متماسكة من الحضارات والأديان التى تتعايش وتتمازج على تلك الأرض . إلا أن الطموح الصهيونى ، بلغ من القوة وأيضاً فى رأى من الرفض للتعددية الإجتماعية حتى سيطر على الأرض وعلى الماضى وعلى الحضارات والتقاليد الحية المترابطة وأعمل فى تلك الأرض بترأ وتقطيعاً بهدف الإستئثار الكامل بها وهناً تقدم القدس مثلاً ممتازاً على ما أقصد فإن للقدس تاريخاً مدوناً من عشرة آلاف سنة شهدت خلالها ما لا يمكن تصوره

من عهود الاحتلال إلا أن التعايش بين التقاليد والثقافات المختلفة استمر على رغم ذلك ، ولو بصعوبة أحياناً ومن الصعب جداً القول الآن - بإستعمال أية معادلة رياضية أو أية صيغة أخرى منصفة - أن التأثير الغالب خلال كل تلك الحقب كان يهودياً . لقد كان هناك بالتأكيد خلال الثلاثة آلاف سنة المنصرمة حضور يهودى وكانت هناك لفترة قصيرة قبل الميلاد وفترة قصيرة بعده ، مملكة يهودية عاصمتها القدس . لكن الحضور الإسلامى كان له أصول وأكثر تواصلاً ، كما كان هناك دوما حضور مسيحي كثيف من هنا فإن صرف كل بالقول بالسيادة الكاملة لليهود على المدينة فيه كثير من الإجحاف وإلغاء حقوق الآخرين وأرجو أن تلاحظوا أننى لا أنكر أبداً ما يقوله الكثير من الباحثين التاريخيين والدينيين ، من أن للقدس مكاناً خاصاً فى تاريخ اليهود وتقاليدهم ربما أكثر تميزاً مما لأى من الأديان الأخرى . إلا أن الإعتراف بهذا لا يضمن فى أى شكل من الأشكال حق إسرائيل - وهى دوله حديثة فى أواخر القرن العشرين - فى القول أن القدس عاصمتها الأبدية الموحدة ، منكرة بذلك ليس فقط حق سكانها الفلسطينيين الحاليين بل تاريخ المدينة الطويل والمتنوع والمثير من حيث تعدديته الحضارية .

من جهتى أجد النقاش على هذا الأساس عن الملكية الفعلية للقدس كريهاً ومفتقراً إلى معنى . فهو لا يتمشى مع حالة البهاء والعظمة المحيطة بالمدينة ، أو مع تاريخها الغنى المتنوع دينياً وحضارياً وحتى سياسياً لكن علينا أن نعترف بأن القدس خصوصاً ، وفلسطين عموماً ، أثارت دوماً لدى مختلف الأقوام مشاعر تمزج ما بين التطلع الروحى ورغبة التملك . هكذا لم يجد ذلك الرجل الصالح " برنار " المنتمى إلى كليرفو حرجاً فى إلقاء المواعظ فى أعماق بورغندي يعلن فيها ما لفلسطين البعيدة ألوف الأميال عن بلاده من موقع متميز فى قلب المسيحية وضرورة إطلاق حملة صليبية للإستحواذ عليها . واتخذ الإسلام فى القرن السابع موقفاً مشابهاً ، على رغم أنه كان أقرب بكثير إلى فلسطين إلا أن الإسلام لم يلجأ إلى إعتبار الآخرين ضرباً من الشياطين - كما يفعل الأوروبيون فى أحيان كثيرة ويصف يورى أيزنستفايغ فى دراسته الثاقبة لدور الأرض فى المخيلة اليهودية ما أثارتها الأراضى المقدسة من تطلعات ومخاوف وإلحجابات عند يهود أوروبا .

لكن هناك بالطبع فرقاً كبيراً بين التفحص العلمى لأنماط الماضى ومواجهة

التدخلات الفجة المعاصرة التي تقوم بها إسرائيل منذ ١٩٦٧ في القدس لأن خطتها لا تطمح إلى أقل من إلغاء حقوق الفلسطينيين وتحويلهم إلى أقلية وفي الوقت نفسه إقامة وجود إسرائيلي محصن يقزم أو يهشم تماماً واقع التنوع الذي يميز المدينة ، ويقدم تقرير الصحافية " أيلين روث فلتشر " نشرته في نيسان (إبريل) الماضي صحيفة " واشنطن بوست " تفاصيل عن حملة البناء الإسرائيلية التي تغطي تلال القدس المتموجة ووديانها التي كانت خضراء ويبتها السوادعة ، وترفع الفنادق ومباني المكاتب على الأسوار القديمة ويريد لها رئيس البلدية الحالي أيهود أولمرت (الذي يكاد يجعلنا نحن إلى عهد كوليك) أن نهيمن على كل معلم عربي أو إسلامي ، وتقول فلتشر " إن هناك في منطقة عين كريم ، حيث ولد يوحنا المعمدان ، مشروعاً سياحياً مثيراً للجدل يشمل إقامة فندق ومجمع للسياح وشق الطرق يفترض له أن يتزامن مع احتفالات إسرائيل من نهاية السنة الجارية إلى السنة المقبلة بمرور ثلاثة آلاف سنة على إتخاذ الملك داود القدس عاصمة له " وتنتشر الطرق الجديدة والأسواق والعمارات السكنية في كل مكان ، وتقول فلتشر إن ذلك وصل إلى حد أنه أخذ يحو الفرق بين القدس وبيت لحم كمدينتين منفصلتين . ومن المهم أن نلاحظ أن عدداً من الإسرائيليين بدأ الكلام عن هذه الإستراتيجية الفجة المفتقرة إلى الإحساس وقرأت في مكان ما أن عضوة الكنيست يائيل دايان وافقت على حضور لقاء يضم فلسطينيين لتؤكد هناك أن القدس عاصمة لشعبي دولتين ، وتنتقل أيلين فلتشر عن الينوربازرتشي نائبة مدير قسم المعمار في جامعة تل أبيب وكانت سابقاً رئيسة قسم التخطيط لبلدية القدس قولها إن حملة أولمر البنائية تشبه رسم شاربين لموناليزا !

لكن يبدو أن هذا كله لا يهم إسرائيل كثيراً خصوصاً بعدما نالت مساندة أعضاء في الكونجرس الأمريكي ، بدأوا بحملة لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس متتهكين بهذا سياسة الولايات المتحدة المعمول بها منذ ١٩٤٨ . وهذا جزء من حمى جمع المال التي تصيب المسؤولين والمنتخبين للإنتخابات الرئاسية . ومن الصحيح بالطبع أن المصادرة الأخيرة للأراضي في القدس الشرقية ، وهي العملية المثة من نوعها منذ التوقيع على إعلان المبادئ في أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣ ، أوقفت بسبب ضغوط داخلية وخارجية لكن علينا أن نلاحظ أنها " جمدت " فقط ريثما تحقق الوزارت المعنية أكثر في الأمر ، ما

يترك لإسرائيل خيار الإستيلاء على أراض إضافية لاحقاً متى سمحت الظروف . كما أننا نعلم بفضل تقرير من باتريك كوبرن نشرته صحيفه " أندبندنت البريطانية " فى ٢٨ أيار (مايو) الماضى ، أن المنظمات الصهيونية تتحرك فى الأردن لشراء أراضى فلسطينية أكثر فى القدس إضافة إلى ذلك يمكن كل سكان القدس الشرقية أن يؤكدوا أنهم يواجهون فى أية لحظة خطر اقتحام مساكنهم ومصادرتها وإعطائها للغير .

هكذا فإن كانت إسرائيل أخذت القدس من الفلسطينيين فما هى الخطوات التى يمكن القيام بها .. وما هى القيم والمبادئ التى يجب إعلانها .. وما هى سبل استعادتها مستقبلاً ؟ إن القدس مع كل ما لها من القدسية والأهمية ، لا تختلف من حيث المبدأ عن بقية الأراضى المحتلة - أى أنها ، حسب القانون الدولى ، ليست ملكاً لإسرائيل وحدها يمكنها التصرف به ، أو القيام بمشاريع بنائية فيه أو أن تستغله بمعزل عن الفلسطينيين وغيرهم .. إذن نحن نحتاج منذ البداية إلى إعلان واضح عن الأهداف والمبادئ التى تهدينا وإذا تطلب هذا بالتالى إعادة النظر فى إتفاق أوسلو وإعادة صياغته ، فهذا ما يجب أن يحدث .

إن إسرائيل تعيد تفسير أوسلو أو بالأحرى تنتهكه طوال هذه الفترة والمبدأ هو الآتى هناك واقع فلسطينى - إسلامى - مسيحى متعدد حضارياً فى القدس ولن نسمح بإزالته أو طمسه من جانب إسرائيل ودورنا كفلسطينيين ، كطرف فى عملية السلام بين إسرائيل والشعب الفلسطينى مؤمن بالعملية هو إدخال هذه الحقيقة فى عملية السلام ، بعد ما كانت أخرجت منها تدريجياً خلال السنوات الماضية ، لكن ليس من فائدة فى قول هذا ما لم يكن جزءاً من إستراتيجية عامة للوصول عن طريق التفاوض إلى السلام الذى نريده ولا يكفى أن نكرر ميكانيكياً أن القدس الشرقية عربية بل إننى شخصياً لا أعتقد أبداً أن مصلحتنا كشعب أن نضيف تقسيماً جديداً إلى مدينة بقيت مقسومة عرقياً وإن كانت ملصقة ببعضها بلدياً ، بالشكل الذى عملته إسرائيل بل أعتقد أن الأفضل بكثير أن نقدم مثلاً يحتذى ونوفر بديلاً من الوسائل التى تستعملها إسرائيل ، عن طريق رسم صورة للقدس كلها تكون وفية لمزيجها المعقد من الأديان والتواريخ والحضارات وليس للقدس كشيء نريد أن نعيد شطره من جديد إلى شطرين .

القدس الشرقية بالطبع جزء من الضفة الغربية المحتلة وهذه نقطة يجب التأكيد عليها مراراً وتكراراً ، ولهذا يجب ربطها بالقضية الأكبر قضية تحرير الفلسطينيين من وطأة الاحتلال الإسرائيلي لكن القدس ، بعد ذلك ، وللأسباب التي ذكرت سابقاً هي في الحقيقة المكان الوحيد الذي يمكن أن يكون فيه اللقاء والتعايش والمشاركة بيننا وبين الإسرائيليين وهذا ما علينا تأكيده ، أى أن نتكلم عن القدس كمدينة ذات سيادة مشتركة ورؤية تعاونية مشتركة وأن نؤسس هذا الموقف على مبدأ حقناً في تقرير المصير والاستقلال كشعب ومجتمع .

واقع الحال بالطبع أكثر تعقيداً وقسوة من هذا ذلك إن إسرائيل والولايات المتحدة تسيطران الآن سويًا على عملية السلام وتستمر إسرائيل منذ ٢٨ سنة في توسيع المستوطنات وإنشاء مستوطنات جديدة والقدس جزء من هذه السياسة مع فارق أن إسرائيل تطرح محلياً وعالمياً الشعار البشع عن " تهويد القدس " ، وأرى أن من الواجب مجابهة ذلك عن طريق حملة إعلامية منسقة وجيدة التنظيم تضع الحقائق أمام المجموعات الإنسانية الكبيرة في أنحاء العالم التي يهتمها أمر المدينة ، إضافة إلى سياسة حازمة تعيد ربط مصادرة الأراضي وأعمال البناء غير الشرعية وما شابه من الإجراءات بعملية السلام لقد أضعنا مقداراً هائلاً من الوقت لأن إسرائيل بدأت بتغيير طبيعة القدس مباشرة بعد احتلالها ، ويجب وضع سجلها المخزى أمام العالم العربي والإسلامي والمسيحي لأن الجميع أطراف في القضية ، فوق كل ذلك علينا أن ندحض الإدعاء الزائف بأن القدس جوهرية مدينة يهودية ، وإنها كانت كذلك دوماً . وهذا ببساطة يناقض الوقائع تماماً ، لكن علينا أن نتذكر أن الوقائع لا تتكلم عن نفسها بل ينبغي إنطاقها ونشرها وتكرارها وإعادة نشرها .

إن إسرائيل في رأيي تستعمل عملية السلام كحيلة تمكنها من الإستمرار في السيطرة على الأرض كأنها مالكتها الوحيدة . ومنظورها للمستقبل الفلسطيني يتلخص بـ " الفصل " و " الكانتونات " المشابهة للبانستانات ، التي تحاول فرضها على من تعتبرهم بشراً أقل إنسانية من غيرهم من خلال خطة " قوس قزح " لقد قبلنا السلام والأمن ، وبرهنا على ذلك مراراً وتكراراً ، لكن من دون مقابل من إسرائيل هل يتلخص

وضع الفلسطينيين بالضرورة ومن دون إمكان للتغيير فى أنهم الطرف المهزوم الذى عليه الإنصياح لأوامر المنتصر ؟

لا يمكننى أن أقبل منطقاً كهذا بل إن علينا كما أرى أن نتخذ على الصعيد الفكرى تلك الخطوة الأولى البالغة الأهمية ، وهى أن نقول أن أهدافنا قابلة للتحقيق ، وأن من الممكن ، بل من الضرورى العمل من أجل تحقيقها . الخيار الوحيد الآخر هو خيار الإستسلام والإضمحلال الذى تعرضه إسرائيل والولايات المتحدة وتنفذ إليه الأسرة الدولية المفترض أن قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ يشكلان أساس السلام بين العرب والإسرائيليين لكن إسرائيل تنتهكهما يومياً ألا يمكن أبداً أن نعود إلى ذكرهما ؟ إضافة إلى ذلك نحن بحاجة إلى تقدير معقول ومنصف لموجوداتنا وهى تشمل أكثر من الـ ١٩ ألف شرطى الدين يخدمون عرفات فى غزة وأريحا وكما قلت فإن هناك عدداً كبيراً من الفلسطينيين فى الشتات وكانت هذه هى المجموعة التى أنتجت منظمة التحرير الفلسطينية ، وأنتجت أيضاً الكثير مما لدى الفلسطينيين الآن مادياً ومعنوياً إننا نشكل مورداً إنسانياً غير حكومى كبير ، ويجب أن ندرك الآن أن الأراضى المحتلة هى ذلك الجزء من فلسطين الذى يعود لنا وعلينا العمل من أجله .

وما لم نعد تصوره طرح القدس كعاصمة مزدوجة وليس كعاصمة لليهود وحدهم فإنها ستبقى رهينة لمخططات إسرائيل المهيمنة . لماذا بقيت خطط إسرائيل فى الإحتفال بمرور ثلاثة آلاف سنة على كون القدس عاصمة يهودية من دون رد جواب جاد ومنظم من الفلسطينيين وغيرهم من الذين يعتبرون أن القدس عاصمتهم أيضاً ؟ إن القول بمرور ثلاثة آلاف سنة متواصلة على سيادة اليهود على القدس دون أساس تاريخى تماماً . أنه تصور يطرح على أذهان يفترض فيها الجهل والسذاجة . ويجب إسماع العالم بمطالبنا وهى لا تقل أهمية عن الإدعاء هذا إن لم تفقه أهمية ولا بد من تطوير إستراتيجية قوية فى هذا الإتجاه خارج فلسطين إذ تتوفر لها الفاعلية الأكبر ، إن هذا أمر ساء القياديون الفلسطينيون فهمه دوماً لأسباب أجهلها تمام الجهل ، خصوصاً فى هذا الوقت الذى تعتمد فيه إسرائيل بشدة على الغياب شبه الكامل للصوت الفلسطينى والتصورات والإستراتيجيات المضادة التى يحملها . إن لدينا تعاطفاً هائلاً من العالمين العربى

والإسلامى ، والكثير من التعاطف فى الغرب والأوساط المسيحية . وعلينا العمل على كسب تأييد قطاعات إضافية .

لابد لإستراتيجية مثل هذه أن تشمل مساندة مقاومة فلسطينى القدس ويحاول فلسطينيون فى شكل فردى منذ ستين التصدى لمخططات إسرائيل فى الإستيلاء على أراضيهم ومساكنهم ، وشكلت قبل عشر سنوات بمساعدة فلسطينية من الخارج لجنة لحماية المساكن فى القدس القديمة وشملت نشاطات اللجنة مساعدة المتضررين على اللجوء إلى المحاكم وتعليم النساء والتدريب المهنى وإقامة نظام للإنذار المبكر عن غارات المستوطنين . ولا أعرف اليوم أين وصلت اللجنة فى أعمالها ، ولا حتى إذا كانت لاتزال موجودة إلا أن شعورى بضرورة التحرك السريع ينبع من الخطر المحيى بوجود الفلسطينيين وممتلكاتهم فى ما يسمى " القدس الكبرى " إن هذا يجعل القدس الخط الأول فى الصراع من أجل تقرير المصير الفلسطينى ولذا يجب تمويلها وإعلام العالم عن وضعها المأسوى وبذل كل الجهود لشن الحملات الإعلامية الجماعية دفاعاً عنها .

استطاعت إسرائيل أن تستفيد من صمتنا وتستغله لمصلحتها تماماً مثلما استغلت لمصلحتها متغيرات الوضع الدولى من الحرب الباردة إلى الفترة التى تلتها . بالمقابل كانت سياسة العرب الإعلامية تجاه القدس وحقيقة المطالب الفلسطينية والعربية فيها من الضعف حتى تدفع إلى التساؤل إذا كان هناك أى وجود لإرادة عربية مشتركة ووعى عربى مشترك .. ومهما كانت الحقيقة هنا فإن من المفيد أن نلاحظ أننا لا نقتصر على إهمال ما للمعلومات والأرقام الصحيحة من تأثير كبير فى العقول والقلوب عندما نفضح الأكاذيب التى ننشرها إسرائيل عن الفلسطينيين والقدس بل إننا كفيينا أنفسنا عناء معرفة واقعنا وحقيقة سياسات إسرائيل تجاهنا .. لن أحاول أن أفسر لماذا لم يتم ، خلال السنين الخمس والعشرين الأخيرة التى قامت إسرائيل خلالها بضم القدس بشكل غير شرعى وعملت على تغيير واقع المدينة ، الإعلان أو البدء بتنفيذ ولو مشروع فلسطينى عملى واحد ، كما لا يمكننى أن أفسر لأحد السبب فى أن القيادات العربية والفلسطينية بعد كل هذه السنين من الهجمة الصهيونية الإسرائيلية ضد مصالح الفلسطينيين ، قررت ببساطة أن كل ذلك لا يعنىها فى شىء ، لأن الهدف الآن هو السلام ، ولو كان حسب شروط إسرائيل وأمريكا .

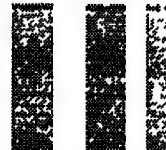
من جهتي أعارض ترك القدس إلى النهاية لأنها حسب القول المكرور القضية الأصعب على المعالجة أن القدس بؤرة كل جهودنا لأنها تقع في قلب الأراضي المعنية وهي أيضاً قلب الصراع الأيديولوجي ومهما كانت الأبعاد الأخرى لقضية القدس فهي تبرز في شكل درامي ، أيضاً الفرق بين منظور أيديولوجي ضيق للتاريخ والمجتمع والرؤيا الشمولية التحررية الجامعية التي علينا صوغها والعمل من أجلها إنها أيضاً المكان الذي خصه الإسرائيليون بأكثر ما لديهم من جهود .

ولا أرى كيف يمكن عمل أي شيء لتغيير الإجراءات الإسرائيلية أو إعاقتها أو التأثير فيها في شكل من الأشكال من دون أن نتعامل أولاً مع الإطار الإعلامي الأيديولوجي الذي أقامته إسرائيل حول المدينة ذلك أن هذا الإطار يشكل نقطة الضعف الإسرائيلية التي يمكن مواجهتها بالنقاش والتعبئة الفكرية والأخلاقية من جانب معارضي إسرائيل ، إن هناك تاريخاً طويلاً من التسامح والتعددية للقدس يجب إبرازه وإدراجه في النقاش الذي تسيطر عليه إسرائيل حالياً .. كما أن هناك مجموعات قوية من المصالح غير اليهودية ، وأيضاً على أقل تقدير خريطة أقرب إلى الحقيقة يمكن رسمها وتوضيحها وتعبئة المساندين حولها وعلينا إلغاء وتبديد هذا الصمت إزاء الإدعاءات الإسرائيلية .. وهذا يعني بوضوح تقديم منظور فلسطيني للسلام أكثر مبدئية ووضوحاً والقيام في الوقت نفسه بانتقاد دقيق من منظور فلسطيني لأصل مفاوضات السلام ومجراها ولا يبدو لي أن هذا مطلب دونكيشوتي أو إستراتيجية غير واقعية لأن هناك إستعداداً كبيراً لكنه مضمّر إلى حد ما لدى الأوروبيين والأمريكيين وبعض اليهود للاستماع إلى الطريق البديل الأكثر إنسانية الذي يمكن أن يوصل إلى السلام الحقيقي .



الشيخ : عكرمة صبرى

إمام ومفتى القدس



الانتهاكات مستمرة

القدس الآن هي مدينة تحت الإحتلال .. وعلى المسلمين فى شتى بقاع الأرض أن يتآزروا لتحريرها وإعادتها إلى الحياض الإسلامى .. ولا يشترط فى الجهاد فقط أن ينحصر فى الجهاد الحربى ، ولكن بأية وسيلة يمكن استرداد القدس ، فمثلاً يقولون أنه لا يجوز إحتلال أرض للغير بالقوة .. إن تم تطبيق ذلك وأعيدت القدس لأهلها فخير ونعمة .. وأعتقد أنه يجب على الأمة الإسلامية أن تعبئ كل طاقاتها للحفاظ على مقدساتها وأوطانها ورعاياها وشعوبها .. إن قضية القدس لا بد وأن تمثل مكانة بارزة فى جدول الاهتمام العربى والإسلامى ، نتيجة الخطوات الاستفزازية التى أقدمت عليها إسرائيل فى الفترة الأخيرة ومصادرة إسرائيل المستمرة لأراضى القدس وأن إسرائيل مستمرة فى إنتهاكاتها الصارخة لحرمة القدس رغم التصريحات التى تقول فيها بأنها لن تصدر ولكن السياسة مستمرة فى تهويد المدينة .. إن ما يتم الآن هو مخططات إسرائيلية هدفها امتلاك المزيد من الأراضى العربية ، وإقامة المستوطنات عليها وتوسيع رقعتها بهدف تهويد القدس.

إن أهالى وسكان القدس ممنوعون من الوصول إلى المدينة ومحرومون من الحصول على تراخيص بناء بها بسبب سيطرة اليهود على المجلس البلدى لها .. كما أن الضرائب الباهظة مازالت تضاعف على سكان المدينة .. وتستهدف تصعيب الحياة بها واللجوء للهجرة كبديل لعدم القدرة على المعيشة بالمدينة .. كما أن نسبة خدمات بلدية القدس للمواطن العادى لا تتجاوز ٤% من مجموع ما تحصله من ضرائب بالإضافة إلى فرض قيود على تحركات الشباب وأعمالهم حتى أصبح دخل العائلة الواحدة فى القدس تحت

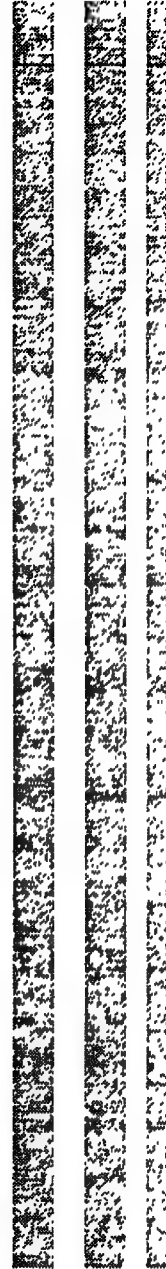
خط الصفر ، إن إسرائيل تخطط لحصر مشكلة الفلسطينيين والإسرائيليين في المسجد الأقصى حتى تنفرد بالقدس ، وتهيمن عليها ، وأنها تقيم المستوطنات لخنقها وعزلها عن سائر الضفة الغربية وتغيير الواقع الديمغرافي للسكان ، وغرض إسرائيل هو أن يصبح عدد الإسرائيليين أكبر من عدد السكان العرب .

إن هناك مشروعاً إسرائيلياً لإقامة هيكل يهودى وهذا الهيكل هو بناء لشكل هيكل في المتحف الإسرائيلى .. ويشملونه بكل رعاية وعطف .. وهناك تخطيط ضخم لوضعه في مكان المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة وأن هذا الهيكل وفقاً لخريطة إسرائيل المعدة في هذا الشأن توضح أن هذا الهيكل سيوضع فوق هذه المساحة التي تبلغ ١٤٣ ألف متر مربع وأنه سيوضع بعد أن يزال من فوقها المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة مع بقاء السور الخارجى - إن القدس ثمر بأخطر مراحلها وإن لم تتكاتف الأيادى العربية والإسلامية فلن لمجد القدس ولن لمجد فلسطين ، ولابد من أن يقوى الحس العربى والإسلامى فى هذه الفترة وأن يزداد الإحساس بالموقف والخطر وأن يعيش الجميع مأساتنا فنحن معذبون على أرضنا وهناك تكتم إعلامى على ما يحدث ضدنا .. نحن نشعر بالظلم العالمى تجاهنا والآلام والأحزان تعيش معنا .. وإن لم تكن هناك وقفة فلن نصمد أمام العالم ومخططاته وإزدواجياته فى القرارات وتنفيذها فما ينفذ على العراق لا ينفذ ولا ينظر إليه فى القدس .. وعشنا على الأمل .. والأمل يموت كل يوم .. والأيام تجري والإنتهكات فى تزايد والإدارة الأمريكية تنحاز بالكامل ضدنا بل ضد الجميع من أجل عيون إسرائيل - لا أدري ما أهمية إسرائيل إذا قيست بالعرب بالنسبة لأمريكا - ما الخطر الذى تخشاه الولايات المتحدة من العرب لدرجة أنها تضحى بهم جميعاً من أجل إسرائيل ؟ وهل هذا إيمان من إسرائيل بأن العرب لن تقوم لهم قائمة إلى الأبد ، فأقول لإسرائيل وأمريكا .. العرب آتون والعرب صامدون .. ولن يموت العرب ولن تموت فلسطين ولن ينتهى القدس وسيظل القدس إلى قيام الساعة .

إن عشرات المؤسسات الإسرائيلية تضع مشروع إقامة الهيكل اليهودى هدفاً إستراتيجياً لها ومنها حركة " مجلس أمناء جيل الهيكل " التى كانت وراء سجنرة الحرم الإبراهيمى فى عام ١٩٩٠ والتى شهد عليها العالم وأغلق ملفاتها بمنتهى السرعة فى

الوقت الذى فيه ملفات تفتح من جديد بعد مرور حوالى ٦٠ سنة ، وكانت المجزرة قد وقعت عندما أرادت هذه الحركة إدخال حجر أساس لبناء الهيكل إلى ساحة المسجد الأقصى ، واعترض المصلون المسلمون فما كان من المتطرفين أن أطلقوا الرصاص فى أبشع كارثة تحدث داخل مسجد للمسلمين .. والحركات الصهيونية تسعى إلى خلق أمر واقع فى ساحة المسجد الأقصى .. مع العلم أن تكاليف إقامة الهيكل ستكلف ملايين الدولارات ، ولكن الحركات الصهيونية فى العالم لن تتوان عن التبرع لإتمام المشروع .. وأن هذا المشروع كفيل بتدمير عملية السلام من أساسها .. قضية الصراع العربى الإسرائيلى هى قضية فلسطين .. وجوهر قضية فلسطين القدس .. ولا بد للعرب أن يرسخوا المواقف ويعودوا للتنسيق العربى ، فقضية القدس ليست قضية فلسطينية فقط .. بل قضية عربية إسلامية .. وهى قضية دولية .. والعقلية الإسرائيلية لم تتغير ولن تتغير ، ولا بد من استمرار الكفاح الوطنى .

القدس أمانة فى عنق المسلمين جميعاً .. وأهل القدس هم حراس لها .. وعلى جميع المسلمين فى بقاع الأرض تقع مسئولية حمايتها .



د . عبد المنعم سعيد

مدير مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام



حالة القدس

ربما لا توجد قضية لها حساسية دينية وعاطفية وتاريخية لدى العالم العربى والإسلامى قدر قضية القدس واحتلالها وضمها من جانب إسرائيل فالقدس فضلاً عن أنها أولى المدن المقدسة للمسيحيين العرب ، وثالث المقدسات للمسلمين . هى المدينة التى تراوح الصراع حولها مع " الآخر " الغربى طوال التاريخ ، وعند أسوارها ومقدساتها تحدد النصر والهزيمة ، وباختصار شديد ، فإن عملية السلام العربية - الإسرائيلية الحالية ستظل " عملية " سلام وليس السلام نفسه حتى يتحدد مصير القدس ، أيا كانت التسويات والاتفاقات التى تجرى على هذه الجبهة أو الأخرى ، ليس معنى ذلك أن بقية الأراضى العربية المحتلة لا تعرف قداسة التمسك بها من جانب الأطراف العربية ، وإنما المقصود هنا أن القدس تعلق على الأراضى الأخرى برموزها الدينية والثقافية التى تجعل استمرار احتلالها ليس احتلالاً جغرافياً لقطعة من الأرض وإنما احتلالاً للثقافة والدين والهوية القومية وكل ما يشكل معنويات الإنسان العربى ووجوده .

ولذا فإن الغضب العربى إزاء خطوة إسرائيل الأخيرة مصادرة الأراضى الفلسطينية وتغيير معالم القدس كان مشروعاً وواجباً تماماً ، والغضب العربى من قرار الكونجرس الأمريكى بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى المدينة المقدسة لا يقل عن ذلك مشروعية وواجباً ، كذلك المشروعية ظاهرة وواضحة لأن كلتا الخطوتين مخالفة صريحة لا جدال فيها لقرارات دولية أصدرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن ولالتزامات قطعها الولايات المتحدة لأطراف عربية عدة ، وكلها أقرت بأن القدس الشرقية هى أرض فلسطينية تحت الإحتلال ولا يحق لإسرائيل العبث بها طبقاً لاتفاقية جنيف الرابعة ، ولا يحق لأى دولة حسب قرار مجلس الأمن رقم ٤٧٨ لعام ١٩٨٠ نقل سفارتها إليها ، أما الواجب فلأن الدول العربية لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي إزاء تلك الخطوات الأخيرة ، لأن القدس ليست مدينة عربية أخرى محتلة ، وإنما هى المدينة الرمز إسلامياً وعربياً وفلسطينياً .

وإذا كانت هناك حاجة فى أى وقت لحشد الطاقات العربية فإنها لحظة المساس بالقدس وأرضها وشعبها ومقدساتها . ولكن الأسئلة الجوهرية التى علينا طرحها دوماً ، ولا نتوقع أن تكون مجرد بديهية من البديهيات هى من نوع : من سيحتشد ، وما الذى سيتم حشده ، وكيف ، وما هى الأهداف قصيرة المدى وتلك البعيدة المدى التى نود تحقيقها من حشد ما ؟ وقبل وبعد كل شيء ما هى الإمكانيات والقدرات التى نستطيع حشدنا ونضعها فى ساحة الفعل حتى نجعل لاعتزازنا بالقدس صدقية حقيقية وليس فقط شعارات مرفوعة مهما كان فيها من نار ولهيب ؟ الإجابة عن هذه الأسئلة لم تكن واحدة ، وفى الحقيقة كانت هناك إجابتان : أولاً ، طرحها الدول العربية . وثانياً ، طرحها النخبة العربية التقليدية ، وكلاهما يستحق قدرأ من الاقتراب والفحص .. وما كانت دعوة الدول العربية إلى عقد جلسة طارئة للجامعة العربية وعقد مجلس الأمن الدولى ، وقمة عربية ولو مصغرة لمناقشة الموضوع ، وإصدار القرارات التى تدين خطوات مصادرة إسرائيل لأراضى القدس وتدعو إلى وقفها وتدينها من الناحية القانونية على الأقل .

وكان ذلك كله مطلوباً تماماً ، فهو من ناحية طرح على إسرائيل والولايات المتحدة أن هناك حدوداً لا ينبغي تخطيها لمخالفة القرارات الدولية ، ومن ناحية أخرى فإنها أشارت إلى أن الذين تصوروا العالم العربى بعد حرب الخليج جثة هامدة وقعوا فى خطأ كبير ، وأن رغبة السلام العربية ليست مطلقة أو بلا قيود ، وإنما هى مشروطة تماماً بالعدل الذى لا يوجد مكان لتجسده قدر ما هو موجود فى القدس ، وباختصار شديد فإن هذه الخطوات على الجانب العربى أعطت إشارة إلى إسرائيل والكونجرس أن المساس بالقدس يهدد بعودة الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط بأكملها إلى ما كانت عليه من صراع مستديم تنهار معه كل الجهود التى بذلت على مدى عشرين عاماً من أجل إقامة سلام فى المنطقة .. ومع الضغط الذى قامت به الدول العربية ، حتى ولو تعرض للفيتو الأمريكى فى مجلس الأمن ، فإنها عبرت عن رغبتها فى استمرار عملية السلام ، فإن التحرك الإسرائيلى لمصادرة الأراضى كان محاولة منها لتعظيم مكاسبها باقتطاع قطعة إضافية من القدس ، وكان التحرك العربى هو منعها من هذا العمل على وجه التحديد ، وهو ما تم بالفعل عندما جمدت إسرائيل قرارها .

وفى الحقيقة فإن هدف الحشد هنا كان محدداً كل التحديد ويلقى قبولاً دولياً كاملاً وشاملاً ، وحتى الاعتراض الأمريكى فى مجلس الأمن لم يكن على مضمون القرار ، وإنما كان على مكان الحديث عنه ، وحتى داخل الساحة الإسرائيلية وداخل مجلس الوزراء

الإسرائيلي نفسه كان هناك من يعترض عليه ، وفوق ذلك كله أنه يمكن الدفاع عنه بقوة من قبل النواب العرب في الكنيست الإسرائيلي في ظل أوضاعهم بالغة الحساسية ، وهكذا فإنه مع تحديد هدف الحشد ، فإن القوة المدعوة للاحتشاد كانت في المجتمع الدولي ، وفي الدول العربية القادرة على الحركة السريعة . وفي داخل إسرائيل نفسها من عرب وغير عرب . والنتيجة كان التراجع الإسرائيلي ، الذي لم يكن ، وعلى عكس الشائع ، أول التراجعات الإسرائيلية ، فقد خسرت إسرائيل معركة سيناء التي ادعت أن بقاءها في شرم الشيخ مع الحرب أفضل من السلام بدونها وخسرت معركة طابا ، وخسرت معركة مرج الزهور عندما نفت أكثر من ٤٠٠ فلسطيني ، ولم يكن مصيرهم كما كان مصير مئات الألوف قبلهم وعادوا إلى ديارهم مرة أخرى ، في كل هذه الحالات كانت هناك حزمة من السياسات العربية لا تكتفى بمجرد إعلان المواقف ، وتحقيق الرضا عن الذات بأكبر كمية من الصخب الإعلامي ، وإنما كان فيها ما يؤدي إلى الحصول على الحقوق العربية حتى ولو قطعة قطعة كما اقتطعتها إسرائيل من قبل قطعة قطعة كذلك والأهم أننا لنجحتنا في تقديم موقف يقبله المجتمع الدولي ويستطيع أن يفهمه ويقبله ، حتى ولو بدا مستعصياً في بعض الأحيان على قبولنا وفهمنا ، وفي كل الحالات كان الصراع السياسي والدبلوماسي يجري ، بينما مفاوضات السلام ذاتها مستمرة فالرسالة العربية كانت هي أننا نريد السلام مع الحقوق العربية في مواجهة مع الرسالة الإسرائيلية التي ترغب في السلام مع الهيمنة الإسرائيلية .

إجابة النخبة العربية في مقالاتها واجتماعاتها وندواتها كانت جد مختلفة، فالتيار الغالب فيها دعا إلى وقف مفاوضات السلام الراهنة على كل مساراتها ، ووقف إجراءات التطبيع التي يجري بعض منها ، وعودة المقاطعة الإقتصادية العربية لإسرائيل إلى ما كانت عليه ، ولدى البعض كان المطلوب إلغاء إتفاق أوسلو ، والعودة إلى الكفاح المسلح من جديد ، أي بعودة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل عملية السلام التي بدأت في مدريد .

كل هذه الخطوات بالتأكيد كانت سترفع الثمن الذي على إسرائيل دفعه نتيجة خطواتها لضم القدس ، ولكنها لا تشير قطعاً إلى إمكانية عودة المدينة المقدسة إلى اليد العربية مرة أخرى ، ولا حتى كانت تؤدي إلى وقف إجراءات المصادرة الإسرائيلية ، فالواقع أن ما فعلته إسرائيل من مصادرة للأراضي العربية في القدس كان حادثاً حتى قبل توقيع معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية ، أي عندما كانت كل الشروط المطلوب

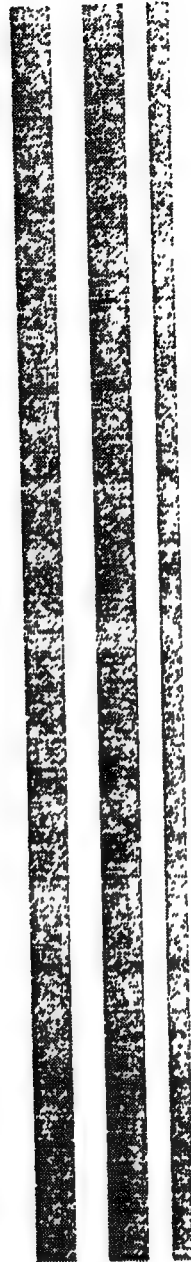
تطبيقها الآن موجودة ومتوافرة ، ولم تحم القدس من الاغتصاب الإسرائيلي ولا جعلت إجراءات تهويدها أكثر بطئاً ، وليس سرّاً أيضاً أن مسألة نقل السفارة الأمريكية للقدس هى موضوع كل انتخابات أمريكية ، وبرنامج كل طامع لاحتلال البيت الأبيض ، بمن فيهم الرئيس بيل كلينتون والأكثر من ذلك أهمية أن الولايات المتحدة تفاوضت بالفعل مع إسرائيل على إقامة " مبان دبلوماسية " فى القدس ، تحديد مهمتها لا يزال رهناً للظروف والتوقيتات المناسبة ، وزد على ذلك أن التطبيع العربى مع إسرائيل لا يزال محدوداً للغاية ، وتأثيرات رفع المقاطعة الإقتصادية من الدرجة الثانية لا يقل محدودية ، ومن ثم فإن ما سوف تدفعه إسرائيل للتراجع عن هذه الخطوات لن يزيد عن تأثيراته الرمزية والأهم من ذلك كله أن الوقت أصبح غير الوقت والزمن غير الزمن ، والتغيرات فى النظام العالمى حتى الآن غير مواتية للمصالح العربية ، وحتى عندما كان الاتحاد السوفيتى موجوداً ، وتوازن القوى كان أفضل مما هو عليه الآن بالنسبة للجانب العربى ، وحتى لم تكن حربا الخليج الأولى والثانية قد حدثتا بعد ، فإن القدس لم يجر احتلالها فقط بل ضمها كذلك .

الحشد هنا للطاقات العربية كان هدفه ليس التعامل مع معركة محددة فى صراع طويل ، وإنما التعامل مع الصراع كله فى لحظة معينة لا يوجد فيها التمييز بين أجل قصير وآجال ممتدة وعندما ينتفى مثل هذا التمييز لا يصبح للإستراتيجية والتكتيك أى معنى لأنه يعنى التعامل مع كل الأهداف فى وقت واحد ، وفى لحظة دولية معاكسة ، وفى ظل وضع عربى وتوازن للقوى يعرف الجميع حدوده وإمكاناته المحدودة ، وكأئما المطلوب ليس الانتصار فى معركة حتى ولو كانت جزئية وصغيرة ، وإنما إثبات العجز وإنعدام القدرة ولكنه المرض المتأصل فى الشعار الذائع لدى النخبة العربية حول " حشد الطاقات العربية " فهو حشد على الورق أو فى الإذاعة ، وصلته مقطوعة بالواقع وما فيه من قدرات يمكن أو لا يمكن حشدها ، وبالتأكيد لا يوجد من هدف إلا عودة الأوضاع دائماً إلى ما كانت عليه ، حتى ولو كانت تعاستها وبؤسها واضحة كل الوضوح .

الفارق بين الطريقتين فى الحشد - كما برز فى حالة معالجة أزمة القدس - مصادرة أراضيها - يتجلى فى تكييف موقعها من الصراع العربى - الإسرائيلى وعملية السلام التى تحاول تسويته . وجهة النظر الأولى التى رأت الأزمة نقطة على مسار طويل يتبغى الحشد لها وفقاً للإمكانات المتاحة لإجبار إسرائيل على التراجع . بينما وجهة النظر الثانية ترى فى كل نقطة على المسار تجسيدا للصراع كله الذى دام مائة عام فى معركة واحدة جامعة وفاصلة ، مهما كانت المتغيرات الدولية والإقليمية وحتى المحلية داخل

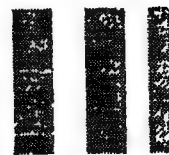
الدول العربية مختلفة عند كل لحظة زمنية فيه . وجهة النظر الأولى معقدة ومركبة وتحتاج قدراً كبيراً من ضبط النفس وأحياناً أكثر من كظم الغيظ ، ولكن السياسة فيها لتحقيق الهدف المحدد أعلى من إعلان المواقف ، أما الثانية فهي بسيطة تصلح للحشد المعنوي الذي لا يعقبه إلا اليأس والإحباط ويصبح إعلان المواقف فيها بديلاً للسياسة .

هل معنى ذلك كله أنه حدث انتصار عربي وأن معركة القدس انتهت ؟ الإجابة عن السؤال هي بالتأكيد لا ، والحاجة إلى " حشد الطاقات العربية " لا يزال مطلوباً وبشدة أيضاً ، فالتراجع الإسرائيلي لا يزال محدوداً للغاية ولا يزيد في الواقع عن مجرد تجميد لقرار ظالم ومناف للشرائع الدولية وحتى للاتفاقات العربية - الإسرائيلية منذ البداية ، وعلى الأغلب فإنه مؤقت ولن يلبث أن يعود مرة أخرى ربما في صور جديدة . ولكن على ماذا يتم الحشد وكيف ؟ وإذا كان المتصور أن هدف الحشد هو تحديداً تحقيق الجلاء الإسرائيلي عن الأراضي العربية المحتلة وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية مقابل سلام شامل وعلاقات طبيعية مع إسرائيل فإن الأمر يتطلب حزمة من السياسات التي تبرز بين العصا والجزرة وتضغط وتغري إسرائيل بقبول هذه المعادلة . لكن لماذا اللقاءات العربية رهناً بما تفعله أو لا تفعله إسرائيل ؟ وذلك في الحسابات الاستراتيجية خطأ فادح لا يعني إلا إعطاء المبادرة دوماً للطرف الآخر .. إن الإنسحاب الإسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة لن يكون مجرد إنهاء لحالة الحرب أو العودة إلى ما كانت عليه الأوضاع قبل عام ١٩٦٧ ، وإنما هو خطوة ضرورية لإقامة مستقبل جديد في المنطقة يكون لإسرائيل القبول كدولة لها كل العلاقات الطبيعية التي تقام بين الدول ، وربما كان ممكناً طرح مشروع عربي خاص بالقدس سبق أن طرحته أطراف فلسطينية يجعلها عاصمة لدولتين مع إدارة مشتركة للمدينة نصفها من العرب والآخر من اليهود ، وهكذا نقسم المدينة ونبقى على وحدتها في الوقت نفسه ، والأهم نصنع عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة .



موسى المزراوى

المحامى الفلسطينى وعميد كلية الحقوق فى معهد "البوليتكنيك" سابقاً



الأمم المتحدة والواقع الإسرائيلي

القرار الذي صدر عن الكونجرس الأمريكي بغالبية كبيرة يوم ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٥ بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس في موعد أقصاه ٣١ آيار (مايو) ١٩٩٩ قد أغضب الدول العربية جميعها .. وفي محاولة لتخفيف وطأة هذا الغضب صرح الرئيس كلينتون ، فيما بعد : بأن الخطوة التي اتخذها الكونجرس في هذا الشأن " غير مناسبة " و " غير مشجعة " في الظروف الحالية وأنها " لن تساعد المسيرة نحو التسوية " بين الدول العربية وإسرائيل .

الرئيس كلينتون لم يقل أن مشروع القانون هذا لن تنفذه الإدارة الأمريكية أو أنها ستقوم بإبطاله ، والسبب بسيط وهو أن الرئيس كلينتون لا يعارض المشروع في قرارة قلبه ، وقد سبق له أثناء حملته الانتخابية وفي مناسبات أخرى أن أيد صراحة وضمناً " وحدة القدس " ، كما أنه سمح لمؤيديه بل أطلق العنان لهم لإشعار إسرائيل بأن الولايات المتحدة ليست ضد فكرة اعتبار القدس عاصمتها " الأبدية " .

وتجدر الإشارة ، في هذا الصدد إلى أن الرئيس كلينتون لم يعلن صراحة ومن دون لف أو دوران معارضته قرار الكونجرس من ناحية الأساس والمبدأ ، وإنه لم يقل ببطلانه من الناحية القانونية ، وتجدر الملاحظة - أيضاً - إلى أن الحكومة الإسرائيلية لم تنبس ببنت شفة بشأن تصريح الرئيس كلينتون ، وهناك من يقول بأن المسئولين الأمريكيين قد أوعزوا إلى زملائهم بأن السياسة الأمريكية تجاه القدس لم تتغير ، وأن من المفيد لكل من أمريكا وإسرائيل ، ومما يوفر عليهما قدراً كبيراً من الإحراج أن " تطنش " إسرائيل بشأن بيان الرئيس كلينتون .

أما القرار الذي اتخذته الكونجرس فإنه لم يكن إلا تنفيذاً لسياسة اتبعتها الإدارة الأمريكية منذ وقت طويل ، فقبل أكثر من ست سنوات ، في آخر أيام عهد الرئيس "رونالد

ريجان" وقعت الإدارة الأمريكية في ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩ على إتفاقية مع السلطات الإسرائيلية حول الأرض التي تزعم الحكومة الأمريكية بناء سفارتها عليها في القدس .. والإتفاق الذي تم بين إسرائيل والولايات المتحدة نصوصه واضحة وصريحة: في مقدمة الإتفاقية تعرب واشنطن عن رغبتها في إقامة تسهيلات دبلوماسية جديدة في القدس . وتقول إنها طلبت من حكومة إسرائيل أن تخصص أراضى لهذه الغاية ، أن الطرفين قد اتفقا على تعيين موقع محدد لهذا الغرض مساحته ٣١٢٥٠ متراً مربعاً .

وتنص المادة الثانية من الإتفاقية : أن على حكومة إسرائيل أن تتخذ كل الإجراءات الكفيلة بالحصول على الملكية الخاصة والشرعية لهذا الموقع خاصة من أية حقوق أو فوائد أو مطالب من الغير ، كما تتعهد إسرائيل بمقتضى هذه المادة أن تؤجر الموقع المذكور إلى حكومة الولايات المتحدة لمدة ٩٩ سنة تبدأ عند تحويل الأرض بالكامل إلى حيازة حكومة الولايات المتحدة بأن تدفع لحكومة إسرائيل مبلغاً وقدره دولار أمريكي واحد في السنة طوال فترة الإيجار ويدفع هذا المبلغ سلفاً حسبما ترى حكومة الولايات المتحدة مناسباً .

وتنص هذه المادة أيضاً على أن يكون لحكومة الولايات المتحدة الحق ، إذا شاءت خلال فترة الإيجار هذه ، أن تمدد عقد الإيجار بعد انتهائه لفترة ٩٩ سنة إضافية بنفس الشروط والالتزامات السالف ذكرها ، ولكن لا تدفع حكومة الولايات المتحدة في هذه المناسبة أى مبلغ لحكومة إسرائيل (ولا حتى الدولار الواحد في السنة) .

وفي المادة الخامسة من الإتفاقية نص مفاده أن لحكومة الولايات المتحدة الحق ، إن هي وجدت أن الموقع في القدس لا يصلح للاستعمال للأغراض الدبلوماسية ، أن تبلغ حكومة إسرائيل بذلك قبل ١٥ أبريل (نيسان) ١٩٩٩ ، وعندئذ يتوجب على حكومة إسرائيل أن توفر للولايات المتحدة موقعاً بديلاً مساوياً في ميزاته وتفصيله . (وليس هناك في المنشورات الأمريكية الرسمية ما يدل على أن حكومة الولايات المتحدة قد أعربت عن أى انتقاد أو تحفظ في شأن صلاحية هذا الموقع لإقامة السفارة) .. وفي المادة السابعة من الإتفاقية نص يقول أنه على حكومة إسرائيل أن تأخذ بعين الاعتبار أن حكومة الولايات المتحدة تشعر بالقلق إزاء تواجد أية منشآت يزيد علوها على ٢١ متراً فوق المستوى السطحي الحالي على بعد أقل من ٣٠٠ متر من حدود الموقع كما تنص هذه المادة أن على

الطرفين التشاور إذا ما رغبت الولايات المتحدة ذلك حول نوعية النشاط بصورة عامة في المنطقة المحيطة بالموقع على بعد أقل من ٣٠٠ متر .

وتنص المادة الحادية عشرة من الإتفاق أن على حكومة إسرائيل أن تتولى الدفاع في المحاكم والمنابر الأخرى ضد أية قضايا تقام على الولايات المتحدة أو الجهات الإسرائيلية فيما يختص بملكية الموقع المخصص للسفارة الأمريكية أو حول أى شيء يتعلق باستعمال الموقع من قبل حكومة الولايات المتحدة ، وأن على حكومة إسرائيل أن تتحمل مصاريف هذه الإجراءات .. وفى هذه الإتفاقية نصوص تتعلق بشراء حكومة الولايات المتحدة من حكومة إسرائيل موقعاً فى تل أبيب للإستعمال لأغراض دبلوماسية إضافية والإتفاقية تحدد الثمن ، إن هذه النصوص التى أوردناها من الإتفاقية الأمريكية - الإسرائيلية غريبة والحق يقال ، والتفسير الوحيد لتسمية الصفقة " عقد إيجار واستئجار " لتسع وتسعين سنة ، وبدولار أمريكى واحد فقط ، تتجدد بعد ذلك لتسع وتسعين سنة أخرى هو أن الولايات المتحدة وقد حاولت نفى صفة الشراء عن هذه العملية خشية ألا يكون لحكومة إسرائيل الحق فى أن تباع الملك بيعاً كاملاً لأنها لا تملكه حسب القانون ، فإذا ثبت أن حكومة إسرائيل قد تجاوزت صلاحياتها فى هذا الخصوص فإن عليها أن توفر للحكومة الولايات المتحدة موقعاً بديلاً فى القدس بالذات ، ولنفس الغرض .. ويبدو أن حكومة الولايات المتحدة كانت تريد أن تتجنب الدخول فى متاهات قانونية حول شراء أرض من غير صاحبها المفوض بالبيع وحده دون سواه ، والذى فات على حكومة الولايات المتحدة أن هناك سابقة قانونية وأخلاقية مماثلة فى عملية استئجار أرض من غير مالكيها الشرعى أو مستأجرها الذى له حق التأجير .

المهم فى هذا الموضوع هو أن هناك وثائق رسمية من عهد الإنتداب البريطانى على فلسطين تثبت أن ملكية جزء لا بأس به من الموقع الذى استأجرته الولايات المتحدة هى لوقف إسلامى هو وقف الخليلى المخصص ريعه ، حسب الشريعة الإسلامية وقوانين حكومة فلسطين ، لذرية آل الخليلى التى لا يزال عدد كبير منهم أحياء يرزقون ، ومع أن حكومة إسرائيل قد عدلت وبدلت فى القوانين المتعلقة بالأراضى فى فلسطين إلا أنه لا

تزال هناك علامة إستفهام كبيرة - حتى فى نظر القانون الإسرائيلى - حول شرعية بعض ما فعلته إسرائيل فيما يختص بالأوقاف الإسلامية عامة ، ولا يستبعد فى هذه المناسبة أن يكون الخبراء القانونيون للولايات المتحدة قد لفتوا النظر إلى مشكلة أخرى حول شرعية وجود إسرائيل فى القدس خصوصاً وفى القسم الشرقى من المدينة الذى كان تحت سلطة الأردن قبل عام ١٩٦٧ . وصياغة الصيغة بشأن موقع السفارة كعقد إجبار وليس كعقد شراء يوفر على الولايات المتحدة قدرأ من الإحراج ، ويضمن لها فى الوقت ذاته موقعاً بديلاً لسفارتها .

إن الوضع القانونى لمدينة القدس كان قد تحدد أصلاً فى القرار رقم ١٨١ (٢) الذى أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٧ الذى قسم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية . وقد نص هذا القرار على أن مدينة القدس بحدود معينة حسب الخريطة هى " جسم منفصل " (باللاتينية Corpus Separatum) ومستقل عن الدولتين وقائم بذاته وله نظام حكم منفصل وخاص به ، وقد أشير إلى هذا الوضع مرات عدة فى قرارات للجمعية العامة وللمجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى .

وفى عام ١٩٤٨ احتلت القوات الإسرائيلية القسم الغربى من المدينة ، كما احتلت قوات شرق الأردن القسم الشرقى وأعلنت المملكة الأردنية الهاشمية عمان عاصمة لها وليس القدس ، واعترفت معظم الدول ، بما فيها الدول الكبرى ، باحتلال كل من الأردن وإسرائيل لمدينة القدس وتعاملت معها على أساس الأمر الواقع لا أكثر ولم يعترف أحد بالقدس عاصمة لأى من هاتين الدولتين . واستمر هذا الوضع إلى حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ حين احتلت إسرائيل القسم الشرقى من القدس وأعلنت فى ٢٧ حزيران ١٩٦٧ عن ضم القسم العربى من القدس إلى الجزء الذى كان تحت حكم إسرائيل ، واعتبرت - حسب قانون سنه الكنيست الإسرائيلى - أن المدينة بأكملها هى عاصمة إسرائيل وقد استنكرت الأمم المتحدة أكثر من مرة هذا القرار واعتبرت أن الجزء الذى احتلته إسرائيل من القدس عام ١٩٦٧ هو " أراض محتلة " خاضعة لقوانين الحرب واتفاقيات جنيف ، ولم يعترف بمطالب إسرائيل فى القدس عاصمة لها حتى الآن إلا قلة قليلة من دول العالم .

ما هو وضع القدس فى نظر منظمة التحرير الفلسطينية فى المناقشات التى دارت فى اللجنة التنفيذية للمنظمة فى كل من تونس والجزائر قبيل إصدار " وثيقة استقلال فلسطين " من قبل المجلس الوطنى الفلسطينى ، وفى ١٥ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٨٨ جرى الحديث عن القدس ووضعها سياسياً وقانونياً ، وفى المسودة الأولى للوثيقة ورد النص التالى : " المجلس الوطنى يعلن ، باسم الله وباسم الشعب العربى الفلسطينى ، قيام دولة فلسطين فوق أرضنا الفلسطينية وعاصمتها القدس العربية " وكان من رأى أنا أثناء مشاركتى فى النقاش أن وصف القدس بـ " العربية " فيه محاذير ، أولاً لأن حدود هذه المنطقة لم يكن قد تم الإتفاق عليها ، وثانياً لأن وصف جزء من المدينة بـ " العربية " يبرر ويجيز وصف الإسرائيليين للجزء الآخر بـ " الإسرائيلية " أو " اليهودية " ، وقبل أعضاء اللجنة التنفيذية اقتراحى باستعمال عبارة " القدس الشريف " التى تترك الباب مفتوحاً حول الحدود .. وهذه النقطة الحساسة لم تبرز ، مع الأسف ، فى الترجمة الإنجليزية للوثيقة التى لم يكن لى دخل فيها .

يظل أمامنا اليوم السؤال التالى : ما هى حدود " القدس " بالضبط وما هو وضعها بأكملها أو مجزأة من الناحية القانونية هناك محكمة العدل الدولية فى لاهائى ، التى يمثل قضاتها الخمسة عشر مختلف النظم القانونية فى العالم ، ويمكن للجمعية العامة للأمم المتحدة ، حسب المادة ٩٦ من الميثاق ، أن تستفتى محكمة العدل الدولية بشأن وضع القدس . والمطلوب لتحريك هذه العملية قرار من الجمعية العامة بغالبية بسيطة من الأعضاء الحاضرين والمشاركين فى التصويت وعدد أعضاء منظمة الأمم المتحدة فى الوقت الحاضر ١٨٥ دولة ، ولن يكون من الصعب الحصول على غالبية تؤيد مطلباً عربياً فى هذا الخصوص.

د . عبد الله الأشعل

خبير القانون الدولي ، جامعة القاهرة

منهج القانون الدولي

إن إثبات الحق بالمنطق القانوني المعترف به دولياً هو المنطق الذي يتفق مع التوجه نحو حل قضايا الصراع العربي الإسرائيلي بالوسائل السلمية والمفاوضات سالم تكن إسرائيل قد طرحت الخيار السلمى فى إطار السلام الإسرائيلى الذى يناقض مفهوم السلام الشائع عالمياً وإقليمياً والذى قبلت بموجبه الدول العربية التفاوض وفق مرجعية دولية نسميها الشرعية الدولية فى شأن القدس وبحسن نية واضحة من جانب كل الأطراف العربية ، بما يفترض معه أن يكون حسن النية هو رائد إسرائيل والولايات المتحدة منزهاً عن الغش والتدليس ، وكلها مفاهيم لا خلاف عليها فى أصول القانون منذ انحدرت إلينا من الرومان الذين أكدوا أن الغش يفسد كل شيء ، ولا يجوز لمن يرتكب الغش أن يستفيد من عمله .

ولعل طرح الجوانب القانونية لهذه المسألة الخطيرة يوجب تحديدها فى الملاحظات الخمس الأساسية التالية :

الملاحظة الأولى ، هناك فى العالم العربى من يعتبر المنهج القانونى ضرباً من السبب فى مواجهة المشروع الصهيونى الثابت على اقتناعاته الأساسية والتى تتحقق بإطراد أمام التراجع العربى المستمر ، كما أن فى العالم العربى وخاصة فى الطرف الفلسطينى من اعتقد أن منهج الرئيس السادات المؤكد للسياسة العملية غير المكترث بالقانون الذى يكتسح واقع القوة هو الأولى بالإتباع والتغاضى عن الجوانب القانونية أملاً فى خلق واقع يفرض نفسه ، ويصبح هو القانون الواقعى . ولقد حذرت فى دراسة مبكرة أظنها الأولى وربما الأخيرة من هذا المنهج فى تناول قضية الصراع العربى الإسرائيلى ، وذلك فى كتابى الذى تفضل الأهرام الاقتصادى بنشره فى الأول من

ديسمبر ١٩٩٣ بعنوان " النظام القانوني للإتفاق الإسرائيلي الفلسطيني " كما سبق أن لفت النظر إليه فى ورقة قدمتها بعد توقيع الإعلان فى واشنطن ، وذلك فى اتحاد المحامين العرب بالقاهرة ، وأكدت يومها - ولا يزال ذلك اقتناعى - أن إسرائيل وهى تضرب بالقانون الدولى عرض الحائط تؤكد احترامها للقانون الدولى وتسهب فى تبريرها لأعمالها بالقانون وأحكامه ، وليس أدل على ذلك من أن فقهاء إسرائيل نشطوا فى تكييف العمل العسكرى المصرى السورى عام ١٩٧٣ لتحرير الأراضى المحتلة على أنه عدوان بموجب أحكام الميثاق ، وإعلان تعريف العدوان عام ١٩٧٤ ، ونشرت كتاباتهم باللغات الأوروبية وصارت مصدراً وحيداً للباحثين الأجانب ، بينما قنع العرب بشقتهم فى أنهم يحررون أراضيههم وهذه بديهة فى نظر العالم كله لا تحتاج إلى تبرير أو تكييف ، وحتى الولايات المتحدة وهى ترتكب الإخلال الصريح والصراح لمبادئ القانون الدولى تبرز ذلك بنظرية الدفاع الشرعى عن النفس . ولا غرابة أن هذه النظرية قد أصبحت القاسم المشترك بين واشنطن وتل أبيب حتى أن إسرائيل استندت إلى هذه النظرية فى قتل الأجنة فى بطون الأمهات الفلسطينيات ، حتى تقطع الطريق على المولود الذى أتى من صلب يعادى إسرائيل إلى رحم لا يقل عداً إلى لبن الأم الفلسطينية ، فيشرب عدواً حتى النخاع .. لهذا السبب فأنا من أشد المؤمنين بالمنهج القانونى فإذا كان هذا المنهج لازماً للمعتدى لتبرير عدوانه وتسويقه فهو ألزم بداهة للضحية الضعيف .

الملاحظة الثانية ، إنه وإن كانت القدس أرضاً فلسطينية ولأهلها حق تقرير مصيرها ، فإن قدسية المدينة جعلت العالم الإسلامى والعربى كله معنياً بمصيرها ، ولعلنا نذكر بأن البعد الإسلامى للقضية الفلسطينية لم يتضح إلا بعد استيلاء إسرائيل على القدس الشرقية عام ١٩٦٧ مما أدى إلى توحيد الصفوف العربية والإسلامية من أجل القدس ومن أجلها قامت منظمة المؤتمر الإسلامى التى اتخذت من مدينة جدة مقراً مؤقتاً بديلاً عن القدس حتى تتحرر . ولذلك لا يجوز للفلسطينيين أن ينفردوا بالتفاوض حول القدس إلا بقدر ما تمثله المدينة من تراب ووطن محتل ، ولابد من اشتراك العالم الإسلامى بطريقة عملية بوصفه طرفاً ذا مصلحة محققة فى قضية القدس .

ولعلنا نذكر أن مصر وهى تتفاوض مع إسرائيل فى كامب ديفيد ١٩٧٨ ، وواشنطن عام ١٩٧٩ قد استشعرت خطورة قضية القدس التى لا يملك طرف الأفراد بتقرير مصيرها فأصرت على التحفظ بأن أية تسوية للقضية لا يجب أن تمس مركز القدس المعتبر فى إطار شرعية خاصة تتجاوز كونها أرضاً محتلة تلحق بالضرورة بوضع بقية الأراضي الفلسطينية ، ما دامت مصر لم تتمكن من حسم قضية القدس فى سياق تسوية النزاع فى جانبه المصرى الإسرائيلى ، ولا بد أنؤكد أن تحفظ مصر على وضع القدس لم يكن يعنى كما زعم البعض ممن لا يحسنون تفسير الأحداث الهامة أن مصر قالت كلمتها ومضت وإنما الصحيح أن مصر بشقلها وحسبها السياسى والدينى تضع القدس فى مقدمة أولوياتها .

الملاحظة الثالثة ، واتصالاً بالملاحظة السابقة فإن الإتفاق فى أوصلو على تأجيل عدد من القضايا ، ومن بينها القدس إلى المرحلة الأخيرة من مفاوضات الحكم الذاتى ، لا يعنى التخلي عن القدس أو التسليم بواقع التهويد وتغيير الهوية الجغرافية والحضارية والديموغرافية للمدينة ، وفرض أمر واقع مثير لا سبيل إلى مواجهته ولكنه يعنى فى نظرنا النتائج القانونية الآتية .

أولاً : أن مجرد موافقة إسرائيل على الإشارة العابرة للقدس ولو لمرة واحدة فى الإتفاق الذى أكدته مجلس الأمن ، وصار جزءاً من الشرعية الدولية حول القدس بقدر انسجامه مع قوامها وعناصرها الأساسية ، يعد إقراراً من إسرائيل أن إجراءاتها فى القدس وموقفها من القدس ليس نهائياً ، وأن القدس قضية قابلة للتفاوض ولو فى المرحلة الأخيرة من المفاوضات ، كما أنه لا يتصور أن يؤكد مجلس الأمن عام ١٩٨٠ عدم شرعية قرار ضم القدس واعتبارها عاصمة أبدية لإسرائيل ، ثم يؤكد بعد ذلك أهمية إتفاق أوصلو بمفهوم إسرائيلى وإلا كان عمل المجلس لغواً ننزله عن الوقوع فيه ، ولقد استشعرت إسرائيل ذلك فحاولت تعديل مضمون الشرعية الدولية حول القدس فى المجلس والجمعية العامة .

ثانياً : أن تعهد إسرائيل فى إتفاق أوصلو حول القدس ينتج أثراً مانعاً لإسرائيل من إتخاذ أى إجراء منفرد منذ لحظة توقيع الإتفاق ، ويطلق على هذا الأثر فى القانون وهو

فترة تجميد وضع القدس على الوضع الذى كانت عنده منذ لحظة توقيع الإنفاق حتى الانتهاء إلى وضع نهائى متفق عليه بالتفاوض .

ثالثاً : تعتبر تصريحات زعماء إسرائيل الذين يؤكدون أن وضع القدس قد تقرر منذ عام ١٩٦٧ ، وخلال أحداثها قرينة ظاهرة على سوء نية إسرائيل فى طرحها للخيار السلمى لأنه لا قيمة لأى خيار سلمى ما دامت الأوضاع الإقليمية قد تقررنت نتيجة حرب ١٩٦٧ ، كما أن ذلك يعنى أن المنهج الانتقائى لإسرائيل لمفهوم الخيار السلمى يهدم فكرة السلام من أساسها .

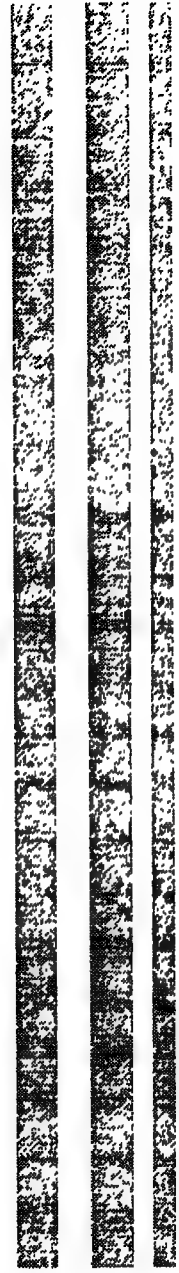
الملاحظة الرابعة : لا يجوز أن يحتكم العالم العربى والإسرائيلى فى شأن تصرفات إسرائيل فى القدس إلى القضاء الإسرائيلى ، وإنما يجب الاحتكام إلى أحكام القانون الدولى باعتبار القدس أراضى محتلة .

الملاحظة الخامسة : لا يجوز لإسرائيل تجاهل قرارات مجلس الأمن وإرغام البعثات الأجنبية على الانتقال إلى القدس من تل أبيب - صحيح أن الدولة هى التى تقرر مكان عاصمتها ، وعلى الدول الأجنبية أن تقبل ذلك وأن تنقل إلى العاصمة بعثاتها ، لكن هذا الوضع لا ينطبق على القدس ذات الوضع الخاص .

وأخيراً فإن من المهم عزل موضوع القدس عن أية تطورات أخرى فى العلاقات بين إسرائيل وسوريا ، فلكل مسار وضعه واعتباراته ، ذلك أن السلام من الجانب العربى ليس صفقة شاملة فى مواجهة إسرائيل ، أى أنه لا تتوزع مكاسب السلام بين الأطراف العربية بحيث يجبر اللين مع طرف الجور مع طرف آخر ، إننى أطالب بعمل جاد فى المجال القانونى لا يصادر على المجالات الأخرى ولكنى أزعم أن المجال القانونى لو أحسن استخدامه سياسياً وإعلامياً لأتى ببعض الثمار فى هذه الجبهة الحيوية ، وقد يكون من المناسب النظر فى جدوى عقد مناظرة عالمية بين الفقهاء المسلمين والعرب والإسرائيليين تذاغ وتشاهد على أوسع نطاق حول الجوانب القانونية للقدس ، وبذلك نخلق رأياً عاماً قوياً جنباً إلى جنب مع اللجوء إلى محكمة العدل الدولية وأرجو إن صح العزم على ذلك أن يتم إعداد مشروع قرار بذلك من الجمعية العامة للأمم المتحدة .

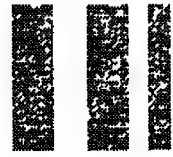
المحور الثالث

مستقبل السلام .. مستقبل المفاوضات



فاروق قدامى

وزير الخارجية الفلسطينية



ما'زق المفاوضات!

إن ما تفعله إسرائيل في القدس وما تتحدثه واستباقها للمفاوضات النهائية تجعل العملية السلمية عاجزة عن استيعاب المعاني والأهداف الكبيرة ، التي توختها ، وإسرائيل تضع الشعب الفلسطيني والسلطة في مأزق تتعرض معه العملية السلمية في المنطقة برمتها للخطر ، إن القدس هي الأب الروحي لفلسطين .. وتمثل بالنسبة للعرب والمسلمين كل المعاني التاريخية والوطنية وإحدى حقائق الإسلام الكبرى ، وإسرائيل تخدع نفسها إذا ظنت أنها قادرة على تحدى إرادة الشعب الفلسطيني وإرادة الخالق .. وتحويل مجرى القدر وإلغاء مقدسات العقيدة ومنطق التاريخ وفرض الاغتصاب على القدس .. مطلوب من مجلس الأمن فرض ضغوط إقتصادية على إسرائيل لإرغامها على الانصياع لقضايا التسوية .. ولا بد من أن يقوم العرب باتخاذ موقف موحد تجاه المفاوضات المتعددة الأطراف ، وإن أى شيء من تصريحات وأحداث تمثل جس نبض من جانب إسرائيل تجاه القدس يمثل قتلاً ووأداً وانهيأراً كاملاً لعملية السلام ، وأنه لا يوجد على ظهر الأرض عربى أو إسلامى يمكنه أن يدافع عن عملية السلام فى الوقت الذى تقوم فيه إسرائيل بانتهاك مدينة القدس وتغيير معالمها .. وكان هناك موقف فلسطينى تجاه ذلك عطل عملهم لفترة وبدأت المحاولات منذ عام ١٩٦٧ وهدفهم واضح هو تهويد مدينة القدس .

إن الاتصالات مستمرة فى دعوة مجلس الأمن والأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية من أجل أن توقف إسرائيل حملتها الشرسة تجاه القدس ومحاولة تهويدها وطمس معالم المدينة العربية .. العقلية الإسرائيلية متخيلة أنها بهذه الأعمال يمكنها أن تُنسى الفلسطينيين والمسلمين والعرب مدينتهم المقدسة ، فالقدس فلسطينية رضىت إسرائيل أم أبت ولن

توجد قوى فى هذا الكون ستجعل أى فلسطينى يفكر أن يتنازل فى يوم من الأيام عن حبة رمل فى القدس أو حبة رمل محتلة .. وحتى لو قبل الفلسطينيون ترك حبة الرمل ستفرض أن تطأها سوى أصحابها الأصليين .. على العرب أن يتجهوا نحو غاية وهدف رئيسى واحد .. وهو تحرير القدس لأن بيت المقدس وطن الروح وأرض العقيدة ورمز الوجود لكل العرب والمسلمين وأنها العاصمة الوطنية لشعب فلسطين العربى لكل طوائفه منذ بناها اليبوسيون العرب وأسماها أورسالم أى مدينة السلام وجاء الإسلام ليسميتها بيت المقدس .

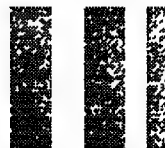
القدس بالنسبة للعرب والمسلمين تمثل كل المعانى التاريخية والوطنية وأنها تمثل إحدى حقائق الإسلام الكبرى التى لا يتوفر مثلها فى مدينة أخرى ، فالقدس ترمز لحقيقة الإسلام .. وأتمتع من الفكر اليهودى الذى يخدع نفسه ويظن أن قوة إسرائيل قادرة على تحدى إرادة الشعب الفلسطينى وإرادة الخالق .. وتحويل مجرى التاريخ بقرار يصدر من برلمانها بضم القدس ، وتقوم بإرهاب أهلها العرب والتضييق عليهم ، ليهاجروا من القدس ويتركوا فراغاً يملؤه المحتلون الوافدون من كل بقاع الأرض ، إن أى سلام لا يعيد القدس مرفوض بالكامل ، وأن محبة القدس والارتباط بها والدفاع عنها جزء من عقيدة راسخة وإيمان ثابت يولد الطفل الفلسطينى وينمو بنموه سواء كان فى أذغال أفريقيا أو فى أوروبا أو فى مواطن الأقليات الإسلامية .. وهذا الارتباط الأزلى لن تلغيه المعاهدات والإتفاقيات ولا تعطله الإجراءات الإسرائيلية مهما تنوعت وتعددت .

إن إسرائيل تعتمد أسلوباً ماكراً انطلت صلته على الغرب .. ويكاد ينطلى على العرب والمسلمين وهو أن القدس عزيزة على اليهود ومرتبطة بعواطفهم وممكنة من نفوسهم لدرجة أنهم يدعون أنهم لا يقبلون مناقشة أو كلاماً بشأن القدس ، يستوى فى ذلك المعتدلون والمتطرفون .. وقد بلغ من تأثير هذه الدعاية المسمومة أن وسطاء السلام من الغرب يرددونها حتى أصبحت جزءاً من استراتيجية السلام وعنصراً ثانياً من عناصره ، العالم لن ينعم بالسلام الحقيقى ما لم تتحرر مدينة القدس من الاحتلال .. وتعود إلى أهلها الشرعيين ولن تستقر الأوضاع فى المنطقة إلا بانسحاب إسرائيل من القدس وأن أى شيء يمس القدس كعاصمة أبدية لدولة فلسطين يجعل مسيرة السلام كأنها لم تكن .



هانی رسالان

الباحث والمحلل السياسي



موقع المفاوضات

تحتل مدينة القدس بلا جدال مكانة مركزية في القضية الفلسطينية ، حيث لا مجال للتوصل إلى حل سلمي وعادل لهذه القضية تتوافر له شروط الحد الأدنى من القدرة على التماسك والاستمرارية ، دون أن تكون القدس مشمولة في هذا الحل وتقع في القلب منه ، فبالنسبة إلى الفلسطينيين ، فإن القدس ليست فقط تلك المدينة المقدسة في العالمين العربى الإسلامى والمسيحى ، بل كانت وعلى مدى العصور أمراً حيوياً وجوهرياً وأحد المحددات الأساسية للهوية الفلسطينية ، وأيضاً للثقافة العربية الإسلامية فى المنطقة .. ومن ثم أصبحت قضية القدس هى المسألة الأصعب والأشد حساسية فى كل مفاوضات التسوية ، فالإسرائيليون من الناحية الأخرى يزعمون أنهم بحاجة إلى القدس باعتبارها جزءاً أساسياً من الحلم الصهيونى ، ولأنها التى غذت الهوية اليهودية على مدى ألفى عام ، وهم يتشبثون بالقول بأن القدس الموحدة هى العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل ، الأمر الذى يجعل عملية التسوية فى النهاية أمراً معقداً ومحفوفاً بالصعاب ، واليوم ومع تقدم المفاوضات العربية الإسرائيلية يبرز ملف مدينة القدس ، بل يمكن القول أن الإتفاق حول القدس أو عدمه ، سيساهم بشكل أساسى فى تحديد مصير هذه المفاوضات ، ومستقبل الصراع العربى الإسرائيلى إجمالاً ، وقبل تناول وضع القدس فى المفاوضات الجارية ، تجدر الإشارة إلى الخطوط العريضة للقرارات التى تناولت القدس والتطورات التى لحقت بها .

بموجب القرار ١٨١ لتقسيم فلسطين الصادر فى ٢٩ / ١١ / ٧٤ أوصت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأن يكون لمدينة القدس كيان مستقل خاضع لنظام دولى خاص تحت

إدارة الأمم المتحدة ، وأن يؤلف مجلس وصاية يؤدي مهام السلطة الادارية بالنيابة عن الأمم المتحدة ، أما حدود المدينة (الكيان المستقل) ، فتشمل بلدية القدس مضافاً إليها القرى والبلدان المجاورة .. لكن شروط التقسيم المتعلقة بالقدس لم تنفذ ، وعندئذ تبنت الجمعية العامة القرار ١٩٤ في ١١/١٢/١٩٩٤ ، الذى نص على أن منطقة القدس يجب أن تلقى معاملة خاصة ومنفصلة عن بقية فلسطين ويجب أن توضع تحت السلطة الفعلية للأمم المتحدة .

وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، تركزت قرارات الأمم المتحدة ضد إسرائيل فى إدانتها لما تتخذ من اجراءات لضم وتهويد القدس وتغيير تكوينها الديموجرافى ، ومن بين قراراتها قرارا الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٢٥٣ ، ٣٢٥٤ فى ٤/٧/٦٧ ، ١٤/٧/٦٧ ، واللدان أعربا عن القلق من الوضع السائد فى القدس ، وطالبا إسرائيل بإلغاء كل الإجراءات التى اتخذتها ، والكف فوراً عن القيام بأى عمل من شأنه تغيير وضع القدس ، ثم صدر قرار مجلس الأمن ٢٤٢ فى نوفمبر ١٩٦٧ ، مطالباً إسرائيل بالجلء عن الأراضى العربية المحتلة (بما فيها القدس) ، ونتيجة لعدم امتثال إسرائيل أصدر مجلس الأمن القرار ٢٥٢ فى ٢١/٥/١٩٦٨ والذى نص على اعتبار جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية والأعمال التى قامت بها إسرائيل بما فى ذلك مصادرة الأراضى والأماك التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير الوضع القانونى للقدس هى اجراءات باطلة ، وبالإضافة إلى ذلك فقد أصدر مجلس الأمن طائفة من القرارات تتعلق بالقدس ، كان من أهمها القرار ٦٧٢ فى أكتوبر ١٩٩٠ بإدانة إسرائيل بالإجماع لارتكابها أعمال عنف ضد الفلسطينيين فى ساحة المسجد الأقصى فى ٨/١٠/٩٠ ، وقد طالب هذا القرار إسرائيل بصفتها " قوة احتلال " بالوفاء بمسؤولياتها القانونية المقررة بموجب اتفاقية جنيف الرابعة ، ودعا السكرتير العام للأمم المتحدة إلى إرسال جمعية تقصى حقائق للمنطقة ، وعندما رفضت إسرائيل تنفيذ القرار أصدر المجلس قراراً آخر برقم ٦٧٣ ، صدر بالإجماع فى ٢٤/١٠/٩٠ أكد فيه المجلس إصراره على أن تمثل إسرائيل لقرار المجلس السابق رقم ٦٧٢ ، ونخلص من ذلك أن الشرعية الدولية من خلال قرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن تؤكد على الموقف القانونى الدولى للقدس ، كما تعتبر القدس الشرقية أرضاً محتلة يجب إعادتها للسيادة العربية ، وذلك بشكل واضح ولا يحتمل الغموض .

وعلى الجانب الإسرائيلي فقد قامت إسرائيل خلال حرب ١٩٤٨ باحتلال القطاع الغربى من القدس (القدس الجديدة) ورغم قرارات الأمم المتحدة أعلنت إسرائيل فى ١١/١٢/١٩٤٩ ، القدس عاصمة رسمية لها بدلاً من تل أبيب ، وافق الكنيست فى ٢٣/١/١٩٥٠ على إعلان القدس عاصمة دائمة لإسرائيل ولحق أهم تطور بوضع المدينة المقدسة عندما تمكنت إسرائيل من احتلال القدس الشرقية فى ٧/٦/١٩٦٧ ، وقامت فور احتلالها باتخاذ إجراءات من شأنها تغيير الطابع العمرانى لمدينة القدس وتكوينها الديموجرافى وهيكليها العام ، وذلك عن طريق إقامة طوق من المستعمرات حول المدينة ومصادرة الأراضى العربية ، وتعريض المقدسات الاسلامية للانتهاك أكثر من مرة ، وكذلك المقدسات المسيحية .

وتماشياً مع الأهداف التوسعية لإسرائيل والرغبة فى فرض أمر واقع جديد ، فقد أعلنت الحكومة الإسرائيلية فى ديسمبر ١٩٧٤ ، عن مشروع القدس الكبرى الذى تضمن توسيع حدود القدس لتتضمن إليها ثلاث مدن و٢٧ قرية عربية ، وقد تمخضت هذه السياسات فيما بعد عن اصدار الكنيست قانون فى ٣٠/٧/١٩٨٠ باعتبار القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل ، ومن الناحية السكانية أشارت المصادر الاسرائيلية فى يوليو ١٩٩٣ إلى أن القدس الشرقية أصبحت تضم ١٥٨ ألف يهودى فى مقابل ١٥٥ ألف عربى ، وأن اليهود أصبحوا يشكلون ٧٣% من سكان شطرى القدس ، ويمثل العرب ٢٧% فقط من إجمالى سكان المدينة ولذلك فالسؤال المهم الآن هو : أين تقع القدس من عملية التسوية الراهنة ؟

لقد دخلت الأطراف المشاركة إلى مؤتمر مدريد ، وقد غابت مسألة القدس عن الوثائق الداعية إلى المؤتمر ، إذ لم يرد لها ذكر فى كلمتى راعى المؤتمر وكانت إسرائيل قد أصرت على أن يكون التمثيل الفلسطينى فى مدريد من بين أهالى الضفة الغربية وقطاع غزة فقط ، دون القدس الشرقية ، وذلك تأكيداً على موقفها بأن القدس الموحدة هى العاصمة الأبدية لإسرائيل وأنها غير قابلة للتقسيم ، وأن هذه المسألة غير مطروحة للتفاوض وتجدد الإشارة إلى أن هذا رأى يعبر عن موقف مشترك ، سواء فى تكتل الليكود أو تحالف العمل ، واللافت للنظر أنه حتى فى ذروة تصاعد الإنتفاضة الفلسطينية

فى الأراضى المحتلة ، فإن كافة مشروعات التسوية التى طرحت من الجانب الإسرائيلى كمبادرات لم تشتمل أى منها على أى بند يتعلق بمناقشة الوضع فى القدس ، باعتبارها خارج نطاق التفاوض ، إلا أن الجانب الفلسطينى كان قد تلقى رسالة تأكيدات من الولايات المتحدة عشية مؤتمر مدريد ، والتى جاء فى بعض بنودها المتعلقة بالقدس مايلى :

- إن ما يقوم به الفلسطينيون لاختيار أعضاء وفدهم فى هذه المرحلة لن يؤثر على مطالبهم بالقدس الشرقية ولن يضر أو يشكل سابقة لما ستفضى إليه المفاوضات ولهذا لا نعتزف بضم إسرائيل للقدس الشرقية ، أو التوسع فى حدودها البلدية ، ونشجع الأطراف على تجنب الإجراءات من جانب واحد ، والتى تزيد من حدة التوتر المحلى أو تصعب المفاوضات .

- بإمكان سكان القدس الشرقية والفلسطينيين خارج الأراضى المحتلة الذين تنطبق عليهم المقاييس الثلاثة ، المشاركة فى المفاوضات حول الوضع النهائى ، وتساند الولايات المتحدة حق الفلسطينيين فى طرح أية مسألة بما فى ذلك القدس الشرقية على طاولة المفاوضات .

- إن الفلسطينيين أحرار فى الدعوة إلى الحل الذى يعتقدون أنه الأفضل بالنسبة لهم .
ومن قراءة هذه البنود يتبين أن ما هدفت إليه رسالة التطمينات الأمريكية للجانب الفلسطينى ، كان فقط لتسهيل عملية الجلوس إلى المفاوضات على أمل أن تؤدى هذه العملية إلى تقريب مواقف الأطراف ، وتقديم التنازلات المتبادلة ، خاصة وأن جوهر الموقف الأمريكى من القدس يقوم فى إجماله على عدم الإعتراف بالاجراءات التى اتخذتها إسرائيل مع التمسك بأن القدس يجب أن تظل دون تقسيم ، على أن يتقرر وضعها النهائى عن طريق المفاوضات .

وعندما طرح الوفد الفلسطينى إلى المفاوضات بعض هذه التأكيدات وطالب بمناقشة الموضوعات الواردة فيها ذكر " الياكيم روبنشتاين " رئيس الوفد الإسرائيلى إلى المحادثات مع الوفد الأردنى - الفلسطينى ، " لقد تلقيتم ذلك من الأمريكين ، لكن الأمر لا يلزمنا ، ونحن لم نتلق ذلك من الولايات المتحدة " .

وعلى ذلك يمكن القول أن الجانب الفلسطيني ، ومن خلفه الموقف العربي فى مفاوضات القدس ، لا يستند إلى تأييد قوى من الراعى الأمريكى لعملية التسوية ، بقدر ما يستند إلى حقه الطبيعى ومقررات القانون الدولى والأمم المتحدة بالإضافة إلى قدرته على التفاوض وعلى استظهار القوى المعنوية الهائلة التى يمكن له أن يحشد لها خلف موقف صلب بشأن التفريط بالقدس .

وفيما يتعلق بسير المفاوضات التى انطلقت من مدريد ، فقد حاول الجانب الفلسطينى أن يعدل صيغة مدريد التى تم القبول بها كأساس للمشاركة ، رغم افتقادها للحد الأدنى بالنسبة إلى مسألة القدس ، وتعد الأزمة التى حدثت فى بدء المفاوضات المتعددة فى موسكو فى يناير ١٩٩٣ ، مثالا واضحا للتكتيك الفلسطينى الرامى إلى إدخال أعضاء فى الوفود الفلسطينية يتمون إلى القدس ، حيث تقرر أن يكون الوفد الفلسطينى ممثلاً للدخل والخارج والقدس ، وأعلن الفلسطينيون أن هذه مسألة ضرورية لتأكيد وحدة الشعب الفلسطينى بكل فئاته وأن القدس جزء لا يتجزأ من الأرض الفلسطينية المحتلة ، وذلك على أساس أن المفاوضات المتعددة لا تناقش مسائل مثل الحكم الذاتى أو الإنسحاب أو الإسيطان ، وإنما تناقش المسألة المتعلقة باللاجئين والمياه والحد من التسليح ومن ثم فليس من المقبول استبعاد ٦٠% تقريباً من الشعب الفلسطينى من هذه العملية ، وأن على الإدارة الأمريكية أن تلتزم برسالة التظمينات فيما يتعلق بمشاركة فلسطينى الخارج والقدس فى الحل النهائى ، وفى مرحلة تالية كانت مشاركة فيصل الحسينى - وهو من أبناء القدس - فى مفاوضات الجولة التاسعة فى مايو ١٩٩٣ ، من بين الأحداث التى استقطبت الاهتمام ، حيث راجت بعض التحليلات حول الموقف الإسرائيلى من المشاركة المقدسة فى المفاوضات ، وما إذا كانت ارهاصاً لتعديل فى المواقف الاسرائيلية تجاه إدراج مسألة القدس ، فقبيل إفتتاح هذه الجولة كانت أزمة المبعدين وما أحاط بها من تفاعلات داخلية وإقليمية ودولية قد سيطرت على أجواء التسوية وبدأت تمثل محدداً جديداً يؤثر على مواقف الوفود ولذا تم إجراء صفقة أمريكية لتجاوز هذه العقبة تضمنت أربع نقاط ، كان من بينها إشراك فيصل الحسينى فى الوفد حيث توقعت الإدارة الأمريكية أن يؤمن الحسينى رئاسة قوية ومتماسكة للوفد الفلسطينى من خلال الرصيد النضالى لأسرته ، والذى يمكن توظيفه فى تسهيل المهمة التفاوضية فى وجه دعوات حماس والجهاد للمقاطعة ، ورغم موافقة رئيس الوزراء الراحل رابين على هذا التعديل إلا أن شمون بيريز وزير الخارجية أكد أن هذا لن يكون له أى أثر على تغيير وضع القدس ، خصوصاً أن فيصل الحسينى مثل

حنان عشاوى " وسرى نسيبه " له عنوان آخر فى مكان آخر فى الضفة الغربية ، ويبدو أن الموافقة الإسرائيلية على مشاركة الحسينى قد هدفت إلى تقديم تنازل شكلى من خلال الرؤية الإسرائيلية التقليدية أى الاعتراف للسكان بحقوقهم فى إدارة مناطقهم دون الإعترااف لهم بالسيادة عليها ، الأمر الذى يفتح الباب لاحقاً أمام احتمال طرح حلول إدارية لمسألة القدس على شاكلة القبول بمجلسين بلديين منفصلين يعملان فى إطار مدينة موحدة تحت السيادة الإسرائيلية وهو التصور الذى يحاول رئيس بلدية القدس " تيدى كولىك " ، تسويقه منذ سنوات تحت عنوان " التشارك فى القدس " .

ومن بين التصورات المطروحة ، التصور الذى طرحه عدنان أبو عودة عندما كان رئيساً للديوان الملكى الأردنى فى أبريل ١٩٩٢ ، وهو " أن الأجزاء الواقعة شرقي القدس يمكن أن توضع تحت العلم الفلسطينى ، وتسمى القدس ، بينما توضع المناطق الغربية تحت العلم الإسرائيلى وتسمى " اورشليم " على أن يعمل فى المدينة المقدسة مجلس يمثل الهيئات المختلفة للديانات الثلاث ويحق بموجب هذا الاقتراح لسكان المدينة العرب إنتخاب ممثلين عنهم للمؤسسات الفلسطينية ، بينما يعد سكان المدينة اليهود فى عداد الإسرائيليين ويشاركون فى الإنتخابات الإسرائيلية " ورغم نفى رئيس الوفد الأردنى فى المفاوضات أن هذا الإقتراح يمثل وجهة النظر الأردنية ، إلا أنه يمكن اعتباره تصوراً غير رسمى .. وقد أشارت بعض الأنباء إلى وجود مشروع أمريكى - فلسطينى مشترك حول وضع القدس ، وأن هذا المشروع فى طور الإكتمال وينص على إبقاء مدينة القدس الكبرى موحدة ، على أن يتم تشكيل مجلس بلدى فلسطينى يهودى مشترك ، وتشكيل مجلس بلدى عربى فى القدس الشرقية وآخر إسرائيلى فى القدس الغربية وينص المشروع كذلك على تشكيل إدارة من ممثلى الديانات السماوية الثلاث لإدارة القدس القديمة حيث توجد المقدسات الإسلامية والمسيحية واليهودية على ألا تخضع المدينة القديمة لسلطة أى من الجانبين الفلسطينى أو الاسرائيلى ، إن الموقف بشأن القدس موقف دقيق ، وأى تفريط فى الحق العربى فى القدس الشرقية ، سيكون غير مقبول لدى العالمين العربى و الإسلامى ، ومن ثم فإنه من الضرورى الإصرار على هذا الحق بكافة الوسائل الممكنة وحشد كل الطاقات فى الطريق إلى القدس .



د. حسن وجيه

الأستاذ بجامعة الأزهر والمحاضر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة



إعادة بناء هياكل التفاوض !

إحدى مباريات إدارة الصراع الممتد الراهنة فى منطقتنا على وجه الخصوص هى مباراة تعتمد على بنوك البيانات - المعلومات الدقيقة الخاصة بقوة فعل ما يتم رصده فى علاقة الأطراف ورد الفعل تجاهه على مدى الصراع ، وهو الأمر الذى يعطى مؤشراً بالتحرك فى اتجاه ما من عدمه وبصفة مستمرة فى محاولة لسعى الأطراف لتحقيق أجندتها الإستراتيجية ، وهذه المباراة تمارس من الأطراف بنسب مختلفة حسب الأهداف الاستراتيجية لكل طرف وتستخدم بكثافة وبشكل خاص عندما يكون نوع التفاوض الذى يريد ممارسته طرف ما هو من قبيل محاولة إعادة هيكلة المواقف التفاوضية وإدخال شكل جديد أو أشكال جديدة عملية أو تغييرها بشكل رئيسى وهو ذلك النوع الذى قد تمارس معه القوة المسلحة واستراتيجيات الإكراه والإجبار فى العملية التفاوضية .. أى فى إطار شكل من أشكال فرض الإرادة التى يسعى طرف فيها لتحقيق أهدافه على حساب الآخرين .

والفرق الأساسى فى منطلقات استخدام الطرفين العربى والإسرائيلى لهذا النوع من التفاوض على مدى الصراع هو فرق كبير وجوهى ، فلقد استخدمته إسرائيل منذ زرعها فى هذه المنطقة لتحقيق أحلام إسرائيل الكبرى والتوسع على حساب العرب وأرضهم ومقدساتهم .

ولقد مارست مصر والدول العربية هذا النوع من التفاوض فى عدة مواقف حاسمة من تاريخ الصراع ولكن من منطلق الحقوق المشروعة وكانت البداية القريية وبعد إحباط مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر تتمثل فى حرب رمضان اكتوبر ١٩٧٣ حيث حطمتنا نظرية الأمن الإسرائيلىة ونظرية أن تفرض علينا إسرائيل الأمر الواقع وأن نجبرنا على التسليم به .

نعم .. لقد كان التحرك فى ذلك الوقت يدخل فى إطار ممارسة مفهوم التفاوض من أجل إعادة هيكلة الموقف التفاوضى برمته ، وإن كان ضد رغبة الوفاق الدولى فى ذلك الوقت .. ولكنه كان فى إطار الشرعية الدولية واسترداد الحقوق المشروعة .

لقد نجحنا فى ممارسة هذا النوع الخاص من التفاوض فى ذلك الوقت وكذلك فيما تلى عام ١٩٧٣ من أحداث هامة حيث نجحت الدبلوماسية المصرية فيما يلى :

١ - إعادة هيكلة الموقف العربى حيث تم الخروج من مأزق محاولة عزل مصر عن وطنها العربى وعودتها لقيادة الصف العربى وتجنب مزيد من الكوارث إذا ما كان لهذا الوضع الشاذ أن يستمر .. واليوم تتمسك مصر وبثبات وحكمة بمواقف عديدة فى مجابهة تتعرض فيها لصنوف عديدة من الضغوط الهدف منها مزيد من تمزيق الوطن العربى والعلاقات العربية .

٢ - إعادة هيكلة المواقف التفاوضية فى العلاقات مع الغرب خاصة وأن أهداف الخصوم كانت ولا تزال هى تمزيق أى علاقة قوية بين مصر والعالم العربى والغرب . نجحت الدبلوماسية المصرية فى تحويل " الرفض العربى " لعملية السلام إلى اللحاق بمسيرة السلام من منطلق الإيمان بأن مسيرة السلام العادل هى أنسب الطرق لتحقيق الأهداف الإستراتيجية ولكنها ما لبثت أن واجهت ما عرف " بالرفض الاسرائيلى " الصريح فيما قبل والمقنع اليوم للسلام " العادل " وهو الأمر الذى لا نزال فى مواجهة ساخنة معه وهو الذى تجلّى وبوضوح ومنذ بداية عملية السلام فى أعمال استفزازية

للمغاية من قبيل ممارسة تفاوض إعادة هيكلة المواقف بما يتمشى مع أجندة عدوانية على الشرعية والحقوق وتتجسد فيما يلي :

١- تهويد القدس إلى أن أصبحت مساحة المدينة اليوم ٧٠ ك. م بعد أن كانت ٦,٥ ك. م وبها ٦٠ ألف يهودى و ١٥ مستوطنة و ٣٠ ألف وحدة سكنية لليهود مقابل ٥٥٥ للفلسطينيين .

٢- مجزرة الحرم الإبراهيمى .

٣- غزو لبنان فى يوليو ٩٣ وإلى ما شابه ذلك من أفعال مشابهة بعد الإعلان عن بداية " مسيرة السلام " أما اليوم فنحن بصدد مصادرة جديدة من قبل إسرائيل لـ ٥٣ هكتاراً من أراضي القدس .. مع قرار فيتو أمريكى لإصدار قرار إدانة من مجلس الأمن (ليضاف إلى حوالى ٤٠ قراراً أصدرت ضد إسرائيل ولم ينفذوا) مع تقديم مشروع قرار من الجمهوريين بنقل السفارة الأمريكية للقدس .. كل ذلك قد أحدث ردود فعل عديدة منها ما هو داخل إسرائيل ومنها على الصعيد العربى الإسلامى ومنها على الصعيد الدولى .

ولقد كان نتيجة محصلة ردود الفعل هذه " تجميد " قرار المصادرة الإسرائيلية وقد يبدو للمحلل أن هذا " التجميد " هو نوع من التراجع الإسرائيلى وهو كذلك فى شكله .. إلا أنه قد يكون - وهذا هو التفسير الأقوى - بأنه تكتيك لامتنعاص ردود الفعل ثم معاودة إعادة هيكلة الموقف التفاوضى برمته فيما يتعلق بوضع القدس وتهويدها تماماً وكذلك بالشكل النهائى لعملية السلام ككل .

إن ما يحدث اليوم لهو وبلاشك نتيجة لخلل قائم فى ميزان القوى وأن عناصر التوجه لإعادة هيكلة الموقف التفاوضى لصالح أجندة إسرائيل العدوانية وإفراغ السلام الإيجابى من جوهره باتت تتمثل فى العناصر التالية :

١- إنفراد إسرائيل بالقوة النووية .

٢- إحكام القبضة على مقدرات صنع القرار الأمريكى وبشكل صارخ بعد أن أصبح فى

صالح الخط الصهيوني الراعى لمصالح اسرائيل وليس لعملية السلام ووجود ضعف كبير فى صفوف الخط الأمريكى الآخر والمجابه له فى الإدارة الأمريكية.

وللتدليل على ذلك لا يوجد أقوى من مثال تقلب وضع ومواقف سيناتور مثل بوب دول الذى كان حليفاً للعرب بمفردات السياسة الأمريكية ومعادياً لإسرائيل كما ورد فى مقال التايم الأخير بعنوان " تحرك غير دبلوماسى " حيث وصف موقف دول بأنه يمثل صورة صارخة لبيع المواقف وتغييرها ١٨٠ درجة .. فهو المؤيد سابقاً للعرب والمتقدم حالياً بمشروع قرار لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى " القدس عاصمة إسرائيل الموحدة والأبدية " (التايم ٢٢ / ٥ / ٩٥) .

٣- إن من العناصر التى ساهمت فى إضافة قوة كبيرة للغاية لعناصر إعادة هيكلة المواقف التفاوضية لصالح المنطلقات العدوانية الإسرائيلية هو الخصم المضاعف من قوة العرب بالزج بهم فى معركتين لاطائل منهما - وقبولهم المخزى بهذا " الزج " - وذلك على حدودهم الشرقية حيث كانت المعركة الأولى متمثلة فى الحرب الإيرانية العراقية والثانية أم " الكوارث " بعد غزو العراق للكويت ١٩٩٠ .

إن ما نخلص إليه فى سياق أزمة القدس هو بالرغم من الخلل القائم إلا أنه قد أوضح أموراً هامة مثل :

- ١- أن رد الفعل على المستوى الرسمى العربى وعلى مستوى الشارع العربى الإسلامى كان قوياً وخلق شعوراً لدى كل من إسرائيل وأمريكا بسوء تقديراتهم لهذا الوضع .
- ٢- أن العرب حينما ذهبوا لمجلس الأمن لإدانة القرار الإسرائيلى بضم أرض جديدة فى القدس - وعلى حد وصف المصادر الإسرائيلية - قد دفع إسرائيل للتشدد وعقاب التمرد العربى بالإصرار على الموقف وحث أمريكيين على استخدام الفيتو .. إلا أن الطرف العربى لم ينته به المطاف عند ذلك وأعلن عن عقد القمة التى كانت سترد على الفيتو وعلى القرار الإسرائيلى بشكل آخر وربما كانت ستصل إلى تجميد المفاوضات .

٣- إن الصراع داخل إسرائيل معقد وغير أخلاقي .. وأن إسرائيل قررت التراجع لحسابات داخلية لها مغزاها لتدير الصراع العربى .. كما أنها حسبت مجموع ردود الأفعال فتراجعت وأفقدت أمريكا مصداقيتها .

٤- إن إسرائيل والتي يتباهى رؤساء وزرائها بحجم وعدد الدول العربية التى أصبح لها علاقة مع إسرائيل تعى جيداً - ورغم الفطرسية التى تمارس وتبدو معها أنها لا تعبأ بالسلام - أن تدمير عملية السلام وفشلها سيأتى بخسارة بالغة على إسرائيل والتي حذر وزير خارجيتها من كارثة أن تفقد إسرائيل فرصة اغتنام السلام المتاحة وإعاقه سيناريوهات " إعادة هيكلة المواقف التفاوضية " لصالح اجندة التوسع الإسرائيلى من ناحية أو عناصر قيامنا نحن بتشكيل هياكل التفاوض المبنية على احترام جوهر السلام العادل وإجبار إسرائيل عليه حتى نسترد حقوقنا الشرعية من خلاله خاصة فيما يتعلق بالقدس .. ولا ينبغى أن يتمثل فى حجم ردود أفعالنا ، مهما كانت قوية .

فردود الأفعال لها قوة محدودة مهما بلغت ولا تتمشى مع مبادئ وقواعد نوع التفاوض الذى نحن بصدده فى مباراة إدارة الصراع الراهنة والممتدة .. فهو ليس " تفاوض التمسيد الأوتوماتيكى والتنفيذ لقرارات مجلس الأمن .. " وهو ليس " تفاوض التطبيع " وهو ليس تفاوض " إحداث آثار مرحلية وقتية " وبالطبع ليس هو " تفاوض استكشاف " .

هو إذن ليس أى نوع من هذه الأنواع ومن الخطأ أن نفتقد التوجه والتعامل مع نوع التفاوض الذى فرض نفسه وهو نوع " إعادة هيكلة المواقف ذاتها " والذى ذكرنا حيثياته ومعطياته ومتطلباته فهو إذن هذا النوع الذى لا يجدى معه الإنشغال بالأنواع الأخرى أو إنفعال البعض المحاصر فكراً وجغرافياً من أعدوا بضعة آلاف فى مسيرة لتحرير القدس .

إن الأمر يكمن فى قدرات التفاوض من أجل إعادة هيكلة المواقف التفاوضية والمبادأة لصالح أجندة السلام العادل وإحباط الأجندة التى تستبيح حقوقنا المشروعة وهو الأمر الذى يستلزم المزيد من حشد كافة الطاقات العربية والاسلامية بهدف الفعل الإيجابى لتعظيم القدرة على التحرك بروح الفريق داخلياً وخارجياً ، وهذا يتطلب ما هو أبعد من فكرة التوصيات والإنفعال والمناشدة والغضب والإدانة والإندهاش وإلى ما شابه ذلك من

أفعال لن تجدى بل العمل على توظيف مداخل تفاعل تقنية عديدة ومناسبة على كافة أصعدة تعظيم القدرات الفعلية والمؤثرة واللازمة لصياغة هياكل التفاوض التي تتيح تنفيذ مطالب السلام العادل .. على الصعيدين الدولي والداخلي .

وهذا النوع من العمل هو الذى نسعى إليه .

وهو لا يزال بحاجة إلى جهود أعظم فى ممارساتنا على الصعيد الجماعى العربى الإسلامى على وجه الخصوص فهو الأمر الذى أصبح لا غنى عنه خاصة فى ظل الأوضاع غير المتكافئة التى تشهدها ساحة الصراع وفى ظل منطلقات حضارية عميقة الجذور يفرضها نظام قيمنا الأصيل .

نحن نمثل حضارة تنطلق من فكر إنسانى يؤمن بالكرامة والمنعة والعزة ورد كيد المعتدين وكذلك بأخوة وإفشاء السلم والتعايش الإيجابى مع الآخرين وعدم جواز نفيه، أى وبتعبير آخر .. نحن ننطلق ثقافياً وحضارياً طبقاً لنظام قيمنا الأصيل من منطلق المباراة غير الصفرية وعلينا أن نفرض معطياتها للصالح الإنسانى ، ولكن تكمن المشكلة فى أنه من المتعين علينا أن نستخدمها فى إدارة صراع شرس تؤمن أطرافه الأخرى بمنطلقات المباراة الصفرية واستباحة حقوقنا الشرعية .

ولكن هذا هو قدرنا وهذه هى المعادلات التى ينبغى أن نتعامل معها بكل ما نملك من طاقات وأسلوب عمل مبتكر لا يعرف اليأس على كافة الأصعدة .. والله هو الغالب وهو المستعان سبحانه .



د . محمد شومان

الأستاذ بجامعة المنيا



الجامعة العربية والحل المنتظر

أولت الجامعة العربية منذ تأسيسها عام ١٩٤٥ مدينة القدس عناية خاصة وذلك ضمن اهتمامها بالقضية الفلسطينية فتابعت ما تقوم به إسرائيل من عمليات تهويد المدينة والاعتداء على عروبتها وسعت في كافة المحافل الدولية والإقليمية إلى فضح سياسة إسرائيل ضد الحقوق العربية والإسلامية الثابتة في القدس والتي تتعارض مع القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة ودعت للحفاظ على عروبة القدس وحقوق الشعب الفلسطيني ، كما قدمت في ضوء امكانياتها المتاحة ، من خلال المنظمات والهيئات العربية التابعة لها مساعدات عديدة وفنية لتوثيق وصيانة الآثار العربية والإسلامية في القدس .

لكن حصاد ما قامت به الجامعة العربية لم ينجح في وقف سياسة إسرائيل العدوانية تجاه القدس ، كما لم يتبلور في إستراتيجية عربية واضحة وثابتة لإنقاذ القدس ، إذ بقيت مواقف وسياسات الجامعة العربية مجرد ردود أفعال على ما تقوم به إسرائيل ، لم ترتق إلى إتخاذ مبادرات عربية وإسلامية للدفاع عن القدس أو حتى ربط مسار التسوية بقضية القدس من هنا فقد نصت إتفاقية غزة - أريحا على تأجيل النظر في وضع القدس إلى أن تدخل المفاوضات المرحلة النهائية ، كذلك تعثرت أعمال اللجنة العليا للقدس المنبثقة عن المؤتمر الإسلامي والتي حددت إستراتيجية للعمل على استعادة القدس وإنشاء وكالة الإنقاذ الإسلامية على غرار الوكالة اليهودية .

وحتى لا ننظم دور الجامعة العربية في الدفاع عن عروبة القدس فمن المهم أن نشير

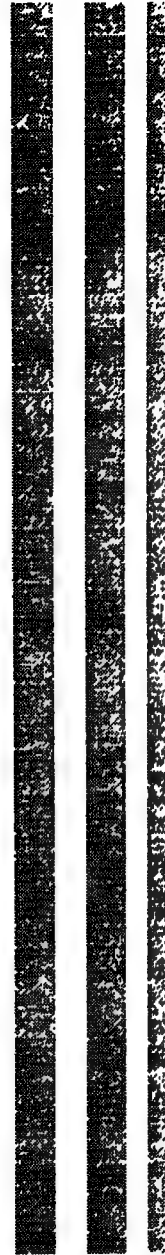
إلى أن الجامعة العربية تحرك في إطار هامش ضيق يعبر عن مواقف وسياسات الدول الأعضاء في الجامعة وقد تعرض هذا الهامش لإضطرابات وتحولات نتيجة كامب ديفيد ومعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، ثم انهيار التضامن العربي بعد أزمة الخليج الثانية ، الذى أفضى إلى دخول العرب منفردين في مفاوضات سلام مع إسرائيل تمخضت عن إتفاق غزة - أريحا ، ثم الاتفاق الأردني - الإسرائيلي والسلدين لم يربطاً بوضوح بين استرداد القدس وتحقيق السلام ، بل سمحا لإسرائيل باللعب بورقة القدس للإيقاع بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية .

في هذا السياق كان من الصعب على الجامعة العربية أو لجنة القدس تقديم مساعدة جادة وفاعلة لحماية الحقوق العربية والإسلامية في القدس خاصة وأن انهيار التضامن العربي تزامن مع تحولات دولية وإقليمية دعمت من دور الولايات المتحدة في قيادة النظام الدولي ومن توجهات إدارة الرئيس كليتسون وأعضاء الكونجرس للاعتراف بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل .

إن دور وفاعلية الجامعة العربية يرتبط أساساً بمدى قوة التضامن العربي ، وإرادة الدول الأعضاء فيها لمنحها دوراً أكبر في عملية السلام ، وفي الدفاع عن عروبة القدس ، أى أن فاعلية الجامعة العربية هي مجرد تحصيل حاصل لمجمل الأوضاع العربية ، وبالتالي من الصعب إلقاء كل المسؤولية على الجامعة العربية التي لم يتسن لها حتى الآن ، وبعد مرور نصف قرن على تأسيسها تعديل الميثاق وأنظمة عملها حتى يصبح من الممكن استصدار قرارات بأغلبية الأعضاء وليس باتفاق كل الأعضاء .

إن النظرة الموضوعية تحتم علينا تقييم دور الجامعة في ضوء إمكانياتها المتاحة والأوضاع العربية والدولية التي تعمل فيها ، في هذه الحدود يمكن القول أن الجامعة العربية قدمت الكثير لقضية القدس سواء في المحافل الدولية والإقليمية أو الفاتيكاني ومجلس الكنائس العالمي ، أو حركة عدم الإنحياز .

إن المطلوب عربياً وإسلامياً الآن هو بلورة إستراتيجية مشتركة قادرة على الرد
العملي ضد قرارات إسرائيل لتهويد القدس ، وضد أى دولة تعترف بالقدس عاصمة
لإسرائيل ، ولاشك أن الجامعة العربية قادرة على المساهمة فى وضع مثل هذه
الإستراتيجية وتنفيذها جنباً إلى جنب مع منظمة المؤتمر الإسلامى ولجنة القدس ، فهل
نشهد إنطلاق هذه الاستراتيجية أم نكتفى بالإجتماعات والمباحثات وإصدار البيانات ،
بينما إسرائيل تسير قدماً على طريق إبتلاع القدس ونفى عروبتها .. نأمل أن تكون قمة
المغرب بداية للتضامن العربى وللدعم دور الجامعة العربية ، ولانتهاج استراتيجية شاملة
للدفاع عن عروبة القدس .



أحمد نافع

الكاتب والمحلل السياسي بجريدة "الأهرام"



القدس ومستقبل السلام

تعتمد حكومة إسرائيل بين وقت وآخر إلى محاولة زرع اليأس في نفوس العرب من حل قضية القدس بما يتفق مع وجهة النظر الغربية ، وذلك بإطلاق التصريحات بأن القدس الموحدة تحت السيادة الإسرائيلية ستبقى عاصمة أبدية للدولة العبرية وكان آخر ما ظهر في هذا الصدد دعوة إسرائيل العرب إلى التوقف عن المطالبة بالقدس الشرقية "العربية" متناسين أن وضع المدينة المقدسة على رأس القضايا التي تم الإتفاق على التفاوض بشأنها في مفاوضات الحل النهائي (التي تبدأ عام ١٩٩٦) . وهي المفاوضات التي سيتقرر فيها مصير الشعب الفلسطيني وفقاً لمبادئ الشرعية الدولية .

على أن التصريحات رغم إظهارها لنوايا الجانب الإسرائيلي ، ليست هي الأمر المهم في الموضوع ، ففي كل مفاوضات تلجأ الأطراف المشاركة فيها إلى التعبير عن مواقفها ، مثلما تلجأ إلى استخدام ما يمكن تسميته بالمؤثرات النفسية على الطرف المتفاوض ، ولكن الذي يعنينا هنا هو مسلك إسرائيل المخالف للإتفاق الموقع بينها وبين منظمة التحرير الفلسطينية . فقد نص إتفاق أوسلو على عدم قيام أى من الجانبين بأى عمل من شأنه التأثير على الوضع النهائي للقدس قبل بدء المفاوضات المتعلقة بذلك ، ولكن إسرائيل في كل خطواتها - وخاصة في تأكيد سيادتها على القدس الشرقية - تواصل

سياسة التهويد فى الوقت الذى تجرى فيه المحادثات المستمرة للتوصل إلى تسوية سلمية تتفق مع الأسس التى انطلقت منها عملية مدريد .

وأخطر ما تنفذه حكومة إسرائيل حالياً هو مواصلة " الاستيطان " وفق خطط تضمن أغلبية يهودية فى الجانب الشرقى من القدس الأمر الذى يعقد من التفاوض بشأنها بعد عامين من الآن ونتيجة لهذه الخطط أصبح الفلسطينيون أقلية ، فقد كان عددهم فى العام الماضى ١٥٥ ألفاً مقابل ١٦٠ ألف إسرائيلى ، وزاد على ذلك أن إسرائيل تمكنت منذ احتلالها للجزء العربى من المدينة من إبعاد أكثر من ٣٠% من سكانها الأصليين ، الذين تعيش أكثريتهم فى خيام بالمناطق المحيطة بالقدس الشرقية . كما صادرت إسرائيل منذ عام ١٩٦٧ ثلث مساحة المنطقة العربية من القدس وخصصتها لليهود وحدهم ، وأدت مشروعات الإسكان الإسرائيلية إلى تغيير الطابع المعمارى فى المدينة التى لم يسمح للفلسطينيين فيها إلا ببناء ٤٢٥ وحدة سكنية فقط بالقدس الشرقية طوال فترة الاحتلال .

وأدت السياسة الإسرائيلية فى هذا المجال إلى ظهور مفهوم " القدس الكبرى " الذى عملت لجنة وزارية على بلورته ووضع خطط تنفيذه لعرضها على مجلس الوزراء لإقرارها ، وتحاط هذه الخطط حالياً بسرية تامة بالنظر إلى انعكاساتها على مفاوضات التسوية السلمية على نحو ما ذكرت صحيفة " جيزوراليم بوست " الإسرائيلية . وقد ذكرت الصحيفة أن الإقتراحات المتعلقة بمنطقة القدس الكبرى ، التى تحدها من الشمال رام الله ومن الجنوب بيت لحم ، وتتضمن معالية أوميم شرقاً وبيت شمس غرباً ، تركز حول إنشاء طريقين يربطان الشاطئ بالقدس .

وقالت الصحيفة الاسرائيلية إن الطريق الأول " رقم ٤٥ " الذى ينتظر له أن يعبر القدس من الشمال هو الأكثر إثارة للجدل لأنه سيمر فى مناطق من المتوقع أن تخصص للسلطة الفلسطينية ، وسيبدأ من منطقة تل أبيب ويعبر مطار بن جوريون ويتجه جنوباً نحو القدس وعلى مسافة قريبة قبل رام الله ويتوقع أن يوفر هذا الطريق مجالاً متمازاً للحركة

التجارية من وإلى القدس ورام الله والمجتمعات العربية واليهودية في المنطقة أما الطريق الثاني " رقم ٣٩ " فيتوقع أن يبدأ من أسدود ويمر جنوب بيت شمس وتزور هداسا ويدخل القدس من الجنوب الغربي ، وسيكون الطريق كله داخل الخط الأخضر ، وسيستفيد منه - طبقاً لما نشرته جيروزاليم بوست - سكان بيت شمس التي تتوسع بشكل ملحوظ ، ويمنحهم إمكانية الوصول بسهولة إلى القدس ، كما يتوقع نفس التوسع لتزور هداسا .

وقالت جيروزاليم بوست إن المتوقع حصول ردود فعل فلسطينية للخطة بسبب التغييرات التي تتطلبها في مناطق عبر الخط الأخضر والمنتظر وقوعها تحت السيطرة الفلسطينية ثم أضافت : " أنه إذا ما تم تقديم الخطة بشكل صحيح من قبل الحكومة بصفتها راعية للإسرائيليين والفلسطينيين ، فقد يتم اقناع القيادة الفلسطينية بأهميتها ! .. ونقلت الصحيفة الإسرائيلية عن مصادرهما قولهم : " إن هذا سيكون الامتحان الرئيسي حول ما إذا كان السلام حقيقياً ، وما إذا كان هناك تعاون حقيقى " !

وواضح أن مفهوم القدس الكبرى - وفقاً للتصورات الإسرائيلية - برز بقصد أحكام الحصار حول الجزء العربى من المدينة ووضع المفاوضات الفلسطينى بعد عامين ، أمام تعقيدات الأمر الواقع ، ولم يخف معظم المسؤولين هذا التفسير فى إشاراتهم إلى ما يدبر للقدس العربية ، وبخاصة لليهود " أولمرت " رئيس البلدية الذى ذكر أنه " سيقوم بتوسيع القدس شرقاً وليس إلى الغرب ، وأنه سيجرى تغييرات على الأرض تضمن بقاء المدينة موحدة وتحت سيطرة إسرائيل إلى الأبد " .

وعندما نتحدث عن " الحصار " فإننا نذكر الحقيقة التى لا مراء فيها فقد كان ذلك هو الذى حدث منذ احتلال إسرائيل للقدس العربية فى يونيو عام ١٩٦٧ ، حيث بدأت حكومة تل أبيب خطواتها المتسارعة بعزل القدس عن الضفة الغربية ومحاولة إلحاق الجزء العربى بالإقتصاد الإسرائيلى . وقد جرت أكبر عمليات التهويد منذ عام ١٩٨٠ عندما

وافق الكنيست على قانون " توحيد القدس وجعلها عاصمة لإسرائيل " وهو القانون الذى لم تعترف به معظم دول العالم ، واعتبره مجلس الأمن رقم ٤٨٧ لسنة ١٩٨٠ باطلاً ولا وجود له . ولكن إسرائيل مع ذلك مضت فى خطتها التى أدت إلى جعل القرى العربية فى ضواحي المدينة مناطق منعزلة ، وأصبحت أجزاء منها داخل الضفة الغربية وأجزاء أخرى خارجها ، وفقدت قرى كثيرة بعض أراضيها الزراعية الخصبة التى شملت فيها فيما بعد قرارات المصادرة .

وكانت أكثر خطط الحصار إحكاماً هى محاولة تحقيق التحام شطرى القدس من خلال إزالة المنطقة العازلة بينهما وإحاطة القسم العربى من المدينة بأحياء متعددة أنشئت فوق رؤوس التلال والوديان . واستهدفت هذه الخطط تقسيم الضفة الغربية إلى شقين منفصلين جغرافياً وديمغرافياً ، بتكثيف الاستيطان لزيادة عدد اليهود فى المنطقة .

والواقع أن خطط التهويد وتفصيلاتها متشعبة ، لكن مظهر منها يكفى للتدليل على خطورة المسألة وضرورة التحرك عربياً وإسلامياً ودولياً لوقف كل الممارسات التى تستهدف فرض واقع معين يتنافى مع أحكام إتفاق أوسلو ويتناقض مع المبادئ التى انطلقت على أساسها عملية التسوية السلمية فى مدريد عام ١٩٩١ . ويبدو وقف الممارسات الإسرائيلية الراهنة فى القدس مسألة ضرورية لسلامة المفاوضات ووصولها إلى غايتها المنشودة ، وهى تحقيق تسوية سلمية شاملة يكتب لها البقاء ، وتفتح صفحات جديدة من الإستقرار والتنمية فى الشرق الأوسط ومن المتوقع أن تنطلق خطط التحرك الجديدة من إجتماع لجنة القدس .

وأول ما يعنيه التحرك الجديد هو التأكيد على مفهوم " القدس الشرقية " باعتبارها جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية المحتلة ، وهذا هو ما أكدته الشرعية الدولية فى كل القرارات التى صدرت عن مجلس الأمن والتوصيات التى أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة . وتقضى أحكام الشرعية الدولية بأن القدس العربية ينطبق عليها قرار مجلس

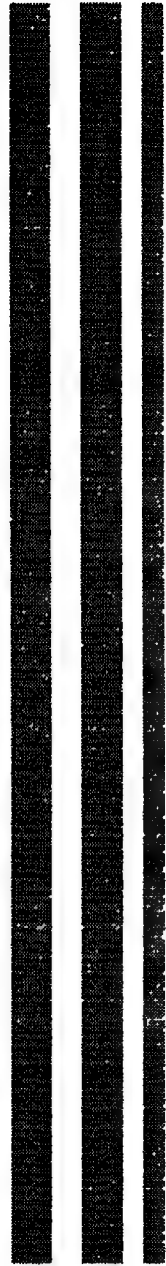
الأمن رقم ٢٤٢ الذى أرسى أسس التسوية السلمية ، ونص على انسحاب قوات إسرائيل من جميع الأراضي التى احتلتها فى يونيو عام ١٩٦٧ ، كما تقضى بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف . كذلك تقضى أحكام الشرعية بأن يبحث موضوع القدس ضمن مفاوضات الحل النهائى الذى يجرى بعد سنتين من تطبيق الحكم الذاتى وبأنه لا يحق لأى طرف فرض أمر واقع يؤثر على هذه المفاوضات .

وثانى التوجهات فى التحرك الجديد يتعلق بالموقف الأمريكى باعتبارها راعية لعملية التسوية السلمية وشريكة فيها عند الإقتضاء ، فهذا الموقف كان له دور يذكر فى عدم التأيد العالمى لقرار إسرائيل ضم القدس وإحجام الدول عن نقل سفاراتها إلى المدينة المقدسة . كما كان لأمريكا تفسير للقرار ٢٤٢ مؤداه أن الإنسحاب يشمل جميع الأراضي المحتلة وبينها القدس التى هى جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية ، ولكن هذا الموقف الأمريكى يلفه الضباب حالياً على نحو ما ظهر أخيراً فى الأمم المتحدة . فقد أظهرت الولايات المتحدة ميلاً إلى عدم تأكيد القرارات الدولية التى تتناول قضايا السيادة الفلسطينية على القدس وإحتلال إسرائيل للأراضي العربية ، بحجة أن عملية التسوية السلمية جارية ولا ينبغى التأثير عليها .

وثالث التوجهات فى التحرك الجديد يتعلق بالموقف الإسرائيلى نفسه ، من منطلق أن الحرص على مواصلة العملية السلمية بمختلف مراحلها يتطلب الإلتزام الدقيق باتفاق أوصلو وبمرجعية العملية نفسها . كما يراعى هذا التحرك التطلع إلى شرق أوسط جديد فى ظل السلام الحقيقى وهذا يستدعى إشراك المجتمع الدولى الذى يساهم فى العملية عن طريق المفاوضات الموازية " المتعددة الأطراف " فى تصحيح مسار العملية السلمية بين وقت وآخر . وبلغة أخرى يتعين إفهام إسرائيل بوضوح لا لبس فيه أن الطريق إلى السلام يمر عبر القدس ، وأن التطبيع الذى تنشده إسرائيل والتعاون الإقتصادي الذى تريده لا يتحققان بغير الحل الصحيح لقضية القدس العربية.

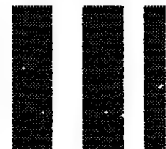
ورأى التوجهات فى التحرك الجديد يستهدف إزالة الفجوة بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، التى نشأت نتيجة ما تضمنه إعلان واشنطن الذى وقعه الملك حسين وإسحق رابين من " موافقة إسرائيل على إعطاء أولوية كبرى لدور الأردن التاريخى حيال الأماكن المقدسة فى المفاوضات الخاصة بالوضع النهائى للقدس " فبالرغم مما أوضحه الأردن فيما بعد أن رعايته للأماكن المقدسة مستمرة إلى حين يتسلمها الفلسطينيون فيما بعد ، إلا أن المخاوف استبدت بالقيادة الفلسطينية نتيجة التفسير الإسرائيلى الذى يريد الإيحاء بأن المفاوضات المقبلة بشأن القدس ستركز على موضوع المقدسات وتتجاهل المسألة بوصفها قضية سياسية كما تتجاهل أنها مدينة محتلة .

وفى انتظار خطط التحرك العربى الإسلامى الجديد ، بشأن القدس ، فإننا نتوقع فى الوقت نفسه تصحيحاً لمسارات التفاوض العربى - الإسرائيلى حتى لا تتعثر المسيرة السلمية .. وسيؤدى هذا التحرك إلى إقناع إسرائيل بأن سياستها لاتزال عاجزة عن الوفاء بمتطلبات السلام ، وأنها مالم تتغير تجاه القدس ، فإن النتيجة ستكون انهيار الحلم الإسرائيلى قبل أى شيء آخر .



السفير / سعيد كمال

رئيس إدارة فلسطين بالجامعة العربية



المطلوب إنسحاب إسرائيل

الوثيقة الصادرة من جهات مسؤولة ومراكز بحوث إسرائيلية تنفي أن القدس عاصمة موحدة إسرائيلية .. وتؤكد أنها جزء من الأراضي المحتلة .. وبالتالي لا يحق لإسرائيل أن تزعم لنفسها أى حقوق تاريخية أو سياسية ، وإسرائيل ستستمر فى تكرار أن القدس عاصمة أبدية ولكنها وقعت فى وثيقة إتفاق المبادئ على أن القدس بند من بنود التفاوض ، لإسرائيل تريد أن تدفع القدس إلى ما بعد إنتخابات ١٩٩٦ .

ولن أستبق الزمن بالحديث عن مصير القدس ، فالقدس بالنسبة لى وللجامعة العربية والأمم المتحدة أرض فلسطينية يجب الإنسحاب منها بموجب القرار ٢٤٢ وهناك خطاب حصلت عليه منظمة التحرير الفلسطينية فى إتفاق أوسلو من إسرائيل يقول أن إسرائيل تلتزم عدم المساس بهوية القدس من جميع النواحي على أساس أنها مؤجلة إلى المرحلة الأخيرة .. وفلسطين يعنىها القدس كأرض وليس كولاية دينية ، وإسرائيل فى هذا الوقت - كما يقول أمين عام جامعة الدول العربية - لا تنشئ مقابل ثغر واقفاً إلى حين استعادة القدس العربية وهى لها مكانة مرموقة لدى الدول الإسلامية والمسيحية ، وحكومة إسرائيل سواء من اللىكود أو العمل تتقيد بما التزمت به الحكومة السابقة والتصريحات غير المسؤولة لا يمكن أن نعتد بها أو نعتزف بمشروعيتها أو بمصداقيتها وصحتها والقرارات التى أصدرتها الأمم المتحدة بخصوص القضية الفلسطينية تعطى لمدينة القدس أهمية خاصة باعتبارها جزءاً من الضفة الغربية ، والضفة جزء من الأراضي الفلسطينية المتفق على استعادتها كاملة ضمن المرحلة الثانية من مفاوضات الحكم الذاتى بين الجانبين الإسرائيلى والفلسطينى .

والمزاعم الإسرائيلية من أن مدينة القدس عاصمة موحدة للدولة الإسرائيلية عملية للضغط ولممارسة شروط جديدة تصعب أو تعوق العملية السلمية ، فإسرائيل تعرف جيداً أن القدس أرض فلسطينية محتلة ، ولهذا السبب تحاول التسويف والتقليل من هذا الحق سواء بما نراه من عمليات توسيع للمستوطنات والمستعمرات الإسرائيلية أو بما نلاحظه من عمليات تهويد للمناطق العربية المعروفة بتراتها وهويتها العربية والإسلامية داخل مدينة القدس الشرقية المحتلة ، وفي جميع الأحوال فالقضية هي إحدى الثوابت الفلسطينية التي لا يمكن التنازل عنها لأن القدس هي عاصمة لدولة فلسطين المستقلة .

ويلاحظ أن إسرائيل تريد تحقيق مكاسب من عملية السلام وترى أنه بمصادرة أراضي القدس يمكنها الحصول على مكاسب ، وإسرائيل تضع خطوات لتهويد القدس والسلطات المتعاقبة استطاعت خلق واقع جغرافي وسكاني في القدس الشرقية ، واستطاعت أن تقفز بالسكان اليهود في القدس من صفر عام ١٩٦٧ إلى ١٦٠ ألف عام ١٩٩٣ وشكلوا لأول مرة أغلبية يهودية في الجزء الشرقي من المدينة وإسرائيل لا تسمح بالبناء على أكثر من ٥٦% من مساحة الأرض بالنسبة للسكان العرب من خلال خطط وزارة السكان بينما تسمح بالبناء لليهود في أي مكان ، وأنه من خلال مخططات الإسكان الإسرائيلية جرى تقسيم القرى العربية بالقدس وأحاطوها بالمستعمرات من جميع النواحي وإنهاء وجودها وتحويلها إلى أبنية موزعة وبعيدة إضافة إلى تدميرها وربطها بالسوق الإسرائيلي .. وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت القدس واقعة تحت السيطرة الإسرائيلية ولم يعد يتبقى للعرب سوى ٤% من مساحتها.

وقضية القدس ستحل بالانسحاب الإسرائيلي منها باعتبارها من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وكل ما تفعله وتصرح به بشأن القدس مراوغة سياسية ، وفي النهاية ستعمل على حل المستوطنات وستترك القدس لأهلها وما سيتم التفاوض حولها ليست القدس الشرقية التي تقع شرقي حدود خط الهدنة إنما القدس بكاملها .. ولا يوجد إقرار على مستوى المجتمع الدولي بما قامت به إسرائيل في غرب القدس.

المراجع

أولا: الكتب:

- القرآن الكريم .
- أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت ٥٧١ هـ) - التاريخ الكبير - دمشق - د. ت .
- أبو جعفر بن جرير الطبري (ت ٢٨٤ هـ) - تاريخ الأمم والملوك - لندن - ١٨٨٣ م .
- أبو عبد الله العماد الأصبهاني (ت ٥٩٧ هـ) - الفتح القس في الفتح القدسي - القاهرة .
- ادوارد سعيد - الاستشراق - المعرفة ، السلطة ، الانشاء - مؤسسة الأبحاث العربية - بيروت - ١٩٨١ .
- أسعد رزق - إسرائيل الكبرى - مركز الأبحاث / منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ١٩٦٨ .
- أسفار العهد القديم .
- الأمير جمال الدين بن تغري بردى - النجوم الزاهرة في أخبار مصر القاهرة - طبعت الأجزاء التسعة منه في القاهرة ما بين عامي ١٩٣١ و ١٩٤٢ .
- باسيل نقولا ختروفو (ترجمة حنا سمارة) - كلام في وصف الأرض المقدسة - د . ت - د . ط .

- تقي الدين المقریزی (ت ٨٤٥ هـ) - السلوك لمعرفة دول الملوك - ط القاهرة .
- توفیق الانصارى - مناسك القدس الشريف - المطبعة العثمانية - استنبول ١٣٣٢ هـ .
- حسين عمر حماده - آثار فلسطين - الطبعة الأولى - دار قتيبة - دمشق - ١٩٨٣ .
- حكومة فلسطين - الكتاب الابيض رقم (٣٢٢٩) - د. ت .
- انه خليل بن خطار سرکيس - تاريخ اورشليم - ط بيروت - ١٨٧٤ م .
- خليل طوطح - تاريخ فلسطين - مطبعة بيت المقدس - القدس - - ١٩٢٣ .
- روى الخطيب : تهويد القدس - أمانة القدس - مطبعة التوفيق عمان - الاردن - ١٩٧١ .
- روى الخطيب : المسجد الأقصى تحت الخطر - فلسطين الثورة (العدد السنوى) بيروت - ١٩٨٢ .
- روى الخطيب - تهويد القدس - (بحث) - موسوعة فلسطين - ط منظمة التحرير الفلسطينية .
- د . سالم الكسوانى - وضع القدس فى المحافل العربية والاسلامية - (بحث) - موسوعة فلسطين - ط منظمة التحرير الفلسطينية .
- سعيد عمارة - النظام الاقتصادى فى فلسطين - ط بيروت - ١٩٣٩ .
- د . سيد فرج راشد - القدس عربية اسلامية - دار المريخ للنشر - الرياض - ١٩٨٦ .
- عارف باشا العارف - تاريخ القدس - الطبعة الثانية - دار المعارف - القاهرة - ١٩٩٤ .
- عباس محمود العقاد - الثقافة العربية من ثقافة اليونان والعبريين - المكتبة الثقافية - العدد رقم (١) - القاهرة ١٩٥٩ .
- عبد الحميد السايح - ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى ؟ - دار الشعب - القاهرة - ١٩٧٠ .

- د . عبد الفتاح أبو عليه ، د. عبد الحليم عويس - بيت المقدس فى ضوء الحق والتاريخ
- دار المريخ - القاهرة - ١٩٨١ .
- كامل العسلى - أجدادنا فى ثرى بيت المقدس - المجمع الملكى لبحوث الحضارة
الاسلامية - عمان - ١٩٨١ .
- كامل العسلى - معاهد العلم فى بيت المقدس - جمعية عمان - المطابع التعاونية بعمان
- الأردن - ١٩٨١ .
- كامل العسلى - القدس عربياً واسلامياً عبر التاريخ (بحث) - موسوعة فلسطين -
طه منظمة التحرير الفلسطينية .
- كيث ماجواير - تهويد القدس (الخطوات الاسرائيلية للاستيلاء على القدس) مركز
الدراسات العربية لندون ودار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٩٨١ .
- محمد العامرى - عروبة فلسطين فى التاريخ - المكتبة العصرية - صيدا - ١٩٧٢ .
- محمد بن عمر الواقدى (ت ٢٠٧ هـ) - فتوح الشام - القاهرة - د . ت .
- محمد فريد وجدى - دائرة معارف وجدى - دائرة معارف القرن العشرين - القاهرة -
١٣٤١ هـ .
- مجموعة باحثين - الدولة الفلسطينية : حدودها ومعطياتها وسكانها - معهد البحوث
والدراسات العربية - القاهرة - د . ت .
- نقولا وشحاده خورى - تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية - بيت المقدس ١٩٢٥ .
- وليم أولبرايت - آثار فلسطين - المجلس الاعلى للشئون الاسلامية - القاهرة -
١٩٧١ .
- ياقوت بن عبد الله ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ) - معجم البلدان - ط ألمانيا
١٨٦٦ م .
- يوسف الحاج - هيكل سليمان - ط بيروت - ١٩٣٤ .

ثانياً : المجلات والصحف

(أ) المجلات :

- " الهلال " - القاهرة - ع فبراير ١٩٩٦ .
- " الفصيل " - السعودية - ع فبراير / مارس ١٩٩٦ .
- " صامد " - عمان / لبنان - ع آذار / نيسان ١٩٨٤ ، ع آب / زيول ١٩٩١ .
- " العربي " - الكويت - ع أيار / مايو ١٩٨٢ .
- " الموقف العربي " قبرص - ع ١٩ / ١٠ / ١٩٨١ .
- " شؤون عربية " - جامعة الدول العربية - ديسمبر ١٩٨٦ .
- " منبر الاسلام " - القاهرة - أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٦ .
- " الدراسات الفلسطينية " - بيروت - ربيع ١٩٩٤ .
- " الوسط " - لندن - ع ٢ / ٥ / ٩٤ ، ٤ / ٩ / ٤ / ٩٤ .
- " الوحدة " - المغرب - ع ديسمبر ١٩٩١ .

(ب) الصحف :

- " العالم الاسلامي " رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة - ع ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ .
- " السفير " - لبنان - ع ٢٦ / ٨ / ١٩٨١ ، ٢ / ٩ / ١٩٨١ .
- " النهار " - لبنان - ع ٢٢ / ٨ / ١٩٨٢ .
- " القدس " - لندن - ع ٣ / ١٠ / ١٩٩٦ .
- " القدس " - القدس - ع ٦ / ٣ / ١٩٧٤ ، ١٤ / ٥ / ١٩٨٦ .
- " الاتحاد " - الامارات العربية المتحدة - ع ١ / ١٠ / ١٩٩٦ ، ٥ / ١٠ / ١٩٩٦ .
- " الشرق الأوسط " - لندن - ع ١٦ / ١١ / ١٩٩٦ .

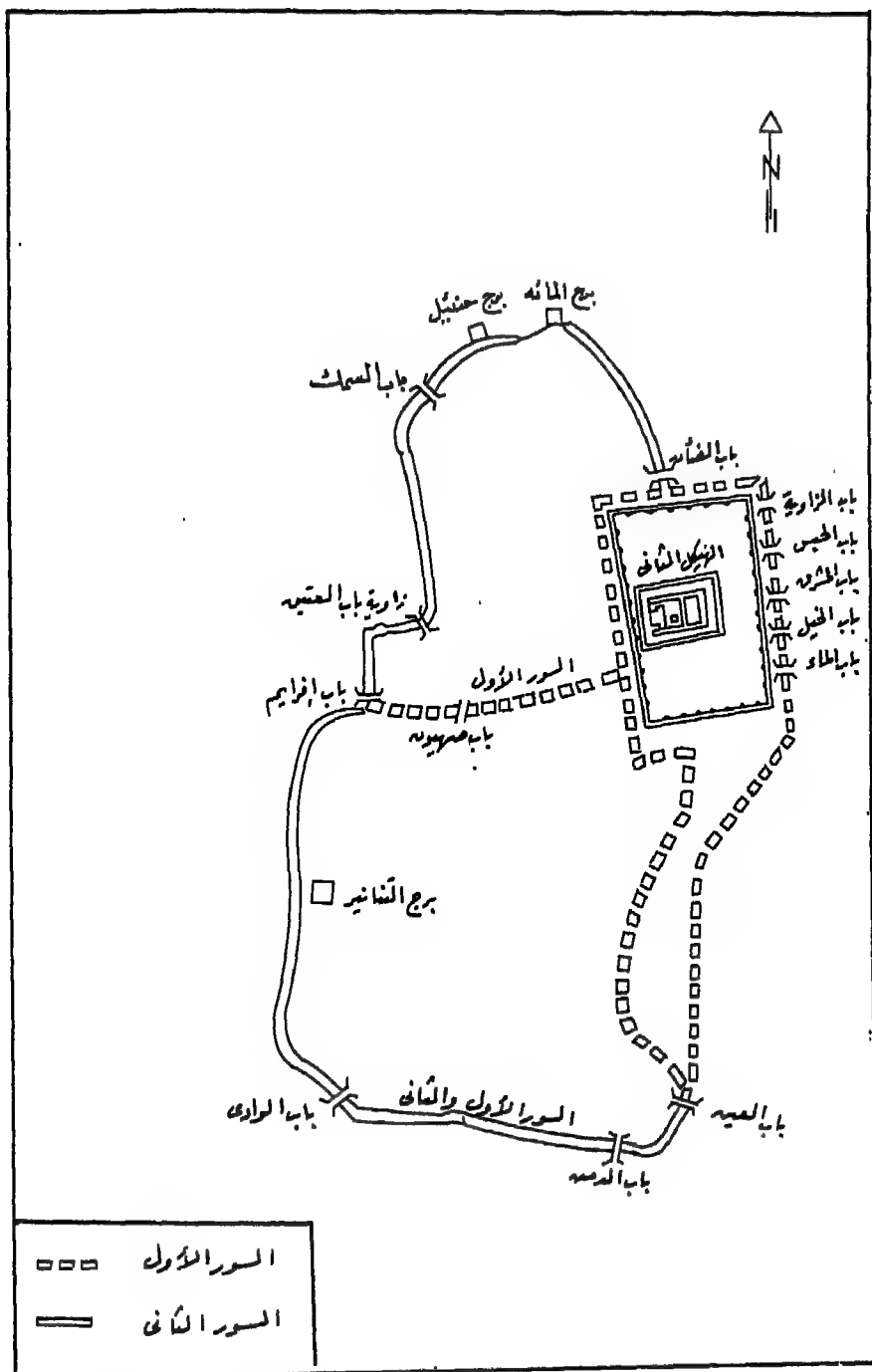
- " الطليعة " - القدس - ع ١٧ / ٦ / ١٩٨٢ .
- " صوت الأرض المقدسة " - القدس - ع ٣٠ ، ٣٢ ، ٧٧ ، ٩٨ .
- " الأخبار " - مصر - ع ٢٦ / ٣ / ١٩٦٩

ثالثاً: تقارير ووثائق وقرارات :

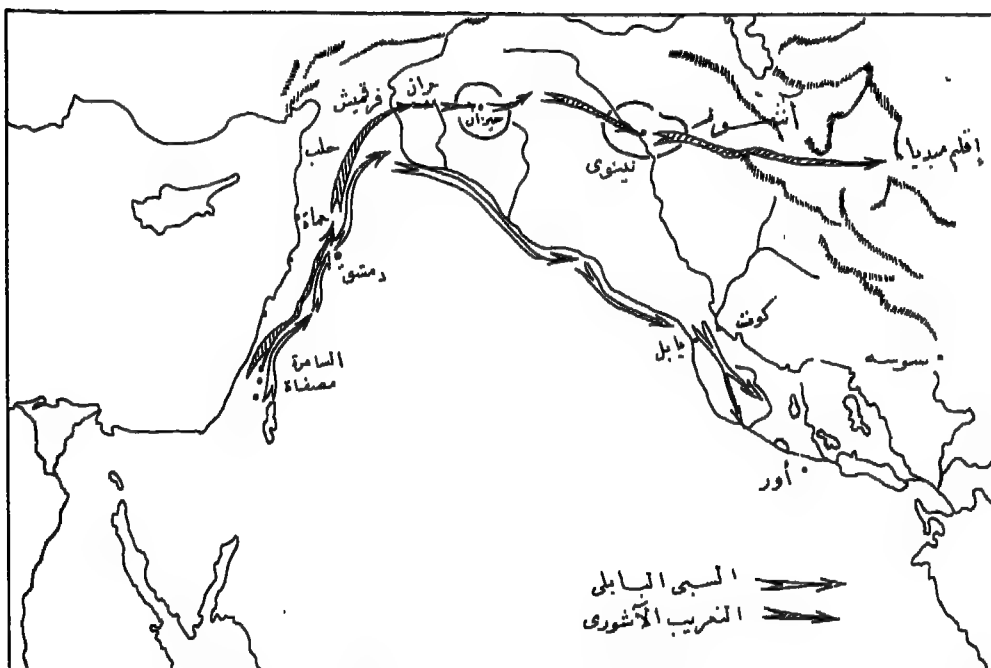
- قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربى - الإسرائيلى ١٩٤٧ - ١٩٧٤ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ، ومركز الوثائق والدراسات - أبو ظبى ، بيروت ١٩٧٥ .
- الأرض المقدسة : موسوعة تبحث فى القضية الفلسطينية منذ أقدم عصورها حتى الوقت الحاضر ، منشورات رابطة المدرسين بدمشق ، المكتبة الهاشمية بدمشق .
- ملف القدس ١٩٧٧ : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الكسو) .
- الوقائع الفلسطينية : جدول المواقع التاريخية والأبنية الأثرية ، حكومة الانتداب الانكليزى ، القدس ١٩٤٤ .
- تقرير أمانة القدس حول مواصلة سلطات الاحتلال العسكرى الاسرائيلى اعتداءاتها لتغيير اوضاع مدينة القدس خلافاً لقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى ومنظمة اليونسكو ، اعداد روى الخطيب ، أمين القدس ، عمان ١٩٧٦ .

الملاحق

تضاريس فلسطين

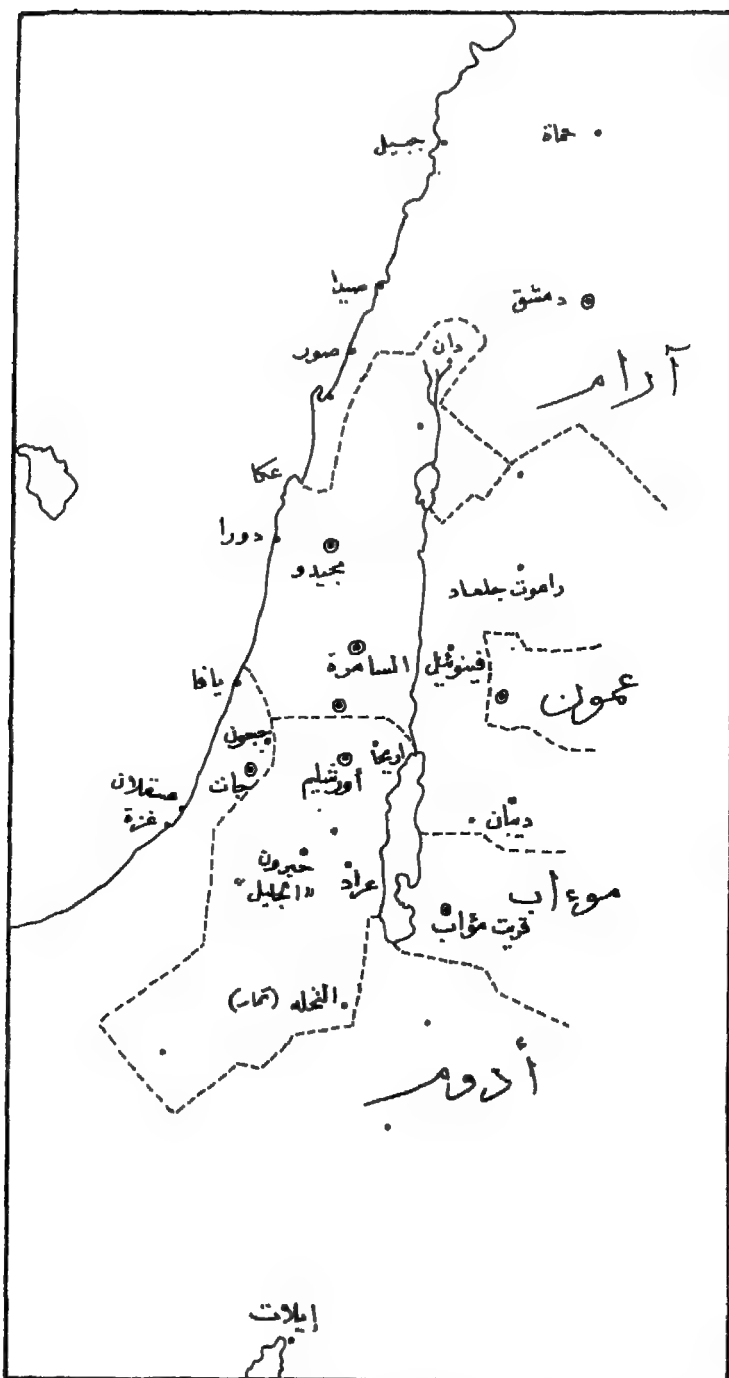


أسوار وبوابات وأبراج القدس في بداية العصر الرومانى

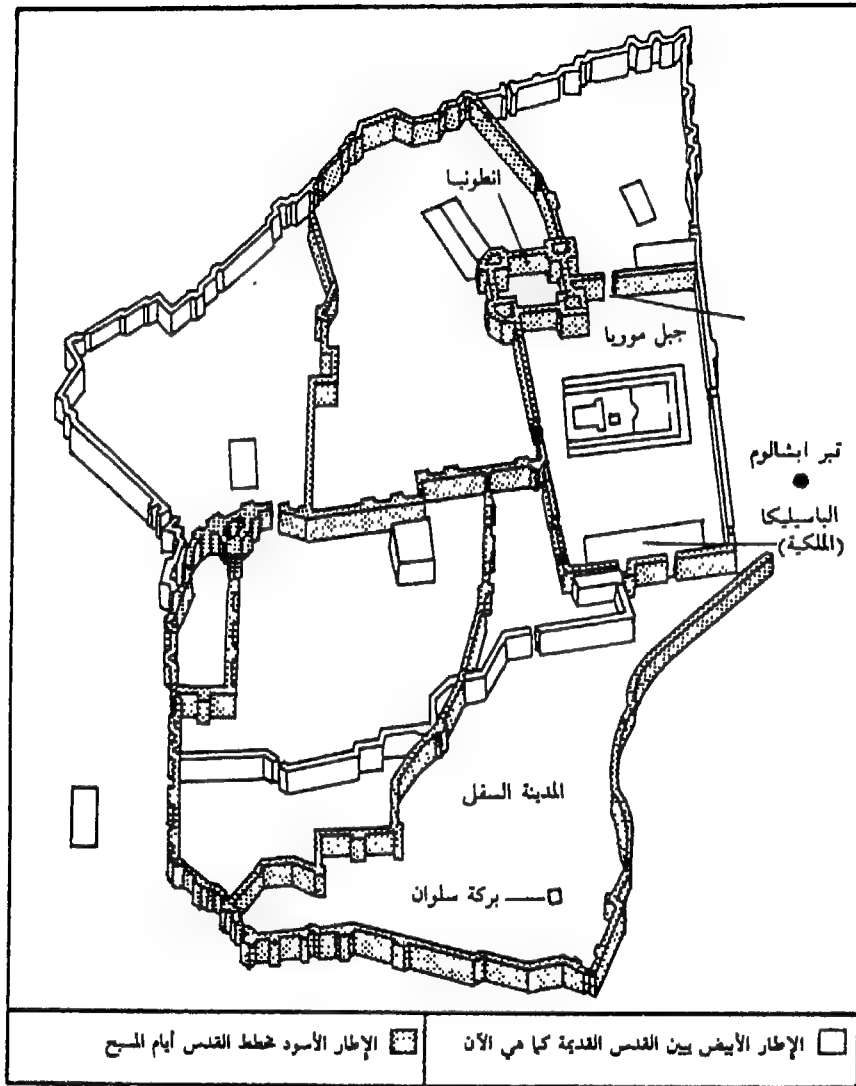


التغريب الآشوري لمملكة إسرائيل - ٧٢٢ ق.م. والسبي البابلي لمملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق.م.

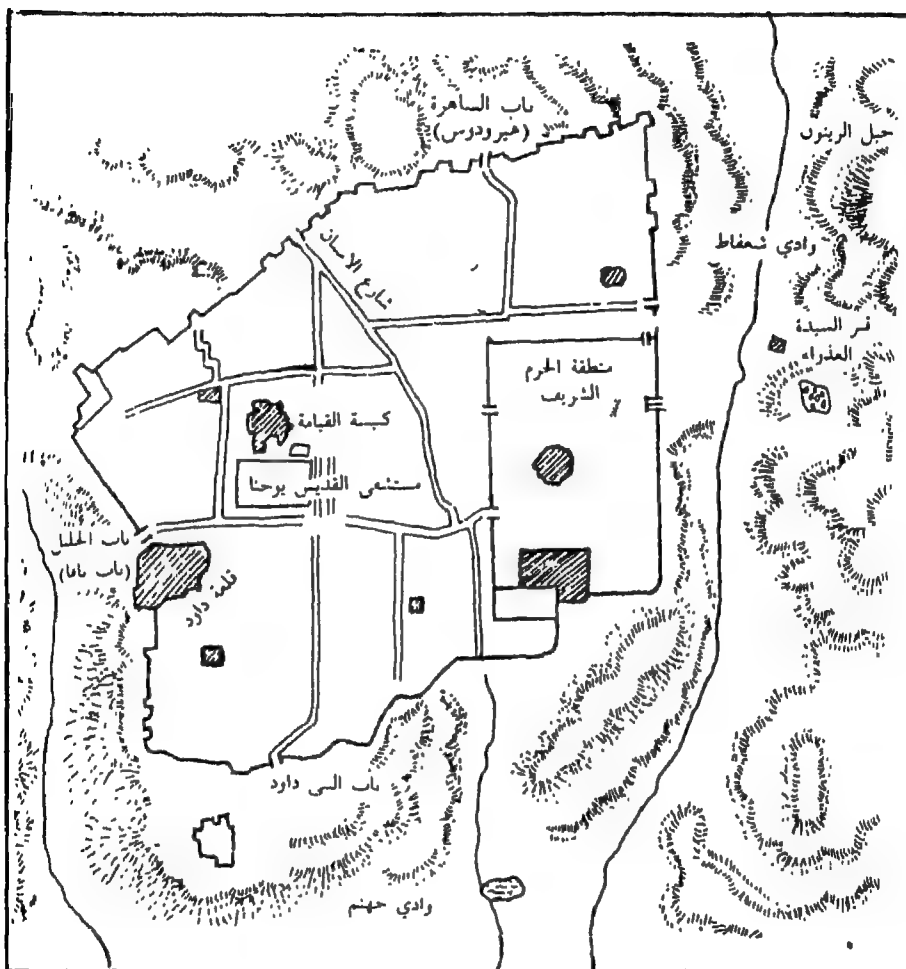
التغريب الآشوري والسبي البابلي لمملكة يهوذا ٧٢٢ ق.م.



أهم المدن الفلسطينية في القرن الثامن ق.م



القدس في عهد السيد المسيح



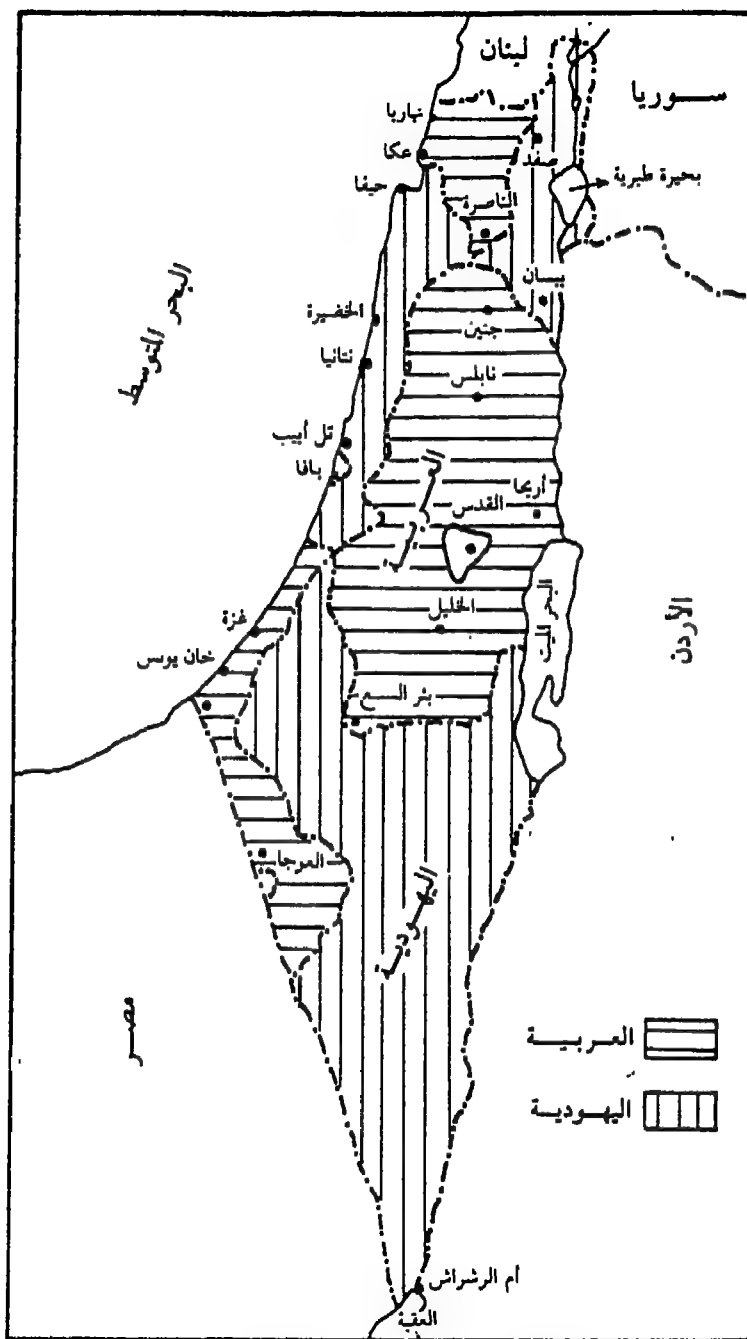
القدس في القرن الثاني عشر الميلادي



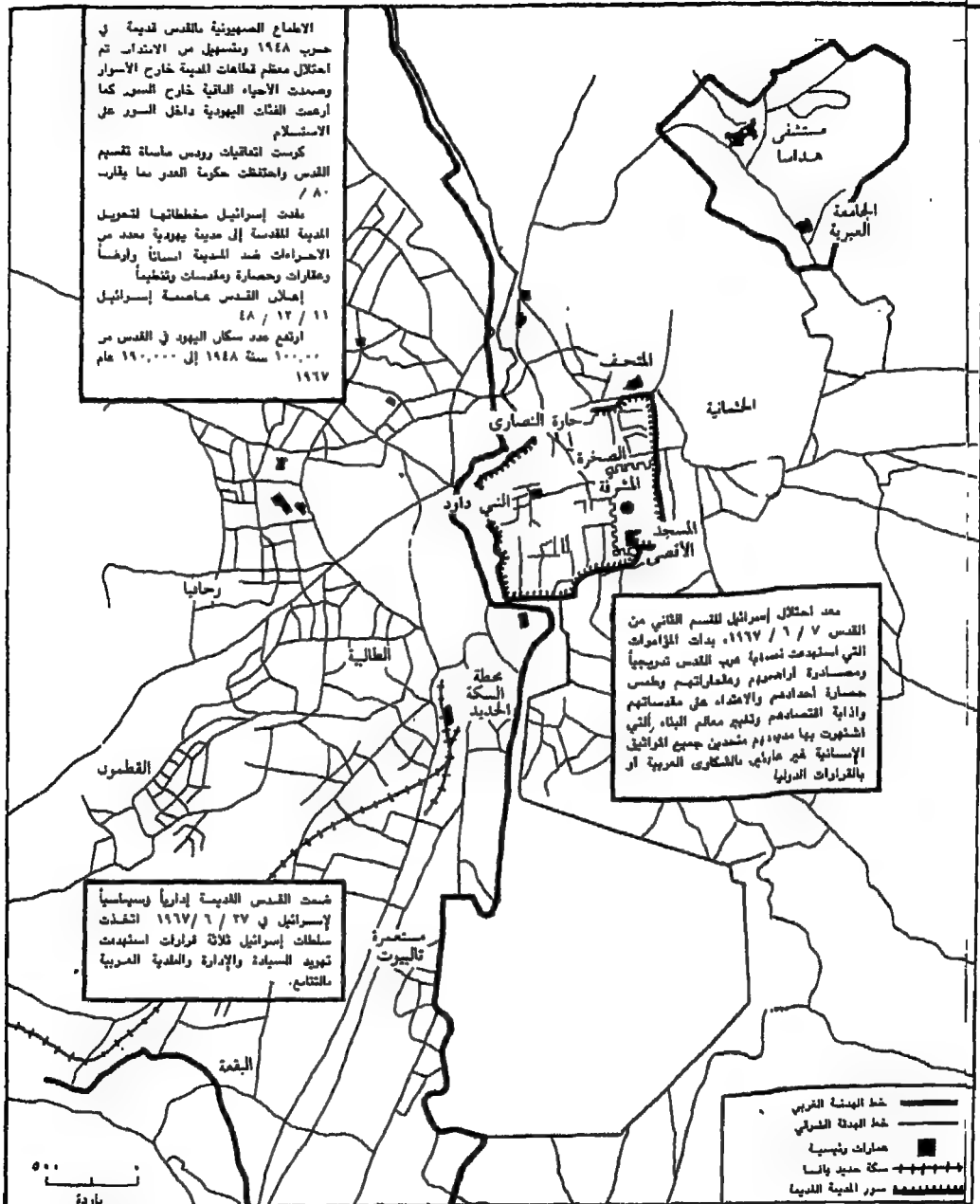
الطريق بين القدس وبيت لحم (خريطة من القرن ١٧)



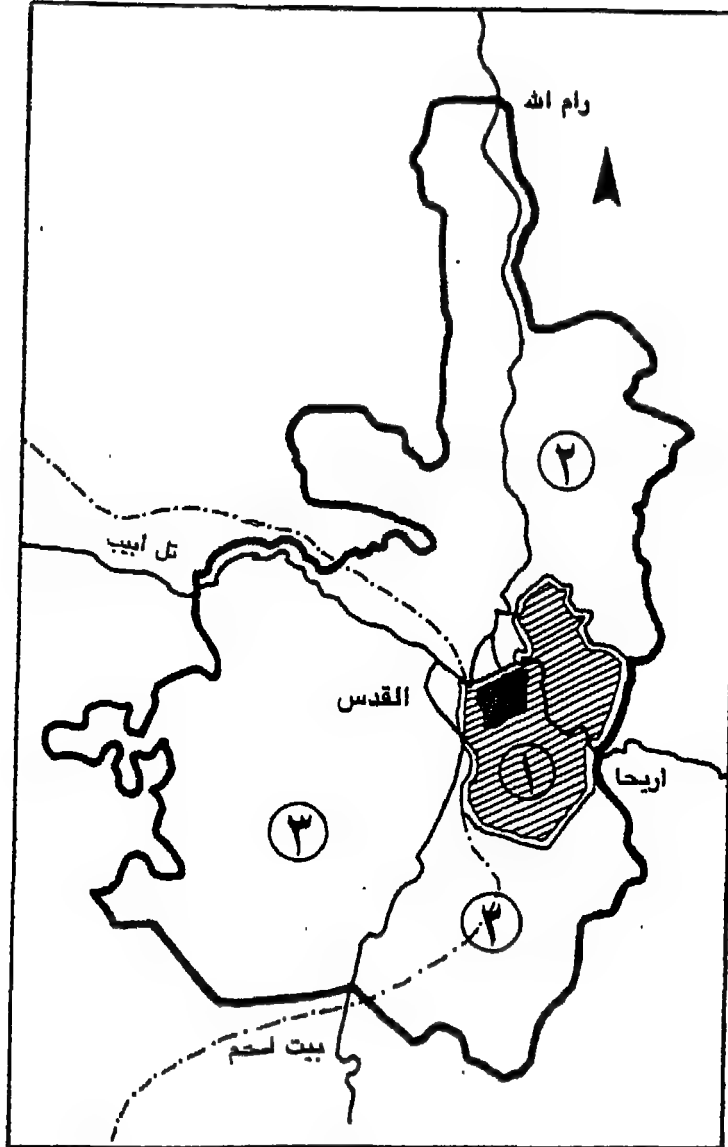
منظر عام للقدس - جبل الزيتون (خريطة من القرن ١٧)



فلسطين حسب مشروع تقسيم ١٩٤٧

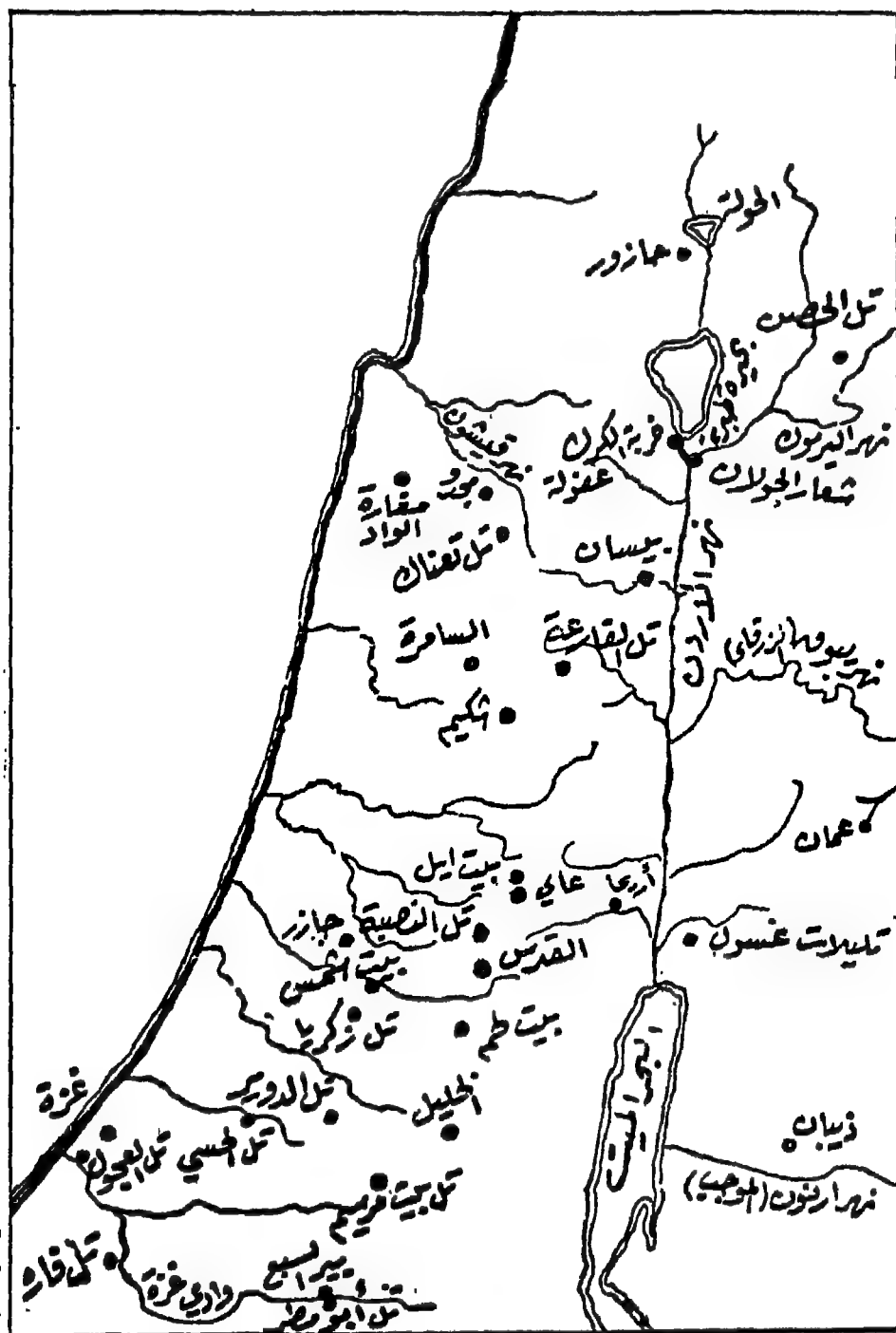


القدس بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧



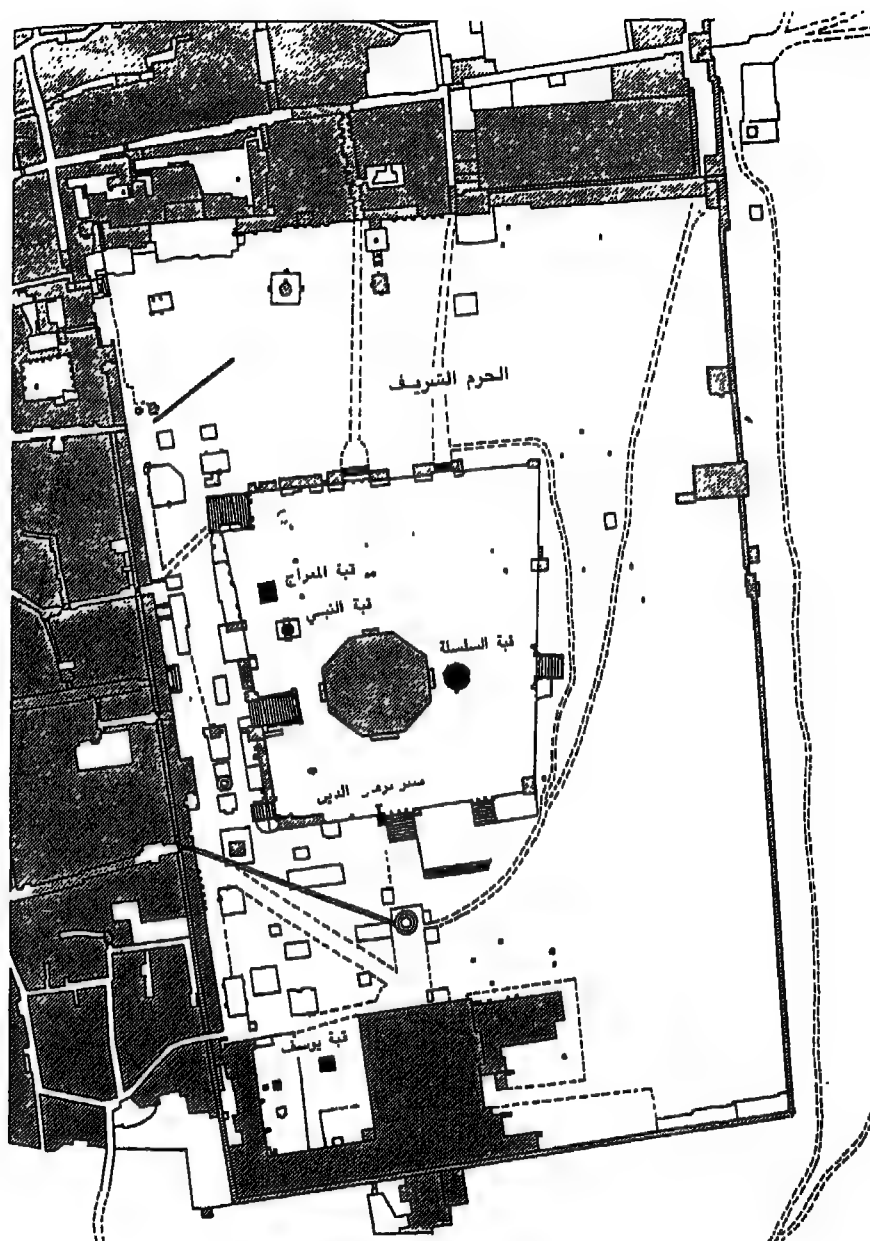
- ١ — القدس التي احتلتها سلطات الحكم العسكري الإسرائيلي عام ١٩٤٨
- ٢ — حدود أمانة القدس حتى عام ١٩٦٧
- ٣ — المناطق التي ضمتها سلطات الحكم العسكري الإسرائيلي في ١٩٦٧/٦/٢٨

القدس من احتلال ١٩٤٨ إلى احتلال ١٩٦٧



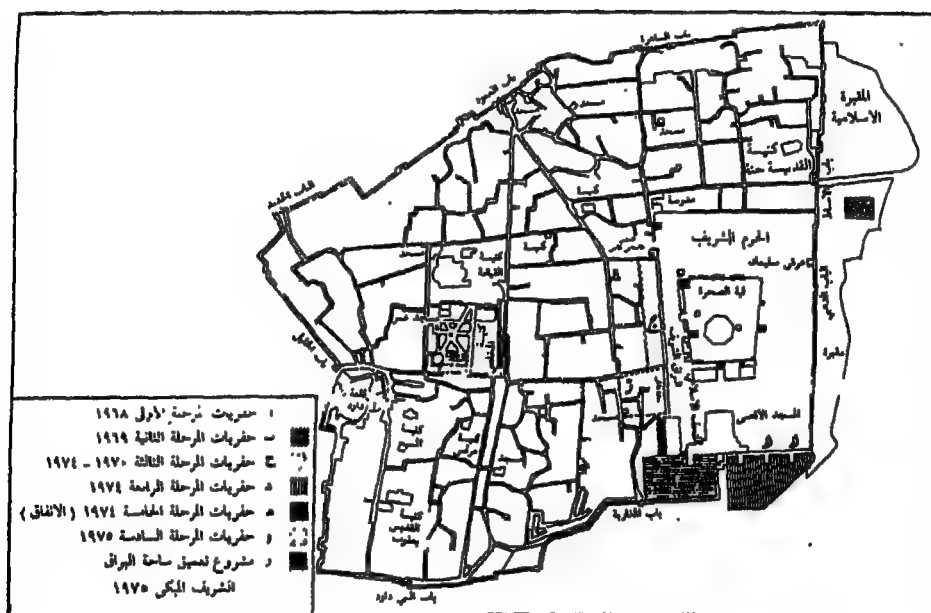
الأماكن الأثرية في فلسطين المحتلة

الأماكن المقدسة في القدس القديمة

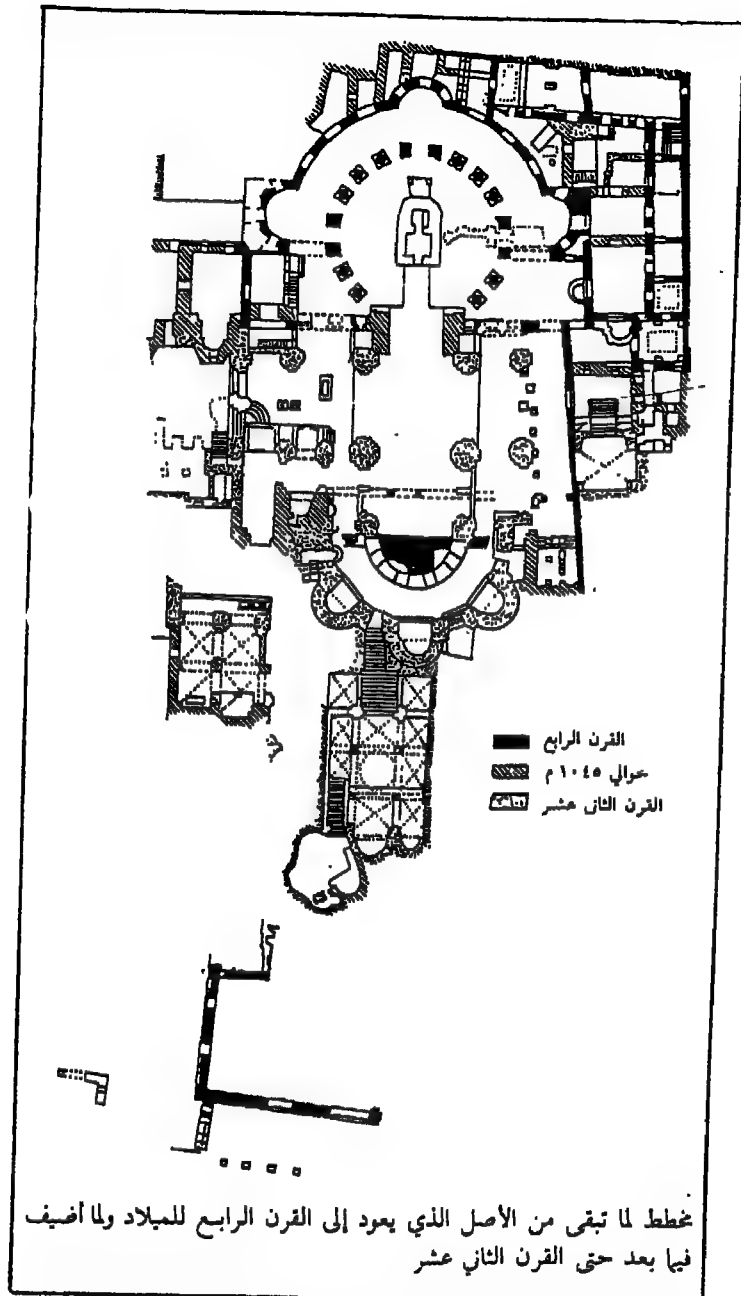


الحرم الشريف المقدس

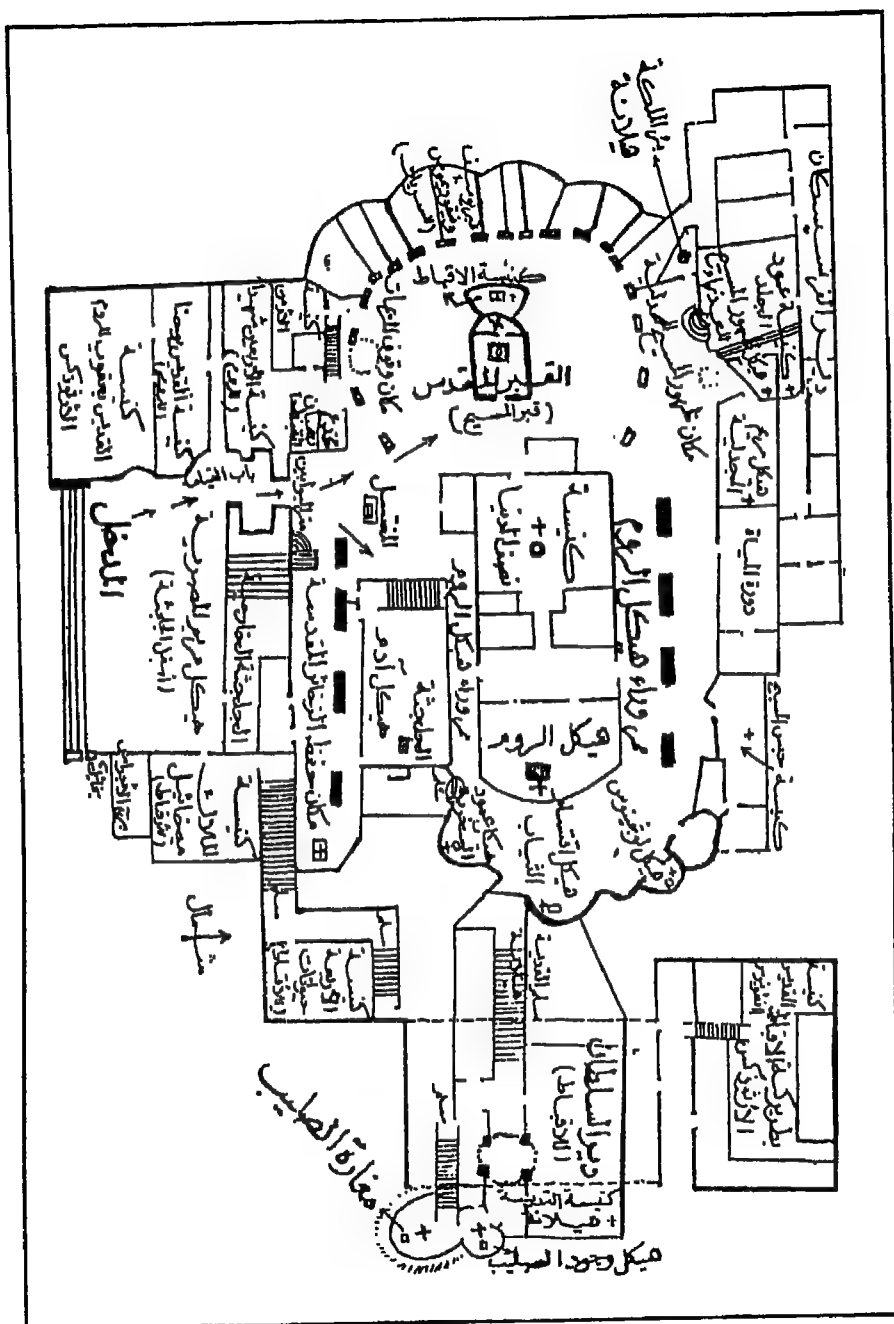
The Nobla Sanctuoy by Allstair Duncan : البريطاني في فلسطين نقلاً عن كتاب



الحضريات الإسرائيلية حول الحرم الشريف وتحت المسجد الأقصى



كنيسة القيامة



كنيسة القيامة (رسم توضيحي)

الفهرس

قصة مدينة

- المدينة والتاريخ ١١
- المقدسات الدينية فى القدس ٩٠
- المقدسات اليهودية ٩١
- الآثار المسيحية فى القدس ٩٦
- المقدسات الإسلامية ١٢٦
- حضارة المستوطنات وإرهاب التهويد ١٥٢
- المستوطنات : تقويض الهوية العربية الإسلامية ١٥٣
- التهويد : طمس المعالم العربية والتاريخية والدينية ١٦٩

شهادات وآراء

- المحور الأول : القدس عربية رغم الأطماع الإسرائيلية ٢٠٦
- شيخ الأزهر الراحل ٢١٠
- قداسة البابا شنودة ٢١٤
- د. أحمد عمر هاشم ٢١٩
- د. أحمد شلبى ٢٢٨
- د. عبد الوهاب المسيرى ٢٣٥
- د. محمد عمارة ٢٤١
- د. برنارد سايلا ٢٥٠

- د. يحيى الصباحى ٢٥٦
- محمد سيد أحمد ٢٦٠
- أحمد صدقى الدجاني ٢٦٤
- فهمى هويدى ٢٧٢
- د. صالح حسن المسلوت ٢٨١
- د. أحمد يوسف القرعى ٢٩٠
- د. مفيد شهاب ٢٩٣

■ المحور الثانى : مؤامرات التهويد وموقف القانون الدولى ٣٠٦

- ادوارد سعيد ٣٠٧
- الشيخ عكرمة صبرى ٣١٩
- د. عبد المنعم سعيد ٣٢٣
- موسى المزراوى ٣٢٩
- د. عبد الله الأشعل ٣٣٥

■ المحور الثالث : مستقبل السلام .. مستقبل المفاوضات ٣٤٠

- فاروق قدومى ٣٤١
- هانى رسلان ٣٤٤
- د. حسن وجيه ٣٥١
- د. محمد شومان ٣٥٨
- أحمد نافع ٣٦٢
- السفير / سعيد كمال ٣٦٩
- المراجع ٣٧٢
- الملاحق ٣٧٨



هذا الكتاب:

بعيدا عن المؤامرات والدسائس والمزايدات .. وأبواق الدعاية
لندع الحقائق تجيب: من هو صاحب الأرض؟ ومن هو صاحب
الحق في السيادة عليها؟ وإذا كذب اليهود الحقائق .. ورضى
العرب بما هو كائن .. علينا إذن أن نتساءل: لماذا يقبل العرب بعد
أكثر من ١٤٠٠ عام من عروية القدس تهويد المدينة راضين
بالصلاة في الأقصى الأسير .. ووفى كنائس مدججة أسوارها
ببنادق الاسرائيليين، ويشترى العرب بما يتوهمونه سلاما ..
مصيرا مشكوكا فيه، ومستقبلا يكتنفه الغموض.

هل يمكن لاسرائيل أن تتنازل عن القدس، خاصة في ظل
ما يعانيه العرب .. وما تتمتع به إسرائيل اليوم؟! لعل بن
جوريون - أول رئيس وزراء لاسرائيل - أجاب عن هذا التساؤل
حين قال: مسألة القدس ليست مسألة ترتيبات في أساسها، ولا
حتى مسألة قدرة عسكرية، رغم أننا لانستطيع حل كل مشاكل
القدس بالقوة العسكرية وحدها، لكنها المرحلة الأولى
لاحتلال القدس تعقبها بعد ذلك عدة مراحل أخرى.

ولعلنا نلمس هذا أيضا من مقولة الحاخام الاسرائيلي «جوننا
شان بلاس»: إن السلام يعنى الكثير لكن القدس شئ أشمن من
السلام؟ «فهل تصبح القدس بالنسبة للعرب أرخص من السلام
الإسرائيلي؟

إذا كانت تلك المدينة بالنسبة لهم قضية الهوية المفقودة، فإنها
للعرب الكيان المقتصب.. إن ما أراد أن يقوله هذا الكتاب
هو الحقيقة .. نعم الحقيقة لا أقل.

الناشر

